جامعة دمشق
كلية الآداب - قسم التاريخ

عيون التواريخ

صنفه

غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابئ

رواية

سبط ابن الجوزي يوسف بن قزأوغلي

«دراسة وتحقيق»

رسالة لنيل درجة الماجستير في الآداب

إعداد

سميحة أبو الفضل

بإشراف الأستاذ الدكتور

سهيل زكار

١٩٨٦ - ١٩٨٧

كلمـــــة شكـــــــــر

إن كلمـة شكـــر مهما تحمل من معنى ومهما حاولت أن أحملها ستبقـى قاصــرة لا تفـي ولا تستطيع ان تعبر عما أحمله في داخلـي من الاحتـــرام والتقديـر والوفاء للدكتور القدير المعطاء سهيل زكار معلمي الأول حيث أنـــه لم يتوان مـرة عن تقديـم كل ما أحتاجـه من المصادر والمراجع التي حاز عليهـــا أو أرشادي إلى مكان وجودها وكان الموجه دائما والمصباح المنير الذي أنار لـي الطريق ليرى عطـي هذا النور.

ومع ودي وتقديري الكبيـر للاخ والصديق والرفيق الذي كان دائمـــا من خلف الستار مثالا وقدوة يأخـذ بيدي إلى ما فيه الخير والمستقبل الأفضل.

سميحة ابو الفضـــــل

((توطئـــــــــة))

من أصعب الساعات التي يواجهها الطالب الذى ينوي إعداد رسالـــــــة لنيل شهادة جامعية ، هي ساعة اختيار الموضوع، فهو يحار في البداية حــــول اختيار موضوع : يؤلفه ، أو يقدم على تحقيق كتاب ، فللتأليف مزاياه ومشاكله ، وللتحقيق أيضا مزاياه ومشاكلــه •

هذا ما واجهته عندما بات علي اختيار موضوع أسجله لنيل شهادة الماجستير وبعد الموازنة بين عدة أمور ، وجدت أن اختيار كتاب لتحقيقــه يفيــد في هــــــذه المرحلة فائدة عظمــى ، فعملية التحقيق تمكن الطالب الباحث من الإطلاع على مختلف المصادر ، والتعامل معها ، سواء في اختيار المعلومات أو في النقــد أو في التدقيق والتحليل والضبط ، ولا شك أن هذا يــؤهل الطالب للقيام في المستقبل بأبحاث علميــة مفيدة ، يضاف إلى هذا أن العمل في التحقيق يجمع مع مزية التحقيق مزية البحــــث والتأليف ، فالطالب المحقق لنص تراثي مايقوم بدراسته ، ودراسة حياة مؤلفه وعصــــره وكل مايتعلق بمحتوياته •

ومع ترجيحي لفكــرة التحقيق ، لم تذلل المصاعب أمامي ، فقد بات عليّ البحث عن نص تاريخي تراثــي صالح للتحقيق ، وفيه فائدة ، وأن يكون من نصوص التاريــــــخ العباسي ، ومن الممكن الوصول إليه والحصول على نسخ مصورة عنه بيسر وسرعــــة ، وهذا ليس بالأمر الهين أبدا •

وهنا أقدمت على التشاور مع الأساتذة المختصين ، ومع بعض الأصدقاء ، وقــد اقترح عليّ الدكتور سهيل زكار عدة عناويــن كان منها التاريخ الصالحي لابن واصـــل الحموي ، والطبقات الصغرى لابن سعد كاتب الواقدي ، وحاولت الحصـول على نسـخ مصورة عن هذين الكتابين ، فقد راسلت المكتبة البريطانية في لندن ، كما سافر زوجــــي إلى استانبول في محاولة لتأمين نسخة عن الطبقات ، فلم يفلح ، وحصلت على مصـــــورة التاريخ الصالحي فإذا هــي مبتــورة لايمكــن اعتمــادها ، وعدت مرة أخرى إلـــــى الدكتور زكــار فأرشدنــي إلى تاريخ غرس النعمة وساعدنـي في الحصول على نسـخ مصورة عنه •

وتحمست الآن للاقتراح الجديد ، لأهمية هذا النص الكبرى ، وبعد نيل الموافقات الأكاديمية المطلوبة شرعت في العمل على تحقيق الكتاب .

لقد تحمست للموضوع على الرغم من أنه لا يوجد من المخطوط إلا نسختين في العالم وصلتا إلينا عن طريق غير مباشر ، عبر سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان ، ووضع هذا الحال أمامي مشاكل جديدة ومصاعب جمة ، حيث بات المطلوب مني استخراج تاريخ غرس النعمة من داخل مصنف آخر ، ومثل هذا العمل أقدم عليه الباحثون الأوربيون ولا سيما في مجالات إحياء النصوص الكلاسيكية ، وهو الآن معتمد من قبل الباحثين العرب ، فكم من ديوان شعر جرى استخراجه ، وكم من نص ديني أو تاريخي استخرج ونشر ، من ذلك تاريخ ابن الراوندي ومصنفاته .

وعندما وجدت من الصعوبة بمكان استخراج مادة غرس النعمة وفرزها على حده ، وأن في إهمالي لإضافات سبط ابن الجوزي تضييع لفوائد كبيرة ، فإضافات سبط ابن الجوزي ، ولا سيما جلها تراجم وفيات تكمل صورة عصر غرس النعمة ، ولهذا السبب أعلنت أن عملي تحقيق لتاريخ غرس النعمة برواية سبط ابن الجوزي .

وغرس النعمة هو محمد بن هلال بن المحسن الصابىء ، آخر سلسلة مؤرخي أسرة آل الصابىء الذين ذيلوا على تاريخ الطبري ، وأسرة آل الصابىء أسرة مجيدة قدمت من حران إلى بغداد ، وقدمت إلى بلاط العباسيين عددا من الأطباء والعاملين في حقل الترجمة والإداريين ثم المؤرخين والأدباء .

وإن الصابئة الأوائل بعقيدة صابئة حران ، وكان أول من دخل منهم بالإسلام هلال بن المحسن ، وبدأت سلسلة مؤرخي هذه الأسرة بثابت بن سنان ، ثم تلاه هلال بن المحسن وأخيرا جاء محمد بن هلال .

وعاش هؤلاء المؤرخين حوادث العصر البويهي وقد سجلوا أخبارها بشكل وثائقي مفصل ، وقد شهد آخرهم نهاية العصر البويهي وتأسيس السلطنة السلجوقية وهجرة التركمان والغز إلى العراق والجزيرة وبلاد الشام وأرمينية وآسية الصغرى في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد .

يعتبر الجزء الأساسي من المصنفات التاريخية لمؤرخي آل الصابئ بحكم المفقودة ، ويبدو أن سبط ابن الجوزي ملك في دمشق نسخة من هذه المصنفات فاستفاد منها واقتبس كثيرا من موادها في كتابة مرآة الزمان ، ومعروف أن سبط ابن الجوزي أعاد النظر بكتابه أكثر من مرة ، وفي إحدى المرات أودعه النص الكامل لتاريخ غرس النعمة ، وفي العالم الآن عدد كبير من مخطوطات مرآة الزمان وفقط في مخطوطتين واحدة في باريس وأخرى في استانبول موجود نص تاريخ غرس النعمة .

لقد أنهى هلال بن المحسن الصابئ تاريخه بأخبار سنة ٤٤٧ هـ وهي سنة وفاته ، وكان قد قام قبل وفاته بتوصيه ولده محمدا بالتذييل على تاريخه ، فالتزم بالوصية ، وكتب ذيلا سماه ((عيون التواريخ)) ، أرخ به للفترة الممتدة مابين ٤٤٨ الى ٤٧٩ هـ وهي سنة وفاته ، علما بأن سنة ولادته هي ٣٥٩هـ .

لقد قمت أولا بمقابلة المخطوطتين ، فوجدت أن مخطوطة استانبول أحسن حالا من مخطوطة باريس ، مع أن المخطوطتين لم يثبت عليهما تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ ، وهما قد كتبتا بخط نسخي واضح تمام الوضوح ليس فيهما سقط أو تطبيع أو بلل أو تلف ، لكن لحق بالنصين مالا يحصى من أخطاء النسخ والتصحيفات .

وقد عمدت إلى نسخ الكتاب اعتمادا على نسخة استانبول ، وبعد الفراغ من عملية النسخ قابلت ما نسخته بالأصل لمخطوط ثم قمت بمعارضته ومقابلته على نسخة باريس ، وبعد هذا عملت على ضبط النص معارضا ماجاء به من معلومات على مختلف مصادر القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، وهي مصادر عراقية وشامية ومصرية ، وبعد ما أنجزت هذه المرحلة سعيت إلى ضبط النص وتقويمه لغويا ، فقومت الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية وغيرها ، وإثر ذلك عدت مجددا إلى النص لأكمل عملية التحقيق بضبط الأسماء والأعلام وشرح ما احتاج إلى شرح وتوضيح ما اقتضى التوضيح مع إجراء بعض المقارنات والإحالات على ماجاء في مصادر أخرى .

وعملت في الوقت نفسه على تخريج الآيات والأحاديث النبوية والشعر ، وقد اقتضى العمل في التحقيق جهدا كبيرا ووقتا طويلا وبعدما فرغت من عملي انتقلت إلى إعداد الدراسة.

وتناولت بالدراسة التعريف أولا بالصابئة ، ثم بأسرة آل الصابئ وماقامت به من أدوار لاسيما على صعيد التصنيف التاريخي ، وعندما فرغت من ذلك تناولت حياة غرس النعمة ومصنفاته وتوسعت في الحديث عن كتابه في التاريخ الذي توليت تحقيقه ، ثم سعيت إلى تقديم صورة عن عصره حسبما رسمها هو في أخبار تاريخه ، وختمت دراستي بالحديث عن سبط ابن الجوزي وكتابه مرآة الزمان ودوره في رواية تاريخ غرس النعمة ووضعت نوعية الإضافات التي جاء بها وبينت قيمتها .

تاريخ غرس النعمة هو الآن بين يدي القارئ ، فيه يجد أن المؤلف أرخ بشكل وثائقي مفصل لقيام السلطنة السلجوقية ، واستيلاء الترك على مقاليد السلطة في المشرق العربي ، وهو حدث جليل بعيد الآثار.

وتاريخ غرس النعمة واحد من أهم المصادر التاريخية ، وهو مصدر أصيل من مصادر تاريخ الدولة العباسية ، له المكانة الأولى بين مصادر القرن الخامس . الكتاب الآن بين أيدي لجنة للحكم نزيهة عادلة مختصة ، وهو سيكون بعدها بين أيدي الباحثين والقراء وكل مهتم بتاريخ العرب والإسلام والدولة العباسية بشكل خاص، وأملي كبير أن يقدر حق قدره .

وكلمة أخيرة أقول : أنني بذلت قدر المستطاع من الطاقة والجهد وتحريت قدر الإمكان ، وكلي أمل في أن أكون قد وفقت ، والله ولي التوفيق وله الحمد والشكر.

((الفصل الأول))

غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابي

أسرته ، حياته وثقافته ، أدواره ، عصره ، مصنفاته . تاريخه
وصف طريقة وصوله إلينا ، تحقيقه وسبط ابن الجوزي وروايته لتاريخ
غرس النعمة ، الإضافات التي ألحقها به .

****

ليس من السهل الحديث عن تاريخ الصابئة والوقوف على مافيه ، نظرا لقدم هذا التاريخ ولقلة المصادر الموثوقة التي يمكن الاعتماد عليها ، ولضياع بعض -إن لم نقل معظم- كتابات القدماء ، بسبب تلف المواد التي كتبت عليها من رق وأوراق بردي ، وبسبب الحروب والغزوات والفتن ، أو لأنها أهملت المخطوطات لتعذر من يجيد قراءتها ، أضف إلى هذا أنه نتيجة للصراعات الدينية التي سادت بلدان الرافدين والشام ، عمدت بعض المجموعات الدينية إلى إخفاء كتاباتها والتكتم على معتقداتها وطقوسها ، ولا شك أن هذه الأحوال جميعا قادت إلى نقص في المعلومات ، وأخطاء في التفصيل مغايرة للحقيقة .

وينطبق كل هذا الإنطباق على تاريخ الصابئة الذين هم قوم من أصحاب إحدى الديانات الشرقية القديمة ، وإذا كان لايعنينا هنا الحديث عن ديانة الصابئة يكفي أن نشير أنه جرت العادة على تقسيم الصابئة إلى قسمين :
قسم عراقي ، وآخر شامي جزري

أما الشامي الجزري فيعرفون عادة باسم صابئة حران وهؤلاء قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد ، أما القسم الآخر فقد عاش في جنوب العراق على ضفاف نهر الفرات وتشعباته ويبدو أن خلافا عقائديا ميز الحرانين عن العراقين ومازال في العراق وإيران مايزيد على الأربعين ألفا من الصابئة ويعرفون الآن باسم المندعين أو المندائين (١).

تذكر المصادر ان أسم الصابئة أطلق على الحرانين في أيام الخليفة العباسي المأمون (٢) ومن ثم شهروا بهذه التسمية وعم استخدامها ليشمل العراقين أيضا.

---

(١) : غضبان رومي عكلة ، الصابئة ط. بغداد ١٩٨٣ ص ١٠-٢٥. عبد الرزاق الحسني ، الصابئون ط. بيروت ١٩٨٣ ص ١٤-٤٦. عبد الفتاح الزهيري ، الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ، ط. بيروت ١٩٨٣ ص ٢٦- ٣٥. سهيل زكار ، ماني والمانوية ط. دمشق ١٩٨٥ ص ٢٥٨-٢٨٦. الليدى دراوور ، الصابئة المندائيون ط. بغداد ١٩٦٩ ص ٨-٢٣.
Shorter Encyclopaedia of Islam (Lecolin 1961) PP. 477-480.

(٢) : محمد بن اسحق النديم ، الفهرس ، ط. طهران ١٩٧١ ص ٣٩٠-٣٩١ ، علي بن الحسين المسعودى ، مروج الذهب ، ط. بيروت دار المعرفة مج ١ ص ٢٢٢-٢٢٣ ، ج ٢ ص ٢٥٠-٢٥١. محمد بن علي بن حزم ، الفصل في الملل والنحل ط. مكتبة المثنى بغداد ، ص ٩٤-١٠٣ محمد الانصاري ، شيخ الربوة نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ط. لايبزغ ١٩٢٣ ص ١٩١-١٩٢ ، ٢١٤-٢١٨. أحمد ابن يحيى المنية والأمل في شرح الملل والنحل ، ط. بيروت ١٩٧٩ ص ٦٧-٦٨.

وعلى العموم إن عقيدة الصابئة كان لها تأثيراتها على عقائد الشرق القديم السماوية وغير السماوية ، كما أن أفكارا من هذه العقيدة تغلغلت إلى أفكار وعقائد بعض الفرق الإسلامية والحركات الصوفية (١).

كانت لغة صابئة حران هي اللغة الآرامية ثم السريانية ، وقد أجاد الحرانيون مع السريانية اللغة الإغريقية وشغلوا لهذا دورا كبيرا في تطور الفكر اللاهوتي المسيحي وتميزوا دائما بشغل دور الوسيط بين الآداب الآرامية والسريانية من جهة والإغريقية من جهة ثانية وقامت أحيانا بالدور نفسه بين اللغات التي سادت أراضي الامبراطوريات الفارسية المتعاقبة .

وبعد قيام الفتوحات الإسلامية ظلت مدينة حران تتمتع بمكانة عالية ، ولعل هذه المكانة كانت سببا من الأسباب التي دفعت مروان بن محمد إلى اتخاذ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية هذه المدينة عاصمة له ، وبعده أيضا عبدالله بن علي القائد العباسي المشهور (٢).

شغل بعض الحرانيين أدوارا في الإدارة والترجمة في العصر الأموي لكن هذه الأدوار عظمت في العصر العباسي (٣) .

فالحرانيون الذين كان لديهم تراثهم الفكري الخاص وهو تراث غني كما امتلكوا تراثا مترجما عن الأغريقية ولغات فارس وعلى هذا الأساس شهر الحرانيون منذ فترات مبكرة بالتنجيم والطب والفلسفة والقدرة على الترجمة ، وفي بغداد خلفاء الدولة العباسية الأوائل قام الحرانيون بالدور الرئيسي في حركة الترجمة إلى العربية ، ودفع هذا عددا من الحرانيين ، لابل عددا من أسر الحرانيين البارزة إلى الهجرة إلى بغداد والإستقرار فيها .

---

(١) : ماني والمانوية ص١٨ — ٢٢، ١٤٢ — ١٦٩ .
(٢) : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ ج ٧ ص ٤٧٤ — ٤٧٩ .
(٣) : الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين : ١٦٥ — ١٧٨ .

وفي بغداد شكل الحرانيون جالية متعاضدة متعاونة شهر على رأسها أسرتان هما آل زهرون وآل قره ، وقد جمعت أواصر الصداقة والقرابة بين هاتين الأسرتين وحافظ الحرانيون في البداية على عقائدهم لكن بعد مضي وقت لم يكن بالقصير دخلوا في الإسلام فهذا ما اقتضته الأحوال وأوجبته الظروف ومع ذلك نسج حول دخول بعضهم في الإسلام حكايات طريفة ومثيرة ، يهمنا منها الكاية التي تعلقت بدخول هلال بن المحسن الإسلام .

فهو قد أسلم في أواسط عمره وحسن إسلامه ، وكان أول من دخل الاسلام من آل زهرون ، وبعد إسلام هلال أقبل أفراد هذه الأسرة على الدخول بالإسلام، وهكذا أخذت أعداد المسلمين من الصابئة تفوق أعداد الذين حافظوا على دياناتهم القديمة .

روى المؤرخون عن هلال قوله : رأيت في المنام سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي قد وافى موضع مقامه ، والزمان شتاء والبرد شديد والماء متجمد ، فأقعدني ، فارتعدت حين رأيته ، فقال : لاترتعد فإني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني إلى بالوعة في الدار عليها دورق خزف وقال توضأ وضوء الصلاة ، فأدخلت يدي في الدورق فإذا الماء جامد فكسرته وتناولت منه مامررت به على وجهي وذراعي وقدمي ، ووقف الرسول في صفي وجذبني إلى جانبه وقرأ إذا جاء نصر الله والفتح وركع وسجد وأنا أفعل مثله ، وقام ثانية وقرأ سورة لم أعرفها ، ثم سلم وأقبل علي ، وقال : أنت رجل عاقل والله يريد بك خيرا فلم تدع الإسلام الذي قامت عليه الدلائل والبراهين وتقيم على ما أنت عليه ؟ ..

هات يدك فأعطيته يدي وصافحني وقال لي : قل جئت بالبينات والهدى فقلت ذلك ، ونهض ونهضت فرأيت نفسي قائما في الصفة فصحت صياح المرتاع ، فانتبه أهلي وجاءوا بعد أن سمعوا صياحي ، ومنهم أبي فقال : مابك وأوقدنا المصباح ، وقصصت للجميع قصتي فوجموا إلا أبي فانه ابتسم ، وقال : إرجع إلى فراشك وأجل الحديث للصباح ، وتأملنا الدورق المنكسر بفعل العمل ، وقال أبي : يابني هذا منام صحيح وبشرى محمودة ، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأة ، والانتقال من شريعة إلى شريعة ، يحتاج إلى وقت ، وأعتقد بما أوصيت به فإنني معتقد مثله ، وتصرف في صلاتك ودعائك وفق أحكامه ، وشاع الحديث ، وبعد مدة

رأيت رسول الله ثانية في منامي على نهر دجلة في باب البستان وقد عرف هذا البستاني بالزاهر الذي ابتاعه له جده أبو اسحاق الصابئ لسكناه فقال : مافعلت شيئا مما وافقتني عليه وقدرته معي ، فقلت بلى يارسول الله اعتقدت بما أمرتني به ، وتصرفت في صلاتي بموجبه ، فقال له : لقد بقيت في صلاتك شبهة ، وقال : وحملني إلى باب المسجد الذي بالمشرعة ، وكان أمامه رجل خرلماني نائم مصاب بالاستسقاء ، وارم جسمه ، فمر الرسول يده على بطنه ، وقرأ عليه فقام الرجل صحيحا معافى . فقلت صلى الله عليك يارسول الله فما أحسن تصديق أمرك وأعجز فعلك ، وإثر هذا أشهر إسلامه (١).

ولا شك أن هلال بن الحسن الصابئي أسلم لأن الظروف اقتضت ذلك ، فأسلافه جاءوا فيما مضى إلى بغداد ليعملوا بالترجمة ، أما هو وطبقته لم تعد الترجمة في أيامهم ميدان عملهم بل صاروا من كبار موظفي إدارة الخلافة في بغداد ، وبعضهم صار كاتبا ، وعمل بوظيفة تعدل وظيفة الوزارة ، وافترضت قوانين الدولة وأعرافها أن يكون أصحاب هذه الوظائف من المسلمين ، لذلك كان لابد من الدخول في الإسلام ، واستدعى الحال اختراع قصة كالتي أثبتناها .

وتزوج هلال إثر إشهاره لإسلامه إمرأة مسلمة وهي التي أنجبت له ابنه محمد ، بيت القصيد في دراستنا هذه ، وموضوعها الأساسي ، قبل الحديث عن محمد من المفيد أن نذكر أن زوجة هلال المسلمة ، شكت بإسلامه ، ذلك أنه لم يقطع صلاته بأهله وذويه من الصابئة ، فهنا جاءها هي الآخرى الإمام علي كرم الله وجهه في المنام فطمأنها (٢).

ولنلاحظ أن العصر الذي أعلن فيه هلال إسلامه كان هو العصر البويهي ، وكانت الأسرة البويهية شيعية ، لذلك اقتضى الحال تكملة لقصة إسلام هلال ، التي تمت بمعجزة نبوية ، بقصة بطلها الإمام علي بن أبي طالب.

---

(١) : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط. بيروت ج ٨ /١٧٦ــ ١٧٩ . ابن أبي أصيبعة ، ط بيروت ، ج ٢ ص٢١٦ــ ٢١٧ ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تيمة الدهر في محاسن أهل العصر ط. القاهرة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج ٢، ص ٢٤٢ــ٢٦٢.

(٢) : ابن الجوزى ، المصدر نفسه ، الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ص ٨٥ــ٨٧

واهتم عدد من رجالات آل الصابئ بتدوين التاريخ ، وبرز من بين صفوفهم عدد من كبار المؤرخين .

يقول القفطي في كتابه أخبار الحكماء : ((وإذا أردت التاريخ متصلا فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه ، فإنه من أول العالم وإلى سنة تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبدالله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية ، وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الإنتهاء قريبا المدة ، والطبري أزيد منهما قليلا .

ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فإنه يداخل الطبري في بعض السنين ، ويبلغ إلى بعض سنة ثلاث (الأصح خمس) وستين وثلاثمائة ، فإن قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذيل به كتاب الطبري فنعم الفعل تفعله فإن في كتاب الفرغاني بسطا أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن ، ثم كتاب هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابئ فإنه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، ولم يتعرض أحد في مدته إلى ماتعرض له من أحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كان كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ماجمعه ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد ابن هلال وهو كتاب حسن إلى بعد سنة سبعين وأربعمائة (١).

نستدل من هذا النص البالغ الأهمية أن الاهتمامات التاريخية لآل الصابئ برزت في العصر البويهي ، وفي الحقيقة كان الذين اعتنوا بالتاريخ من آل الصابئ قد وقفوا جهودهم تقريبا على التاريخ للعصر البويهي ، لكن لسوء الحظ إن كتاباتهم تعتبر بحكم المفقود .

---

(١) : القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف) تاريخ الحكماء ط. ليبزغ ١٣٢٠ هـ ص١٠٩ـ ١١١ ابن خلكان " أحمد) وفيات الاعيان ط. باريس ١٨٣٨ : ١/١٤٨ .
ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) حققه د . س مرجليوث ط. القاهرة ١٩٠٩ : ٢/٣٩٧ .

كان ثابت بن سنان هو أول من اهتم بكتابة التاريخ من آل الصابئ فهو اختص بالأصل بالطب ، وتعلق بخدمة الخليفة الراضي (٣٢٢/٣٢٩/٩٣٤–٩٤٠) وتولى تدبير المارستان في بغداد كما أنه خدم عددا من الخلفاء بعد الراضي ، وذكر بعض الذين ترجموا لثابت أنه توفي سنة ٣٦٣/٩٧٣–٧٤ ، وهذا وهم أصح منه أن وفاته حدثت في عام ٣٦٥/٩٧٥–٧٦ ، وهذا ما تثبته مخطوطة تاريخ أخبار القرامطة المنتزعة من كتابه ، وما نقله ياقوت عن ابن أخت ثابت (١) : هلال بن المحسن الصابئ .

اهتم ثابت بالإضافة إلى الطب بالتاريخ وتدوين أخباره فكتب عددا من المصنفات التاريخية ، أشهرها كتابا في التاريخ كبير رتبه حسب حوادث السنين (أي على طريقة الحوليات) وذيل به على تاريخ الطبري ، لكن بشيء من التداخل ، فقد بدأ ثابت تاريخه هذا بعهد الخليفة المقتدر (٢٩٥ هـ ٣٢٠ /٩٠٨–٩٣٢) وتوقف عن متابعة الكتابة فيه قبيل وفاته بأيام ، ولثابت تاريخ ((مفرد في أخبار الشام ومصر في مجلد واحد)) وله كتاب آخر دون فيه ((وفاءات من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة إلى السنة التي مات فيها))(٢) أي سنة ٣٦٥ .

لسنا بحاجة هنا للحديث المفصل عما صنفه ثابت ويهمنا فقط القول أنه بعد وفاة ثابت جاء هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابئ ، وقد وصفه القفطي قبل قليل على أنه كان ابن أخت ثابت ، وفي الحقيقة جاء هذا التحديد تجاوزا حيث ان جد هلال "إبراهيم" هو ابن أخت ثابت .

لقد أوردنا قبل قليل مسألة إسلام هلال والمكان هنا للحديث عن أنه ولي ديوان الإنشاء في بغداد وعاش فترة تاريخية هامة جدا عاصرا أحداثها وعرف أخبارها وعاشر أبطالها ، فكتب ماتوصل إليه وماعرفه من أخبار بشكل يمكن وصفه بالوثائقية ، وقد أودع ذلك في عدد من الكتب مفردة مثل كتابه في تاريخ الوزراء وهو مطبوع واسع الأهمية (٣) ، أو ذيل على ماكتبه ثابت بن سنان أي كتب الذيل الثاني للطبري ،

---

(١) : نشر هذه المخطوطة سهيل زكار ضمن نصوص كتابه أخبار القرامطة . معجم الأدباء : ٢/٣٩٧ .

(٢) : أخبار القرامطة ٥١ – ٥٢ .

(٣) : نشر كتاب ((تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء))في القاهرة عام١٩٥٨ محققا من قبل عبد الستار أحمد فراج .

كما ذيل على كتاب ثابت الآخر الذي أوقفه على تاريخ بلاد الشام ومصر ، فهذا ما أكده القفطي في نصه الذي نقلناه آنفا ، ومابينه سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان حيق قال :

((وكان هلال من كبار العلماء والأدباء وله التاريخ الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان وبدأ به من سنة إحدى وستين وثلاث مائة إلى سنة سبع وأربعين وأربع مائة))(١).

في الحقيقة من شبه المؤكد أن ثابت بن سنان أنهى كتابه بحوادث سنة ٣٦٥ وأن هلال بن المحسن ابتدأ كتابه الذي ذيل به على تاريخ ثابت بحوادث سنة ٣٦٠ وأنهاه بأخبار سنة ٤٤٧هـ ، فهذا ماقاله ابنه غرس النعمة محمد بن هلال في مقدمة كتابه الذي هو موضوع دراستنا هذه والذي دعاه باسم عيون التواريخ وأرخ به للفترة الممتدة مابين ٤٤٨ إلى ٤٧٩ هـ وجعله بمثابة ذيل لتاريخ أبيه أبي الذيل الثالث لتاريخ الطبري ، فقد ذكر الأسباب التي حدت به لتصنيف كتابه بقوله :

" وبعد ، فكان أبي وصى إليّ لما أحس بقدوم الوفاة ، ويئس من أيام الحياة ولمعت له لوامع المنية ، وقرعت سمعه قوارع البلية ، رغبة في زيادة الذكر ونمائه وانتشاره بصلة كتاب التاريخ الذي ألفه إلى آخر سنة سبع وأربعين وأربع مائة تأليفا يعجز عنه من يروم مثله ، ويفتضح فيه من يتعاطى فضله إذ هو السحر الحلال والعذب الزلال ، والصادر عن أوحد دهره وفريد عصره ، وشرع فيه وقد أتت عليه سنة (ولد هلال سنة ٣٥٩ هـ) جرب فيها الأمور ومارسها وخبرها ولامها وأنا عار من جميع صفاته وخال من سائر سماته .

وابن اللبون إذا مالزمي قرن لم يستطع صولة البزل القناعس

لكن قوله مستمع ، ومرسومه متبع ، وأمره مطاع ، ورأيه غير مضاع .....

وفي سنة ثمان وأربعين وأربع مائة ، وفي يوم الإربعاء السادس عشر رمضان توفي والدي الرئيس أبو الحسن ، هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال ، ومولده الأحد النصف من شوال سنة تسع وخمسين وثلاث مائة ، فانتقض السؤدد بمصابه ، وانثمل الفضل بذهابه " (٢).

---

(١) : مرآة الزمان ـ مخطوطة أحمد الثالث ٢٩٠٧ ب ـ المجلد الثاني عشر حوادث سنة ٤٤٧ هـ .

(٢) : المصدر السابق .

لسوء الحظ فإن معظم مواد التراث التاريخي لأسرة آل الصابئ بحكم المفقودة وقد أكثر سبط ابن الجوزي النقل من تواريخ كل من ثابت وهلال .

كما أن المستشرق أندروز عثر على قطعة من تاريخ هلال حوت أخبار خمس سنين أولها سنة ٣٨٩ هـ وآخرها سنة ٣٩٣ وقد ألحق مارجليوث هذه القطعة بكتاب تجارب الأمم لمسكويه وذلك بعد ذيل أبي شجاع وطبعها في القاهرة سنة ١٩١٩.

وسلفت الإشارة إلى أنه قد وصلنا كتاب مخطوط صغير جاء بمثابة مختصر لتاريخ ثابت بن سنان ضمنه مختصره ماحواه تاريخ ثابت من أخبار القرامطة، وهذا المخطوط في حوزة المستشرق برنار لويس، وقد نشره سهيل زكار ضمن نصوص كتابه أخبار القرامطة ، ومن تحليل مواد هذا المخطوط نجد مايلي :

يمكن من حيث المبدأ تقسيم المعلومات التي يتضمنها إلى قسمين :
ـ القسم الأول وقد وردت معظم رواياته في تاريخ الطبري ، والقسم الآخر وقعت أحداث رواياته بعد وفاة الطبري ، فقام ثابت كما هو مفترض بتدوين أخبار هذه الأحداث .

وجل الأخبار في هذا القسم من عصر ثابت ، وعندما نقرأ هذا القسم نلاحظ أمرا مدهشا حيث أن الكتاب يروي أخبار القرامطة ابتداء من ((سنة مائتين وثمان وسبعين من الهجرة)) حتى ((سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة)) بشكل كامل التسلسل ثم أخرى ثم يقفز فيبدأ بأخبار ((سنة ستين وثلاث مائة)) .

لا نعرف سبب هذا بالتأكيد ، لكن لدى قراءة المواد الأخيرة ومقارنتها بالمواد الأولى يحصل لدينا إنطباع أن المواد الأولى تهتم بقرامطة البحرين والعراق بشكل رئيسي ، في حين أن المواد الأخيرة موقوفة إلى أبعد الحدود على نشاط القرامطة في الشام وصراعاتهم مع الخلافة الفاطمية في الشام ومصر ، .

إن هذا يدفعنا إلى الافتراض أن الذي جمع مواد مخطوطة المستشرق لويس جمعها من كتابين لعلهما كانا في مجلد مجموع واحد هما : تاريخ ثابت بن سنان الذي ذيل به على تاريخ الطبري ، وكتابه الآخر الذي أوقفه على تاريخ الشام ومصر ويرجح أن الكتاب الأول كان مبتورا فهو بالأصل ((مسودة المؤلف))(١) والذي تولى عملية الإختصار لم يتنبه لا إلى الخرم الكبير ولا إلى طبيعة المواد المروية ولا إلى

---

(١) : أخبار القرامطة ص٧٠ .

الاختلاف الذى لحقها ، ولعله تنبه لكنه لم يخبرنا ، ومهما يكن الحال فإن المواد المتأخرة من مخطوطة المستشرق لويس تتوافق لابل تتطابق تماما مع محتويات تاريخ دمشق أو المذيل على تاريخ دمشق لابن القلانسي •

وقد صرح ابن القلانسي بأنه صنع ((مذيلا على تاريخ دمشق ، وكما هي العادة يبنى المذيل على ذيل ، والذيل يأتي بمثابة ملحق بكتاب أساسي ، وبدأ ابن القلانسي مذيله بحوادث سنة ٤٤٨ للهجرة •

ولنتذكر ماسلف وقلناه عن ثابت بن سنان وهلال بن المحسن ، فثابت كتب فيما كتبه كتابا بالتاريخ أوقفه على أخبار مصر والشام ، ووقف به مع أحداث سنة وفاته وهي سنة ٣٦٥ هـ ، ومن بعده جاء هلال بن المحسن فكتب مذيلا على تاريخ ثابت تداخلت بعض حولياته ، حيث بدأه بحوادث سنة ٣٦٠ ، ووقف به مع نهاية سنة ٤٤٧ هـ•

ولابد من القول إن ابن القلانسي لم يصرح في كتابه باعتماده على كتابي ثابت ابن سنان وهلال بن المحسن أو على واحد منهما على الأقل ، وكل ماهنالك أنه قال في سياق الحديث عن ولاية حيدرة بن مفلح لدمشق ، وهو أحد الولاة الفاطميين قال : ((واستمرت عليه الأيام في الولاية إلى سنة ثمان وأربعين وأربع مائة التي يبنى هذا المذيل عليها ، وعادت سياقة الحوادث منها وإيراد مافيها وتجدد بعدها))(١)•

والبحث التاريخي المقارن هو الذي قاد إلى الإفتراض أن ابن القلانسي بنى مذيله على كتابي ثابت بن سنان وهلال بن المحسن أو على واحد منهما حيث من المؤكد إلى حد ما أن مصنف ابن القلانسي بشطريه ((الأساس))و ((المذيل)) يبدأ بحوادث سنة ٣٦٠ هـ•

وبهذه السنة بدأ هلال كتابه ، ومن المسلم به أن ماكتبه هلال عن أخبار السنوات (٣٦٠ـ ٣٦٥ هـ) وهي السنوات التي تداخل بها كتابه مع كتاب ثابت، هناك تطابق بالمواد مع اختلاف محتمل في التفاصيل فهذا مانلاحظه حينما نقارن مواد السنوات المتداخلة بين مواد تاريخ ثابت بن سنان وتاريخ الطبري•

لهذا ليس من المستبعد أيضا أن يكون ابن القلانسي اعتمد على تاريخ هلال بن المحسن دون سواه •

---

(١) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ط • دمشق ١٩٨٣ ص• ١٤٠•

تبقى القضية في حدود الفرضية فتاريخ هلال بن المحسن هو الآن بحكم المفقود ، ومصنف ابن القلانسي وصلتنا منه نسخة خطية واحدة (١) قد بتر من أولها مقدارا أربع عشرة ورقة .

ولا شك أن هذه الأوراق قد حوت خطبة الكتاب مع بعض المواد الإخبارية ، وإذا صحت هذه الإجتهادات فهذا يعني أنه مع وفاة هلال بن المحسن ثم صنع مذيلين على كتابه أحدهما شامي دمشقي صنعه ابن القلانسي والآخر عراقي بغدادي صنعه محمد بن هلال بن المحسن، الذي شهر بلقب غرس النعمة ، وهو كما قلنا موضوع هذه الدراسة وبناء عليه لنحاول الآن التعرف إلى حياته ونتاجه .

تزوج هلال بن المحسن أكثر من مرة قبل إسلامه وبعده وأنجب عددا من الأولاد شهر منهم من زوجته المسلمة ابنه محمد غرس النعمة ، ويرجح أن محمد هذا ولد سنة ٤١٨هـ /١٠٢٧م ، على أن بعض كتب التراجم تجعل مولده قبل ذلك بسنة أو سنتين (٢) .

---

(١) : محفوظة في مكتبة البودليان في اكسفورد برقم ١٢٥ Hunt .

(٢) : لغرس النعمة ترجمة في المصادر التالية :

١ـ المنتظم لابن الجوزى : ٧/١٥٧، ٨/١٨٨ ، ٢١٦، ٩/٤٢ـ٤٣ .

٢ـ الكامل بالتاريخ لابن الاثير حوادث سنة ٤٨٠

٣ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ((نهاية المخطوط الذى نحققه))

٤ـ البداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٣٤ .

٥ـ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥/١٢٦ ، ١٣٢ .

٦ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ١/٢٩٩ .

وورد ذكره في معجم الادباء لياقوت (ط . مرجليوس ١/١٧٠، ١٩٤ ، ٥/١٦٣، ٣٠٤ ٦/٢٥١) .

كما ذكره ابن خلكان في ترجمة أبيه هلال بن المحسن وذكره ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب ٤/٢/١١٦٣ـ ١١٦٤ كما تحدث عنه ميخائيل عواد في مقدمة رسوم دار الخلافة : ٢١/ ٢٥ ودرس حياته صالح الأشتر في مقدمة كتاب الهفوات النادرة .

نشأ غرس النعمة في كنف أبيه الذي رعاه فاعتنى بثقافته وتعليمه ، فعلى أبيه تخرج في صناعة الإنشاء والكتابة والأدب . وقد سمع أيضا من أبي علي ابن شاذان ، ولم تذكر المصادر من شيوخ غرس النعمة غير هذا الشيخ مع أبيه (١). لكن لنا أن نفترض أنه بحكم مكانة هلال بن المحسن لابد أن ابنه قد لقي شيوخ بغداد وعلماء الخلافة العباسية في القرن الخامس، وأنه أخذ عليهم وتثقف، فهو قد نهض فيما بعد بأعمال ديوان الإنشاء أيام الخليفة القائم ، ونهوضه بهذا العمل مع ما خلفه من مصنفات في التاريخ والأدب يدل على أن الرجل قد استوعب معارف عصره استيعابا جيدا ، ومع هذا يرجع أن المؤثر الأكبر في ثقافة وتكوين شخصيته من كافة الجوانب هو أبوه هلال بن المحسن ، فهو الذي طلب منه التذيل على كتابه بالتاريخ وقبل ذلك دفعه بعد تخريجه في طريق التأليف في الأدب وغيره ، فهو في مؤلفاته الأدبية يأتي على ذكر أبيه بشكل مستمر وينقل عنه ويحيطه إثناء حديثه عنه بهالة عظيمة من الإجلال والتقدير.

ففي كتاب الهفوات النادرة يقول في أحد الأمكنة : ((وحدثني الرئيس الأجل أبو الحسين والدي قال)). وفي مكان آخر ((وحدثني الرئيس والدي أبو الحسين رضي الله عنه قال)) ووصف في كتابه في التاريخ أسلوب أبيه ((بالسحر الحلال والعذب الزلال والصادر عن أوحد دهره وفريد عصره (٢).

كان غرس النعمة في حوالي الثلاثين من عمره عندما توفي والده وقد ورث عنه مكانته مع ثروة كبيرة ((وأملاكا نفيسة على نهر عيسى))(٣) وأمنت له الثروة الموروثة والحظوة سبل العيش بهناء وسعادة ، ويبدو أنه قد عكف على تثمير ثروته وزيادتها ، ولم يتورط في مؤامرات عصره التي كانت كثيرة وشديدة ، اضطرب بها القرن الخامس، وهذا أمر سنشير إليه فيما بعد ، وابتعادة عن التورط بالمشاكل السياسية أبقاه ((محترما عند الخلفاء والملوك والوزراء)) (٤).

---

(١) : انظر المنتظم ٩/٢٤٠. تلخيص مجمع الآداب ٤/٢/١١٦٣. البداية والنهاية ١٢/١٢٤.
(٢) : انظر الهفوات النادرة ط. دمشق ١٦٧ : ١٤، ١٤١، ٢٧١، ٣٠٣، ٣٢١، ٣٤٠، ٣٤٥.
(٣) : المنتظم : ٨/١٠١.
(٤) : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ١٢٦.

استمر غرس النعمة في أهتماماته الثقافية والأدبية ووصف أنه كان كريما صاحب صدقات كبيرة ذلك أنه كما يبدو كان ينفق على بعض العلماء كما أن الذين ترجموا له قد ذكروا في جملة مآثره أنه أوقف دارا شحنها بالكتب من مختلف الأنواع — على الناس، ويروى ابن الجوزي في كتابه المنتظم أنه ((في رجب من سنة ٤٥٢ وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابىء داركتب بشارع ابن أبي عوف من غربي دار السلام ونقل إليها نحو ألف كتاب، وكان السبب أن الدار التي أوقفها سابور الوزير بين السورين احترقت ونهب أكثر مافيها فبعثه الخوف على ذهاب العلم أن وقف هذه الكتب))(١)

وغدت هذه الدار منتدى للعلماء وملتقى للباحثين والدارسين والمتناظرين، وصار العلماء يترددون إليها، ومن المرجح أن غرس النعمة كان يشرف شخصيا على تسيير أمور هذه الدار ويحضر ندوات العلماء ويشارك فيها، مما كان له أبعد الآثار على نمو ثقافته وارتفاع مكانته إجتماعيا، كما أن ذلك شجعه على التصنيف في الآداب ومكنه من سبل النجاح وزوده بمواد غنية جدا وهذا واضح كل الوضوح في كتابه الهفوات النادرة ((أو البادرة))•

كان غرس النعمة آخر المشاهير من قومه من آل الصابىء فبوفاته انتهى مجد الأسرة، هذه الأسرة التي عاشت العصر البويهي، فقد شهد غرس النعمة نهاية هذا العصر، ورأى بغداد وديار العرب والمسلمين تدين بالطاعة للبداة التركمان، جلب التركمان معهم إلى بغداد نمطا من الإدارة الجديدة وعقلية سياسية ودينية جديدة، ولهذا لا عجب إن انتهى أمر بغداد السياسية والإدارية للعصر البويهي •

في ذي القعدة من سنة ثمانين وأربع مائة ١٠٨٤م مات غرس النعمة عن عمر نيف على الستين، وقد خلف ثروة قدرت بسبعين ألف دينار ودفن أولا في داره في بغداد، ثم نقل فيما بعد إلى مشهد علي بالكوفة (٢)•

---

(١) : المنتظم ٨/٢١٦•
(٢) : المنتظم ٩/٤٢، البداية والنهاية ١٢/١٣٤•

صنف غرس النعمة عددا من المصنفات ، وذكرت له كتب التراجم عناوين ثلاثة كتب منها هي : كتاب في التاريخ ، وكتاب الربيع ، وكتاب الهفوات ، ولم يصلنا من هذه الكتب بشكل مباشر غير كتابه الهفوات ، وقد نشر ، وسنتحدث عن هذا الكتاب وعن كتاب الربيع ثم نخلص للحديث عن كتاب التاريخ الذي وصلنا بشكل غير مباشر.

يروى أن كتاب الربيع صنفه غرس النعمة بمثابة ذيل على كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي (١).

ويبدو أن غرس النعمة كان معجبا بكتاب التنوخي ودليلنا على ذلك كثرة النقول عنه في كتاب الهفوات ، فقد أحصى صالح الأشتر محقق كتاب الهفوات قرابة أربعين خبرا منقولا عن القاضي أبي علي التنوخي تصريحا أو تلميحا (٢).

ويعني هذا أن طبيعة كتاب الربيع شابهت طبيعة نشوار المحاضرة ، ومعروف أن كتاب نشوار المحاضرة كتاب رائد في طريقة تدوين الأخبار والحكايات المستطرفة أملاها التنوخي من ذاكرته وحكى في غالبيتها أخبار من عرفهم وعاصرهم في حياته من وزراء وقضاة ، وكبار موظفي الدولة من الكتاب والعمال ، ومن هنا يعد كتاب نشوار المحاضرة مصدرا أساسيا في الدراسات الإجتماعية لتاريخ العصر العباسي ، وإذا صح وشابه كتاب الربيع كتاب نشوار المحاضرة ففيه دليل على شدة اهتمام غرس النعمة بأخبار مجتمعه ويتأكد هذا لدينا وغيره جليا في كتابه الهفوات وفي ثنايا التفاصيل العديدة من أخبار الحوادث التي أتى على ذكرها في كتاب تاريخ وهذا ما سنمر به بعد قليل.

ولا شك أن المكانة الإجتماعية والرسمية لأسرة غرس النعمة، ولغرس النعمة نفسه قد مكنته من جمع مواد إخبارية إجتماعية لم تتوفر لسواه ، هذا ولم يصلنا كتابه الربيع، وجل ما وصلنا منه بعض النقول القصيرة في بعض كتب التراجم (٣)

أن الأثر الوحيد من أثار غرس النعمة الذي وصلنا كاملا وبشكل مباشر هو كتاب الهفوات النادرة (أو البادرة) ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من الأخبار الطريفة ،

---

(١) : انظر معجم البلدان ١٧/ ٩٢.

(٢) : انظر مقدمة المحقق ص ٢٨.

(٣) : انظر معجم الأدباء ٧/ ٢٥٥ـ٢٥٦ تاريخ الحكماء للقفطي ٢٩٤.

والحكايات المسلية ، والنوادر الممتعة ، أبطالها رجالات الدولة العباسية وسواهم من ذوي المكانة ، وجاءت هذه الهفوات بمثابة سقطات على ألسن المتحفظين والمتحرزين من رجالات السلطة والقضاء والإدارة ، ولهذا يرجح أن إسم الكتاب كان الهفوات الباردة •

يقول صالح الأشتر محقق كتاب الهفوات : ((موضوع الهفوات النادرة إذن هذا اللون الممتع من أدب الأسمار والحكايات والطرائف والملح ، ويبدو أن هذا اللون من التأليف الأدبي أصاب ازدهارا في المجتمعات الإسلامية منذ القرن الهجري الرابع ، ففي الحكاية والسمر مؤانسة وإمتاع ، وفيها تنفيس عما كان المجتمع يعانيه من كبت ومرارة وحرمان وفيها عرض لجوانب من الحياة : حياة إناس من جميع الطبقات من ساكني القصور إلى الساعين وراء لقمة العيش الشحيحة من ساكني الأكواخ))(١)•

وقد أوضح غرس النعمة في فاتحة كتابه الهفوات الأسباب التي دفعته إلى جمع مادته والغاية من تأليفه ، فهو قد أراد أن يقدم لقرائه نوادر مستطرفة تسليهم وتحمل إليهم ألوانا من الفكاهة والمتعة ، ويرجح أن غرس النعمة كان يدون خلاصة الأخبار والتي كان يتم تداولها في المجالس التي كانت تعقد في داركتبه ، وعلى هذا يمكن القول أن تصنيف كتاب الهفوات اقتضى وقتا طويلا))(٢)•

ويحوي كتاب الهفوات مايزيد على أربع مائة حكاية عرضت بلغة جيدة، لكنها هذه الكايات لم تسق حسب موضوعاتها وأبطالها، وإنما جاءت هكذا بلا ترتيب ولا تنسيق ، ومرد هذا كما بينا — قبل قليل — إلى أن المؤلف كان يدون مايجتمع لديه من مواد فترة تلو الأخرى ، والمواد المدونة في الهفوات بعضها وصل إلى غرس النعمة عن طريق الرواية الشفوية أو المشاهدة وبعضها الآخر نقله من بطون العديد من المصادر التي كان يطالع بها •

---

(١) : مقدمة المحقق ص ٣٢•

(٢) : مقدمة المحقق ٣٣—٣٤ وص ٣—٤ من نص الكتاب المحقق •

وأسلوب غرس النعمة فى الهفوات أسلوب نثري راق ، هو أسلوب مدرسة الجاحظ ، وهو أسلوب أصيل يمكن التعامل معه بيسر وسهولة ، ويحوي كتاب الهفوات موادا إخبارية هو مصدرها الوحيد .ولهذا عدت مكانة الكتاب عالية جدا (١)٠

ومهما علت مكانة كتاب الهفوات لقد نبعت شهرة غرس النعمة من تصنيفه كتاب التاريخ فغالبا مايشار إليه من قبل المترجمين باسم صاحب التاريخ ، وكتاب التاريخ لم يصلنا منه ولا نسخة خطية بشكل مباشر ، لكنه وصلنا بشكل غير مباشر عن طريق سبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان ، ومع إننا سنتناول فيما بعد بالحديث حياة سبط ابن الجوزي ,الا أنه من المفيد أن نذكر هنا أن سبط ابن الجوزي قد كتب مصنفه مرآة الزمان أكثر من مرة ، وكان في كل مرة يهذب أو يزيد ، ويبدو أنه عثر في دمشق على مجموعة من الكتب كان من بينها مصنفات آل الصابئ ، فقام باقتباس بعض مواد هذه المصنفات ، وأودع فى إحدى المراتب تاريخ غرس النعمة في متن كتابه بالكامل ، وفي العالم الآن عدد كبير من النسخ المخطوطة لكتاب مرآة الزمان ، وفقط نجد نص تاريخ غرس النعمة في نسختين خطيتين إحداهن في مكتبة أحمد الثالث في استانبول برقم ٢٩٠٧ ب والثانية في المكتبة الوطنية بباريس برقم " عربي ١٥٠٦ ٠

إن مكانة تاريخ غرس النعمة تتجلى لنا واضحة من خلال الفترة التي أرخ لها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى من خلال المادة الإخبارية التي حواها من حيث التفصيل ودرجة الموثوقية والتفرد ٠

لقد أرخ غرس النعمة لحوادث السنوات الواقعة مابين ٤٤٧هـ/١٠٥٥ م و ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧ ، وهي سنة وفاة غرس النعمة ، وشهدت هذه الفترة بالنسبة لديار الخلافة العباسية ,انهيار الحكم البويهي في العراق وغيره ، وتأسيس السلطنة السلجوقية ، وفي الوقت نفسه اجتياح قبائل الغز والتركمان للعراق والجزيرة والشام وأرمينية وآسيا الصغرى ، وذلك بعد اجتياحهم لخراسان وسواها في المشرق وبعد تأسيس السلطنة السلجوقية ومد حكمها نحو بلاد الشام والجزيرة وآسيا الصغرى

---

(١) : انظر مقدمة المحقق ٣٩-٤١ انظر ايضا بحث " من العربية العباسية استقراء في الهفوات النادرة " للدكتور ابراهيم السامرائي في مجلة الناشر العربي العدد الرابع ابريل ١٩٧٥ ص٢٦- ٣٢٠

من أهم أحداث تاريخ العرب والإسلام وأعمقها تأثيرا إن على الصعيد الديني أو الإجتماعي أو الإقتصادي أو حتى البشري والعرقي ، إن مصدرنا الأول والأساسي حول هذه الفترة يرقى إلى الدرجة الوثائقية هو تاريخ غرس النعمة.

لقد درست مسألة قيام السلطنة السلجوقية مع ما نجم عنها من نتائج مختلفة من قبل أكثر من باحث عربي وغير عربي ، ومازالت ميدانا للبحث وكان ممن تناولها علي سويم الأستاذ في جامعة أنقرة في كتاب نشره بالتركية عام ١٩٦٨ بعنوان (سورية السلجوقية) وحسين أمين في أطروحته عن العراق في ظل الحكم السلجوقي ، وسهيل زكار في كتابه مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، وشاكر مصطفى وكلود كاهن وغيرهم كثير وبناءعلى هذا لن أعرض لدراسة عصر غرس النعمة من خلال المصادر التاريخية المختلفة ففي مقدمة مثل التي أعدها الآن ما أظن أني سآتي بالجديد ، ولهذا إن من الأفضل وصف هذا العصر كما جاء في ثنايا أخبار تاريخ غرس النعمة.

نستخلص من تاريخ غرس النعمة أن النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة الحادي عشرة للميلاد وقد حفل بالأحداث الكثيرة والهامة على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والسياسية .

ويقدم لنا كتاب غرس النعمة صورا لمختلف أنواع الصراعات على مستوى الكتل السياسية والدينية والقبلية ، وعلى مستوى الأفراد في كثير من الأحيان ، وكتاب غرس النعمة وإن ذيل به على تاريخ أبيه قد دعاه باسم "عيون التواريخ " ، سابقا في إختيار هذا العنوان ابن شاكر الكتبي بسنوات طوال ، وغطى غرس النعمة الذي كان شاهد عيان ومشارك في أحداث عصره أخبار الصراعات السياسية والعسكرية وغيرها التي رافقت سقوط الحكم البويهي في العراق وسواه وقيام السلطنة السلجوقية ، ومدها لحكمها .

وهو قد اهتم من الجانب الجغرافي ببلاد العراق بالدرجة الأولى وبعد العراق وملحقا به سرد ماوقع بالجزيرة أعلاها وأدناها ، ثم تعرض بعض التعرض لأخبار بلاد الشام وآسيا الصغرى ، وأحيانا إلى أخبار مصر ، ونادرا ما أتى على ذكر وقائع بلدان العرب والإسلام الآخرى.

ونقرأ في هذا الكتاب على الصعيد السياسي أنه بعد استيلاء السلاجقة على خراسان وإلحاقهم الهزيمة بالدولة الغزنوية وإعلان طغرلبك سلطانا ، تطلع طغرلبك نحو بغداد فراسل الخلافة طالبا منها الإعتراف به ، وكانت بغداد في هذه الآونة تعيش وضعا مضطربا تجلى في صراعات بين طوائف سكانها وبين المؤسستين المدنية والعسكرية فيها ، وقد مثل المؤسسة المدنية الوزير ابن المسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله العباسي ، ومثل المؤسسة العسكرية أرسلان البساسيري أبرز قادة جيوش البويهيين وشحنة بغداد في الوقت نفسه ، واحتدم الصراع بين ابن المسلمة والبساسيري ، فتطلع كل واحد منهما إلى التحالف مع قوى محلية عراقية وجزرية ، وقوى خارجية والمعني بالقوى المحلية العراقية والجزرية الدولة العقيلية في الموصل ، ودولة بني مزيد في الحلة وبعض الفئات الأخرى ، أما القوى الخارجية فالمقصود بها الخلافة الفاطمية في القاهرة والسلطنة السلجوقية في خراسان ، وتحالف ابن المسلمة مع السلاجقة وأخذ هذا التحالف لونا إسلاميا سنيا ، وتحالف البساسيري مع الخلافة الفاطمية ، وأخذ حلفه لون التشيع واستهدف فيما استهدفه إسقاط الخلافة العباسية وإقامة الدعوة الفاطمية في بغداد (١).

وبالفعل قدم طغرلبك إلى بغداد والتقى بالخليفة ففوض له أمور المشرق والمغرب وهرب البساسيري من العراق نحو الشام ، وقدم لمساعدته داعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين (٢) وثقلت وطأة التركمان على سكان بغداد ، وقامت مشاكل حادة بين طغرلبك وأخيه لأمه ابراهيم ينال ، وأخفقت جميع محاولات التوسط بينهما ، وقامت حرب سلجوقية داخلية أرغمت طغرلبك على مغادرة بغداد والعراق (٣) الفرصة التي استغلها البساسيري للإنحدار نحو عاصمة العباسيين حيث استولى عليها ، وأخذ بساعده حلفاؤه من أمراء عقيل وأسد ومشيعة بغداد ، وبعض الجند والمتطوعة ، وأقام البساسيري سنة في بغداد قطع خلالها لا الدعوة للعباسيين ، وأعلنها للفاطميين ، ونفى الخليفة إلى سجن في حديثة عانة ، وقتل

---

(١) : انظر حوادث السنوات ٤٤٧ـ٤٥٠ هـ (مخطوط أحمد الثالث غير مرقم ولذلك الاحالة على السنوات .

(٢) : حوادث سنة ٤٤٧ هـ.

(٣) : حوادث سنة ٤٤٧ هـ.

خصمه ابن المسلمة ومثل به (١) وفي هذه الفترة استمرت الحروب بين طغرلبك وإبراهيم ينال في خراسان ، ورجحت كفة إبراهيم ينال إلى أن تدخل الأمير ألب أرسلان ابن جغرى بك في الصراع فوقف إلى جانب عمه طغرلبك ، فهزم ابراهيم ينال وأسر ومن ثم أعدم (٢).

وبعد هذا تفرغ طغرلبك لما جرى بالعراق ، فتوجه نحو بغداد ، وعمل على إعادة الخليفة بعد تخليصه من سجنه ، ولاحق البساسيري حتى قتله في واسط (٣) وبعث الخلافة العباسية ومتن صلاته بالخليفة القائم عن طريق المصاهرة ، فخطب ابنة الخليفة ، وبعد أخذ ورد وتسويف ، قدم غرس النعمة كل تفاصيله بشكل رائع ومفيد جدا ، تزوج طغرلبك من ابنة الخليفة وكان عجوزا عمره ينوف على السبعين (٤) .

ومالبث طغرلبك أن توفي بعد هذا الزواج بأشهر قليلة فآلت السلطنة من بعده إلى ألب أرسلان لكن بعد شيء من الصراع ، ذلك أن طغرلبك كان عقيما لم ينجب .

وفي أيام ألب أرسلان اتسعت رقعة الدولة السلجوقية وحدثت تغيرات سياسية كبرى فالعصر الآن بدأ نظام الملك وزير ألب أرسلان ينسج خيوطه ويحيك صورته ولعل أهم ما شهده حكم ألب أرسلان من الجانب السياسي والعسكري حملته على بلاد الشام (٥) التي وصل بها حتى أسوار حلب وخوضة لمعركة ملاز كرد الحاسمة لسنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م فقد تممت هذه المعركة ماحدث في اليرموك منذ قرون وخطت بداية النهاية في حياة الامبراطورية البيزنطية وفي تحويل أراضيها إلى ممتلكات تركية (٦) .

---

(١) : حوادث السنوات ٤٤٧ ـ ٤٤٩ .
(٢) : حوادث السنوات ٤٤٩ ـ ٤٥٠ هـ .
(٣) : حوادث سنة ٤٥٠ هـ
(٤) : حوادث سنة ٤٥٣ هـ .
(٥) : حوادث سنوات ٤٥٣ ـ ٤٥٥ هـ .
(٦) : حوادث سنوات ٤٦١ ـ ٤٦٣ .

وقبل منازكرد وبعدها كانت مجموعات من التركمان تتدفق على بلاد الجزيــرة والشام وآسيا الصغرى ، وكان أبرز هذه المجموعات الناوكية ، ثم أتسز ابن أوق ، والأفشين وأرتق ، وغيرهم كثير ، وبعد مقتل ألب أرسلان آلت السلطنة إلى ابنه ملك شــاه ، وفي أيام ملك شاه غدت الجزيرة ملكا للسلاجقــة وزال منها حكم الدولة العقيلــة ، والدولة المروانية ، وغدت بلاد الشام تحكم من قبل السلاجقــة أيضا ، فقد زال من حلب حكم المرادسين وزال من دمشق وجنوب بلاد الشام حكم الفاطمين (١)٠

إن مجمل هذه الأحداث التي رواها لنا غرس النعمة بالتفصيل من الخطـورة بمكان فنتائجها تحكمت من بعض الجوانب بتاريخ المشرق العربي والمناطق الإسلامية المجاورة له حتى وقت قريب ، وهذا يعني إن ما رواه غرس النعمة رواية وثائقية كان من أخطر حوادث تاريخ العرب والإسلام٠

ولم يقتصر الأمر بالنسبة لمؤلفنا على رواية الأخبار السياسية والعسكرية فقـــد كان غرس النعمة أديبا مثقفا ورجل إدارة ، عاش مشاكل عصره ، لاسيما من الجانـب الإجتماعي والديني والحضاري العام ، وبناء عليه إن في كتاب عيون التواريـــــخ لغرس النعمة صورة للوضع الثقافي والأدبي في حاضرة بني العباس قبل قيام عصـــــر النظامية وإثـــره ٠

وزاد على هذه الصورة ووضح ألوانها مجموعات تراجم الوفيات التي ألحقهـــا بمواد غرس النعمة سبط ابن الجوزي وهذه مسألة سنعرج عليها فيما بعد ٠

عاشت بغداد أيام غرس النعمة صراعا دينيا حادا كان من حيث المبدأ بيـــــن السنة والشيعة ، وكان الكرخ مركز الشيعة الرئيسي ، وكان الصراع بين الشيعة والسنـــة ألوانا عقائدية ، وصورا اجتماعية قد أخذ في كثير من الأحيان مظهر العنـــــف وإسالة الدماء ٠

---

(١) : حوادث السنوات ٤٦٤ـ٤٧٧هـ٠

(٢) : يمكن ان نجد نموذج لهذا في أخبار سنوات ٤٦٩ـ٤٧١ ـ٤٧٥هـ٠

وفي الوقت نفسه استبد الحنابلة بشوارع بغداد السنية ، وكان لهم واسع النفوذ ، وفي هذا العصر بنى نظام الملك المدرسة النظامية ولقد صور لنا غرس النعمة ردات الفعل الدينية مع الأصداء الشعبية لبناء هذه المدرسة وردات الفعل تجاه إقامة النظامية كانت لها أسباب كثيرة ، ويكفي أن نتذكر هنا أن نظام الملك كان شافعيا يتعصب لأهل مذهبه ، وفي الوقت نفسه كان متأثرا بالتصوف إلى أبعد الحدود ، وكان يبغض الشيعة لا سيما أتباع الدعوة الإسماعيلية الجديدة التي تمركزت في خراسان ثم في الشام بقيادة حسن الصباح ، وأتباع حسن الصباح كما هو معلوم هم الذين اغتالوا نظام الملك ، وعلى هذا إن أي باحث يود البحث في صورة الأوضاع الدينية في دار الخلافة العباسية في أواخر القرن الخامس يجد أن مصدره الأساسي كتاب غرس النعمة.

هذا وإن الصور التي يمكن استخلاصها من تاريخ غرس النعمة عن الأوضاع الإجتماعية لعصره زاهية وشديدة الوضوح ، فيها المصطلح ، وفيها صورة الواقعة ، فالزواج بمقدمته ووقائعه كان يسمى الوصلة ، ونشاهد في خطبة الخليفة لأخت السلطان ، ثم وقائع خطبة طغرلبك لابنة الخليفة عادات الخطبة والزواج والمهر والإحتفالات وغير ذلك لدى العباسيين من جهة ، ولدى التركمان من جهة أخرى (١)

كما نشاهد بالمقابل أخبار مراسم الحزن لدى العباسيين ولدى السلاجقة على من كان يتوفى لديهم ، فالذي صنعه ملك شاه إثر وفاة ابنه لا نجد لأخباره مثيلا في مصدر آخر ، ولا حتى حول سلطان آخر (٢).

وبالإضافة لصور العادات الإجتماعية نرى في كتابنا صورا غنية لرسوم دار الخليفة ودار السلطنة ، وللعلاقات بين مؤسسات الخلافة ، ومؤسسات السلطنة سواء داخل بغداد أو خارجها ، ومن هذه الرسوم اللقاءات بين الخليفة والسلطان ، وطرق التعامل بين الخليفة ووزيره وبين الخليفة وممثلي السلطان في بغداد ، وبين وزير الخليفة وإدارة السلطنة وغيرها من الإدارات (٣)

---

(١) : حوادث السنوات ٤٥٣ ـ ٤٥٥

(٢) : حوادث سنة ٤٧٤ هـ.

(٣) : حوادث السنوات ٤٤٧، ٤٥٣ ـ ٤٥٥، ٤٦٤ هـ.

وحين روى لنا غرس النعمة أخبار الوقائع السياسية والعسكرية صور لنا بشكل غير مباشر النتائج الإقتصادية لهذه الوقائع ، فقد نجم عن دخول الغز إلى بغداد واستقرارهم فيها دمار رهيب لا يفوته من حيث الرهبة والسوء إلا ماحدث في دمشق بعد حصار التركمان لها ودخولهم إياها . (١).

وفي الحقيقة لقد دمرت هجرة التركمان جميع ماكان قائما في بلاد الشام والجزيرة إقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعربيا بشكل هائل ، وكان هذا التدمير مسؤولا فيما بعد عن صورة وقائع الحملة الصليبية الأولى بعد وصول حشود هذه الحملة إلى مشارف الشام سنة ١٠٩٨ .

وأحدث تدفق مئات الألوف من المهاجرين البداة من الغز والتركمان على العراق والشام وآسيا الصغرى تغيرات جذرية ، فقد أنهى هذا التدفق عصر تحكم القبائل العربية في أحداث هذه البلاد من الوجود حكم الأمراء والاداريين العرب وأحل محلهم حكم حكام غرباء من التركمان أو من سواهم ، مع إداريين جاء كثير منهم من خراسان ، أو تخرجوا من مدارسها الإدارية والسياسية (٢).

وخلاصة القول ليس من الغلو إن مامن مصدر تاريخي كتب بالعربية يشابه تاريخ غرس النعمة بغنى وثراء وشمول الصور والأوصاف التي قدمها ، وهنا يواجهنا سؤال كبير مادام الكتاب على هذه الدرجة الكبيرة من الأهمية والخطورة لم لم يقدم أحد على تحقيقه ونشره حتى الآن .

وفي محاولة للإجابة على هذا السؤال ينبغي أن نأخذ بعين الإعتبار أولا مسألة الاهتمام بنصوص التراث التاريخي العربي ، ونشرها ، فنحن نلاحظ أن المحققين والناشرين غالبا مايقدمون على نشر المشهور من الكتب ولا سيما الأدبية والدينية منها أو إعادة طبع المنشور منها ، وكان كتاب غرس النعمة قد استرعى انتباه عدد كبير من الباحثين الذين استفادوا من مادته وفكروا في تحقيقه ، لكنهم لم ينتقلوا من مرحلة النية إلى مرحلة التنفيذ ولعل على رأس الأسباب الصورة التي وصلنا بها نص الكتاب بشكل غير مباشر وأهم منها حالة مخطوطات الكتاب ، فمخطوطتي الكتاب تعدان من أسوأ المخطوطات التاريخية العربية .

---

(١) : حوادث السنوات ٤٤٧، ٤٦٤، ٤٦٥هـ

(٢) : حوادث سنوات ٤٦٣ ــ ٤٧٥

لا نعرف بوجود نسخة من كتاب مرآة الزمان بخط المؤلف ، أما الأجزاء التي حوت تاريخ غرس النعمة وإن كتبت بخط نسخي مقبول إلا أن كل سطر جل كلماته مشوهة ومصحفة وقد عزم علي سويم بعد تحضيره لأطروحة الدكتوراه عن سورية السلجوقية على نشر تاريخ غرس النعمة ، لكنه بعد ما شرع في عمله وجد نفسه أنه غير قادر على إخراج نص الكتاب بكامله فقرر إختيار بعض مواده ، التي تعلقت بالسلاجقة بشكل مباشر ، ونشر هذه المختارات في أنقرة عام ١٩٦٩.

وتفحص سهيل زكار هذه النصوص المنشورة ، فوجد أن كل سطر من أسطر الكتاب يحوي تصحيفات وأخطاء فاقت الصواب ، وقد صنع قائمة بأهم الأخطاء ، وجاءت فيما يزيد على العشرين صفحة بل عمودين نشرها في بحث مجلة مجمع اللغة العربية (عدد نيسان ١٩٧٠).

وكان إقدامي على تحقيق هذا النص عملا محفوفا بالمخاطر ، وكان على هذا الوقت الذي استغرقه تحقيقه أطول بكثير من الوقت الذي صرفته للدراسة ، وكان الجهد أكبر وأعظم . وألتفت الآن نحو وصف مخطوطتي تاريخ غرس النعمة وما اعتمدته من طرائق .وبذلته من جهود في التحقيق .

١)ــ مخطوطة استانبول :

محفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٠٧ ب ذلك إن هذه المكتبة التي هي أغنى مكتبات طوب قبي سراي فيها نسختان من مرآة الزمان كل واحدة جاءت في عدد من المجلدات وقد صنفتا تحت رقم واحد وميزتا بألف وياء ، وجاءت مخطوطة غرس النعمة ضمن المجلدين الثاني عشر والثالث عشر ، فقد حوى منها المجلد الثاني عشر مائة وأربع وأربعون ورقة ، وحوى المجلد الثالث عشر منها سبع وثمانون ورقة، وعلى هذا إن الكتاب يتكون من مائتين وإحدى وثلاثين ورقة ، يحوي الوجه الواحد من كل ورقة ثلاث وعشرون سطرا في كل سطر مابين عشرة كلمات إلى إثنتي عشرة ، وكتبت النسخة جميعها بخط واحد كل كلماتها بالأسود حتى العناوين ، لكن ريشة العناوين اختلفت عن الريشة التي استخدمت في كتابة النص، وخط النسخة هذه خط نسخي عادي ولم يؤرخ صاحبه في نهاية الكتاب لا السنة التى أنهى بها النسخ ولا الأصل الذي أعتمده ، علما بأن النص يحوي علامات المقابلة على الأصل المنسوخ عنه وهذه العلامات عبارة عن دوائر صغيرة في وسطها نقطة .

وإنني لم أقف على المخطوط بشكل مباشر حتى أصف الورق الذي كتب عليه ولا حجم هذا الورق من حيث الطول والعرض ذلك أنني حصلت على مصورة له ، لذلك ليس بإمكاني تقديم هذا الوصف المرغوب به .

والنص المخطوط واضح تمام الوضوح ليس فيه سقط ولم يلحقه أدنى بلل أو تلف لكن كما سلف وذكرت لحقه عدد لا يحصى من أخطاء النسخ والتصحيفات.

أما نسخة باريس فهي محفوظة بالمكتبة الوطنية في باريس تحت رقم عربي ١٥٠٦، وهي موجودة ضمن المجلد الثاني عشر من نسخة باريس من مرآة الزمان وتتألف هذه النسخة من مائتين وثلاث أوراق في وجه كل ورقة خمسة وعشرين سطرا في كل سطر وسطيا مابين عشرة كلمات إلى اثنتين عشرة كلمة وخط النسخة نسخي أكثر جمالا من خط نسخة اسطانبول ، لكنه في الوقت نفسه أكثر أخطاءا وتصحيفاتا ، هذا ولم أشاهد أيضا النسخة بشكل مباشر حتى أصفها من حيث الورق والحبر وغير ذلك بل حصلت على مصورتها فقط .

إن حجم كل من هاتين المخطوطتين لا يشير إلى الحجم الحقيقي لكتاب غرس النعمة وذلك بالنظر إلى الإضافات التي ألحقها سبط ابن الجوزي بالكتاب ، وتركزت كل هذه الإضافات حول . وفيات كل سنة من الأعلام المشهورين ، ويمكننا أن نقدر أن حجم كتاب غرس النعمة حوى حوالي الثلثين من كل واحدة من المخطوطتين .

بعد حصولي على نسخة مصورة على شريط ميكرو فيلم ، من المخطوطتين عمدت إلى طباعتهما ، وإثر ذلك قرأت كل واحدة من المخطوطتين على إنفراد ثم أجريت مقابلة بينهما وعارضت النصين وتفحصتهما من جميع الجوانب ، وبما إنني لم أتوصل إلى تاريخ نسخ أي منهما ولخلو نسخة باريس مما يشير إلى معارضتها بأصل من الأصول، ولتجاوز حجم الأخطاء والتصحيفات فيها حجم ماجاء في نسخة اسطانبول فقد وقع اختياري على هذه النسخة الأخيرلتكون الأصل الذي أعتمده ، وبالفعل قمت بنسخ الكتاب إعتمادا على هذه النسخة وبعد فراغي من عملية النسخ قابلت مانسخته بالأصل المخطوط ثم قمت بمعارضته ومقابلته مع نسخة باريس التي رمزت إليها بحرف باء (ب) ثم قمت بعد هذا بالعمل على ضبط النص معارضا ماجاء به من معلومات على مختلف مصادر تاريخ القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد ، وهي مصادر عراقية وشامية ومصرية ، وبعد ما فرغت من عملية الضبط ، سعيت إلى ضبط النص لغويا

فقومت جميع الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية وغيرها ، ونظرا لكثرة هذه الأخطاء لم أشر إليها في الحواشي حتى لا أثقلها ، كما أنني لم أشر إلا للفوارق المهمة بين النسختين وأعني بذلك الفوارق التي يتوقف عليها تغير بالمعنى .

وبعد ما نجزت هذه المرحلة عدت مجددا إلى النص لأكمل عملية التحقيق بشرح ما احتاج إلى شرح ، وتوضيح ما اقتضى توضيحا ، مع اجراء بعض المقارنات والإحالات على ماجاء في مصادر أخرى.

وعملت في الوقت نفسه على تخريج الآيات والأحاديث النبوية والشعر ، ففي تراجم الوفيات ذكر لعدد كبير من الشعراء والأدباء مع مختارات من نتاجهم ، وتمكنت من تخريج جميع المواد الشعرية على أصولها اللهم إلا باستثناء مقطوعات شعرية لابن سنان الخفاجي والباخرزي لأنني لم أستطع الوقوف على نسخة مطبوعة أومخطوطة لديوان أي منهما (١).

لقد اقتضى العمل في تحقيق النص جهدا كبيرا ووقتا طويلا ، وقد اعتمدت إثناء عملي بالنسبة للتعريف بالأماكن على معجم البلدان لياقوت الحموي وبقية محتويات المكتبة الجغرافية العربية ، أما بالنسبة للشروح اللغوية فقد اعتمدت على المعاجم التالية : النهاية في غريب الحديث لابن الاثير الجزري ، لسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي .

وأنتقل الآن بعد هذا كلـه إلى التعريف بسبط ابن الجوزي الذي أوصل إلينا كتاب غرس النعمة.

هو يوسف ابن قزأوغلي بن عبد الله ، أبو المظفر شمس الدين البغدادي ثم الدمشقي ، كان أبوه عبد الله غلاما تركيا لدى الوزير البغدادي عون الدين يحيى ابن هبيرة ، وقد أعتقه ابن هبيرة وسلمه بعض المناصب الرفيعة ، مما أتاح له التمتع بمكانة عالية في مجتمعه ، وخطب له ابن هبيرة رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي صاحب كتاب المنتظم.

---

(١) : في دار الكتب الظاهرية نسخة من ديوان ابن سنان الخفاجي ، معارة لمجهول لم يردها ، وذكر محمد ألتونجي في دراسته لكتاب دمية القصر للباخرزي أنه حقق ديوانه ، ونشره ، لكن لا أثر لهذا الديوان يؤكد صحة هذا الخبر.

يرجح أن سبط ابن الجوزي قد ولد سنة خمسمائة وإحدى وثمانين للهجرة، ونشأ حياته الأولى في العراق في بغداد، وتأثر بجده، وإليه نسب فبات يعرف بسبط ابن الجوزي، وتأثر بجده كثيرا، ويعتقد أنه تثقف عليه، وكان جده هو الذي رباه ونشأه.

قدم سبط بن الجوزي إلى دمشق في حوالي ست مائة للهجرة وظل مقيما بها حتى سنة وفاته في ستة مائة وأربع وخمسين للهجرة (٦٥٤) هـ.

في دمشق حظي سبط ابن الجوزي بمكانة عالية لدى ملوكها الأيوبين، ومرد ذلك إلى أنه كان مثل جده ماهرا بالوعظ حسن الصورة طيب الصوت ((كان له القبول التام من الخاص والعام من أهل الدنيا والآخرة، وكان لطيف الشمائل ظريف الحركات حسن المعاملة لسائر الناس، محبوبا إليهم معظما في صدورهم، وكان عنده فضيلة تامة ومشاركة في العلوم جمة.

صنف سبط ابن الجوزي عددا من الكتب كان أشهرها ((مرآة الزمان))، ومرآة الزمان عبارة عن كتاب المنتظم لجده مع زيادات وذيل، يقول ابن كثير: ((وله مرآة الزمان في عشرين مجلدا، من أحسن التواريخ نظم فيه المنتظم لجده، وزاد عليه، وذيل إلى زمانه، وهو من أبهج التواريخ)).

كتاب مرآة الزمان عند ابن كثير يقع في عشرين مجلده، أما عند اليونيني الذي ذيل على هذا الكتاب فهو قد جاء في سبعة وثلاثين مجلدا رآها اليونيني بخط سبط ابن الجوزي، وعلى هذه المجلدات وضع كتابه ذيل مرآة الزمان، هذا وحكى ابن خلكان أنه رأى مرآة الزمان في دمشق في أربعين مجلدا ((وجميعه بخطه)).

وإن التباين في وصف حجم كتاب مرآة الزمان يعود كما سلف وبينا إلى حقيقة ان سبط ابن الجوزي كتب مصنفه اكثر من مرة، وزاد فيه ولعل آخر الزيادات إدخاله لتاريخ غرس النعمة بشكل كامل (١).

---

(١) : ترجم لسبط ابن الجوزى ابن خلكان في وفيات الاعيان ٢/٢٥٠–٢٥١ (ط، المطبعة الميمنية في القاهرة سنة ١٣١٠هـ) ذيل مرآة الزمان لليونيني ١/٣٩–٤٣ (ط، حيدر آباد ١٩٥٤) . الدارس في أخبار المدارس ١/٤٧٨–٤٨١ (ط، المجمع العلمي بدمشق) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٩٤–١٩٥ (ط، القاهرة مطبعة السعادة ميزان الاعتدال للذهبي ٤/٤٧١ (ط، عيسى البابي القاهرة) شذرات الذهب لابن العماد ٥/٢٦٦–٢٦٧ (ط ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت) السلوك للمقريزي ١/٤٠١ (ط، القاهرة ١٩٧٠) والنجوم الزاهرة ٧/٣٩ (ط – القاهرة وزارة الثقافة والارشاد القومي بلا تاريخ) .
مرآة الجنان لليافعي ٤/١٧ (ط ، حيدر آباد سنة ١٩٣٩).

من المرجح لدينا أن سبط ابن الجوزي قد أودع كتابه النص الكامل لتاريخ غرس النعمة كما يرجح أنه لم يدخل تعديلات على طريقة غرس النعمة في عرض مواده. لكن يبدو أن سبط ابن الجوزي عندما فعل ذلك لم يقدم على شطب المواد التاريخية التي كان قد أودعها في مرآته من قبل وإذا ماعدنا إلى الأجزاء غير المنشورة من المرآة وإلى الجزئين المنشورين منه، نلاحظ أن سبط ابن الجوزي قد اتبع بالفعل طريقة جده في المنتظم، فغالبا ما أورد أخبار كل سنة بشكل مقتضب إلى حد أن الكتاب هو أشبه بكتاب الوفيات منه بكتاب تاريخ عام، ومن هنا نلحظ الفواق الواضحة بين بقية أجزاء المرآة والجزء الحاوي لتاريخ غرس النعمة. ولقد كان بودي الحصول على صورة للجزء الحاوي للفترة الزمنية التي حواها الجزء الذي فيه تاريخ غرس النعمة من مخطوطات مرآة الزمان، لكن ذلك لم يتيسر لي فالحصول على مصورة مخطوطة من تركيا الآن أمر أشبه بالأعمال المستحيلة.

ولهذا السبب لم تتح لي الفرصة لإجراء مقابلة مرغوبة بين المخطوطتين وعلى الرغم من ذلك يبدو أن سبط ابن الجوزي قد احتفظ بجزء يسير من المادة الإخبارية الموجودة في كتابه، وبعض هذه المادة قد نقله عن مصادر قد صرح بأسمائها مثل تاريخ دمشق لابن القلانسي، هذا وإن في إقدام سبط ابن الجوزي على ذكر مصدره لاسيما تاريخ ابن القلانسي فيه تنبيه للقارىء إلى خروجه عن سياق مواد غرس النعمة.

وإن هذا يدعونا مجددا إلى تأكيد أن سبط ابن الجوزي لم يضف إلا زيادات طفيفة على الإخبار التي سردها غرس النعمة، ومرة أخرى هل حذف سبط ابن الجوزي شيئا من مواد غرس النعمة ؟ ومع أنه من المحال الإجابة الآن بشكل يقيني على هذا السؤال، وإننا نميل إلى القول أن سبط ابن الجوزي روى بالكامل تاريخ غرس النعمة وأن النص الذي تولينا تحقيقه يحوي نص هذا الكتاب بمجمله مع شيء يسير من الإضافات والوفيات، ومن هنا توجب الإعلان عن إن الكتاب هو من تصنيف غرس النعمة، ولكنه برواية سبط ابن الجوزي وعلى هذا وإذا كان غرس النعمة هو المصنف الأساسي للكتاب، فإن سبط ابن الجوزي شريك له بشكل غير مباشر في هذا التصنيف.

تبقى هذه القضية محط وجهات نظر وعرضة للأخذ والرد، على إنه لابد من الإشارة إلى أن رواية سبط ابن الجوزي للكتاب جاءت عن طريق الوجادة وليس عن طريق الإسناد أو أي نوع من أنواع الإجازة، والرواية عن طريق الوجادة هي التي سادت بشكل كبيروصتع في عصر سبط ابن الجوزي وماتلاه.

وإن منحى هذا الكتاب عنوانا منفردا ، واعتباره جزءا مستقلا عن بقية أجزاء مرآة الزمان لايغمط جهد سبط ابن الجوزي بل يثبته ويبقيه ، وفي الوقت نفسه يبعث إلى الوجود مادة إخبارية صاحبها هو غرس النعمة ، ومثل هذا المنهج متبع ومعتمد سواء على صعيد النصوص التاريخية أو النصوص الأدبية بالعربية أو غير العربية ، فهناك العديد من النصوص التاريخية والنصوص الفلسفية والعقائدية والشعرية جرى استخراجها بعدما فقدت نسخها الأصلية من المصنفات الموسوعية وغير الموسوعية التي روتها كليا أو جزئيا ، والعمل في هذا الميدان هو عمل صعب وشائك وله مسؤوليات خطيرة ، إذ أن الأمر يبقى عرضة للزيادة والنقص ، ووجهات النظر المتباينة .

ولعل في هذه المرحلة يكفي إن فتحنا باب البحث عن مصنفات أسرة آل الصابئ التاريخية وأقدمنا على إحياء واحد من أهمها لابل كما سبق القول من أهم مصادر تاريخ العرب والإسلام ، والجهد الذي بذل في عملية الإحياء وتقويم النص وتحقيقه هو الجهد الأساسي في عملنا بالنظر إلى طبيعة الموضوع ، وإلى حجم مواد الكتاب المحقق ، ومن يدري عل الأيام تسعفنا وتسعف سوانا بالحصول على رواية مباشرة لتاريخ غرس النعمة ، عندها يتضح مدى ماصح من اجتهاداتنا .

العمل في التاريخ قائم بالأصل على الاجتهاد وقد قيل من اجتهد فأصاب له أجران ، ومن لم يصب له أجره .

****

ودلي القايم تابوته الي حين وفاته وكان شافعيا مهيبا نزها عفيفا لم ير
تاجرا عف منه ولا انزه ولا اشرف نفسا قال [illegible] بن عبد الملك
وكيل القايم امرني الخليفه ان احمل شيا من عليه في ابن ماكولا العسين
قاضي القضاة بن ماكولا وابي جابه فعلت فكلمه قبل تجهيز ابن ماكولا
ما جهدت به فلم يفعل فعرفت بالخبر وكتبت الي الخليفه فشرح الحال
فلما قرا الورقه جعل يتولي ما اشه ارى يقع لي الي حكومه فيحابيني
فيما دون شعر ابن ماكولاه

ه فضا يا برهه من بعد شيب فما الجني مع الشيب التصابي ه
ه وسود عارضيه بلون خطر فلم تنجعه تسويد الخضاب ه
ه واهدي للاحبه كل لطف فما ازدادوا سوى فرط اجتناب ه
ه سلم الله عودا اسيد بكي ابا مر بيان الشباب ه
تولي غير مذموم وابقى تعلى حسرة تحت الحجاب ه

وتوفي في شوال وتوفي في دار بحريم الخلافة قريبا من باب العامه
وولي القضا ستا وعشرين سنه قاضي علي بن المحسن بن علي
بن محمد بن ابي الفهم ابو القسم التنوخي ولد بالبصرة في شعبان سنه خمس
وستين وثلثمائة وقبلت شهادته عند
الحكام في حداثته وتقلد القضا في عدة نواحيها المداين ودرزيجان
وقرميسين ونحوها وسمع الحديث الكثير وصنف الكتب وتوفي ببغداد
في المحرم ودفن بداره في درب التل وكان صدوقا متحفظا في الحديث
وقيل كان معتزليا يميل الى الرفض محمد بن القايم بامر الله
ذخيرة الدين ابو العباس كانت قد نشا نشوا حسنا ورشحه القايم
للخلافه فتوفي في ذي القعدة وحزن عليه ابوه حزنا شديدا وخرج
بنفسه فصلى عليه ودفنه وجا الناس سرادق وهم يصلون

خلد

خلفه بصلاته وجلس رييس الرؤسا للعزا ثلثه ايام وحضر ارباب
الدوله ومنع القايم من ضرب الطبول ثلثة ايام وكتب السلطان
فلما كان اليوم الرابع حضر عميد الملك وزير السلطان بين يدي القايم
وادي عن السلطان رساله تتضمن التعزيه والسؤال بقيام الوزير
والجماعه من مجلس التعزيه فقاموا ثم حمل تابوته بعد ذلك الي الرصافه

السنه الثامنه والاربعون والاربعمايه

من اول هذه السنه ابتدي ابو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابرهيم
الصابي الكاتب ويسمي غرس النعمه تاريخه وذيله على تاريخ ابيه هلال
وزعم ان تاريخ ابيه انتهي الي هذه السنه فقال في اول سنه ثمان
واربعين واربعمايه يوم الخميس عند عميد الملك ابو نصر منصور بن محمد
الكندري وزير السلطان ركن الدين طغرلبك ابي طالب محمد بن ميكاييل
ابن سلجوق تاج الملوك ابي كاليجار هزارسب بن بنكير بن عياض الكردي
في ضمان البصرة والاهواز واعمالها هذه السنه بثلثمايه الف دينار
وستين الفا واطلقت يده في جميع الاقطاعات والمعاملات بالبصرة
وخوزستان واقطع ارجان واذن له في ذكر اسمه في الخطبة بهذه الاعمال
دون غيرها وعرف الديلم البصريه والخوزستانيه الواردون
الي باب طغرلبك فقلقوا فقال السلطان يفعل تاج الملوك
فيها ما يراه فما نصر فوا وكد باسوا ونقل ذلك الي الامير ابي علي ابن
ابي كاليجار بن بويه لانه كان ورد باب السلطان مع اولاده وراسل
السلطان بزوجته وذلك بحكم قرابتها منه وكان السلطان قد زوج اخته
فلم يحبه وعوضه فرماسين اقطاعا عوضا مما اخذه منه وخرج جماعه
من الغلمان البغداديه الي البساسيري بحريم فكن لم خمار تكين
الطغرلبكي خادم السلطان ومعه جماعه بامر رييس الرؤسا فقتلوهم

الورقة الاولى من نسخة استانبول

وحزن عليه ابوه حزناً عظيماً وجلس الوزير للعزا في باب الفردوس
ثلثة ايام ومنع الخليفة من ضرب الطبل في اوقات الصلوات
وغلقت الاسواق وعطلت المعايش ثم برز توقيع الخليفة الى ان كان
امير المومنين اولى من اقتدى بكتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الذين اذا اصابتهم
مصيبة الايات ه ولما مات ابرهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر الحديث وقد عزى امير المومنين نفسه بما عزى الله به
الامة بعد نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية فانا لله وانا اليه راجعون
تسليماً لحكمه ورضى بقضائه وعلمهم اكثر من ذلك وقد اذن
لكم في الانكفا مشكورين ه
[illegible]
بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي
بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين الحسيني ذو الكنيتين ابو
الحسن وابو المعالي ولد سنة خمس واربعمايه ببغداد وبها نشا
وسمع الحديث الكثير وسكن سمرقند وصنف فاجاد وكانت له
دنيا واسعة فكان يملك نحو اربعين قرية بنواحي كش وكان
يودي زكاة ماله ويتنفل بالصدقة يبعث الى جماعة من الايمة
بالف دينار وخمسمايه الى كل واحد وعشرة الاف دينار
ويقول انا لا اعرف الفقرا ففرقوها انتم عليهم وكان يرجع الى
عقل كامل وفضل وافر ودين متين ولما اشتهرت عنه هذه
الفضايل حسده قاضي سمرقند وما ورا النهر فقال
الخضر بن ابرهيم ملك ما ورا النهر ان له بستاناً ليس للملوك مثله
فبعث اليه ابرهيم ان امير المومنين بستانك فقال للرسول قل له انت تشتري

الخبز وهذا عرته من المال الحلال اجتمع فيه باهل الزهد والدين
فاعاد الرسول عليه الجواب وطلبه فاحتاج فاظهر الخضر انه قد
عدم فقطع التريف فتنعض عليه واستصفى امواله وحبسه
فقال بعض وكلايه فتوصلت اليه وقلت له انه باخذ مالك
بغير اختيارك فاعطه ما يريد وتخلص فقال قد طاب
لي الحبس والجوع وقد كنت افكر في نفسي منذ مدة واقول من يكون
من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد ان يبتلى في ماله
ونفسه وانا قد ربيت في النعم والدولة فلعل في خلل
فلما وقعت هذه الواقعة فرحت بها وعلمت ان نسبي صحيح متصل برسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا اصبر ولا افعل شيا لا يرضى الله عز وجل
فمنعوه الطعام فمات واخرج من القلعة فاخذه ولده فدفنوه
فقبره ظاهر يزار ورآه ابو العباس الطبري وهو في الجنة وبين يديه
مايدة موضوعة عليها طعام فقلت له الا تاكل فقال لا حتى يجي
ابني المطهر فانه غدا يجي قال فانتبهت من نومي فقتل ابنه
وقت الظهر من ذلك اليوم ه محمد بن هلال بن المحسن
بن ابرهيم الصابي ابو الحسن الملقب بغرس النعمة صاحب التاريخ
المسمى بعيون التواريخ ذيله على تاريخ ابيه وابوه ذيل على تاريخ
ثابت بن سنان وثابت ذيل على تاريخ ابن جرير الطبري فتاريخ
الطبري انتهى الى سنة اثنتين وثلث وثلثمايه وتاريخ ثابت
الى سنة ستين وثلثمايه وتاريخ هلال الى سنة ثمان واربعين
واربعمايه وتاريخ غرس النعمة من سنة ثمان واربعين واربعمايه
الى سنة تسع وسبعين واربعمايه وكان غرس النعمة فاضلاً اديباً
مترسلاً له صدقة ومعروف واحسان كثير ومروة ظاهرة وكانت

الورقة قبل الاخيرة من نسخة استانبول

٤١

وفاته في ذي القعدة ودفن في داره بشارع عوف غربيه ثم نقل الى
الكوفة فدفن بمشهد امير المومنين وخلف سبعين الف دينار وكان
محترما عند الخلفا والوزرا والاكابر ۞ امير المسلمين
براكش والمغرب وكنيته ابو بكر بن عمر ولد باستين كان مجاهدا
في سبيل الله تعالى يركب في غزواته الف من رجال الديوان والمطاوعه
ويخطب للدولة العباسيه وكان مثل واحد من اصحابه يواسيهم بنفسه
وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس ويقيم الحدود ويلبس الصوف وينصف
المظلوم ويعدل في الرعيه ويقسم بينهم بالسويه خرج في غزاة فلقي
الزنج فبيناهو واقف جاءه سهم غاير فقتله وبلغ بنا مسنين سنه
السنه الحاديه والثانون والاربعمايه
سار السلطان طالبا سمرقند وقطع جيحون واخرج الخليفه اصحاب
خاتون زوجته من حريم داره فنزلوا بدار المملكه وسببه استطالتهم
على العامه فضجوا واستغاثوا الى الخليفه فخاف من فتنه ۞
وفيها شرع اهل باب البصره يبنون القنطره الحديثه
وثار عليهم اهل الكرخ فكان اهل باب البصره ينقلون الاجر في اطباق
الذهب والفضه وثارت الفتنه وفيها توفيت قاتبه
السلطان بحلب كانت تاخرت عند قسيم الدوله اق سنقر فجلس يوما
وبيده سكين فادى الى ايداعها فجرحت من يده بغير قصد فماتت
فقتلها فاتت لحوز على حينما مات هذا السبب وكانت تداخت
ان يحمل تابوتها الى الشرق فجهزها وخرج مع التابوت مرحله وعاد
وفي رجب سار اق سنقر من حلب فنزل على شيزر محاصرا لها ونهب
ربضها فصالحه ولد ابي الحسن بن منقذ على مال والطاعه ورحل عنها
وحج من العراق الوزير ابو شجاع واستناب في الديوان ابنه ابا منصور

الورقة الاخيرة من نسخة استانبول

طراد بن محمد الزينبي وفيها توفي احمد بن محمد بن الحسن بن الخضر ابو طاهر
الجاليني والد ابي منصور موهوب كان شيخا صالحا مستعدا من اهل
البيوتات القديمه ببغداد وكان جده صاحب دنيا واسعه وتوفي في
رجب فجاه ۞ عبد الله بن محمد ابو اسمعيل الهروي الانصاري
ولد سنة خمس وتسعين وثلثمايه في ذي الحجه وتوفي بهراة في ذي
الحجه وكان صاينا متعبدا زاهدا ثقه سمع ابا الحسين بن بشران
وغيره وروى عنه الكرخي وغيره ۞ قلت وهذا مضمون ما ذكره
المصنف رحمه الله ومثله لا يخفى عنه محل شيخ الاسلام الانصاري
رحمه الله عليه من العلم والعمل كان كبير الشان عظيم المحل والعجب
من المصنف رحمه الله كونه اقتصر على ما ذكره ولم ينبه على شي من مناقبه
مع كثرتها ۞ عبد الواحد بن الفرج ابو الرضي المغربي الشاعر
كان سليم الصدر الا انه ياتي في بديهته بالعجايب استدعاه معز الدوله
ثمال بن صالح بن الزوقليه صاحب حلب فوافاه جالسا في قوبق فانشده
رايت قوبقا قد تجاوز حده له زجل في حربه وضجيج
وكان ثمال جالس بشمره فشبهته بحر الدبه خليج اث
فقال له ثمال قد زعم الحليون ان هذا البيت سرقته وتنظر
غراس في نشرتنا لنا فيها بيتا فقال ۞
يا عزايزنا اتاب لين فكيف اجتمعنا في مكان
انا كنا وقفتما في خلق العراق لا احباب تشتوذان
فاحذرا ان تزكنا بينا البين فانه ربنا تلقيا بن
فطرب ثمال واعطاه جايزه وكان بالمعرة قبر عظيم لبعض الملوك في محله
شيات فامر صاحب المعره بنقضه لياخذ حجارته ويبني بها مكانا اخر
فاجتاز المعري بالفعله وهم يجزبونه فوقف مفكرا انشد بديهته

القاسم التنوخي ولد بالبصرة سنة خمس وستين وثلثمائة واول سماعه سنة
سبعين وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته وتقلد القضاء في عدة نواحي
منها المداين ودرزيجان وقرميسين ونحوها وسمع الحديث الكثير وصنف
الكتب وتوفي ببغداد في المحرم ودفن بداره في درب التل وكان صدوقا
محتاطا في الحديث و[illegible] كان معتزليا يميل الى الرفض محمد
بن القايم بامر الله ذخيرة الدين ابو العباس كان قد نشا نشوا حسنا ورشحه
القايم للخلافة فتوفي في ذي القعدة وحزن عليه ابوه حزنا شديدا
وخرج بنفسه فصلى عليه وبينه وبين الناس ستارة وهم يصلون
خلفه بصلوته وجلس رييس الروسا للعزا ثلثة ايام وحضر ارباب الدولة
ومنع القايم من ضرب الطبل ثلثة ايام وكتب السلطان فلما كان اليوم الرابع
حضر عميد الدولة الملك وزير السلطان [illegible] الخليفة القايم
وادى عن السلطان رسالة تتضمن التعزية والسوال لقيام الوزير
والجماعة من مجلس التعزية فقاموا ثم حمل تابوته بعد ذلك الى الرصافة

السنة الثامنة والاربعون والاربعمائة

من اولها [illegible] ابو الحسن [illegible] هلال بن المحسن بن ابرهيم
الصابي الكاتب [illegible] وبنى على تاريخ [illegible] هلال و[illegible]
ان تاريخ ابيه انتهى الى هذه السنة تعالى وفي اول سنة ثمان واربعين
واربعمائة يوم الخميس عقد عميد الملك ابو نصر منصور بن محمد الكندري
وزير السلطان طغرلبك لابي طالب محمد بن ميكايل بن سلجوق لتاج الملوك
ابي كاليجار هزارسب بن تنكير بن عياض الكردي على ضمان البصرة
والاهواز واعمالها لهذه السنة بثلثمائة دينار وستين الفا واطلقت
يده في جميع الاقطاعات والمعاملات بالبصرة وخوزستان و[illegible]
ارجان واذن له في ذكر اسمه في الخطبة بهذه الاعمال دون عمان و
وعرف الديلم البصرية والخوزستانية الواردون الى باب طغرلبك
فقلقوا فقال السلطان تجعل تاج الملوك فيها ما يراه فانصرفوا وقد

ايسوا وتقلد ذلك على الامير ابو علي بن ابي كاليجار بن بويه لانه كان ورد
باب السلطان مواملا لذلك و[illegible] السلطان بوجهه وولده و[illegible]
[illegible] وكان السلطان قد زوج [illegible] وعوضه قرماسين
اقطاعا عوضا مما اخذ منه وخرج جماعة من غلمان البغدادية الى [illegible]
[illegible] الطغرلبكية [illegible] السلطان ومعه جماعة
[illegible] رييس الروسا [illegible] وكانوا اكثر من عشرين من الاعيان والمقدمين
لم يبلغ منهم الا قليل ولم يتجاسر احد من اهل المتصلين [illegible]
رييس الروسا فحملوا في سقاية باب الازج ودفنوا وفي المحرم كتب
السلطان كتابا الى خراسان يخبرهم بدخوله بغداد وما جرى له وولى
الكندري [illegible] واسطا واعمالها فسار اليها وفي ليلة الخميس
لثمان ليال بقين من المحرم عقد للخليفة على خديجة المدعوة ارسلان خاتون
بنت الامير جغري بك اخي السلطان داود اخي طغرلبك وحضر في التاج
الخليفة وعميد الملك وابو علي بن الملك ابي كاليجار واعيان الديلم والدولة
والقضاة والعدول واجتمعوا في بيت النوبة ما عدا الخليفة وكتب
الوزير الى الخليفة يعرفه حضورهم [illegible] من اراد منهم وقام الوزير
رييس الروسا فقال [illegible] سيدنا ومولانا الامام امير المؤمنين
[illegible] المشرق قد حضروا داعين شاكرين فقال عميد الملك نحن
عبيد مولانا وخدمه وغرسه وصنايعه فقال الخليفة بارك الله فيكم و
وقرا رييس الروسا خطبة النكاح ثم قال ان راى سيدنا ومولانا ان
يمن بالقبول فعلت فقال قد قبلت هذا النكاح بهذا الصداق جعل الله
لنا ولكم فيه الخيرة والنجاح وكان الصداق ماية الف دينار وخرج
وفي صفر اخرج السلطان المبارك الخادم الى همذان لتحضر بنت اخيه
زوجة الخليفة الى بغداد وزفت الى الخليفة في شعبان وسبب هذه الوصلة
لما ورد السلطان بغداد اراد الاتصال بالخليفة [illegible] على
الملوك [illegible] خاتون على [illegible] بن القايم فتوفي فعدل الى القايم [illegible]

الورقة الاولى من نسخة باريس

هلال بن المحسن بن ابرهيم الصابي ابو الحسن المقلب بغرس النعمة
صاحب التاريخ المسمى بعيون التواريخ ذيله على تاريخ ابيه وابوه
ذيل على تاريخ ثابت بن سنان وثابت ذيل على تاريخ ابن جرير الطبري
فتاريخ ابن جرير الطبري انتهى الى سنة اثنين او ثلث وثلثمائة وتاريخ
ثابت الى سنة ستين وستمائة وثلثمائة وتاريخ هلال الى سنة ثمان
واربعين واربعمائة وتاريخ غرس النعمة من سنة ثمان واربعين واربعمائة
الى سنة تسع وسبعين واربعمائة وكان غرس النعمة فاضلا اديبا
مترسلا له صدقة ومعروف واحسان كثير ومروة ظاهرة وكانت
وفاته في ذي القعدة ودفن في داره بشارع عون ثم نقل
الى الكوفة فدفن بمشهد امير المومنين وخلف سبعين الف دينار
وكان محترما عند الخلفا والوزرا والاكابر امسد الملثمين
بمراكش والمغرب وكنيته ابو بكر بن عمر ومن ولده اسحق كان مجاهدا
في سبيل الله تعالى بركة في خمسماية الف من رجال الديوان
والمطاوعة وخطب للدولة العباسية وكان مثل واحد من اصحابه
يواسيهم بنفسه وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس ويقيم
الحدود ويلبس الصوف وينصف المظلوم ويعدل في الرعية
ويقسم بينهم بالسوية خرج في غزاة فلقي الفرنج فبينما هو واقف
جاه سهم غار فذبحه وبلغ نيفا وستين سنة
السنة الحادية والثمانون والاربعمائة
فيها سار السلطان الى سمرقند وقطع جيحون واخرج الخليفة اصحاب
خاتون زوجته من حرم داره فنزلوا في دار المملكة وسبب ذلك استطالتهم
على العامة فضجوا واستغاثوا الى الخليفة فخاف من فتنة فيها
شرع اهل باب البصرة يبنون القنطرة الجديدة وثار عليهم اهل
الكرخ فكان اهل باب البصرة ينقلون الاجر في الطباق الذهب
والفضة وثارت الفتنة وفيها توفيت داية السلطان

بحلب كانت تأخرت عند قسيم الدولة آقسنقر بحلب يوما وبيده سكين
فاومى اليها بداعبها فخرجت من يده بغير قصده فاصابت مقتلها فمات
فحزن عليها حيث ماتت بهذا السبب وكانت قد اوصت ان يحمل
تابوتها الى المشرق فجهزها وخرج مع التابوت مرحلة وعاد
وفي رجب سار آقسنقر من حلب فنزل على شيزر محاصرا لها
ونهب ربضها فصالحه ولد ابي الحسن بن منقذ على مال والطاعة
فرحل عنه وحج من العراق الوزير ابو شجاع واستناب في الديوان
ابنه ابا منصور وطراد ابن محمد الزينبي وفيها توفي احمد بن
محمد بن الحسن بن الحضر ابو طاهر الجواليقي والد ابي منصور موهوب
كان شيخا صالحا متعبدا من اهل البيوتات القديمة ببغداد وكان يجده صاحب
دنيا واسعة وتوفي في رجب فجاه عبد الله بن محمد بن علي ابو اسماعيل
الهروي الانصاري ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة في ذي الحجة
وتوفي بهراة في ذي الحجة وكان صاحبا متعبدا زاهدا ثقة سمع ابا الحسن
بن بشران وغيره وروى عنه الكرخي وغيره قلت وفي هذا
مغموز ما ذكره المصنف رحمه الله ومثله لا يخفى عنه محل شيخ الاسلام
الانصاري رحمة الله عليه من العمل والعلم فانه كان كبير الشان عظيم
المحل والعجب من المصنف رحمه الله كونه اقتصر على ما ذكره ولم ينبه
على شي من مناقبه مع كثرتها عبد الواحد بن الفرج ابو الرضى المصري
الشاعر كان سليم الصدر الا انه ياتي في بديهته بالعجايب استدعاه
استدعاه معز الدولة ثمال بن صالح ابن الرومية صاحب حلب فوافاه
جالسا على قويق فانشده
رايت قويقا قد تجاوز حده لمد جزل في جريه وصحيح
وكان ثمال جالسا بشفيره فشبهته بحر الديه خليج
فقال ثمال قد زعم الحلبيون ان هذا ليس يتحرك وينظر الي
غراب على شجر فقال قل فيهما بديهيا فقال

الورقة الاخيرة من نسخة باريس .

عيون التواريخ

صنفه

غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابى

رواه

سبط ابن الجوزى يوسف بن قزا أوغلى

السنة الثامنة والأربعون والأربعمائة

من أول هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابئ الكاتب ، ويسمى غرس النعمة ، تاريخه ، وذيله على تاريخ أبيه هلال ، وزعم أن تاريخ أبيه انتهى الى (١) هذه السنة ، فقال : وفي أول سنة ثمان وأربعين وأربعمائة يوم الخميس عقد عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكندري ، وزير السلطان ركن الدين (٢) طغرلبك (٣) ، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، لتاج الملوك أبي كاليجار هزارسب بن بنكير بن عياض الكردي ، على ضمان البصرة والأهواز وأعمالها ، لهذه السنة بثلثمائة ألف (٤) دينار وستين ألفا ، وأطلقت يده في جميع الاقطاعات والمعاملات بالبصرة وخوزستان ، وأقطع أرجان ، وأذن له في ذكر اسمه في الخطبة ، بهذه الأعمال ، دون غيرها ، وعرف الديلم البصرية والخوزستانية الواردون الى باب طغرلبك ، فقلقوا ، فقال السلطان : يفعل تاج الملوك فيها ما يراه ، فانصرفوا وقد يئسوا ، وثقل ذلك على الأمير أبي علي بن أبي كاليجار بن بويه لأنه (كان) (٥) ورد باب السلطان مؤملا لذلك ، وراسل السلطان بزوجته وولده بحكم قرابتهما منه ، وكان السلطان قد تزوج أخته ، فلم يجبه ، وعوضه قرميسين (٦) اقطاعا ، عوضا مما أخذ منه .

وخرج جماعة من الغلمان البغدادية الى البساسيري (٧) ، فغمز عليهم ، فكمن لهم خمارتكين الطغرلبي (٨) ، خادم السلطان ، ومعه جماعة ، بأمر رئيس (٩) الرؤساء ،

---

(١) : سبق شرح هذا في المقدمة .
(٢) : سقط (ركن الدين من ب) .
(٣) : أول سلاطنة السلاجقة ، وظل الكندري وزيرا له حتى وفاته حيث قتله نظام الملك أيام السلطان ألب أرسلان — انظر سهيل زكار مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ط، دمشق ١٩٧٢ ص: ٦٣ ، ٦٤، ٣٥٤ — ٣٥٥ .
(٤) : سقط من (ب)
(٥) : زيد مابين الحاصرتين من (ب) .
(٦) : في الاصل قرمايسين : وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه لان قرمايسين بلدة على طريق مكة وقرميسين ((بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدينور)) معجم البلدان ((مادة قرميسين)) .
(٧) : أبو الحارث أرسلان البساسيري كان من كبار شخصيات الدولة البويهية في بغداد سيرد المزيد من أخباره وأخبار ثورته فيما بعد . انظر ترجمته في ملاحق مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ص: ٢٥٥ — ٢٦٤ .
(٨) : في الاصل الطغرائي نسبة الى وظيفة الطغراء وهو تصحيف صحح من نسخة ب والطغرلبي نسبة الى طغرلبك .
(٩) : هو محمد بن المسلمة وزير الخليفة سيرد ذكر مقتله على يد البساسيري فيما بعد .

فقتلوهم ، وكانوا أكثر من عشرين من الأعيان والمقدمين ، فلم يفلت منهم إلا قليل ، ولم يتجاسر أحد من أهل المقتلين (أن)يقربهم (خوفا) (١)من رئيس الرؤساء ، فغسلوا في سقاية بباب الأزج ودفنوا .

وفي المحرم كتب السلطان كتابا إلى خراسان ، يخبرهم بدخوله بغداد وما جرى له ، وولي الكندري أبا الغنائم بن فسانجس واسطا وأعمالها ، فسار اليها .

وفي ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة ، المدعوة أرسلان خاتون ، بنت الأمير جغري بك ، أبي سليمان داود ، أخي طغرلبك ، وحضر في التاريخ الخليفة ، وعميد الملك ، وأبو علي بن الملك أبي كاليجار ، وأعيان الدولة (٢) والقضاة ، والعدول ، واجتمعوا في بيت النوبة ، ماعدا الخليفة ، وكتب الوزير الى الخليفة ، يعرّفه حضورهم ، فأمر بوصول من أراد منهم ، وقام الوزير ، رئيس الرؤساء ، فقال : أطال الله بقاء سيدنا ومولانا الإمام ، أمير المؤمنين ، هؤلاء أكابر المشرق قد حضروا ، داعين شاكرين ، فقال عميد الملك : نحن عبيد مولانا ، وخدمه ، وغرسه ، وصنائعه ، فقال الخليفة : بارك الله لنا فيكم ، وقرأ رئيس الرؤساء خطبة النكاح ثم قال : ان رأى سيدنا ~~كم~~ أن ينعم بالقبول ، قبلت ، فقال : قد قبلنا هذا النكاح ، بهذا الصداق، جعل الله لنا ولكم مافيه الخيرة والنجاح ، وكان الصداق مائة ألف دينار ، وخرج القوم (٣).

وفي صفر أخرج السلطان مبارك الخادم ، إلى همذان ، ليحضر بنت أخيه ، زوجة الخليفة الى بغداد ، وزفّت الى الخليفة ، في شعبان ، وسبب هذه الوصلة : لما ورد السلطان بغداد ، أراد الاتصال بالخليفة ، بمصاهرة يتجمل بها ، على الملوك ، فسمى خاتون على الذخيرة ابن القائم ، فتوفي ، فعدل إلى القائم ، وتكررت رسائل الخليفة بطلبها ، فجمع السلطان الامراء ، والقضاة ، والشهود ، والعلماء ، والتجار ، إلى داره ، وأدخلوا الى بيوت مزينة ، قد عبئ فيها الجهاز ، حتى شاهدوه وفي يوم الأحد سادس شعبان ، نقل إلى دار الخليفة ، وكان شيئا لم يرَ مثله ، من : الجنائب ، والبغال ، والعماريات ، والمال ، والجواهر ، واليواقيت ، وأواني الذهب والفضة ، وثمانين جارية من الأبكار ، عليهن أقبية الديباج ، والمناطق المجوهرة،

---

(١) : في الاصل بقربهم من رئيس والتعديل جاء لإزالة اللبس ووضع مابين الحاصرتين .
(٢) : في الاصل الديلم وهو تصحيف والتصويب من (ب) .
(٣) : سقطت كلمة القوم من (ب) .

وتحتهن الخيل المسوّمة ، والبغلات الرومية ، وست عماريات على البغال ، على قبابها (١) الجواهر ، وغير ذلك ، ودخل رئيس الرؤساء ، على السلطان ، وقال : أمير المؤمنين ، يقول : ((ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها))(٢) وقد أذن في نقل الوديعة ، إلى الدار المعمورة ، فقال : سمعا وطاعة للأوامر الشريفة ، ومضت السيدة والدة الخليفة إلى الزبازب (٣) ، إلى دار المملكة ، وراسلت خاتون زوجة السلطان ، في تسليم خاتون ، فأرسلت بها إليها ، من غير أن تخرج إلى أم الخليفة ، فانحدرت بها ، ودخلت من باب الغربة (٤) ، وقد ضربت سرادقات على دجلة ، ودخلت خاتون على الخليفة ، وقبّلت الارض مرارا ، فأدناها اليه ، وأجلسها الى جنبه ، وطرح عليها فرجية مطعومة بالذهب ، كانت عليه ، وتاجا مرصعا بالجواهر ، وأعطاها من الغد مائة ثوب من الديباج ، وقصب الذهب ، وطاسة ذهب منبتا فيها الياقوت ، والفيروزج ، وعقد حب له قيمة ، وبعث السلطان لزوجته بنت أبي كاليجار بن بويه هدية : عشرة أحمال ثيابا ، وآلات ، وصاغات ، وغيرها ، وأمر بحملها الى الرى (٥) ، وأمر السلطان الأتراك الذين ببغداد بالمسير الى خراسان ، فشق عليهم ، وتضرعوا ، فلم يغن شيئا ، ووقفوا للسلطان ، فخاطبهم بالجميل ، ثم سكت عنهم ، وهؤلاء هم الذين أخذوا بغداد ، وابتدأ طغرلبك بعمارة سور عريض على داره ، أدخل (٦) فيه قطعة كبيرة من المحرم (٧) ، ودار الفيل ، وجمع الصناع لتجديد دار المملكة العضدية (٨) ، وبنى عليها أبراجا ، وخربت الدور والمحال والأسواق المجاورة لها ، بالجانب الشرقي ، وقلعت أخشاب دور الأتراك من الجانب الغربي وحطت اليها .

---

(١) : في الاصل قبائها وهو تصحيف صوابه ما اثبتناه .
(٢) : القرآن الكريم سورة النساء الاية (٥٨) .
(٣) : نوع من مراكب ذلك العصر .
(٤) : أحد ابواب دار الخلافة في بغداد !
(٥) : على مقربة من طهران الحالية انظرها في معجم البلدان .
(٦) : في الاصل دخل والتصويب من (ب) .
(٧) : المخرم محلة ببغداد في الجانب الشرقي . معجم ما استعجم ، مادة مخرم .
(٨) : نسبة الى عضد الدولة البويهي (٣٣٨ ـ ٣٧٢ / ٩٤٩ ـ ٩٨٣ /)

وفيها عم الوباء والقحط ببغداد ، والشام ، ومصر ، والدنيا ، وكان الناس يأكلون الميتة ، وبلغت الرمانة والسفرجلة دينارا ، وكذا الخياره والليبنوفرة (١) ، وانقطع ماء النيل بمصر ، فكان يموت كل يوم عشرة آلاف ، وباع عطار بمصر في يوم ألف قارورة شراب ، وعم القحط في الدنيا كلها ، وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا نقبا ، فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، والثاني على رأس الدرجة ، والثالث على الكارة (٢)٠

وفي غرة صفر كان بين منيع بن شبيب بن وثاب النميرى ، صاحب حران ، وبين معز الدولة ، أبي علوان ، ثمال بن صالح ، ابن الزوقلية ، صاحب حلب حرب على الرقة ، وكانت لشبيب والد منيع ، واتفق أنه مات ، وخلف منيعا صغيرا ، وتزوجت أمه بثمال ، وسلمت الرقة اليه ، فلما كبر ولدها (٣) ، وانضافت اليه القبائل ، واسترجع حران ، وكتب له طغرلبك المنشور ، وبعث إليه الخلع ، أرسل الى ثمال يطلب الرقة ، فمنعه فقامت الحرب بينهما ٠

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر ، تقدم رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكرخ (٤) ، فخاف أهله وكان مجتهدا في هلاكهم ، وعميد (٥) الدولة يمنعه ٠

وفي صفر ورد الخبر بأن البساسيرى على عزم المسير (٦) إلى بغداد ، فعزم السلطان بنفسه على المسير إلى الرحبة ، فمنعه رئيس الرؤساء ، وقال : بعض الإصفهلارية (٧) يفعل هذا ٠

وفيها سار مقبل أخو قريش (٨) ، من بغداد إلى الجزيرة ، والخابور ، والرحبة (٩) ومعه ابن ورام ، وجماعة العرب ، والأكراد ، إلى البساسيرى ، داخلين في طاعته ، ومفارقين قريشا ونافرين عنه ، وسببه : أن البساسيرى كان اصطنع مقبلا ، وأخذ له

---

(١) : الليبنوفره : من أنواع الحمضيات انظره في تذكرة أولي الالباب لداود الانطاكي ط ٠ القاهرة ١٩٥٢ : / ٢٨٥ — ٢٨٦ /٠

(٢) : الكارة : اسم يطلق على مايستخدمه عامل الخبز ، ولعل النقب تم على محل لبيع وتصنيع الخبز ٠

(٣) : كذا ولعله وهم فالمشهور انها كانت عمة منيع ، أنظر زبدة الحلب لابن العديم : ١ / ٢٧٣٠

(٤) : من أشهر محال بغداد غلب على سكانها التشيع٠

(٥) : من (ب) عميد الملك)٠

(٦) : في (ب) عزم على المسير٠

(٧) : أي قادة الجند ٠

(٨) : هو قريش بن بدران العقيلي أمير الموصل آنذاك ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ص ٩٠ ٠

(٩) : على الفرات بقاياها قرب الميادين في سورية٠

خلعة من الملك الرحيم (١)، لما كان بواسط، وسلم اليه البلاد العليا، التي كان البساسيرى إنتزعها من قريش، وحصلت بينه وبين أخيه وحشة، فلما قرب طغرلبك من بغداد، ومضى البساسيرى إلى الرحبة، خاف مقبل من أخيه، فصالحه، ونزل عليه، وفي نفس كل واحد منهما على صاحبه، فلما سار البساسيرى إلى الرحبة، صار قريش ونور الدولة ابن مزيد (٢)، في طاعة طغرلبك، طمعا في حراسة بلادهما من النهب، فوقع (٣) مقبل العرب، على أن قالوا لقريش: أليس هؤلاء الغز، الذين قتلنا، في سنة خمس وثلاثين، أولادهم وأصحابهم، وسبيناهم، ولهم في رقابنا دماء يطلبونها، فان دخلنا في زمرتهم، سلمنا إليهم أرواحنا، وأهلنا، وأموالنا وبلادنا (٤)، فقال لهم قريش: أنتم محقون في قولكم، غير أن هذا سلطان عظيم، ومعه عسكر كبير، ومتى لم ندخل معهم بز أخربوا بلادنا، ونهبوا أموالنا، ولم يكن لنا قدرة على دفعهم، والرأى ملاطفته، وخدمته، فإننا نتعجل السلامة، وندفع الأذى، فلم يقبل أكثرهم، وشاع ورود مال من مصر إلى البساسيرى، وأنه على تفريقه في العرب، والتحدر الى بغداد، فمالوا الى البساسيرى، وعدلوا عن قريش، وكان صاحب مصر (٥)، مائلا الى قريش، وهو له كاره، وكان الوزير اليازورى (٦) يكاتبه ويستعطفه، وكان عنوان كتابه إليه من الناصر للدين، غياث المسلمين، الأجل، الأوحد المكين، سيد الوزراء، وتاج الأصفياء، وقاضي القضاة، وداعي الدعاة، علم المجد، خليل أمير المؤمنين، وخالصته، أبي محمد، الحسين بن علي بن عبد الرحيم، إلى الأمير مصطفى الدولة، وخصيصها أبي المعالي، قريش بن بدران، أدام الله سلامته وسعادته ونعمته، أما بعد: فإنكم (٧) بيت، أهله على الولاء لأهل البيت عليهم السلام، نمت لحومهم، والى محبتهم أنتمت أرواحهم وجسومهم، وإن الدولة النبوية

---

(١) : آخر ملوك بني بويه في بغداد. سهيل زكار تاريخ العرب والاسلام ط. بيروت ١٩٧٥، ص: ٣٢٢ـ ٣٢٣.

(٢) : نور الدولة دبيس بن صدقة أمير بني أسد أصحاب الحلة أنظر عبد الجبار ناجي الامارة المزيدية ط. بغداد ١٩٧٠ ص: ٧٧ـ٩٤.

(٣) : في (ب) فوضع ؟

(٤) : انظر مدخل تاريخ الحروب الصليبية ص٩٣ ـ ٩٦.

(٥) : الخليفة المستنصر الفاطمي (٤٢٧ـ ٤٨٧ / ١٠٣٦ـ ١٠٩٤).

(٦) : هو: الناصر للدين غياث المسلمين قاضي القضاة داعي الدعاة ابو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري وزر في القاهرة من ٤٤٢ـ ٤٥٠. وانظر: لمزيد من التفاصيل محمد حمدى المناوي الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص٢٥٧.

(٧) : في ب فإنك.

أدامها الله ، على غاية من حسن الرأى فيك ، وقد تعجبت لمفارقتك صاحب الجيش — يعني البساسيري — ومصيرك إلى محل ، لو كان أمن الآمنين ، وملجأ الآبدين ، لكان الواجب ، يكون بينه وبينك ، بعد المشرقين والمغربين (١) ، وذكر كلاما طويلا .

وفي ربيع الأول وردت هدية أبي نصر ابن مروان ، إلى السلطان ، وكانت ثيابا ألوانا ، وخيلا ، وثلاث زواريق طعم ، وشيئا كثيرا .

وفي سلخ ربيع الأول ، تقدم الخليفة إلى السلطان ، بالمسير إلى الشام ، ويبدأ بالرحبة ، ويأخذ البساسيري ، ويعبر الفرات ، ويقيم الدعوة على منابر الإسلام ، فأمر السلطان العساكر ، بأن يتجهزوا ، ويبعثوا ليحضروا خركاواتهم ، وأولادهم ، وأهلهم ويكونوا بالعراق ، ويتوجهوا معه إلى الشام ، فقالوا : هذه بلاد خربة (٢) ، وليس بها أقوات ، ولا علوفات ، ولم يبق معنا نفقات ، ونحن عاجزون عن المقام على ظهور خيولنا ، فكيف اذا جاء أهلونا ، وخيولنا ودوابنا ، وقد طالت غيبتنا ، ولابد لنا من الإلمام بأهلنا ، ونحن نستأذن في العود اليهم ، ونعود حيث يرسم لنا ، فقبض السلطان على جماعة منهم ، وضربهم وقيدهم ، واعتقلهم أياما ، ثم شفع فيهم ، فأطلقوا ، وضمن عليهم أنهم بعد المهرجان يسيرون الى الشام ، وأمرهم أن يستصحبوا الملك الرحيم من قلعة الشيروان (٣) الى قلعة الري ، فيعتقلونه بقلعة طبرك (٤) ففعلوا .

وفي يوم (٥) السبت ثاني عشر ربيع الآخر ، ورد ديلم من دار السلطان ، إلى زوجة البساسيري ، المعتقلة بباب المراتب ، وقد (٦) أحيلوا بأرزاقهم عليها ، فعاقبوها ، فضمنها حاجب باب المراتب على ألفي دينار ، وأخذها منهم الى داره ، فلم يقدر على إيفائها ، فأعادها إلى اعتقالها ، فاتصلت العقوبة ، والمطالبة لها .

---

(١) : ورد نص الرسالة في الاصلين مشوشا ولم يأت على ذكرها مصدر آخر ولعل ماأثبتناه هو الصواب .

(٢) : في ب خراب .

(٣) : ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه وقال أنها موجودة فى نواحى بخارى .

(٤) : قلعة على رأس جبل بقرب مدينة الرى معجم البلدان .

(٥) : سقطت كلمة السبت من ب

(٦) : سقطت كلمة وقد أحيلوا من (ب) .

وفى هذا الوقت ، قل العسكر ببغداد ، ومضى أكثرهم الى خراسان ، وشنت بنو شيبان الغارات ، وطلبوا الخفارات ، وكثرت الأراجيف بانضمام جماعة من العرب الى البساسيرى ، ووصل أبى نصر بن أبى (١) عمران الداعية ، رسولا من مصر اليه ، بمال كثير ، وخلع وألقاب ، وأنه أخذ البيعة عليه ، وعلى من معه من : الأتراك ، والأكراد والعرب ،، وأنهم على عزم قصد بغداد ، وبعث السلطان عميد الملك إلى الخليفة ، يقول : إن العساكر قد تفرقت ، وبقى منهم نفر يسير ، ولابد لهم مما يقوم بهم ، وإلاَّ لحقوا بالباقين ، وخلا البلد ، وكان رئيس الرؤساء ، قد ضمن لى ثلاثمائة ألف دينار ، إذا قدمت العراق ، فأوصل إلى مائة وثمانين ألفا ، وارتد الباقى ، وتردد الكلام فقال رئيس الرؤساء : إنما كنت أحصلها من أموال البساسيرى وأصحابه ، وقد ذهبت ولكن أنا أقوم فى هذا الوقت بعشرين ألف دينار ، ثم صادر الناس حتى حصّلها ، واعتقل زهرة جارية البساسيرى وأولادها منه ، وطولبت بمال فلم يكن لها شىء .

وفى (٢) سابع جمادى الأولى ، ولدت جارية ، كانت للذخيرة ابن القائم ، ولد ذكراً وكان قد توفى عنها ، وهى حامل ، فكنى أبا القاسم ، وسمى (٣) عبد الله ، ولقب عدة الدين ، عماد الاسلام والمسلمين ، وفرح الخليفة ، وجلس وزيره للتهنئة ، ولم يكن للقائم ولد ، وولي هذا المولود الخلافة ، وحمل السلطان وخاتون ، والوزير ، للخليفة أموالا ، وثيابا .

وفي هذا الوقت تجددت العقوبة على زوجة البساسيرى .

وفي هذا الشهر ، وردت طائفة من عسكر السلطان ، فأنزلوا في دور الناس ، وفرض عليهم ، لهم ، خمسمائة دينار ، فاجتمعوا إلى عميد العراق ، فقال : هذه عاداتنا في بلادنا ، وأنتم ترجفون على الدولة ، وبعد العساكر ، وقد أعاد السلطان إليكم ، فأقامتها عليكم ، فبادروا الى جمعه وحمله ، فجمعوا خمسمائة ، وقسطوها على الكرخ وماحوله ، فاجتمعوا الى دار الخليفة ، وقالوا : هذا شيء ما ألفناه ، وقد افنى الحريق والنهب أموالنا ، فبعث الخليفة إلى الكندرى يقول : قد قبحت السيرة ، وساءت السمعة ، وكثرت الشناعة ، فيقال : إنه أسقطها عنهم .

---

(١) : هو داعي دعاة الخلافة الفاطمية المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى (ت) ٤٧٠ هـ له سيرة لنفسه نشرت في القاهرة ١٩٤٩ .

(٢) : كلمة سابع سقطت من (ب) .

(٣) : عبارة سمى عبد الله سقطت من (ب) .

وفي هذا الوقت ، مضى قوم من الخراسانية ، إلى محلة الحربية (١) ، فطالبوهم بمال ، فقالوا : نحن قوم مستورون ، وبمساجدنا مشتغلون ، ولما يقصدنا الناس به من زكواتهم وصدقاتهم ، محتاجون ، فلم يلتفتوا إليهم ، وضربوهم ، وأخذوا ما وجدوا لهم ، وباع أهل الحربية نفوسهم بما جمعوه من معارفهم ، ثم جاءوا الى قصر عيسى ، فأخرجوا أهل الدور ، ورموهم على الشوارع ، فبنوا أكواخا من قصب تحت دار الخليفة ، وأقاموا بها ، وفرشوا البوارى (٢) على باب الغربة ، والمسوح ، وضجوا ، وكان فيهم جماعة من أهل البيوتات لهم حال ، فقبض عليهم من باب الدار ، وصودروا على قدر أحوالهم من الألف دينار الى عشرة دنانير ، واشتد البلاء على أهل بغداد ، وشحذوا ، ومات أكثرهم تحت الضرب في الحبوس .

وفي هذا الوقت ورد الخبر من واسط ، بأن أبا الغنائم بن فسانجس ، والترك ، عصوا على السلطان ، وكان عميد الملك قد ولاه ، فبلغه أنهم على عزم عزله ، ومصادرته ، فاستمال الأتراك ، وورد عليه طائفة من الديلم ، والأكراد ، والرجالة ، فقدموه عليهم ، وأنفق فيهم الأموال ، وزور كتبا عن البساسيرى يعدهم الإحسان والإقطاعات ، ويعد أهل البلد العدل ، وكان الترك قد نفروا من السلطان ، لأنه قتل جماعة منهم ، وكاتب أهل البطيحة ، فوافقوه وحفر الخنادق حول واسط ، وبنى أسوارا عالية ، وركب عليها أبواب الحديد ، وبعث الكندري رسولا لايصلح الحال ، فاجتمع بابن فسانجس والأتراك ، فقالوا : نحن الخدم الطائعون ، إلا أن السلطان غير محتاج إلينا ، ولا مهتم بنا ، ومعه من العساكر الجمة المختلفة ، مانصغر نحن فيهم ، وقد رأينا ماجرى على إخواننا البغدادية ، وهم أعز جانبا منا ، كيف أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وصودر اصفهسلاريتهم ، وقتل من قتل منهم ، وبقوا مطرحين على الطريق وقد نفرت قلوبنا من هذا ، فان قنع منا بإقامة الخطبة ، ونقش السكة وحمل مال من غير أن يولى علينا خراسانيا ، فنحن سامعون مطيعون ، وإلا خلعنا الطاعة ، واعتزينا (٣) الى غير هذه الجهة ، فإما نعيش أعزاء ، أو نهلك عزيزين .

---

(١) : احدى محال بغداد المشهورة .

(٢) : جمع بارية وهي الحصير .

(٣) : يريدون بذلك التلويح بالانضمام الى البساسيرى الذى كان قد أعلن ثورته لصالح الخلافة الفاطمية .

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة استدعى الخليفة رئيس الرؤساء ، وأظهر التنمر (١) والامتعاض (٢) مما الرعية عليه وقال : قد أنهى إلي ماسمعته أذني ، وشاهدته عيني ومن ارتفاع الدعاء ، ما أنا به مطالب ، هذا إلى ما أخافه من سريع المكافأة ، وأنا مع ركن الدين بين قسمين : إما اعتماد الحق واستعمال العدل ، وإنصاف الرعية وإعفائهم من كل أذية وإعادتهم إلى مساكنهم ، وصيانتهم في معايشهم ، وأمانتهم في نفوسهم ، وحراسة أموالهم ، أو المساعدة على مفارقتي لهذا البلد ، وبعدي عن هذه البدع ، ولا أقل من اعتزالي عنها ، والتبرى عند الله منها ، فتستدعي منصور بن محمد الكندرى ، تعرفه ذلك من غير مراقبة في ارادة تستعطها ، ولا مجافاة في سرحة تقصدها ، وتحقق مايكون من الجواب ، وتطالع به ، فأرسل الى الكندرى فحضر ، وأعاد عليه ماجرى ، فمضى الكندرى إلى السلطان ، وأعاد عليه ماقال ، فرده بالجواب ، وقال : أنا الخادم الطائع في كل حال ، وما علمت بما جرى ، ولا أمرت به ، ولا من عادتي ، الا أن هذا العسكر كثير لا قدرة لي على حفظه ، وربما بدت منهم أفعال لا أرضاها وسأتقدم بما يبين أثره ، ويحسن موقعه ، قال الكندري : ومضيت من عنده ، فلما كان وقت السحر (٣) أستدعاني ، وقال لي : إعلم أنني نمت البارحة ، وأنا مشغول الفكر في الرسالة ، عالم بأن ما يجرى من هذا العسكر في رقبتي ، وأنني مسئول عنه ، فرأيت في منامي كأنني بمكة ، اذ شاهدت شخصا وقع لي أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصدته لأسلم عليه ، فلوى وجهه عني ، وبعد مني ، وقال : قد ملكك الله البلاد والعباد ، وجعل يدك عليهم عالية ، وأوامرك فيهم نافذة ماضية ، فأحسن السيرة فيهم وأجمل المعاملة معهم ، وامنع الأذى عنهم وارفع الظلم ، واستأمن هذا الجيش وقد روعني (٤) ، فاذهب إلى الديوان ، واشرح ماجرى ، ففعل ذلك ، فخرج جواب الخليفة ، ببشارة السلطان بما رآه من مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أعظم منه ، ثم كتب توقيعا إلى السلطان، يتضمن العدل ، والانصاف ، والوعظ ، فقرأه رئيس الرؤساء ، فبكى السلطان وتقدم بالعدل وأخراج العساكر من دور الناس، وعاد اليها أربابها وطابت قلوبهم ، وفتحوا دكاكينهم ، وعادوا إلى ماكانوا عليه .

---

(١) : في ب التذمر .
(٢) : في الأصل مما عليه للرعيــة والتقويم من (ب).
(٣) : سقطت كلمة السحر من ب
(٤) : في ب روعتني

وفي يوم الأحد سابع عشر جماذى الآخرة ، برز بعض العساكر السلطانية إلى الشماسية (١)، وأمر أبا الفوارس قتلمش بالتقدمة عليها ، وسبب ذلك تردد الرسائل (٢) بين السلطان وقريش، ودبيس، تتضمن الشكوى من الجند ، ويسألان أن ينحدرا إلى تكريت ، ويخرج إليهما عميد الملك ، ويقرر مايجب تقريره في بلادهما ، أسوة بتاج الملوك ، وإعفائهما من الغز ، فأرسل إليهما إن عميد الملك ، خارج إلى تكريت ليقرر ذلك، فجمعا أصحابهما ، وانحدرا ، فأشيع بأن انحدارهما على نية فاسدة ، وقاعدة بينهما وبين البساسيري مستقرة ، فتقدم عميد الملك إلى العسكربالخروج إلى عكبرا (٣) ، ونهب الأعمال العليا ، والبلاد المزيدية ، فنهبت سوراء ومطير أباد (٤) وغيرهما ، وحملت المواشي إلى بغداد ، فبيعت ، وخربت البلاد واندرست آثار القرى ، وهج من كان بقي فيها ، وجاء كتاب قريش يقول : بلغنا أنه أرجف علينا ، أننا سرنا على نية فاسدة ، وطوية مخالفة ، ومعاذ الله أن نشق عصا أو نعد وعدا ولا نفي به ، ومانحن إلا الخدم الطائعون ، فبعث عميد الملك الى قتلمش أن يتوقف بعكبرا ، حتى يتضح الحال .

وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة ، ظهر وقت السحر ، في مطالع برج الأسد الجنوبية ، ذؤابة بيضاء طولها في رأى العين نحو عشرة أذرع في عرض الذراع ، ولبثت إلى نصف رجب ، ثم اضمحلت ، وقال قريب لرئيس الرؤساء ، أنه كان بمصر ، وسمع مستفاضا بين أهلها ، أنه لما طلعت هذه الذؤابة يملك الغز مصر ، وأظن أن القوم يملكون بغداد ، فكان كما قال ، وقد ظهر مثل هذه الذؤابة من ناحية الشرق ، الا أنها كانت ذؤابة مثل هذه ، فكان خروج التتار عقبها سنة سبع عشرة وستمائة .

ولما تحقق السلطان أن ماقيل عن قريش ، وابن مزيد ، لا أصل له ، أمر الكندري بانفاذ أبا الفتح المظفر بن محمد ، العميد ، وجماعة من الأعيان إلى تكريت ، ليجتمعوا بقريش ودبيس ، فاجتمعوا في خيمة قريش فقال العميد : السلطان على نية الإنحدار

---

(١) : من محال بغداد

(٢) : في ب الرسل

(٣) : بليدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ معجم البلدان .

(٤) : في ب مطار ولم يذكرها لا ياقوت ولا غيره حتى يمكن التعريف بها وضبطها .

الى شيراز ، فهذه البلاد ما تحطه ويفوض (١) الأمور إليكما تكونا (٢) نائبين عنه بالعراق، ويريد أن تحلفا ، فقال قريش : هذا ولدى يكون فى دار الخلافة رهينة ، وطلبوا من دبيس رهينة ، فقال السلطان : قد أغنانى فقال العميد : فهذا قريش قد أعطانا رهينة ولست بخير منه ، فقال : ما أعطيك (٣) شيئا ، فقال له العميد : فأحد أولادك عند اللعين البساسيرى ، وأعيان أصحابك ، وهذه أمور توجب الارتياب بك ، وقلة السكون إليك ، وهذا علم الدين أبو المعالى المبرأ من هذه الأسباب والموالي للسلطان، في كل حال والذى يجب أن نكون به واثقين، قد أعطانا الرهائن وحلف لنا بالأيمان المؤكدة ، مع أننا لا نرتاب بصحة موالاته ، وخالص طاعاته ، فأنت أولى ، فقال : ما انحدرت الا معتقدا للطاعة ، وأنتم الذين رجعتم عما قررتموه ، ونهبتم بلادى ، بعد انحدارى ، وكسرتم جاهي ، وقطعتم معاشي ، واذا كان هذا حالي معكم ولم أغل يدى ، وأنتم حيالي (فكيف أنتم) ممن يبذل الأموال ويوسعني في الأعمال ، وأغلظ الرسل ، ثم قام ، فركب راحلته ، ومضى الى البساسيرى ، وسلم قريش ولده عليا الى الرسل رهينة ، وعمره ثلاث سنين ، ومعه داية (٤) وبدوى ، وقال : يكون في الدار العزيزة عند الخليفة ، ثم إن العرب نفرت عن قريش ، وصوبت رأى دبيس ، وأصعد قريش إلى الموصل خائفا منهم ، ومن أخيه مقبل ، ثم بعث الى بغداد في رجب يطلب نجدة ومالا يفرقه في العشيرة ، فان البساسيرى على قصده ، فجهز إليه خمسمائة غلام ، فأقاموا بباب الشماسية مع يارتكين الحاجب .

وفيه نقضت الروم الهدنة ، التى كانت بينها وبين صاحب مصر ، وجاءوا بالمراكب، فنزلوا على طرابلس الشام ، وأحدقوا بها ، فبعث محمد بن أبي عقيل ، قاضي صور، فرحلوا عن طرابلس ، وصعدوا من المراكب ، ووصلوا إلى الخوابي (٥) وأنطرطوس ، فسبوا ، وقتلوا ، ثم عادوا فنزلوا على اللاذقية .

---

(١) : في ب وتفويض .

(٢) : في ب لتكونا

(٣) : في ب أعطيكم .

(٤) : في ب دابه

(٥) : احدى قلاع الدعوة في جبال بهراء (العلويين حاليا في سورية).

وفي تاسع شعبان ، برز قتلمش بالعساكر نحو واسط ، لقتال ابن فسانجس ، ثم أعيدت الخيم في ذلك اليوم ، وسببه : ورد كتاب (١) قريش أن البساسيرى ودبيس ومقبل وابن ورام ، وبنى خفاجة ، نزلوا الخابور قاصدين الموصل ، فرد الكندري العسكر ، وبعث الخليفة رسالة الى واسط بتطييب قلوب من فيها فقالوا : نحن طائعون ، بحيث نبقى على مانحن عليه ، وجرد السلطان ابن عمه قتلمش ، والحاجب الكبير وغيرهما في ألفي فارس من الأتراك والغز ، والتركمان ، وعشرة آلاف دينار ومائتي ثوب ليفرقها قريش في بني عقيل ، وخلعة جميلة لقريش ، وفرس بمركب ذهب ، ومنجوق ، ولمسلم بن قريش مثل ذلك ، ثم ورد الخبر بأن القوم في الرحبة ، على عزم أنفاذ مقبل لقتال أخيه ، وانتزاع الموصل من يده فكوتب قتلمش بالإصعاد على حاله إلى الموصل ، وقصد القوم ومناجزتهم أينما كانوا .

وفي رمضان ، أخرج الخليفة والسلطان ، جميع من كان ببغداد من الأتراك العتق الذين كانوا يفعلون بجلال الدولة مافعلوا ، فلم يبق لهم أثر ، ونفاهم إلى الدينور وحلوان ومزقهم كل ممزق .

وفيه أسلم كاتب البساسيري من شدة العقوبة والمطالبة بالاموال ، فزيد في عقوبته .

وفيه عزم السلطان على الخروج بنفسه الى البساسيرى ، فمنعه القائم ، وقال : أقم ، وابعث العساكر .

وفي شوال سار عميد العراق أبو نصر إلى واسط ، فأسر جماعة من الأتراك ، وغرق آخرين ، وقتل ، وانهزم الباقون في السفن إلى البطيحة هاربين ، وهدم سور واسط ، وطم الخنادق ، وكتب إلى السلطان بالفتح ، وكان ابن فسانجس ، قد هرب إلى البطيحة .

وفيه كانت وقعة بسنجار بين البساسيرى وقتلمش فكانت الدبرة (٢) على قتلمش ، وسببه أنه سار من بغداد بالغز ، فنهبوا بلاد العرب ، وسبو نساءهم فمالوا إلى البساسيري ، وكان قريش نازلا بتل أعفر (٣) ، فلما قربوا منه ، حذر مقاربتهم ، وسار بعيدا عنهم ، ولم يختلط بهم ، وراسل دبيس بنى عقيل اللذين مع قريش ، وبذل لهم العطاء ، وخوفهم

---

(١) : في ب ورود .
(٢) : العاقبة او الهزيمة — القاموس .
(٣) : أسم قلعة وربض بين سنجار والموصل . معجم البلدان ٢٠

مايؤول اليه أمر العرب مع الغز ، وكان البساسيري ، ودبيس ومقبل ، وابن ورام ، وبطون العرب ، والغلمان البغدادية ، والأكراد نزولا على فرسخين منهم ، وكاتبوا قريشا فلم يلتفت اليهم ، فأفسدوا القبائل ، فلما كان أول ذي القعدة ظهرت أوائل خيل البساسيري فركب أصحاب قريش نحوها ، ثم انضووا اليها ، أولا ، أولا ، وقليلا ، قليلا ، حتى بقي قريش في عدد يسير من أصحابه ، وحاشيته وأظله القوم ، ولحقه دبيس ، فأغلظ له ، وقال : أنج بنفسك ، فنزل من فرس التجافيف (١) ، وركب فرسا خفيفا ، ونجا بنفسه وأراد مقبل أن ينهب حلة قريش ، فمنعته أخته زوجة دبيس ، ونزلت في الحلة فحمتها ، وعرفت الغز الذين فيها الخبر فجاءوا صفوفا ، والتقوا ، فاقتتلوا إلى العصر ، فحمل البساسيري ، ودبيس ومن معهم عليهم حملة واحدة ، فهزموهم ، وقتلوهم ، وشردوهم ، وقتل الحاجب الكبير ، وهرب قتلمش ، ومن معه ، وغنم البساسيري وأصحابه ، غنائم كثيرة ، وقتل خلقا كثيرا ، وبعث إلى مصر بألفي رأس ، ومائتي رأس .

وفي رواية : كان مسير البساسيري من الرحبة عاشر رمضان ، بعد ما فرق الأموال الواردة إليه من مصر والخلع ، وكانت خلعا نفيسة طميم الذهب وعمائم ملونة ، ومراكب الذهب ، والأعلام على القصب الفضة ، ومهد على رأسه ، وصافية ذهب عليها اسم صاحب مصر ، وسجافة دبيقي أزرق مصمت بالذهب ، وحمل إليهما الأموال ، فإلى دبيس ثلاثين ألف دينار ، وإلى أمراء العرب على أقدارهم ، وأعطى دبيس ثلث الموصل ، ومقبل الثلثين ، وأقطع الجزيرة للعرب ، وسار إلى الخابور ، وقريش بتل أعفر في بني عقيل ، ولم يعلم البساسيري بأن السلطان قد أنجده بقتلمش ، ونزل البساسيري بالشماسية ، وبينها وبين تل أعفر عشرون فرسخا ، وبين سنجار إثنا عشر فرسخا ، ثم علم بنجدة السلطان لقريش ، فانزعج وخاف ، واتفق مع الجماعة على إفساد بني عقيل عن قريش ، وتم لهم ذلك وساروا ، وقد جعل البساسيري في الميمنة دبيس ، وفي الميسرة جابر بن ناشب والأكراد ، ووقف في القلب والاماء بين أيديهم يضربن بالدفوف ، وينشدن الأشعار التي فيها ذكر الحروب ، وتوافى العسكران ، وقريش في عشرة آلاف فارس ، وعسكر السلطان عنهم نحو فرسخ ، وتطاردوا فبرز من عسكر قريش نحو من مائتي فارس ، وتطاردوا وقلبوا رماحهم واستأمنوا ، ثم تلاهم آخرون وآخرون حتى تقوض من كان مع قريش ، وبقي وحده ، وبلغ السلطان فكتب إلى أخيه ~~لأمه ابراهيم ينال~~ ، بالمسير اليه في العساكر ، وكتب الى عميد العراق يستدعيه من واسط ، وعرض الجند من الديلم وغيرهم ، وأنفق فيهم الاموال والسلاح ، وتأهب للمسير بنفسه .

---

(١) : هو شيء من سلاح يترك على الفرس يقية الاذى وقد يلبسه الانسان ايضا — النهاية في غريب الحديث لابن الاثير .

وفي خامس وعشرين شوال ، أخرج أبو الحسين بن عبيد ، كاتب البساسيري إلى التجمي (١) ، ومعه ابن السوى ، فقدمه فضرب عنقه بعد ما أسلم ، وجاء الخبر إلى السلطان ، بأن البساسيري دخل الموصل ، وخطب لصاحب مصر بها ، وأمن الناس ، وأنه على عزم الانحدار إلى بغداد ، فبرز السلطان بعسكره إلى باب الشماسية ، في ذى القعدة ، وكان لم يزل مؤثرا (٢) للمسير إلى العرب ومناجزتهم ، استطالة لمقامه بالعراق ، وطلبا للعود إلى خراسان ، والخليفة يراسله بالتوقف عن خروجه بنفسه ، ويهون الأمر عليه ، ومضى لهذه الوقعة نيف وثلاثون يوما ، لم يقف لهم على خبر ، فيئس من سلامتهم ، ووصل الخبر بأن البساسيري وصل الموصل ، وضرب معسكره على سمت بغداد ، فراسل (٣) الخليفة في الخروج إلى الموصل ، فما أمكنه دفعه لأنه دفعه مرات ، فقال : افعل ماتراه ، فنحن مانؤثر بعدك عنا ، ثم بعث إليه رئيس الرؤساء وهو بالمخيم ، وقال : إن أمير المؤمنين مايؤثر خروجك ، وإذا أقمت وبعثت العساكر ، كان أكثر للهيبة ، فقال : قد كان الصواب أن أخرج الى هؤلاء ، وعسكري متوفر والهيبة قائمة ، فمنعت ، فأشير على بانفاذ العساكر اليهم ، والمقام ، فجرى ماجرى ، وقد قووا وكثروا ، ولا بد من مسيرى اليهم ، قبل أن يتفاقم الأمر ، وأغلظ لرئيس الرؤساء ، وقال : أنتم فعلتم هذا ، فثقل عليه ما سمع ، وظن أنه قد تغير أعتقاده ، فرجع واجما ، وطالع الخليفة بذلك ، فعز عليه ، وسار السلطان فى سادس ذى القعدة ، ومعه الخزائن وآلات الحصار ، فكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ، ولم يلتق الخليفة على العادة .

وفى تاسعه سلمت زوجة البساسيرى ، وزهرة جاريته ، وأبنته منها ، إلى أصحاب السلطان من محبسهم بباب المراتب ، وحملوهم إلى الجبل ليعتقلوهم فى بعض القلاع ، وأقام عميد العراق فى دار المملكة .

وفى هذا الشهر عاد ابن فسانجس ، ومن معه من الديلم والترك إلى واسط ، ونهب قرية عبد الله ، من ضياع الخليفة ، وقتل من فيها ، وأخذ سفنا فيها متاع للخليفة ، وبيض حائط جامع واسط ، ومحا ما كان على قبلته من ألقاب بنى العباس ، ونصب على المنبر لوائين أبيضين (٤) ، وخطب لصاحب مصر ، ونقش على الدنانير والدراهم اسمه ،

---

(١) : واحدة من قصور بغداد .
(٢) : فى (ب) المسير .
(٣) : فى (ب) وراسل
(٤) : كان شعار العلويين هو البياض .

وخطب لصاحب مصر أيضا بالكوفة ، وفرق في المشهد مال على العلويين ، وبيّض حائط الجامع ، وأزيل أسم القائم ، وكتب مكانه اسم صاحب مصر ، والذى فعل ذلك بدر بن علي ، أخو دبيس ، وقيل محمود بن الأحزم الخفاجي .

وفيه سار قريش إلى دبيس ، ونزل عليه ، فتكفل بأمره ، وإزالة الوحشة بينه وبين أخيه ، والبساسيرى ، ولبس قريش خلعة آتية من مصر ، أخذ مالا بعث به اليه ، وسار السلطان من عكبرا رابع عشر منه ، بعد أن نهبها العسكر ، وجميع تلك البلاد ، وهرب الرجال والنساء على أقبح صورة .

وفي سابع ذي الحجة ، فتح السلطان تكريت ، وكان لما نزل مقابلها ، راسل عيسى بن خميس ، صاحبها ، وطالبه بمال ، وغلة ، فأذعن لذلك ، فلما عبر الرسول لقبضه ، وكان الغلاء قد عمّ البلاد ، قام أهل تكريت ، وشتموا الرسول ، وقالوا : هذه البلاد للبساسيرى ، فعبر السلطان إليهم من الجانب الشرقي ، فحاربهم ، وصعدها ، ودخل أكثر أهلها إلى القلعة ، وهلك في الزحمة جماعة ، ونهب البلد ، وسبى الحريم وقتل خلق كثير ، واتصل الحصار ، وراسل صاحبها السلطان في الصلح ، وقرر على نفسه ثلاثة آلاف دينار ، وطلب أعلاما سوداء تعلق على القلعة ، ففعل السلطان ، وسار منها على سادس عشرة ، متوجها إلى الموصل ، بعد أن أفرج عن النساء المأخوذات من تكريت ، وردهن إلي أهاليهن ، وكن زيادة على ثلاثة آلاف أمرأة ، وسار الى البوازيج (١) ، وأقام بواسط ينتظر ابراهيم ينال ، والنجدة التي تأتيه من الشرق (٢) ، ونهب أصحابه النواحي ، وجلا أهلها عنها ، وأما أهل الموصل فأجفلوا هاربين ، ولم يبق فيها إلا الضعفاء والفقراء ، وسار البساسيرى ، ومن معه عن الموصل سبعة فراسخ ، وخطب محمد بن الأحزم الخفاجي للمصريين في الكوفة ، والحلة ، والعين (٣) وشفاثا (٤) ، وسوارا (٥) ، والوقف ، وخطب ابن فسانجس لهم بواسط ، وجميع أعمالها ، ولم يبق غير بغداد .

---

(١) : بلد قرب تكريت على فم الزاب الاسفل — معجم البلدان .
(٢) : فى (ب) المشرق .
(٣) : العين بالعراق عين التمر وهي بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة بقربها موضع يقال .
(٤) : له شفاثا — معجم البلدان ياقوت .
(٥) : لم يذكرها ياقوت ولم أقف عليها فى المصادر الجغرافية .

وفيها أقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر ، ومساجد الكرخ ، بالصلاة خير من النوم ، وأزيل ماكانوا يقولونه من حي على خير العمل ، ودخل من أهل باب البصرة قوم ، فأنشدوا الأشعار في مدح الصحابة ، وتقدم رئيس الرؤساء إلى النسوي ، صاحب الشرطة ، بقتل أبي عبدالله بن الحلاب ، شيخ البزازين بباب الطاق ، لما كان يتظاهر به من سب الصحابة ، فقتل ، وصلب على باب دكانه وهرب أبو جعفر الطوسي ، فقيه الشيعة ، ومصنف التفسير ، فنهبت داره ، ولم يحج أحد من العراق .

وكان صاحب حلب ثمال بن صالح بن مرداس ، ووالي دمشق حيدرة بن الحسن بن مفلح (١).

وفيها توفي جعفر بن محمد بن عبد الواحد ، أبو طالب الجعفري ، الشريف الطوسي ، شيخ الصوفية ، وكان سافر إلى البلاد في طلب الحديث ، وسمع بالعراقين وخراسان والشام ، وغيرها وكان زاهدا ، عابدا ، ورعا صدوقا ، ثقة ، قال : قال الشافعي :

صبرا قريبا ماأقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
وصدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا (٢)

وأخرج له القشيري (٣) أبياتا ، وهي :

فكيف وما استدعاني الذكر ساعة ... لغيرك إلا كنت فاتحة الذكر
ولا سنحت لي خطرة نحو حاضر ... ولا غائب إلا وأنت لها المجرى
بفقري بوجدي باغترابي بوحدتي ... بطول البكا مني على فائت العمر
تلاف الذى قد مات منى بنظرة ... أطول بها يوم القيامة في الحشر

---

(١) : لمزيد من التفاصيل أنظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ط دمشق ١٩٨٣ ص١٤٠.

(٢) : لم أجد هذين البيتين في ديوانه .

(٣) : لم أقف له على ترجمة في الرسالة القشيرية ولم أجد هذه الابيات في ثنايا متنها .

علي بن أحمد بن علي ، أبو الحسن المؤدب

من قرية ببلد البصرة ، يقال لها فالة بغا ، أقام بالبصرة مدة ، وسمع الحديث ، وقدم بغداد ، وأقام بها ، وتوفي في ذى القعدة ، ودفن بمقبرة جامع المنصور ، وكان شاعرا فصيحا ، ثقة ، ومن شعره :

لما تبدلت المجالس أوجها ... غير الذى عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الألى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتا سائرا متقدما ... والعين قد شرقت بجمة مائها
أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

وقال :

تصدر للتدريس كل مهوس ... بليد يسمى بالفقيه المدرس
يحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

وكان قد باع الجمهرة لابن دريد ، وندم بعد ذلك ، فقال :

أنست بها عشرين حولا وبعتها ... فقد طال وجدى بعدها وحنيني
وماكان ظنى أننى سأبيعها ... ولو خلدتني فى السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي ... مقالة مكوى الفؤاد حزين
لقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... ذخائر من رب بهن ضنين

****

فاطمة بنت عبد القادر أخت القائم بالله

توفيت فأخرج تابوتها ، ونقل معها الذخيرة ابن القائم ، فصلى الخليفة عليهما في صحن السلام ، وأنزل التابوتان فى الطيار ، ونزل معهما رئيس الرؤساء ، وحملا الى الرصافة ، فدفنا ، وجلس رئيس الرؤساء للعزاء ، فلم يجلس معه أربعون رجلا ، لاشتغال قلوب الناس بالموت ، والوباء ، والغلاء ، والخوف من كل ناحية .

محمد بن أيوب ، أبو طالب ، عميد الرؤساء

ولد سنة سبعين وثلاثمائة ، وكتب للقائم ست عشرة سنة ، وتوفى عن ثمان وسبعين سنة ، وكان فاضلا شجاعا .

محمد بن عبد الواحد بن محمد بن محمد ، أبو الفرج الدارى البغدادى (١)

ولد سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثمانين وثلاثمائة ، سكن دمشق، وكان أحد العلماء ، موصوفا بالفهم، والذكاء ، والفطنة ، والفقه ، والحساب ، وقول الشعر ، سافر عن بغداد ، وسكن الرحبة ، ثم انتقل الى دمشق ، فاستوطنها ، وتوفي بها ليلة الجمعة ، وصلي عليه يوم الجمعة مستهل ذي القعدة ، ودفن بباب الفراديس ، وحضر جنازته خلق عظيم، وكان صدوقا ، وقال : مرضت فعادني أبو حامد الاسفرائيني (٢) ، فقلت :

مرضت فارتحت الى عابد (٣) فعادني العالم في واحد
ذاك الامام ابن أبي طاهر أحمد ذو الفضل أبو حامد

وقال : أغراض قلبي غدت مفرقة فاجتمعت في الحبيب أغراضي
لابد منه ومن هواه ولو قرضني سيدي بمقراض
توده مهجتي فان تلفت توده التراب أبعاضي

---

(١) : في ب الدارمي .
(٢) : احمد بن محمد الفقيه الإمام الاسفرائينى أقام ببغداد ودرس الفقه وانتهت اليه الرئاسة فى مذهب الشافعي . معجم البلدان . مادة إسفرائين .
انظر ترجمته فى طبقات الشافعية الكبرى للامام تاج الدين السبكى ط. بيروت دار المعرفة جز٣ ص : ٢٤ـ٣١ .
(٣) : عائد من (ب)

هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال — أبو الحسن الكاتب الصابي

صاحب التاريخ ، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وجده (١) إبراهيم صاحب الرسائل ، وكان أبو المحسن صابئا ، فأما هو فأسلم متأخرا ، وكان يطلب الأدب ، وسبب اسلامه ، قال : رأيت في المنام سنة تسع وخمسين وثلاثمائة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاء إلى الموضع الذى أنا فيه ، والزمان شتاء ، والبرد شديد ، فأقامني ، فأرعدت حين رأيته ، فقال : لا ترع فأني رسول الله ، وحطني إلى بالوعة في الدار ، عليها دورق خزف ، فيه ماء ، فقال : توضأ ، فتوضأت وضوء الصلاة ، وكان الماء في الدورق جامدا (٢) ، فكسرته ، ثم قام فصلى بي وجذبني إلى جانبه ، وقرأ اذا جاء نصر الله والفتح وركع ، وأنا أفعل مثل فعله ، وقام ثانيا ، وقرأ الحمد لله وسورة ، ثم سلم وأقبل علي ، وقال : أنت رجل عاقل محصل ، والله يريد بك خيرا ، فلم تدع الاسلام الذى قامت عليه الدلائل والبراهين ، وتقيم على ما أنت عليه ، هات يدك ، وصافحني ، فأعطيته يدي ، فقال : قل (٣) : أسلمت لله وجهي ، وأشهد أن لا اله إلا الله الواحد الصمد الذى لم يكن له صاحبة ولا ولد ، وأنك يامحمد رسول الله إلى عباده ، بالبينات والهدى فقلت ذلك ، ونهض ونهضت معه ، فرأيت نفسي قائما على الصفة ، فصحت صياح الإنزعاج والارتياع ، فانتبه أهلي ، وسمع أبي ، وجاءوا فقصصت عليهم القصة ، فوجموا ، إلا أبي فانه تبسم ، وقال : ارجع الى فراشك ، فالحديث يكون عند الصباح ، وتأملنا الدورق فاذا الجمد الذى فيه متشعب لكسر (٤) ، وتقدم والدى إلى الجماعة بكتمان ماجرى ، وقال : هذا منام صحيح وبشرى محمودة ، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأة ، والانتقال من شريعة الى شريعة يحتاج الى مقدمة وأهبة ، ولكن اعتقد ماوصيت به ، فإنني معتقد مثله ، وتصرف في دعائك وصلاتك على أحكامه .

---

(١) : نشر المرحوم الأمير شكيب أرسلان المختار من رسائله وأعيد طبعها في بيروت دار النهضة الحديثة .

(٢) : في الأصل جامعا والتقويم من (ب).

(٣) : في الأصل قلت والتقويم من (ب).

(٤) : في (ب) بالكسر.

ثم شاع الحديث ، ومضت مدة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا على دجلة ، في مشرعة باب البستان ، فتقدمت إليه ، وقبلت يده ، فقال مافعلت شيئا مما وافقتني عليه ، وقررته معي ، فقلت : بلى يارسول الله ، تصرفت في صلاتي ودعائي على موجبه ، فقال : لا ، وأظن أنه بقيت في نفسك شبهة ، تعال ، وحملني إلى باب المسجد الذي في المشرعة ، وعليه رجل خراساني نائم على قفاه ، وجوفه كالغرارة المحشوة من الإستسقاء ، ويداه وقدماه منتفخان ، فأمر يده على بطنه ، وقرأ عليه ، فقام الرجل صحيحا معافى ، فقلت : صلى الله عليك يا رسول الله ، وانتبهت ، ثم رأيته في سنة ثلاث وأربعمائة في بعض الليالي راكبا ، على باب خيمة أنا فيها نائمة فوقف وانحنى على سرجه حتى أراني وجهه ، فقمت اليه ، وقبلت ركابه ، ونزل ، فطرحت له مخدة فجلس ، وقال : ياهذا كم آمرك بما فيه الخير لك ، وأنت تتوقف عنه ، فقلت : يامولاى ما أنا متصرف عليه ، قال : بلى ولكن لا يغني الباطن الجميل مع الظاهر القبيح ، وإن كنت تراعي أمرا ، فمراعاتك الله أولى ، قم الان وافعل مايجب ، ولا تخالف فقلت : السمع والطاعة ، فانتبهت فدخلت الحمام ، وجئت إلى المشهد فصليت فيه ، وزال الشك عني ، فبعث إلي فخر الملك ، فقال : مالذى بلغني عنك ، فقلت : هذا أمر كنت أعتقده وأكتمه ، حتى رأيت البارحة كذا وكذا ، فقال : قد كان أصحابي يحدثونني أنك تصلي صلاتنا ، وتدعو دعاءنا ، وحمل إلي دست ثياب ، ومائتي دينار، فرددتها وقلت : ما أحب أن أخلط بفعلي شيئا من الدنيا ، فاستحسن ذلك وهو يقول له : تقول لهذا المسلم القادم : نويت أن تكتب مصحفا فاكتبه ، فبه يتم اسلامك •

وحدثتني امرأة تزوجتها بعد اسلامي ، قالت : لما اتصلت به ، قيل لي إنك على دينك الأول ، فعزمت على فراقك ، فرأيت في المنام رجلا قيل إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه جماعة قيل هم الصحابة ، ورجل معه سيفان قيل إنه علي بن أبي طالب — رضى الله عنه ، وكأنك قد دخلت فنزع علي رضي الله عنه أحد السيفين ، فقلدك إياه ، وقال : هاهنا ، هاهنا ، وصافحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع علي رضوان الله عليه رأسه إلي ، وأنا مطلعة (١) من الغرفة فقال : ماترين إلى هذا ، هو أكرم عند الله ، وعند رسوله منك ، ومن كثير من الناس ، وماجئناك إلا لنعرفك موضعه ، ونعلمك أننا زوجناك به تزويجا صحيحا ، فقري عينا ، وطيبي نفسا ، فلا ترين إلا خيرا ، قالت : فانتبهت وقد زال عني كل شك وشبهة •

---

(١) : في (ب) طالعة•

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في المرة الثالثة : وتحقيق رؤياك إياي أن زوجتك حامل بغلام ، فاذا وضعته فسمه محمدا ، فكان كما قال ، ولد له ذكر فسماه محمدا ، وكناه أبا الحسن ، وهو صاحب التاريخ أيضا ، وكان هلال من كبار العلماء الأدباء ، وله التاريخ الذى ذيله على تاريخ ثابت بن سنان ، وبدأ به من سنة إحدى وستين وثلاثمائة الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

وكانت وفاة هلال في رمضان ببغداد ، وكان قد سمع قبل أن يسلم جماعة من النحاة ، وتأدب بهم (١) ، منهم أبو علي الفارسي ، وعلي بن عيسى الرماني ، وغيرهما ، وقد ذكره ولده غرس النعمة في تاريخه ، فقال في خطبة الكتاب وبعد ، فكان والدى أوصى إليّ لما أحس بقدوم الوفاة ، ويئس من أيام الحياة ، ولمعت له لوامع المنية ، وقرعت سمعه قوارع البلية ، رغبة في زيادة الذكر ، ونمائه وانتشاره وبقائه ، بصلة كتاب التاريخ الذي ألفه إلى آخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، تأليفا يعجز عنه من يروم مثله ، ويفتضح فيه من يتعاطى فضله ، إذ هو السحر الحلال ، والعذب الزلال ، والصادر عن أوحد دهره ، وفريد عصره من شرع فيه ، وقد أتت عليه سنة جرب فيها الأمور ومارسها ، وخبرها ولابسها ، وأنا عار من جميع صفاته وخال من سائر سماته .

وابن اللبون اذا مالز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

لكن قوله مستمع ، ومرسومه متبع وأمره مطاع ، ورأيه غير مضاع .

ثم إنه قال : في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وفي يوم الأربعاء سادس عشر رمضان ، توفي والدى ، الرئيس أبو الحسن ، هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال ، ومولده يوم الأحد ، النصف من شوال ، سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، فانتقض السودد بمصابه ، وانثلم الفضل بذهابه ، فهو كما قيل :

لا أم للموت كم يبلي بجدته في كل يوم حكيما ماله خلف
أصاب قصدا هلالا في تكامله وبحر منطقه ماليس يغترف
لم يتله الدهر مادامت بدائعه تطوى على جمعها الأخبار والصحف

---

(١) : في ب عليهم .

وأنشـــــــد :

مات البديع وغارت درة الفطن   واستدرج الموت بحر الفضل في كفـن
لله در المنايا ماصنعن بــه   وماتضمنت الأكفان مـن بـــدن

قوله : لله در المنايا ، فيه نظر ، لأن لفظة " در " انما تستعمل في استحســـان الأفعال ، وقد كان هلال من الفصحاء ، قال يمدح رجلا : هو خارج من منبع الصفاء والج في مربع الوفا ، وقال :فلان معلم الرباء مفعم للرباء حاضر الدعوى ، غائـــب العدوى ، حلت عنده الحبا ، لما حلت عنده الهنا (١) ، وقال : والله يجعل أبكـــار عرائسه مقبولة المجتلى ، وثمار غرائسه معسولة المجتنى ، وقال : امتناع اللقا يحـــل عقـد الإخا ، ويحيل عهد الوفا ، وقال : .أن واحد من أوليائك ، وان كنت واحد في ولائك ، وقال : تولاه الله فيما ولاه ، ووالى إليه جميل ما أولاه ، وقال : دوامـــا لا انفصام لعراه ، ولا انفصال لعلاه (٢) ، وقال : وليس شكرى إياك عن بر أسسته لما أسديته ، وعرف واليته لما أوليته ، ولا لمهجة حويتها (٣) أحييتها وحشاشة ملكتها لمـا تداركتها ، بل لأجل الحرمة التي تمكنت فتملكت ، والثقة التى استحكمت فتحكمـــــت ، وقال : فلان روضة (٤) الدهر وزهرته ، ومراد الطرف ونزهته ، وخلسة العيـــش وبهرته ، وأريجية السرور وهزته ، وقال : ذو العلم المشهور ، والعلم المنشـــور ، وقال : في دولة موذنة بالمقام والاستقرار ، ضامنة للدوام والاستمرار ، وقـــــال : هو لأسباب المعالي حائز ، ولغايات المساعي جائز ، وقال : اقتدى بالخلفاء فيمـــا حكوه من ذلك المثال ، أو حاكوه على ذلك المنوال ، وقال : صفحة مجلوة ، وصحيفـــة معلوة ، وقال : الحمد لله الذى أعطى الانسان بفضله النطق مزية السبق ، وجعـــل له من العقل الصحيح ، واللسان الفصيح مبينا على نفسه ، ومخبرا عما وراء شخصـــه ، فاضحا بذلك ، قويا على استنباط واستخراج المستنبطات ، وقال يذم رجلا لايندى لـــه وجه : جبار لايندى بالاستجداء (٥) ، وقال : ذلك ماجنيته على نفسك ، وجنيتـــه من غرسك ، وقال : (٦) طلتهم النحوس كلما لقيتهم الجيــوش .

---

(١) : في (ب) الدها .
(٢) : زيدت وقال من (ب)
(٣) : زيدت ما أحييتها من (ب)
(٤) : في الاصل الزهر والتقويم من (ب) .
(٥) : في ب : يذم رجلا لايبدو له وجه جبار ، لايندى منه كف حياء ، وقال : عدل عن التجبر والاستعلاء الى التحيز والاستجداء .
(٦) : في ب علقتهم النحوس فعقلتهم الجيوش .

((السنة التاسعة والأربعون والأربعمائة))

في المحرم استعفى ابن النسوي من ولاية الشرطة ببغداد ، لاستيلاء العيارين (١) واللصوص عليها ، بحيث أقيم تحت تاج الخليفة من يحفظ الزبازب والطيار الذى للخليفة من الحريق ؟

وفيه فتحت واسط، وهرب ابن فسانجس، وابن يانس، في ثالث عشر، وأقيمت الدعوة للقائم •

وفي العشر الآخر منه ، اشتد الغلاء ببغداد ، فبيعت العقارات بالرغفان ، وأكلت الميتات والكلاب والقطاط، قال غرس النعمة : لقد شاهدت امرأة بنهر معلى ، ومعها فخذ كلب ميت ، قد اخضر وجاف ، وهي تأكله ، ورأيت امرأة رمت من سطح طائرا ميتا ، فاجتمع عليه خمسة أنفس، واقتسموه وأكلوه ، وخرب البلد والسواد جميعه خرابا دارسا، ونقضت الدور السلطانية وغيرها ، وسدت أبواب كثيرة مات أهلها ، وكان الإنسان يمشي ببغداد في الجانبين ، فلا يرى إلا الواحد بعد الواحد •

وفي المحرم مات خميس بن ثعلب ، صاحب تكريت ، وقتلت زوجته أميرة بنت غريب ، أخاه أبا الغشام عيسى ، وكان معتقلا في القلعة ، فخافت منه أن يستولى عليها وعلى القلعة ، وانتمت لدبيس ، وقيل إن دبيسا أمرها بقتله ، وأصعدت الى الموصل ، فنزلت على دبيس ، وكان قريش قد خطبها وأرغبها ، فمالت الى دبيس، ووقع بين دبيس وقريش لأجلها ، وخطبت للبساسيري ، ونزعت طاعة قريش ، فلما أصعدت إلى الموصل بعث إليها قريش فأطاعته •

وفيه قبض عميد العراق على صندك ، خادم الخليفة ، فقامت عليه القيامة ، وكتب إلى رئيس الرؤساء رقعة طويلة بخطه يقول فيها : قد عرفت ماكان الانقباض واقعا منه عند النص على استخدام أحمد بن علي — يعني العميد — على الباب العزيز — فان أسباب الكراهة لذلك كانت بادية ، ثم ظن أن ماسوفه من اللفظ العالى الشاهي المعظم، يوم الوداع كاف لملوك الأرض ، فضلا عنه ، وذكر أفعال العميد ، وماعامل به أمراء الأطراف ، وقال : ومن العناء رياضة الهرم ، فأطلق الخادم ، واعتذر بأنه لم يعلم أنه من خدم الخاصة •

---

(١) : لفتت ظاهرة العيارين انتباه الكتاب في عصرنا وأفضل الدراسات عنهم كتاب حكايات الشطار والعيارين في التراث العربى للدكتور محمد رجب النجار منشورات عالم المعرفة الكويت ١٩٨١٠

وفى هذا الوقت أسر أبــو الغنائم بن فسانجس وسببه : أن أبا الفضل الهمذانى عميد العراق ، خرج من بغداد ، في جماعة من الجند ، والعرب والعجم لاعتراض ابــن فسانجس ، فى إصعاده من واسط ، فصادفوه يوم الثلاثاء رابع عشر صفر ، وهو فى جمع كثير من الغلمات الواسطية ، والديلم ، وبني خفاجة ، ورجالة ، وكان الهمذاني في بواسيــر ، فلما رآه العميد رمى بنفسه ، ومن معه عليهم ، فهزمهم وقتلهم واخذ ابن فسانجس أسيرا ، وأخاه ، وأهله ، وكتب إلى بغداد على جناح طائر ، فضربت البشائر ، وحمل الى بغداد يوم الأحــد تاسع عشر صفر ، على جمل ، وعليه قميص أحمر ، وطرطور أحمر بودع ، وأخذ مــن رحله دراهم ، عليها اسم صاحب مصر ، فعلق بعضها فــي عصابة على جبينه ، وطيــف به بغداد من الجانبين ، وصعد الخليفة ورئيس الرؤساء الى المنظرة بباب الحلبــة ، حتى شاهداه ، ووراءه إنسان يضربه وينادى : هذا جزاء من كفر النعمة ، وأساء الى من أحسن إليه ، فلما بلغ النجمى حط ، وقد نصبت له خشبة ، فصلب عليها ، وشــدت رجلاه في رأسه ، وقطع رأسه ورميت جثته الى الكلاب ، فأكلتها ، وبعث العميد رأسه الى السلطان مع المنجوق الذى له ، وعليه اسم صاحب مصر ، فأمر السلطان بأن يعلــق رأسه على المنجوق ، ويطاف به في العسكر .

وفي صفر كبست دار أبي جعفر الطوسي ، فقيه الشيعة بالكرخ ، وأخذ ماكــان فيها من الكتب وغيرها ، وكرسي كان يجلس للكلام عليه ، ومناجيق بيض ، كان الزوار مــن أهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة المشهدين ، فأحرق الجميع فــي سوق الكرخ .

وكان ببغداد الزهيرى ، وابن البدن ، وكانا فاتكين ، فجرى منهما في هــذا اليوم على أهل الكرخ من السب والشتم شيء عظيم ، وقالا : أنتم أعداء الخليفة ، ولــم تستعملوا مع ابن فسانجس قبيحا في قول ولا فعل لما شهروه فى محالكم ، وأطلق رئيس الرؤساء لسانه في الشيعة ، وتهددهم بالقتل والصلب .

وفي ربيع الأول عقد السلطان جسرا على الزاب الأول وعبر الى قلعة كشاف (١) وكانت لمجلي بن ذرع ، ففتحها وأخذ منها غلات كثيرة ، وأصنافا مختلفة ، وكان قــد ضاقت به الميرة .

---

(١) : ذكرها ياقوت في معجمه وقال موضع قريب من زاب الموصل .

وفي مستهل ربيع الآخر قصد الزهيري ، وابن الهدن ، وجماعة من أهل باب البصرة والحربية ، ونهر طابق ، ودرب الشعير والقلائين ، مشهد موسى بن جعفر ، ومعهم النوائح فيه بقصائد ، في حريق المشهد ، وتسنموا قبور المشهد ، وفعلوا كل قبيح ، وانتقل العلويون منه ، ولم يبق فيه الا القليل ، فمن القصائد :

ياموقد النار (١) بالمشهد	بورك في كفيك من موقد
طهرت أرضا كل سكانها	مابين زنديق الى ملحد
لا حافظ الذكر فيهم	ولا مقدس يركع في مسجد
من كل يدعي له مذهب	متخذ للرفض بالمسند
لا تابع للدين فيهم ولا	معتقد للبعث من مرقد
بل يظنون وويل لهم	أن المنايا آخر المورد
وأنهم مثل حشيش ذوى	بعد اخضرار ليس بالعود
فهل بهذا أحد راض	كلا ورب الحجر الأسود
فلا سقاهم أبدا وابل	من بارق يلمع أو مزعد
ولارعى من عهدهم ذمة	في ولد يولد أو والد

ومن أخرى :

سل دارسات الطلول	كم بينها من قتيل
واربع على عرصات	بين النقا والدخول
قتيل القباب العوالي	بالمشهد المخذول
وللعيون اللواتي	تجرى بهول الوعول
من كل زنديق كفر	عن كل حق عدول
يامشهد يشهد الكفـ ـ ـ ـ ـر	في ليالي القبول
تجول فيه البغايا	على ذكور الفحول
يمازحون البلايا	بسب صحب الرسول
جهل الروافض أهون	بالرفض من شرجيل

---

(١) : في (ب) " النيران ".

وفي ثامن ربيع الآخر عاد الزهيري ، وابن البدن ، والجماعة المقدم ذكرهم إلى المشهد ، وتسنموا ضريح موسى بن جعفر والجواد ، وجميع القبور ، وصعد على ضريح الامام رجل ، وقال : ياموسى بن جعفر إن كنت تحب أبا بكر وعمر ، فرحمك الله ، وان كنت تبغضهما ، وذكر اللعنة ، وصعد آخر ، يعرف بابن فهد ، فركض عليه ، فيقال له إنه انتفخت قدماه ، وعالجها الطبيب وبطهما ، وأخذ الزهيري طاسة فضة كانت عند رأس الإمام يطرح فيها الخلوق (١) ، وقال : هذه يثرد فيها ، وأنت ياموسى ممن يدعي الروافض أنك تسمع الكلام وترد الجواب ، وماقدرت على منعي مما فعلت ، وصارت الجماعة في كل سبت يقصدون المكان ومعهم النوائح ، فينوحون ويلعنون الشيعة ، وكذا في جميع مشاهد الشيعة ، وكانوا يدخلون الكرخ فينهبون ويقولون : أسلموا ياكفار ، وفتح في المشهد باب الى الحربية ، وجعل طريقا للسابلة ، وكل هذا بتقدم رئيس الرؤساء .

وجاء كتاب سيف الدولة إبراهيم ينال ، إلى أخيه السلطان ، يتعلل ، ويتسوفه فغاظ ذلك السلطان ، وكان ينال مقيما بطوس (٢) ، ووصل داود ابن أخي السلطان ، بنية غزاة الروم ، وكان معه خلق كثير ، فتعوض به عن إبراهيم ينال ، وسار السلطان إلى الموصل ، واندفع البساسيري عنها مقدار عشرة فراسخ ، ونزل السلطان تل توبة (٣) ، وهرب أهل الموصل ، وعبر السلطان إليها يوم الثلاثاء رابع الشهر ، فنزل دار الإمارة ، ونزل أصحابه دور الناس ، وكانت قد خلت منهم ، وكتب السلطان إلى الخليفة يخبره بنزوله الموصل ، وسار منها فنزل الدكة ، والبساسيري ، ومن معه بنينوى وبينهم عشرة فراسخ ، وأقطع السلطان الموصل لهزارسب ، وطالبه العسكر بنهبها ، فقال : هذا بلد قد أقطعناه لهزارسب ، وقد خدمنا ، ونحن محتاجون إلى الاقامات والعلوفات ، فقالوا : إما تأذن لنا في نهبه ، وإلا انصرفنا ، وسأله هزارسب في حريم المسلمين وأموالهم ، فقال : قد دافعت عنهم وما أطقت ، ولابد لهم من إقامة أو عطاء ، ومامعي مال ، فتمضي الليلة وتخرج من في البلد الى معسكرك ، ليحرزوا نفوسهم ، فأرسل إلى أهل البلد وأخبرهم فارتاعوا ، وخرج من قدر منهم ، وأصبح العسكر ، فدخلوا البلد فما أمسى إلا وهو خراب دارس ، وحمى هزارسب النساء والرجال ، وفرق فيهم مالا وأعادهم الى البلد .

---

(١) : طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة . النهاية لابن الاثير .

(٢) : هى مدينة مشهد الحالية فى إيران

(٣) : موضع مقابل مدينة الموصل فى شرقى دجلة متصل بنينوى معجم البلدان .

ذكر ماجرى بين عسكر السلطان والعرب (١)

لما طالت المدة فى المقام ضجر كل واحد من الفريقين ، فقال هزارسب للسلطان وكان عنده فى المنزلة العالية يستشيره فى أموره فى المصلحة ، أسير وأشرف على حلل العرب ، فإما أن تنتج صلحا ، أو تثير حربا (٢) ، فقد طال المقام وإلى أجرد معي ألف غلام ممن أختار ، فقال له السلطان : ألف غلام لا يكفونك فخذ ثلاثة آلاف ، فقال : في ألف كفاية وفي الزيادة عليهم تعب ، وإنما أسرى جريدة ، فقال : افعل ، وسار وأقام الكمناء ، فوافق العرب راحلين إلى برقعيد (٣) ، فلما رأوا طلائعه ، لم يشكوا أنه السلطان بنفسه ، فانهزموا ، وتبعهم أسرا وقتلا ، وأخذ محمد بن منصور أسيرا ، وعاد فجلس السلطان على كرسي ، وأحضر منهم جماعة ورماهم تحت أرجل الفيلة ، وفيهم غلام أمرد وضيء الوجه ، فامتنع الفيل من قتله ، فعفا عنه السلطان ، ولما جرت هذه الواقعة ، جاءت رسل قريش ، ودبيس إلى السلطان يسألان العفو ، والصفح ، ويدخلان في الطاعة ، ويقولان إن البساسيري حكمه حكمنا ، ويدخل فيما دخلنا فيه ، ويؤدي في كل سنة ماجرت به العادة ، ويخطب للدولة العباسية ، ونعود إلى ماكنا عليه ، فقال السلطان : إننا لكما مؤثرون ، ولما جرى منكما مسامحون ، ونحب أن تنفذا من تثقا به ليتوثق منا ، ويسمع لفظنا لتسكن نفوسكما إلينا ، وتطأ بساطنا ، ونفيض الإنعام عليكما ، وأما البساسيري فالعفو فيه راجع إلى أمير المؤمنين ، فان عفا عفونا ، وسلمنا إليه من الأعمال مايختار ، فقد بلغنا من شهامته ، مايقتضي الاهتمام بمراعاته ، وانصرف الرسل ، ثم عادوا بالشكر ، وسألوا إنفاذ ابن ورّام ، ليقرر ذلك ، وذكروا أن البساسيري ، لما عرف ذلك ، رحل إلى الرحبة ، ومعه الغلمان البغدادية ، ومن تبعه من بني شيبان ، والأكراد ، ومقبل وجماعة ، ومضى خائفا ، وقد ثقل عليه حديث الصلح .

وفي رواية ، أن سبب هذه الرسالة من السلطان ، أن محمد بن منصور، لما أسره قال لهزارسب قد أنعم علي السلطان ببقاء نفسي ، وأنا والله أشير عليه، بما أنصحه فيه ، وأجلب به الخير لبني عمي وعشيرتي ، والناس أجمعين ، وقد خربت بلاد العراق، وضاعت الأموال ، وهلكت الدنيا التى يقع عليها القتال ، والمصلحة أن يأمرني أن أدخل

---

(١) : سقطت عسكر من (ب).
(٢) : في ب صلح أو تثور حرب .
(٣) : بليدة فى طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين معجم البلدان .

بينه وبين العرب ، وأرد الجميع إلى طاعته وخدمته ، ويقرر مافي أيديهم على ماكانوا عليه من ملوك العرب فلو أمنوا معرة هذا الجيش ، ماعصوا ، وتحقن هذه الدماء ، وتكون أنت الواسطة ، فعرف هزارسب السلطان ، فقال : مصلحة أطلقه وابعثه رسولا إليهم : فقال محمد : بل أبقى هاهنا وأراسلهم ، فبعث إليهم بعض العرب ، وبين لهم وجه الصواب ، فأجابوا ، ولما عرف البساسيري رحل عن الحلل مغاضبا لقريش ، ودبيس ، فنزل على فرسخ منهم ، فركبا إليه وعاتباه (١) ، وقالا : قد خربت بلادنا ، وقتل رجالنا ، وسبي حريمنا بسببك ، والحرب سجال ، ولا ندرى مايكون ، وهذا السلطان معه أمم ، لا طاقة لنا بهم ، وما راسلناه حتى اقترحنا عليه أن تكون البصرة لك ، وحكمك حكمنا في صلحنا ، والا فقد خربت ديارنا ، فقال : لست لما يبذل لكم متحققا ، وما غرضه إلا تبديد جمعنا ، وإنها حيلة علينا وسخرية بنا ، وبعد فأنا صاحب لسلطان بعيد عني ، ولست مالكا لأمري ، ولابد من مطالعته ، وأستدعاء (٢) اذنه فيما أفعل ، وأغلظ لهم ، فانصرفوا ، وعاد رسولهم ابن ورام وقرر ما أرادوه ، فأفرج السلطان عن محمد بن منصور والجماعة المأسورين ، واستقر الأمر على مسير هزارسب إليهم ، لاستحلافهم وإحضارهم الى الخدمة ، وقال : أنا رهينة عندكم ، فان رأيتم ماتحبون وإلا فنفسي لأولادكم وأهليكم ، فقالوا : نحن له طائعون ، واذا رد علينا بلادنا ، وانحدر إلى العراق ، نطأ بساطه بين يدي العتبة الشريفة ، ويكون الخليفة هو المتوثق لنا منه ، فقال هزارسب : إذا كنتم لهذا الأمر كارهين ، فأنا أضمن عنه الإجابة الى ما سألتم ، فانتدبوا سبعين فارسا من أعيانهم ووجوه القبائل ، وساروا مع هزارسب ، وابن ورام ، فركب عميد الملك لاستقبالهم ، وأنزلهم هزارسب في خيمته ، وبعث السلطان خيمة كبيرة ، ينزلونها إكراما لهم وتشريفا ، وجاء غلمان من الترك في الليل ، فضربوا خيل العرب بالنشاب ، فقتلوا منها أربعة أفراس لها قيمة ، وبلغ السلطان ، فأنكر ذلك ، واعتقل الغلمان ، وحضر القوم من الغد عند السلطان ، فأكرمهم ، واعتذروا اليه ، فقبل عذرهم ، وخاطبهم بالجميل ، والصفح ، وأنه موثر لخدمتهم ، مختار لقربهم ، وتوثقوا منه ، وطابت قلوبهم ، وتقدم بكتب أعمالهم لهم ، وزادهم في إقطاعاتهم (٣) ، وخلع على أبي الفتح بن ورام ، وأعيان القوم ، وعادوا طائعين ، ولما رأى العسكر الصلح قد تم ، سألوا السلطان نهب بلاد ابن مروان ، وقالوا :

---

(١) : في الاصل وعاياه والتقويم من (ب).
(٢) : في الاصل واستدعى والتقويم من (ب).
(٣) : من (ب) وزاد في اقطاعهم .

قد خرج عن الطاعة ، وساعد البساسيري ، فأذن لهم ، فشفعت الجماعة الذين حضروا فيه ، وقالوا : قد أخطأ مثل ما أخطأنا ، وقد وقع العفو عنا ، فكذا هو ، فقال السلطان : لا أدري هل هو مقيم على طغيانه ، أو رجع الى الطاعة ؟ فقالوا : نحن نسير اليه ، وننظر مايكون منه ، ثم ساروا نصف جمادى الآخرة ، وسار السلطان ثامن عشر ، فنزل على ظاهر بلد ، واتفق ان أبا الفضيل ناصر بن اسمعيل العلوى ، كان قد انفذه السلطان لما قدم بغداد ، إلى ملك الروم في المهادنة ، فجعل طريقه في رجوعه على ابن مروان (١) ، ومعه رسول ملك الروم بهدايا كثيرة ، فلما (٢) اجتمع بهما ابن مروان ، أنزلهما وأكرمهما ، وقال : أقيما عندي فإن الطريق مخوف ، والعرب قد انتشرت في الجزيرة ، وأخاف عليكما ، فأقاما ، وبعث اليه البساسيري ، وقريش ، ودبيس يطلبون النجدة ، فأنجدهم ، ووقع للعلوى أنما احتبسهما انتظارا لما يكون من السلطان مع العرب ، فإن كانت لهم عليه ، أخذ ما معهما ، وفاز به ، فكتب العلوى إلى السلطان يعرفه ذلك ، فوقر في صدر السلطان ، ولما وقع الصلح ، وتفرق العرب ، وانفصل البساسيري عنهم ، أرسل ابن مروان خادما إلى خاتون زوجة السلطان ، واستجار بها ، وأهدى اليها هدية ، وقال : إنما فعلت مافعلت خوفا على بلادي ، وأما احتباس الرسولين ، فانما شفقة عليهما ، وأنا شيخ قد نيفت على السبعين وماقصدي إلا حفظ هذه الثغور من النهب والخراب ، فأعادت خاتون على السلطان ما قال ، وسألته فيه ، فقال : قد تيقنت احتباسه للرسولين ، طمعا فيما كان معهما ، ومعاونته لأعدائنا ، وتربصه الدوائر بنا ، وهذا ذنب لا يغفر ، وكان الأمير ياقوتي بن داود نسيب السلطان ، قد أغار على بلاده ، وسبى ، ولما كان رسول الروم بميافارقين ، كتب إلى خاتون كتابا عنوانه : عبد مولاتنا الملكة الجليلة ، والخاتون الكريمة ، البطريق غلام الملك القديس المتفرد بممالك الروم ، وذكر فيه أن الأمير ياقوتي بن داود ، قد شن الغارات ، ونهب الأعمال الملكية ، وأتى عليها بالكلية ، ولولا تعويل الملك القديس صاحبي ، على مابينه وبين الحضرة السلطانية ، من العهود والمواثيق ، لكانت عساكره خرجت إلى الأطراف ، وأمرها لهم بالإنصراف عنها ، وذكر كلاما طويلا ، وأما العرب فتفرقوا في البادية ، وسار بعضهم إلى البساسيري ، وبعضهم الى الجزيرة *

---

(١) : هو نصر الدولة حاكم الدولة المروانية في ميافارقين (ت ١٠٦١/٤٥٣) تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

(٢) : في ب ولما .

وفي جمادى الآخرة ، ورد كتاب من بخارى ، أنه وقع عندهم وباء لم يعهد مثله ، ولا سمع به ، حتى أنه خرج من هذا الاقليم في يوم واحد ثمانية عشر الف جنازة ، وحصر من مات منه ، فكانوا ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألفا ، إلى تاريخ الكتاب ، ومن بقي من الناس يمرون في هذه البلاد ، فلا يرون إلا أسواقا خالية ، وأبوابا مغلقة ، وتعدى الوباء إلى أذربيجان ، ثم الى الأهواز والبصرة ، وواسط وتلك الأعمال ، حتى كانت تحفر الحفرة فيلقى فيها عشرون وثلاثون من الناس وسببه قلة القوت والجوع ، ومن مات قريبا من دجلة ، سحبوا برجله وألقوه فيها ، وكان الضعفاء ينبشون الموتى ، ويشوونهم ويأكلونهم ، وكان لرجل أرض يسأل في بيعها عشرة دنانير (١) ، فلم يفعل ، فباعها بخمسة أرطال خبز ، فأكلها ، ومات من وقته .

ووصل إلى بغداد نسخة كتاب (٢) من سمرقند إلى بلخ مضمونه أنه يدفن كل يوم من صالحي المسلمين خمسة آلاف ، وستة آلاف ، وأكثر ، وغلقت الأسواق ، واشتغل الناس ليلا ونهارا بدفن موتاهم ، وغسلهم ، وتكفينهم ، وكل دار يدخلها الموت يأتي على الجميع ، وكان المريض ينشق قلبه من دم المهجة ، فيخرج من فمه منه قطرة فيموت ، أو دودة لا يدري ماهي ، فيموت ، وغلق في (٣) البلد من دور المقدمين وأعيانهم أكثر من ألفي دار ، ولم يبق فيها صغير ولا كبير ولا وارث ، وتاب الناس ، وتصدقوا بمعظم أموالهم ، وأراقوا الخمور ، وكسروا المعازف ، ولزموا المساجد ، وقراءة القرآن ، والنساء في البيوت يفعلن كذلك ، وكل دار فيها خمر يموت أهلها في ليلة واحدة ، ومن كانت معه امرأة حرام ، ماتا معا ، ومات (٤) قيم مسجد وله خمسون ألف درهم ، فلم يقبلها أحد ، ووضعت في المسجد تسعة أيام (٥) بحالها ، فدخل أربع أنفس من الخليج ليلا ، فأخذوها فماتوا عليها ، وكل من أوصى إلى إنسان مات الوصي قبل الموصي ، وكل مسلمين كان بينهما هجران ، فلم يصطلحا ماتا ، وكان عند الفقيه عبد الجبار بن أحمد سبعمائة فقيه ، فمات عبد الجبار والفقهاء بأسرهم ، وكان في دار رجل من الأغنياء من الأولاد والأهل والغلمان مايوفي على الخمسين ، فماتوا كلهم في ثلاثة أيام ، وخلفوا

---

(١) : في الاصل بعشرة والتقويم من (ب).
(٢) : في (ب) إلى بغداد كتب من))
(٣) : في الاصل من والتقويم من (ب) .
(٤) : في الأصل " وقام " والتقويم من (ب)
(٥) : في الاصل " نفسه أيام " والتقويم من (ب).

أكثرمن ألفي ألف دينار، ولم يبق منهم إلا طفل صغير، ابن خمس سنين، والمال جميعه في الدار، لا يجسر أحد أن يدخلها، ونزل تركي على مريض من السطح، وعليه لحاف ديباج، فأخذه التركي فمات، ويده في طرف اللحاف، وباقيه على صاحبه.

قال: ودخلنا على مريض، قد طال نزعه سبعة أيام، فأشار باصبعه إلى بيت في الدار، فدخلناه، وإذ بخابية خمر، فقلبناها، فخلصه الله تعالى من الموت، ولا يعلم من مات في أرض المشرق، بل قيل إن سمرقند، من غرة شوال وإلى سلخ ذي القعدة أحصى من خرج من أبوابها من الجنائز، فكانوا مائتي ألف وستة وثلاثين ألفا، وأصل هذا الوباء من تركستان، بلاد الكفار، ثم خرج منها إلى بلاد صغد، وكاشغر، والشاش، وفرغانه (١)، وتلك النواحي، ووصل الى سمرقند في سابع وعشرين رمضان هذه السنة، ولم يعبر النهر (٢)، حتى أن جماعة من أهل بخارى عبروا إلى بلخ، فنزلوا في رباط منها فماتوا جميعهم دون أهل بلخ، وكان الموت فى في الشباب والكهول والصبيان، والنساء من العوام، فأما الملوك، والعساكر والمشايخ والعجائز فلم يمت منهم إلا القليل.

ثم انفجرت فوهة بما وراء النهر، من مكان تجمع (٣) فيه المياه من الأمطار والثلوج، ففرقت الجبال والقلاع والبلاد والضياع، وعامة الناس، فلم يبق إلا القليل.

ورد عميد الملك على دبيس ضياعه، فوجدها خرابا لا اكار (٤) فيها ولا حيوان، فبعث رسولا إلى بعض النواحي ليجمع له الرجال، فلقيه جماعة، فقتلوه وأكلوه.

ووقع حريق ببغداد لم يحترق قبله مثله، قال ابن الصابئ: عبرت إلى الجانب الغربي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة، وقد احترقت قطيعة عيسى، وسوق الطعام والكتبيين وأصحاب السقط، وباب الشعير والعطارين، وسوق العروس، وغير ذلك فرأيت أمرا موحشا يدل على خراب البلد وانقراضه، ورأيت المساكن قد علاها التراب، وعليها دلائل السخط والانتقام، ولم تقع عيني على من عليه ثوب صحيح، ولا نظيف، ورأيت في قطيعة عيسى خمسة أنفس، وبطلت الصلوات في جوامع بغداد، إلا جامع الخليفة.

---

(١) : من مدن بلاد ماوراء النهر ذكرها ياقوت وعرفها بشكل جيد.
(٢) : المقصود به نهر جيحون.
(٣) : في ب تجتمع.
(٤) : أي لا عمال فيها ولا فلاحين.

وفي هذا الشهر ، لما سار طغرلبك الى مرج باغدا من بلد[1] ، وقرب من حلل العرب، أجفلوا منه إلى العين الباردة ، وظفر قوم من العسكر بأعقاب رحالهم ، فنهبوها ، وكتب قريش، وابن مزيد إلى هزارسب : أنت كنت الواسطة بيننا وبين السلطان ، وضمنت لنا انصرافه عن جزيرتنا ، وقد نهبنا قوم من أصحابه ، وبلغنا أن ابراهيم ينال ورد همذان ، سائرا نحونا ، فعرض الكتاب على عميد الملك ، فقال : مانحن إلا على ما بذلناه ، ولا كان مسيرنا لقبح رأي تجدد لنا ، وإنما قصدنا بلاد ابن مروان ، وماأقدر (٢) أن أقول للسلطان إرجع عن بلادك ، ولكن إذا تنجز أمر ابن مروان ، سألته أن يخفف الوطأة عن هذه الديار ، واتفق أن ابن مروان سرح الرسولين ، ومعهما هدية فيها خمسمائة ثوب ديباج ، وخيل وغيرها ، وسأل هزارسب السلطان فيه شفاعة، فامتنع ، ولا قبل له هدية وردها .

وفي هذا الوقت اخذ جاسوس في بغداد ، وعوقب فأقر أنه من الرحبة ، وأن البساسيري على عزم قصد بغداد ، فانزعج الناس ، وجمع عميد العراق أصحابه من البلد ، إلى دار المملكة ، وأصعد إلى سورها الحجارة والنفط ، وعمل الدبابات والعرادات ، والمجانيق ووقع التشاغل بالتحصين، فصارت الدار مثل القلعة ، فبينا هم على هذا ، ورد كتاب من عسكر السلطان يقول : وصل سيف الدولة ابراهيم ينال من همذان في عشرين ألف رجل ، فخرج الناس للقائه ، ولم يتخلف إلا السلطان ، ولما وقعت عينه على عميد الملك ، قال له بالتركية : صالحت بين العرب وبين السلطان (٣) ، وجعلتهم أهلا لذلك ، وإنما يكون الصلح بين النظراء ، ومن هؤلاء الكلاب حتى لا يقلع أصلهم؟ فقال : يا أمير ، قد علمت ما اقتضته الحال فان جموعهم كانت كثيرة ، وكان الصلح الذي التمسوه سببا لتشتتهم فبلغت منهم من غير أن يسفك دم ، والآن فانت نائب السلطان ونحن تبع لك فافعل ما تراه ، وقال له : انزل في خيمتك اليوم ، وأرح واسترح ، وغدا نجتمع بالسلطان ، فنزل وقد مت اليه الهدايا ، وهو يفرقها في الغز الذين على رأسه ، الاعقد جوهر قدمه عميد الملك فتركه في قبائه ، ولما كان من الغد ، دخل على السلطان، فقام له ، ومشى اليه ، وقبل ابراهيم يده ، فأكب السلطان على رقبته ، فقبلها وتحادثا ساعة ، وعاد إلى خيمته ، وأجفلت العرب من العين الباردة .(٤)

---

(١) : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ .
(٢) : في الاصل ((أقدم)) والتصويب من (ب).
(٣) : في الاصل مبين العرب والسلطان والتقويم من (ب).
(٤) : لم يذكرها ياقوت ولم أجدها عند غيره .

وفيها دخل الأمير أبو منصور بن الملك أبي كاليجار، على الوزير هبة الله ابن أحمد النسوي، إلى داره بشيراز، ومعه الديلم، فقتله في دسته، وقتل أصحابه، ونهب ماله وأسبابه، وكان هذا الوزير، جلدا شهما، واسع الصدر، عزوف النفس، وهو كان السبب في تملك هذا القاتل شيراز، ورده إليها، بعد خروجه منها دفعات، وتكفل به وبأخيه أبي سعد، تكفلا أخلص ونصح فيه، ولم يعرف سبب قتله، وسار السلطان إلى الجزيرة، وحاصرها فلاذ أهلها بالعفو، وقرروا على نفوسهم مالا، فقبل منهم، وتقدم بعض العساكر إلى ميافارقين، وقد خرج ابن مروان منها إلى آمد، فنهبوها ودخلوها، وقتلوا وسبوا، وبعث ابن مروان إلى ابراهيم ينال، واستجار به، فوعده أن يشفع فيه إلى السلطان، وصعد عشرون غلاما من الغز إلى دير النصارى في بلد ميافارقين، وفيه أربعمائة راهب، فذبحوا منهم مائة وعشرين، واشترى الباقون نفوسهم بستة مكاكيك ذهبا وفضة.

وفي شعبان نادى عميد الملك لا يبقى غدا أحد الا ويحضر إلى دار المملكة، فلم يتخلف أحد، وشرعوا في تتمة السور الجديد، وعمل فيه القضاة والشهود، والطالبيون والعباسيون والتجار وغيرهم.

وفي شعبان ورد دبيس إلى هيت قاصدا بلاده، متسلما لها، وعاد قريش إلى الرحبة يريد البساسيري، وكان قد قال لدبيس: أنت تنحدر إلى بلادك، وقد خلت من العساكر، فيمكنك المقام بها، وعمارتها، وأما أنا فبلادي خراب، والسلطان فيها، وما أرى من نفسه ما تطيب به نفسي، وأنا قاصد الرحبة وأدبر أمري مع أبي الحارث.

وفي هذا الوقت نظر عميد الملك في المارستان العضدي (١)، وكان قد خلا من دواء وطبيب وشراب، وكان المرضى على وجه الأرض، وعند رأس المريض بصلة يشمها، وعطش أحدهم، فقام بنفسه إلى جب الماء، فوجده حمأة ودودا.

وكان أبو الحسين بن المهتدي، قد رد أمره إلى يهودي، فاستولى عليه، وأكل أوقافه، وبلغ عميد الملك، فصرف العناية إليه، فأول مافعل، انتزع أوقافه من أيدي الطامعين فيه، والمتغلبين عليها، وضمنها بما وفر ارتفاعها توفيرا لم يعهد مثله، وشرع في العمارة، فقال: إن طبق المارستان بخمسة آلاف طابق، وقيل بعشرة آلاف،

---

(١): انظر كتاب تاريخ البيمارستان في الإسلام، للدكتور أحمد عيسى، ط، بيروت ١٩٨١ ص: ١٨٧ـ ١٩٧.

وكان على بابه سوق فيه مائة دكان قد دثرت (١) فأعادها ، وجمع فيه من الأشربة والأدوية ، والعقاقير التي يعز وجودها شيئا كثيرا ، وأقام الفرش واللحف للمرضى ، والأزاليج (٢) الطيبة والأشربة ، والثلج ، والمستخدمين والأطباء ، والفراشين ، فكان فيه ثمانية وعشرون طبيبا ، ونساء طباخات وبوابون وحراس ، والحمام والبستان إلى جانبه ، فيه أنواع الثمار والبقول ، والسفن على بابه تنقل الضعفاء والفقراء ، والأطباء يتناوبونهم بكرة وعشيا ، ويناموون عندهم بالنوبة ، وكان فيه عدة جباب فيها السكر الطبرزد (٣) ، والابلوج (٤) ، واللوز ، والمشمش ، والخشخاش ، وسائر الحبوب ، والأواني (٥) الصيني ، وفيها العقاقير ، وأربع قواصر فيها الاهليلج الأصفر ، والكابلي ، والهندي ، وأربع قواصر تمر هندى ، وزنجبيل ، وعود ، وند ، ومسك ، وعنبر ، والراوند الصيني في الأواني ، والترياق الفاروق ، وجميع العقاقير ، وصناديق فيها ثياب جدد للمرضى ، ومناديل ، وصناديق فيها أكفان ، وقدور كبار وصغار ، وآلات ، وأربعة وعشرون فراشا ، وأشياء ماتوجد في دور الخلفاء والملوك ، وكذا فعل في مارستان باب مجول ، وختن فيه في هذه السنة ثلاثمائة وأحد وثمانون صبيا ، وكان راتب المقيمين فيه ، من المستخدمين في كل يوم ألفا وثمانمائة وسبعين رطلا من الخبز .

وفي هذا الوقت أصعد البساسيري من الرحبة إلى بالس (٦) ، وهي بلد عطية بن الزوقلية صاحب حلب ، وأخذ الرقة من أصحاب ثمال بن صالح بن الزوقلية أمير حلب وردها على منيع بن وثاب ، صاحب حران .

وفي هذا الوقت صالح ابن مروان السلطان ، بعد جهد ومشقة ، على مائة ألف دينار (٧) وسار إلى سنجار ، فصعد أهلها على الأسوار ، وشتموه ، وقالوا : قد غزونا أولا في قتلمش لما هزمه البساسيري ، واليوم نغزو فيكم ، وأخرجوا قلانس الغز ، وجماجمهم ومن قتلوه عام أول على القصب ، وعرف قتلمش السلطان مافعلوا به ، لما انهزم ، فزاد ذلك في حنقه ، وكان أميرها مجلي بن جرجي ، ففتحها السلطان عنوة ، وسبى نساءها وأطفالها ، ونهب أموالها ، وأحرق جامعها ، ونقضت أخشابها ، ودرست

---

(١) : في (ب) كانت قد اندثرت

(٢) : من أنواع الادوية .

(٣) : سكر من المرتبة الثالثة تذكرة الانطاكي : ١٩٥ .

(٤) : الابلوج من انواع السكر الابيض تذكرة الانطاكي ١٩٤ .

(٥) : غير واضحة في الاصلين وهذه أقرب قراءة .

(٦) : هي مسكنة الحالية على الفرات في سورية .

(٧) : أى السلطان .

آثارها ، وقيل ان القتل أتى على أربعة آلاف نفس وأكثر ، وجاف المنزل ، فارتحل السلطان نحو فرسخ ، ثم عاد إلى تل أعفر ، وعزم على أن يلحقها بسنجار ، فراسلوا ابراهيم ينال فسفر لهم عند أخيه ، فقال : أمنتهم على أنهم لا يقيمون بالبلد ، فأجابوه ، فأوقف العسكر صفين، وقال : من تعرض لأحد قتلته ، فخرج الناس بأموالهم ، وذخائرهم ، ونسائهم وأولادهم ، وجاء إلى السلطان رجل فقال : لي ذخيرة في بيتي قدرها ثلاثة آلاف دينار، فابعث معي من يستخرجها ، فبعث معه ، وعاد الرجل بالدنانير إلى السلطان ، فقال له ابراهيم ينال : هذا المال لي : فقال : هذا لصاحبه ، خذه والحق بأهلك ، ورتب أبا علي الخازن بتل أعفر ، وعاد الى الموصل ، وطالبه أخوه ابراهيم باقطاع يتصرف بارتفاعه في اقامته ، فقال : ماأعطيك الا ما تفتحه أنت ، واذا سرت إلى الرحبة ، فهي لك ، فثقل عليه ، وسرح جماعة ممن كان معه إلى خراسان ، لعدم الأقوات ، وتجدد للسلطان رأي في العود إلى بغداد ، فسلم الى ابراهيم ينال الموصل وأعمالها ، وخلع عليه ، وأعطاه عشرين ألف دينار ، وانحدر السلطان إلى بغداد ، فنصب ابراهيم خشبا في العسكر ، وقال : من تعرض لنهب قتلته ، فقامت الهيبة ، ورجع الناس الى أوطانهم وعدل بهم ، فأحبوه ، وجاءه رجل فقال : أنا أحمل إلى الخزانة كل يوم مائة دينار من ضرائب البلد ، فأحضر القاضي ، وأعيان البلد ، وقال : هذا من بلدكم ، وقد قال : كذا ، وكذا ، فهل أنتم راضون بفعله ؟ فقالوا : إذا أعفيتنا من العجم ، رضينا ، فقال : ان الله قد وهب لكم ذاك ، وقد اقتصرنا منكم على الخراجات ، عند إدراك الغلات ، فدعوا له ، وشكروه ، ونادى بذلك في البلد ، وأظهر من حسن السيرة ، ماسكنت اليه النفوس .

وفي سادس شوال ، وهو سادس كانون الأول ، طار بعكبرا جراد أسود ، جاء من المشرق ، وعبر الفرات ، وعاش أهل العراق به ، فإنهم كانوا يأكلونه نيا ومطبوخا .

ونزل السلطان على باب تكريت ، سادس عشر شوال ، وسبق العسكر الى بغداد فنزلوا دور الناس ، وأقام السلطان بقلعة تكريت إنسانا يقال له النسائي ، وتسلم الحصن الذي بكرخ سامراء .

وفي نصف الشهر ، قدم بغداد بدران بن دبيس ، وأبو الفتح بن ورام ، فتلقاهما عميد العراق ، وحمل إليهما الإقامة ، واستدعاهما من الغد رئيس الرؤساء ، وعتب على ابن ورام بميله إلى البساسيري ، فقال : أنتم أحوجتمونا إلى ذلك ، فإن السلطان لما ورد هذه البلاد أبعدتم الناس كلهم ، بنهب العساكر الأموال ، والأولاد والأهل ، فلم يبق لنا مكان نأويه ، فأصعدنا خوفا على حريمنا ، وأموالنا ، فخاطبه بالجميل

ووعده عن الخليفة بكل خير ، وصل السلطان الى القفص (١) لست بقين من الشهر ، وخرج رئيس الرؤساء لاستقباله ومعه بدران ، وابن ورام ، والخدم الخاص ، وبين يديه الأعيان والأمراء والجنائب والعمارية ، وعلى رأسه مطرد ، وأصحبه الخليفة للسلطان فرجية ديباج مشجرة بالذهب ، وتلقاه عميد الملك ، ودخلوا إلى السلطان وهو جالس في خركاة على سرير ، وعليه قباء أسود ، وقلنسوة سمور ، فلما قرب منها ، جثا السلطان على ركبتيه ، وتطاول له ، وعانقه بيديه ، ثم طرح كرسيا من ذهب مرصعا بالجواهر ، فجلس عليه ، ثم قام ، وأدى رسالة الخليفة ، وهي تشتمل على الأنس بقربه (٢) والسرور بسلامته ، والإحماد لسعيه ، فأومى إلى تقبيل الأرض ، وقال : أنا خادم هذه الدار العزيزة ، ومتشرف بخدمتها ، ومبتهج بقربي منها ، ولبس الفرجية ، ووضع العمامة على المخدة ، وأحضر الفرس ، وأومى إلى تقبيل الارض ، وقال : قد تتابع الأنعام علي من غير استحقاق ، فقال له رئيس الرؤساء : موضعك من أمير المؤمنين ، لكبير ، ومحلك ، الخطير ، وأنت النائب عنه في رعيته ، وقد حصل بحمد الله من الثقة مالم يبق معه احتشام ، وسيواصل (٣) إنعام أمير المؤمنين ، على ما يوجبه حسن رأيه ، وجميل اعتقاده فقال : قد زاد شوقي إلى مشاهدة تلك الطلعة الكريمة ، وكثر ارتياحي إلى رؤية تلك العترة الشريفة ، فقال : لن يتأخر ذلك ، ثم التفت السلطان الى ابن ورام ، وبدران ، وقال :/ كيف نور الدولة ؟ فقاما وخدما ، وذكر قريشا فقال : ذلك الغدار الكذاب الخوان فشكر رئيس الرؤساء دبيسا وقال : ما فعل الذي فعل مع البساسيري الطعون ، إلا رعاية لنزوله عليه ، وانضوائه إليه ، والإ فنور الدولة ، الموثوق بعهده ، المرغوب في مثله .

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة ، وصل السلطان إلى الخليفة ، وكانت الرسائل منه قد تكررت ، بطلب الإجتماع ، وكان جلوس الخليفة جلوسا عاما مشهودا ، جلس رئيس الرؤساء ، في صحن السلام ، واستدعى النقباء ، والقضاة ، والشهود ، والأعيان ، وبدران ، وابن ورام ، وعميد العراق ، وحواشي السلطان ، وبعث الى السلطان ابني المأمون الهاشميين ، وخادمين ، وحاجبين ، واستدعوه (٤) إلى دار

---

(١) : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريب من بغداد وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزهة ومجالس الفرج ، معجم البلدان .

(٢) : في ب بالقرب و

(٣) : في ب سيتواصل .

(٤) : في ب واستدعاه

الخليفة ، فنزل في طيار الخليفة ، وكان قد زين ، وأرسل اليه ، وانحدر خواصه في الزبازب ، وعلى الظهر فيلان ، يسيران بازاء الطيار ، والعساكر ، والناس من جانبي بغداد ، ثم قدم له مركب ، من مراكب الخليفة ، فنفر من الفيلين ، فقدم له من خيله فرس أشهب ، فركبه وعليه قباء ديباج أسود ، وعمامة مثلثة مذهبة ، ودخل الدار ، وبين يديه أولاد الملوك أبو علي ، وأبو طالب كامورا إبنا أبي كاليجار بن بويه ، وقتلمش ابن عمه ، وأشراف القواد ، والديلم ، ونحو من خمسمائة غلام ، من الترك ، والكل بغير سلاح ، فلما بلغ باب دهليز صحن السلام ، وقف طويلا على فرسه إلى أن فتح له الباب ، فنزل ، ودخل ماشيا ، وتلقاه رئيس الرؤساء ، وكان الخليفة في بيت ، في صدر البهو ، وعلى بابه ستور ديباج ، فرفعت واذا بالخليفة جالس على سرير ، ارتفاعه من الارض سبعة أذرع ، في دست ديباج ، منقوش ، وعليه العمامة ، والقميص المصمتان ، وعلى منكبه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيده القضيب ، فلما رآه السلطان قبل الارض ، دفعات كثيرة ، ونصب له كرسي دون السرير ، لطيف ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : أصعد ركن الدين اليه ، وأصعد معه محمد بن منصور الكندري مفسرا له معبرا عنه ، فصعدا ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل لركن الدين : أمير المؤمنين حامد لسعيك ، شاكر لفعلك ، زائد لشغفه بك ، وقد ولاك جميع ماولاه الله تعالى من بلاده ، ورد إليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته في ذلك ، واجتهد في عمارة البلاد ، وصلاح العباد ، ونشر العدل ، وكف الظلم ، ففسر له عميد الملك القول ، فقام وقبل الأرض ، وقال : أنا خادم أمير المؤمنين ، وعبده ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومتشرف بما أهلني له واستخدمني فيه ، ومن الله استمد المعونة والتوفيق ، ثم أن أمير المؤمنين أفاض عليه الخلع (١) فنزل إلى بيت في جانب البهو ، وخلع عليه الخلع المعهودة ، وعاد فجلس بين يدي الخليفة ومنعه التاج أن يقبل الأرض ، وقلده الخليفة سيفا ، وخاطبه بملك المشرق والمغرب ، وزاده لواء ثالثا ، عقده بيده ، وأحضر العهد ، وقيل : ليسلم إليه ، وقرئ صدر منه ، وقال له : اعمل بموجبه ، ثم قال : آمرك بما أمرك الله به ، وأنهاك عما نهى الله عنه ، وهذا منصور بن محمد نائبنا لديك ، وخليفتنا عندك ، فاحتفظ به ، وأرعه ، فإنه الثقة الأمين ، انهض على اسم الله تعالى ، مصاحبا ، محروسا ، فسأله مصافحته ، فأعطاه يده فقبلها ، ووضعها على وجهه دفعتين ، وخرج والأكابر بين يديه ، ورفعت الألوية من سطح صحن السلام ،

---

(١) : في ب ثم أذن أمير المؤمنين أن تفاض عليه الخلع.

وحطت من الرواشن ، لئلا تتكسر في الأبواب ، وجلس للهناء ، وبعث في اليوم الثالث للخليفة خمسين غلاما أتراكا ، على الخيول بالسيوف ، والمناطق ، وعشرين رأسا من الخيل وخمسين ألف دينار ، وخمسمائة ثوب أنواعا ، ولرئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار وخمسين ثوبا .

وفي ذي الحجة قبض صاحب مصر ، على وزيره أبي محمد ، الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ، وعلى ثمانين من أصحابه ، وقررت عليهم أموال عظيمة ، وكتب خطه بثلاثة آلاف ألف دينار ، وأصله من يازور ، قرية بالساحل ، من أعمال الرملة وترامت به الحال ، إلى أن صار قاضيها وله بها الأملاك النفيسة ، فاتفق أنه لحقها أمر عجز به عن ارتفاعها ، ولم يوف السلطان مايجب له عليها ، فأدى البعض وبقي البعض ، فطالبه معز الدولة والي الرملة ، فقال : ليس لي طاقة ، فكتب إلى مصر ، فأمر بحمله إليها ، فأقام على باب الديوان مطالبا ، وخرج الناس إلى الحج فسأل السيدة والدة المستنصر بالله أن يفسح له في الحج ، فأذنت له في الإشراف على خزانتها الخارجة إلى مكة ، فحج وعاد إلى المدينة ، فزار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس يدعو ، فسقطت على كتفه من حائط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، قطعة من الخلوق الذي عليه ، ورأى ذلك أحد الخدام ، فجاء اليه ، وقال له : يهنيك ، ولاية كبيرة جليلة ، تملك بها أمور المسلمين ، قال : ومن أين لك هذا ؟ فقال : هذه عادة هذا الحائط اذا وقع منه قطعة على أحد ، فعاهدني على ماتفعله معي اذا صح ذلك ، فقال : مهما شئت ، وعاد إلى مصر ، فلم يحل الحول عليه ، حتى تقلد الوزارة ، فوفى للخادم بما ضمن له ، وصارت له بالمسجد وساكنيه عناية ، ومراعاة شديدة .

وقال ابن الصابيء : وفي العشر الآخر من ذي الحجة ، قبض بمصر على الوزير أبي محمد الحسن بن عبد الرحيم اليازوري ، وعلى ثمانين نفسا من أصحابه ، وقرر عليه ثلاثة آلاف ألف دينار ، وعلى ابن زكريا القاضي ، وكان خصيصا به مائة وخمسون ألف دينار ، ومن أبي الفرج بن أبي القاسم المغربي مثله ، ومن قرابته خمسون ألف دينار ، واختلفت الروايات في سبب ذلك ، وكانت فيه سماكة وكرم وجود ، وسعة صدر ، وله ألقاب كثيرة : الناصر لدين الله ، غياث المسلمين ، الأوحد ، الأجل ، سيد الوزراء ، وتاج الأصفياء ، وقاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، وعلم المجد ، خليل أمير المؤمنين وخاصته ، (وخرج الأمر الى) أبي الفرج البابلي ، صاحب الديوان لتنفيذ الأمور ، وكان اليازوري حنفي المذهب .

وقال أبو يوسف القزويني : التقاني يوما ، وهو متوجه إلى الديوان ، فلما رآني وقف ، فوقف الناس لأجله ، فقال لي : إلى أين ؟ فقلت : إليك ، قال : في أي شيء قلت : قصدني الناس في حوائج التزمت قضاءها ، فقال : لا أبرح من مكاني حتى تذكرها ، فجعلت أذكر له حاجة حاجة ، وهو يقول : نعم وكرامة ، حتى قال في الحاجة الأخيرة : السمع والطاعة ، ومضى ، فانفرد أمير كان معه إلي ، وقال لي : أي شيء أنت ؟ قلت : لا شيء ، قال : لا شيء ، يقول له الوزير : السمع والطاعة ، عرفني ما أنت ؟ قلت : من أهل العلم ، فقال : استكثر مما معك ، فانه اذا كان في شخص أطاعته الملوك .

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي ابن عبد بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن خلوان بن عمران بن قضاعة ، أبو العلاء التنوخي المعري ، وتنوخ قبيلة من اليمن .

توفي يوم الجمعة ، ثالث عشر ربيع الاول بمعرة النعمان من الشام ، ومولده يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الأول ، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأصابه جدري في سن سبع ، أواخر سنة ست وستين وثلاثمائة ، فغشي حدقتيه بياض ، فعمي .

وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ، أو اثنتي عشرة ، وسمع اللغة ، وأملى فيها كتبا ، وله بها معرفة تامة ، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم عاد الى بلده ، فلزم منزله ، وسمى نفسه رهين المحبسين ، يعني منزله وبصره ، وأقام خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض ولا اللبن ويحرم إيلام الحيوان (٢) ويقتصر على ما تنبت الأرض ، ويلبس خشن الثياب ، وأقواله تدل على اختلاط عقيدته .

وقال الخطيب التبريزي : قال لي المعري : ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي : اليوم أعرف اعتقاده ، فقلت : ما أنا الا شاك ، فقال : وكذا شيخك ، وكان ظاهر أمره الميل إلى مذهب البراهمة ، لأنهم لا يرون ذبح الحيوان ويجحدون الرسل ، وقد رماه جماعة بالزندقة ، والإلحاد ، وذاك أمر ظاهر في كلامه ، وأشعاره ، وأنه يرد على الرسل ، ويعيب الشرائع ويجحد البعث .

---

(١) : فى الأصل منزله والتقويم من تعريف القدماء بأبى العلاء ط. القاهرة ١٩٦٥ : ١٤٤

(٢) : زيدت " ويحرم ايلام الحيوان " من ب

وقال أبو الوفاء بن عقيل (١): ومن العجائب أن المعرى أظهر من كفره (٢) البارد، الذى مابلغ فيه شبهات الملحدين، بل قصر فيه كل التقصير، وسقط من عيون الناس، ثم اعتذر بأن لقوله باطنا، وأنه مسلم في الباطن، فلاعقل ولا دين، لأنه تظاهر بالكفر، وزعم أنه مسلم في الباطن، وهذا عكس قضايا المنافقين، والزنادقة فانهم تظاهروا بالاسلام، وأبطنوا الكفر، فهل كان في بلاد الكفار (٣) حتى يحتاج الى هذا، فلا أسخف عقلا ممن سلك هذه الطريقة، التي هي أخس طريقة من الكفار (٤) والمنافقين، والزنادقة، وهو مثل ابن الريوندى (٥)، وأبى حيان (٦)، فانهم انكشفوا كلامهم عن مثل هذا، يتكلمون في التوحيد، والتحميد، والتقديس، ويدسون فى أثناء ذلك المحن .

قال ابن الصابئ : وله شعر كثير، وفيه أدب غزير، ويرمى بالالحاد، وأشعاره دالة على ذلك، ولم يك يأكل لحوم الحيوان، ولا البيض، ولا اللبن، ويقتصر على ماتنبته الأرض، ويحرم إيلام الحيوان، ويظهر الصوم في زمانه جميعه، ونذكر طرفا مما بلغنا من شعره الدال على الحاده، فمنه :

صرف الزمان مفرق الالفين فاحكم الهي بين ذاك وبيني
أنهيت عن قتل النفوس تعمدا وبعثت تقبضها مع الملكين
وزعمت أن لها معادا ثانيا ماكان أغناها عن الحالين

---

(١) : هو علي بن عقيل البغدادى (٤٣١ – ٥١٣ هـ/ ١٠٤٠ – ١١١٩م)) عالم العراق وشيخ الحنابلة في بغداد من وقته كان قوى الحجة اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته له تصانيف كثيرة . أعلام الزركلى .
(٢) : في ب ((الكفر)) وكذلك فى تعريف القدماء : ١٤٥ .
(٣): الكفر في ب وكذلك في تعريف القدماء : ١٤٥
(٤) : هو أبو الحسين احمد بن يحيى وصف بالملحد وكان موجودا سنة ٢٤٥هـ/ ٨٦٩م من أبرز مفكرى القرن الثالث ترك بعض الاثار منها تاريخه ,وقد نشر في بيروت سنة ١٩٧٠ انظر المقدمة
(٥) : يريد به أبو حيان التوحيدى هو علي بن محمد "ت ٤٠٠ / ١٠١٠" فيلسوف متصوف معتزل أديب له انتاج خصب وهام نشر معظمه = الاعلام للزركلى .
(٦) : أضيف ((طريقة)) من ب

ومنـــه :

تناقض ماله الا السكون لـــه ... وإن نعوذ بمولانا من النـــار
يد بخمس مئين مسجد فديـت ... مابالها قطعت في ربع دينار

ومنـــه :

قران المشتري زحلا يرجّـــى ... لايقاظ النواظر من كراهـــا
وهيهات البريـــة فـي ضـــلال ... وقد فطن اللبيب بما اعتراهـــا
تقضى الناس جيلا بعد جيـــل ... وخلفت النجوم كما تراهـــا
تقدم صاحب التوراة موســـى ... وأوقع بالخسار من افتراهـــا (١)
فقال رجاله وحـيٌ أتـــاه ... وقال الناظرون بل افتراهـا
وما حجي إلى أحجـار بيـت ... كؤوس الخمر تشرب في ذراهـا
اذا رجع الحليم إلى حجـــاه ... تهاون بالمذاهب وازدراهـا

ومنــه :

أمور (٢) يستخف بها حليـــم ... ولا يدري الفتى لمن الثبـــور
كتـاب محمد وكتاب موســـى ... وانجيل ابن مريم والزبـــور

ومنـــه :

اذا كان لايحظى برزقك عاقـل ... وترزق مجنونا وترزق أحمقـــا
فلا ذنب يارب السما على امرئ ... رأى منك مالايشتهي فتزندقـــا

ومنـــه :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهـة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكـوا
تحطمنا الأيـام حتى كأنـــنا ... زجاج ولكن لايعاد له سبـــك

ومنـــه :

خبر المقابر في القبور ومن لهـــم ... بمبشر يأتي بصدق المحشـــر
هيهات يرجى ميت في قبـــره ... لو صح ذاك لكان عين المتجـــر
خسرت تجارتهم فهل من ميـــت ... يرجو التجارة من ضريح المحفـــر

---

(١) : أى تبعها .
(٢) : في ب عقول ، ووافق ماجاء بالمتن ماورد في تعريف القدماء : ١٤٦ .

ومنـــه :

في كل أمرك تقليد تديـن بـــه حتى مقالك ربي واحد أحـــد
وقد أمرنا بفكر في بدائعــــه فان تفكر فيه معشر لحـــدوا

(ومنــه)

لولا التنافس في الدنيالما وضعت كتب التناظر لا المغني ولا العمد

ومنـــه :

أستغفر الله فيأمتي وأوجالــي من غفلتي وتوالي سوء أعمالـــي
قالوا هرمت (١) ولم تطرف تهامة في مشاة وفد ولا ركبان أجمـــال
فقلت اني ضرير والذين لهـــم رأى رأوا غير فرض حج أمثالـــى
ماحج جدى ولم يحج أبي وأخــي ولا ابن عمي ولم يعرف منى خالي
وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلـوا قوم سيقضون عنى بعد ترحالـي
فان يفوزوا بغفران أفزمعهـــم أولا فانى بنار مثلهم صـــال
ولا أروم نعيما لا يكون لهـــم فيه نصيب وهم رهطي وأشكالي
فهل أسر اذا حمت محاسبتـــى أم يقتضي الحكم تعتابي وتسآلى
من لى برضوان أدعوه فيرحمنى ولا أنادى مع الكفار أمثالـــي
باتوا وحتفي أمامي لناكبهـــم وبت لم يخطروا منى على بـــال
قالوا (٢) وهم كفيول في كثافتهـم ولا نجاح لأفيال كأفيـــــال
لما هتفت بنصر الله أيدنـــي كأن نصرت بجبريل وميكـــال
وجاء اذ ذاك عزرائيل يغضب لي فيقبض الروح مغتاظا باعجـــال
فما ظنونك اذ جندي ملائكـــة وجند هم بين طواف (٣) وبقـال
تبارك الله أرجو مثوبتـــــه لكن تعهد إعظام وإجـــــلال

ومنــــه :

هفت الحنيفة والنصارى ماهتدت ويهود حارت والمجوس مضللـــة
اثنان أهل الأرض ذو عقل بــلا دين وآخر دين لا عقــل لـــه

---

(١) : في تعريف القدماء : ١٤٦ " هدمت ".
(٢) : ضعف رأيهم وأخطأت فراستهم . والفيول جمع فيل للحيوان المعروف والافيـــال الاولى جمع فيل بالكسر وهو الضعيف الرأى كالفال والافيال الثانية جمـــع فيل للحيوان .
(٣) : الطواف : الخادم والمملوك .

ومنه :

كأن منجم الأقوام أعمى ... لديه الصحف يقرؤها بلمس
لقد طال العناء فكم تعاني ... سطورا عاد كاتبها بطمس
أتى عيسى فعطل دين موسى ... وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجيء دين بعد هذا ... وأودى الناس بين غد وأمس
ومن لي أن يعود الدين غضا ... فينقع (١) من تنسك بعد خمس
ومهما كان من دنياك أمر ... فما يخليك من قمر وشمس
لحى الرحمن دارا لا تداري ... بمثل المين في لجج وقمس
قدوم أصاغر ورحيل شيب ... وهجرة منزل وحلول رمس
اذا قلت المحال رفعت صوتي ... وان قلت اليقين أطلت همسي

ومنه :

قلتم لنا خالق قديم ... صدقتم هكذا نقول
زعمتموه بلا زمان ... ولا مكان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء ... معناه ليست لكم عقول

ومنه :

دين وكفر وأنباء تقال وفر ... قان ينص وتوراة وانجيل
في كل جيل أباطيل يدان بها ... فهل تفرد يوما بالهدى جيل

ومنه :

الحمد لله قد أصبحت في لجج ... مكابدا من هموم الدهر قاموسا (٢)
قالت معاشر لم يبعث إلهكم ... إلى البرية عيساها ولا موسى
وإنما جعلوا الرحمن مأكلة ... وصيروا دينهم للملك ناموسا
ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا ... حتى يعود حليف الغي مغموسا

ومنه :

ولا تحسب مقال الرسل حقا ... ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد ... فجاءوا بالمحال فكدروه

---

(١) : في الاصل : فيقنع من تمسك بالتأسي ، ولا يستقيم هذا مع سياق اللزوم في القصيدة والتقويم من تعريف القدماء : ١٤٩.

(٢) : في الاصل : ناموسا . والتقويم من تعريف القدماء : ١٤٩.

ومنه :

والروح أرضية في رأي طائفة ... وعند قوم ترقى في السموات
تمضي الى هيئة الشخص الذي سكنت ... فيه الى دار نعمى أو شقاوات
وكونها في صفيح الجسم أحوجها ... إلى ملابس عنتها وأقوات
وإنما حمل التوراة قارئُها ... كسب الفوائد لا حب التلاوات
إن الشرائع ألقت بيننا إحنا ... وأورثتنا أفانين العداوات
وهل أبيحت نساء الروم عن عرض ... للعرب إلا بأحكام النبوات

ومنه :

لعمري لقد طال هذا السفر ... علي وأصبحت أحدو النفر
أأخرج من تحت هذي السماء ... فكيف الإباق وأين المفر
لحا الله قوما إذا جئتهم ... بصدق الأحاديث قالوا : كفر
وإن غفرت موبقات الذنوب ... فكل معائبهم تغتفر
هنيئا لجسمي إذا ما استقر ... وصار لعنصره في العفر

ومنه :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فانما ... دياناتكم مكر من القدماء

ومنه :

لا يكذب الناس على ربهم ... ما حرك العرش ولا زلزلا

ومنه :

كون يرى وفساد جاء يتبعه ... تبارك الله ما في خلقه عبث
وإن يؤذن بلال لابن آمنة ... فبعده السجاح قد دعا شبث[1]

وله كتاب عارض به السور والآيات، سماه الفصول والغايات، وغير ذلك .

وقال المغازى (٢) الشاعر : اجتمعت بأبي العلاء بمعرة النعمان، فقلت له : ماهذا الذى يحك عنك ؟ فقال : حسدني قوم، فكذبوا علي فقلت : علام (٣) حسدوك وقد تركت الدنيا والآخرة، قال : والآخرة ؟ قلت : أي والله، ثم قلت : فلم تمتنع من

---

(١) : شبث بن ربع أذن السجاح التى ادعت النبوة أيام الردة .
(٢) : هو أحمد بن يوسف (ت ٤٣٧ / ١٠٤٥) شاعر وجيه وزر فى ميافارقين نسبته الى ملاذ كرد الاعلام للزركلي .
(٣) : فى الاصل ؟ ماحسدوك) والتقويم من ب ومن تعريف القدماء .

أكل الحيوان ، وتلوم من يــأكله ، فقال : رحمة مني له ، وإنهم يأكلون ما تأكلون (١) قلت : لا بل تقول إنه من شره الناس ، فلعمري إنهم يجدون ما يأكلون وعن اللحمان يتعوضون فما تقول في السباع والجوارح التي خلقت لا غذاء لها غير لحوم الناس والبهائم ولا طعام تعتاض به عنهما ، وما أنت بأرأف من الخالق بخلقه ، ولا أحكم منه في تدبيره ، وإن كانت الطبائع المحدثه لذاك على مذهبك ، فما أنت بأحذق منها ، ولا أتقن صنعة ، ولا أحكم عملا ، حتى تعطلها ، ويكون رأيك وعقلك أرجح منها ، فسكت.

وقال محمد بن الصابئ : أذكر عند ورود الخبر بموته ، وقد تذاكرنا أمره وكفره ، ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان ، من أهل الخير والسلامة ، والعفة ، والديانة ، فلما كان من غد ذلك اليوم ، قال : رأيت البارحة في منامي رجلا شيخا ضريرا ، وعلى كتفيــه أفعيان ، قد تدليا إلى فخذيه ، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطعه قطعه لحــم فيزدردها ، وهو يصيح ويستغيث ، فقلت : من هذا ، وقد أفزعني ما رأيته ، وروعنــي ماشاهدته ؟ فقيل لي : هذا المعري الملحد ، قال : فعجبنا من ذلك حين (٥) وقع عقيب ماتفاوضناه من كفره ، .

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي : مات المعري بمعرة النعمان ، عن ســت وثمانين سنة ، إلا أربعة وعشرين يوما ، في ربيع الأول ، وذكر لنا أنه أنشد على قبــره ثمانون مرثية ، رثاه بعض أصحابه ، ومن قرأ عليه ، ومال اليه ، حتى قال بعضهم :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من عيني دمــا

وهؤلاء بين أمرين : إما جهال بما كان عليه ، وإما قليلو الدين ، ومن سبر خفيات الأمــور بانت له ، فكيف بهذا الكفــر الصريح في هذه الأشعار (٣) .

---

(١) : من المرجح ان هذه الجملة مقحمــة بالأصــل .

(٢) : في تعريف القدماء ١٥٢ " فعجبنا حيث وقع ذلك عقيب ".

(٣) : انظر : المنتظــم لابن الجوزي ط . حيدر أباد ١٩٥٣م ٨٠/١٨٨.

وقال الغزالي : حدثني يوسف بن علي ، بأرض الهركار ، قال : دخلت معرة النعمان وقد وشى وزير محمود بن صالح ، صاحب حلب إليه ، بأن المعري زنديق ، لا يرى لفساد الصور ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل ، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة إلى حلب ، وبعث خمسين فارسا ليحملوه ، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة ، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان ، وقال له : يابن أخي ، قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك ، فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عارا علينا عند ذوي الذمام ويركب تنوخا العار والذلة . فقال له : هون عليك ياعم ، فلا بأس علينا ، فلي سلطان يذب عني ، ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليل ، ثم قال لغلامه : انظر ابن المريخ ، فقال : في منزلة كذا وكذا ، فقال : زنه واضرب تحته وتدا ، وشد في رجلي خيطا واربطه إلى الوتد ، ففعل غلامه ذلك ، فسمعناه وهو يقول : ياقديم الأزل ، ياعلة العلل ، ياصانع المخلوقات ، وموجدا لموجودات ، أنا في عزك الذي لا يرام ، وكنفك الذي لا يضام ، الضيوف الضيوف ، الوزير الوزير ، ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا بهدة عظيمة ، فسأل عنها ، فقيل وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها ، فقتلت الخمسين ، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر ، فيها : لا تزعجوا الشيخ ، فقد وقع الحمام على الوزير ، قال يوسف بن علي : فلما شاهدت ذلك ، دخلت على المعري ، فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أرض الهركار ، فقال : زعموا أني زنديق ، ثم قال : اكتب وأمل علي :

باتوا وحتفي أماني مصورة ... وبت ولم يخطروا مني على بال

وفوقوا لي سهامامن سهامهم ... فأصبحت وقعا علي بأميال

فما ظنونك اذ جندي ملائكة ... وجندهم بين طواف وبقال

لقيتهم بعصا موسى التي نعتت ... فرعون ملكا ونجت آل اسرال

أقيم خمسي وصوم الدهر آلفه ... وأد من الذكر أبكارا بآصال

عيدين أفطر في عامي اذا حضرا ... عيد الأضاحي يقفو عيد شوال

اذا تنافست الجهال في حلل ... رأيتني من خسيس القطن سربال

لا أكل الحيوان الدهر مأثره ... أخاف من سوء أعمالي وآمالي

وأعبد الله لا أرجو مثوبته ... لكن تعبد اكرام وإجلال

أصون ديني عن جعل أؤمله ... لكن تعبد أقوام بأجدال

(هذا حاصل ماذكره من سميناه من أرباب السير، غير أنهم ذكروا أوصافه الدالة على فضائله ، وأقول) :

قال المصنف رحمه الله : ولا خلاف في سعة علم الرجل ، وغزارة فضله ، وصحة نسبه ، وأنه أوحد زمانه ٠

وله المصنفات الحسان ، منها : لزوم مالا يلزم ، في عدة مجلدات ، واستغفروا استغفري " ست مجلدات ، و " رسالة الغفران " ، و" رسالة الملائكة " ، وزجرا النابح " " وبحر الزجر " و" سقط الزند " ، "واللامع العزيزي " في شرح المتنبي والسجع السلطاني " ، " والأيك والغصون " ، وغير ذلك ٠

وقال التبريزي : كان لأبي العلاء عشرة من الكتاب ، يملي على كل واحد لونا (١) غير مايمليلآخر ، وهم يكتبون ، وله النثر المليح (٢) ، فمنه : القول ذهب في الهواء ، والقوم غرقوا في الأهواء ، واذا حاق القضاء ، ضاق الفضاء ، ونعم (٣) النساء المغتزلات ، وأبعد الله المتغزلات — الأول من الغزل والثاني من الغزل — وقال : قبض ماشاء وبسط وأقسط وماقسط ، وقال : الق مقادير الله ولا تلق ، وخلق لفظك ولا تختلف ، وأضيء بالمعروف وائتلق ، وأطلق يمينك ، فغدا تنطلق (٤) ، وقال : وأين النثرة من النثرة (٥) والفرقد من الغرقد (٦) ، وقال : الساعي في إثرة ، فارس عصا بصيره لا فارس عصا قصير (٧) ، وقال سعف النخيل خير من اسعاف البخيل ، وقال : وأين موضع السيل من مطلع سهيل ، وقال : اذا لقيت جارك فحيه و وإن نزح بك الزمن عن حيه ، وكان يقول : أورد ني أبي موردا ، ولا بد أن أرده ، ووالله لاأوردته أحدا بعدي ، ولما احتضر ، قال :

هـذا جناه أبـي عـلـيّ وماجنيـت عـلـى أحـد

---

(١) : في تعريف القدماء ١٥٥ ((خلونا))

(٢) : في ب وتعريف القدماء ١٥٥ ((البديع))٠

(٣) : في الأصل وأنعم والتقويم من ب ومن تعريف القدماء ١٥٥٠

(٤) : في الأصل ((وأطلق عينك تعد انت طلق))وهو تصحيف جرى تقويمه من تعريف القدماء ١٥٥٠

(٥) : في الأصل ((العشرة))والتقويم من تعريف القدماء : ١٥٥، والنثرة الدرع الواسعة

(٦) : في الأصل ((الغرفد)) والتقويم من ب ٠

(٧) : العصا أسم فرس قصير أبي سعد اللخمي ٠

وقال ابن الهبارية (١) : بلغ أبا نصر بن أبي عمران ، داعي الدعاة لصاحب مصر حديثه ، فاستدعاه إلى حلب ، وكان بها ، فسم أبو العلاء نفسه ، فمات ولم يوافق ابن الهبارية على هذا أحد ، وقد أجمعوا على أنه مات على فراشه ، الموت الطبيعي ، ومن شعره :

يا مريضا أحل بل كل داء ، إن نفسي تفديك كل الفداء
جل مابي فليس يرجى شفائي كيف يشفى المريض من ألف داء

وقال :

إذا ماخبت نار الشبيبة ساءني ولو نص لي بين النجوم خباء

وقال :

يأتي على الناس إصباح وإمساء وكلهم لصروف الدهر نساء

وكم مضى من قبيل أو مماثله من المقاول سرّوا الناس أو ساءوا
تنوى الملوك ومصرفي تغيرهم مصر على العهد والأحساء أحساء
خسست يا أمنا الدنيا فأف لنا بني الخسيسة أوباش أخساء
وقد نطقت بأصناف العظات لنا وأنت فيما يظن القوم خرساء
يموج بحرك والأهواء غالبة لراكبيه فهل للسفن إرساء
اذا تعطفت يوما كنت قاسية وإن نظرت بعين فهي شوساء (٢)
نالوا قليلا من اللذات وارتحلوا برغمهم فاذا النعماء بأساء

وقال :

البابلية باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره وأذى النديم وفرقة الأحباب

قال المصنف رحمه الله : من هاهنا أخذ جدي رحمه الله ، فقال في الدهش : محبة الدنيا محنة عيونها بابلية ، كم فتحت باب بلية ، ولا حيلة كحيلة من عين كحيلة .

---

(١) : هو محمد بن محمد بن صالح العباسي ((٤١٤–٥٠٩/١٠٢٣–١١١٥)) شاعر هجاء ولد في بغداد وأقام مدة في أصفهان ، له ديوان شعر وعدد من الكتب المنظومة ، الاعلام للزركلي .

(٢) : الشوس : النظر بمؤخر العين تكبرا او تغيظا القاموس .

وقـــال :

تجئ يهود بتوراتهـــا وفيها مواعيــد عرقوبهــا
وإسحاقها جر إسحاقهــا وقائبة (١) الطير من قوبهــا
ورقوا لأملاكهم عنـــوة وقالوا أحاديث رقوا بهــا

إسحاقها الاول ، النبي عليه السلام ، والثاني ابعادها ، وقال :

سلك النجد في قطار المنايا قطري ونجدة وشبيــب (٢)
شب فكر الحصيف نارا فما يحـ سن يوما بعاقل تشبيب

وقـال :

زاره حتفه فقطـب للمـو ت وألغى من بعدها التقطيبا
زودوه طيبا ليلحق بالنا س وحسب الدفين بالترب طيبــا
بات في قبره ووسد يمنـــا ه فخلناه قام فينا خطيبــا
للمنايا حواطب لاتبالـــي أهشيما جرت لها أم رطيبــا
صرفت كأسها فلم تسق شربا مرة خالصا وأخرى قطيبــا

وقـــال :

أسطر لاب حولهن جهـول فهو يرجو هديا بأسطر لاب
والبرايا لفظ الزمان ولا بـــد له من تغيــر وانقـــلاب

وقـــال :

الحمد لله قد أصبحت في دعة أرضى القليل ولا أهتم بالقــوت
وشاهد خالقي أن الصلاة لــه أجل عندي من در وياقــوت
ولا أعاشر أهل العصر إنهـــم إن عوشروا بين محبوب وممقــوت
يسير بي ويغيري الوقت مبتدرا إلى محل من الآجـال موقــوت

---

(١) : القائبة : الفرخ والقوب البيض .
(٢) : من كبار زعماء الخوارج الاوائل أخبارهم معروفة متداولة .

وقـــال :

الكون (١) في جملة العوافـــــي | لا الكون في جملة العفـــاة
قد خفت القـوم واستراحـــوا | آه من الصمت والخفـــات
أرى انكفاتي الـى المنايـــا | أغنى عن الأسرة الكفـــاة
ومن صفات النساء قد مـــا | أن لسن في الود منصفـــات
ومايبيـــن الوفـــاء إلا | في زمن الفقـد والوفـــاة

وقـــال :

خلصت من سبرات في السباريت | ورب يوم كريت د ون تكريـــت
كم بالسماوة من صلّ ومن أســد | كلاهما خص في شد ق بتهريت
مازرت د ارك حتى شفني لغبـي | وخارت النفس في آثار خريـت
والخير في الأرض كالأترج (٢) منبتـة | شاك وألزم تد خينا بكبريـــت

وقـــال :

ثيابي أكفاني ورمسي منزلـــي | وعيشي حمامي والمنية لي بعث
تحلي بأسنى الحلي واجتلي الغنى | فأفضل من أمثالك النفر الشعث
يسيرون بالأقدام في سبل الهدى | الى الله حزن ماتوطأن أووعث

وقـــال :

تجمع أهله زمرا إليـــــه | وصاحت عرسه أود ى فصاحـــوا
تخاطبنا بأفواه المنايـــا | من الأيـام ألسنة فصـــاح

وقـال يرثي أبا حمزة الفقيه الحنفي :

غيـر مجد في ملتي واعتقـادى | نوح باك ولا ترنـم شـــاد
وشبيه صوت النعي إذا قيـــ | س بصوت البشير في كل نـاد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـــ | ـت على فرع غصنها المياد

---

(١) : في ب الصون ووافق ماجاء بالاصل ما أثبت في تعريف القدماء ص١٥٨ .
(٢) : الأترج : دواء مضاد للسموم أنظره في تذكرة الانطاكي .

صاح هذي قبورنا تملأ الأر ‏ ‏ ‏ ‏ ض فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم ال ‏ ‏ ‏ ‏ أرض إلا من هذه الأجساد
سر إن اسطعت في الهواء رويدا ‏ ‏ ‏ ‏ لا اختيالا على رفات العباد
فقبيح بنا وإن بعد العهـ ‏ ‏ ‏ ‏ د تناسي الآباء والأجداد
رب لحد قد صار لحدا مرارا ‏ ‏ ‏ ‏ ضاحكا من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ‏ ‏ ‏ ‏ من قديم الأزمان والآباد
فسل الفرقدين عما أحسا ‏ ‏ ‏ ‏ من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على بياض نهار ‏ ‏ ‏ ‏ وأنارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـجب إلا من راغب في ازدياد
إن حزنا في ساعة الموت أضعا ‏ ‏ ‏ ‏ ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ‏ ‏ ‏ ‏ أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ‏ ‏ ‏ ‏ ل إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح ال ‏ ‏ ‏ ‏ جسم فيها والعيش مثل السهاد
أبنات الهديل أسعدن أو عد ‏ ‏ ‏ ‏ ن قليل العزاء بالإسعاد
إيه لله دركن فأنتـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـن اللواتي تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الأوان ال ‏ ‏ ‏ ‏ خال أودى من قبل هلك إياد
بيد أني لا أرتضي ما فعلتـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـن وأطواقكن في الأجياد
فتسلبن واستعرن جميعا ‏ ‏ ‏ ‏ من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـن بشجو مع الغواني الخراد
قصد الدهر من أبي حمزة الأوّ ‏ ‏ ‏ ‏ اب مولى حجا ومولى اقتصاد
وفقيها أفكاره شدن للنعـ (١) ‏ ‏ ‏ ‏ ـمان لم يشده شعر زياد
راويا للحديث لم يحوج الرا ‏ ‏ ‏ ‏ وي من صدقه (٢) إلى الاسناد

---

(١) : يريد به أبو حنيفة النعمان مؤسس مذهب الأحناف .

(٢) : في ب : لم يخرج الرازي . ووافق ماجاء بالأصل رواية تعريف القدماء : ١٦١

أنفق العمر دائبا يطلب العلـ … ـم يكشف عن أصله وانتقاد
فاغسلاه بالدمع إن كان طهرا … وادفناه بين الحشى والفؤاد
واتلوا النعش بالقراءة والتسـ … ـبيح لا بالنحيب والتعداد
ربما أخرج الحزين جوى الثكـ … ـل الى غير لائق بالسداد
مثلما فاتت الصلاة سليما … ن فأنحى على رقاب الجياد
وهو من سخرت لـه الأنس والجـ … ـن بما صح من شهادة صاد
كيف أصبحت في محلك بعدي … يا جديرا مني بحسن افتقاد
قد أقر الطبيب منه بعجز … فتقضى تردد العواد
والذي حارت البرية فيه … حيوان مستخرج من جماد
واللبيب الأريب من ليس يغتـ … ـر بكون مصيره لفساد

وقال :

سرت ثمانين طلبا أجلي … والحين إثري كأنه حادي
ما أنا بالملحد الكفور ولا … أسأل مولاي غير الحادي
ناديت أين الذين كان بهم … بشرف هذا الفناء والنادي
مزادتي الآن لا بلال بها … ومزودي منفض من الزاد
والسفر الدائم المواصل … يحتاج إلى عدة وعتاد

وقال :

ألا إن أخلاق الفتى كزمانه … فمنهن بيض في العيون وسود
وتأكلنا أيامنا فكأنما … تمر بنا الساعات وهي أسود
وقد يخمل الانسان في عنفوانه … وينبه من بعد النهى ويسود
فلا تحسدن قوما على فضل نعمة … فحسبك عارا أن يقال حسود

(وقال) :

عرفت سجايا الدهر أما شروره … فنقد وأما خيره فوعود
اذا كانت الدنيا كذاك فخلها … ولو أن كل الطالعات سعود
رقدنا ولم نملك رقادا عن الأذى … وقامت بما (١) خفنا ونحن قعود
وكم أنذرتنا بالسيول صواعق … وكم خبرتنا بالغمام رعود

---

(١) : في ب وما .

وقـــال :

حياتي بعد الأربعين منيـــــة ... ووجدانها في الأربعين فقـــــود

فمالي وقد أدركت خمسة أعقــــد ... أبيني وبين الحادثات عقـــــود

كأنا من الأيــام فوق ركائــــب ... إذا قيدت الأنضاء فهي تقـــود

وقـــال :

ألا إنما الدنيا نحوس لأهلهــا ... فما في زمان أنت فيــه سعـــود

ويوصي الفتى عند الحمام كأنــه ... يمر فيقضي حاجــة ويعـــــود

ومايئست من رجعة نفس طاعــن ... مضت ولها عنــد القضاء وعـــود

تسير بنا الأيام وهــي حثيثـــة ... ونحن قيام فوقهــا وقعـــــود

وقـــال :

جاءت أحاديث إن صحت فإن لها ... شأنا ولكن فيهــا ضعف إسنـــاد

فشاور العقل واترك غيــره هــدرا ... فالعقل خير مشير ضمه النـــادى

وقـــال :

وعظت قوما فلم يرعوا لموعظتـــي ... مثل امرىء القيس ناجى طائر الوادى

والعفو آمل من ربي إذا حضرت ... نفسي وفارقت عوادي لأعــوادى

وقـــال :

تلفع بالعبا اخـــوان صـــدق ... وأوسع غيرهم شرقـــا ولاذا

فلا تعجب لأحكــام الليالـــي ... فإن صروفها بنيــت علــى ذا

وقـــال :

مامقامــي إلا مقامــة عــــان ... كيف أسري وفي يد الدهر أسري

إن جسرا على المنية جـــزم ... والبرايا من فوقه فـــوق جسـر

تبعتبُها وفي القصر غالـــت ... قيصرا وانتحت لكسرى بكســـر

وطوت طيئا وأردت إيـــــادا ... وأصابت ملوك قسـر بقســـر

ولقابوس كان قبس وفنـــــا ... خسر أردته من فناء وخســـر

سوف ألقى من الزمان كمـــا لا ... قوا بعنف لا يستقال ودســـر

ولو أني السها أو النسـر قــد شا ... هدت عصرين من يغوث ونســر

وقال في بني شيبة :

وفي بطحاء مكة شرقوم ... وليسوا بالحماة ولا الغيارى
وإن رجال شيبة سادنيها ... إذا راحت لكعبتها الجمارى
قيام يدفعون الناس شفعا ... إلى البيت الحرام وهم سكارى
اذا أخذوا الزوائف أولجوهم ... وإن كانوا اليهود أو النصارى
لعل قران هذا النجم يهدى ... إلى طرق الهدى أمما حيارى
فقد أودى بهم نصب وظم ... وأينقهم بمهلكه حسارى (١)

ومنه :

أتتهم دولة قهرت وعزت ... فباتوا في ظلالتها أسارى
وظنوا الطهر متصلا بقوم ... وأحلف أنهم غير الطهارى
لهم كلم تخالف ما أجنّوا ... صدورهم بصحته تمارى

وقال :

أرى الشهد يرجع مثل الصبر ... فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادق في الحديث ... فان شك في ذاك فليختبر
وجبر كسرله في الزمان ... ويكسر يوما فلا ينجبر
ولكنني أستخير المليك ... وإن نابني حادث أصطبر
ودنياى ألقى (٢) بطول الهوان ... فهل هي الا كجسر عبر

وقال :

ياظالما عقد اليدين مصليا ... من دون ظلمك يعقد الزنار
أتظن أنك للمحاسن كاسب ... هيهات هذا العار ثم النار

وقال :

نادت على الدين في الآفات طائفة ... ياقوم من يشترى دينا بدينار
جنوا كبائر آثام وقد زعموا ... أن الصغائر تجني الخلد في النار

---

(١) : في ب نفارى .
(٢) : في الأصل التي والتقويم من ب ومن تعريف القدماء ١٦٥ .

وقال :

تمر حوادث ويطول دهر … ويفتقر المجيز إلى المجاز
وليس على الحقائق كل قول … ولكن فيه أصناف المجاز

وقال :

تشاد المغاني والقبور دوارس … ولا يمنع المطروق باب وحارس
يقولون إن الدين ينسخ مثلما … تولت باقبال الحنيفة فارس
ومهما يكن فالله ليس بزائل … ويجلي الفتى من بعد ما هو غارس

وقال :

جزى الله عني مؤنسي بصدوده … جميلا ففي الايحاش ما هو إيناس
يخافون شيطانا من الجن ماردا … وعندي شيطان من الأنس خناس

وقال :

المشيدات التي رفعت … أربع من أهلها دُرُسَ
قام للأيام في أذني … واعظ من شأنه الخرس
كم ابن الغاب من أسد … أي ليث ليس يفترس
مهجتي ضد يحاربني … أنا مني كيف أحترس
إنما دنياك غانية … بم يهنئ زوجها العرس
فألقها بالزهد مدرعا … في يديك السيف والترس
إن من حانت منيته … لم يدافع دونه حرس
ليس يبقى فرع نابتة … أصلها في الموت منغرس (١)

وقال :

هل يغسل الناس عن وجه الثرى مطر … فما بقوا لم يفارق وجهها الدنس
تناسلوا فنما شر بنسلهم … وكم فجور إذا شبانهم عنسوا

---

(١) : زاد اثر هذا في تعريف القدماء ١٦٧/ الأبيات التالية :

قد يخطئ الموت سارفي تنوفته … ويهلك المرء في قصر له خرس
ظن الحياة عروسا خلقها حسن … وانما هي غول خلقها شرس
ونحن في غير شيء والبقاء جرى … مجرى الردى ونظير المأتم العرس

وقال :

تعالى الله أين ملوك لخم لقد خمدوا فمالهم حسيس
تحدث هذه الأيام جهرا وتحسب إنما نطقت هميس
وزوجك أيها الدنيا تمنى طلاقك قبل أن يقع الهبيس

وقال : يارب أخرجني الى دار الرضى عجلا فهذا عالم منكوس
ظلوا كدائرة تحول بعضها من بعضها فجميعها معكوس
وأرى ملوكا لاتحوط رعية نعلام تؤخذ جزية ومكوس

وقال : خصاؤك خير من زواجك حرة فكيف أذا أصبحت زوجا لمومس
وإن كتاب المهر فيما التمسته نظير كتاب الشاعر المتلمس (١)
ولبسك ثوب السقم أحسن منظرا وأبهج من ثوب العرى المنمس

وقال :

اذا قص آثارى الغواة ليحتذوا عليها فودّي أن أكون قصيصا
وكم ملك في الأرض لاقى خصاصة وكان بإكرام العفاة خصيصا

وقال :

أرى جوهرا حل فيه عرض تبارك خالقنا ما الغرض
تداوى العليل لكيما يصح وهل صحة الجسم إلا مرض
فلا تتركن ورعا في الحياة وأد الى ربك المفترض
فكم ملك سيد المكرمات ونال بها الصيت ثم انقرض

وقال :

ظمئت إلى ماء الشباب ولم يزل يغور على طول المدى ويغيض
تراه مع الاخوان (٢) حبا مكرما فان زال منه الماء فهو بغيض

وقال :

أما اليقين فاننا سكن البلى ولنا هناك جماعة فراط
ولكل دهر حلية من أهله مافيهم حيف ولا إفراط
كم لاحت الأشراط في جنح الدجى فمتى تبين لبعثنا أشراط
وكأن هذا الخلق أهل قيامة ولهم من الموت الزؤام سراط
لو لم تكن مثل الجماعة زائفا لم يشجك الدينار والقيراط

---

(١) : شاعر جاهلي حمل بيده كتابا قضى بقتله .
(٢): في تعريف القدماء ١٦٨ الاصحاب .

وقال :

يسبك الصانع الزجاج ولا يسـ ـــ تطيع سبكا للدّرّان يتشظـــى
ليخف صاحب الديانة والصو ن مقلا من جاهل يتحظـــى
كيف لي أن أكون في رأس شما ء وأرى آسا وبطما ومظـا (١)

وقـال :

من رام أن يلزم الأشياء واجبها فانه بحياة ليس ينتفـــع
أرضي انتباهي بطالم يرضه حلمي قدما وأدفع أوقاتي فتندفـع
وحف بالجهل أقوام فبلغهـم منازلا بسناء العز تلتفـع
أما رأيت جبال الأرض لازمة قرارها وغبار الأرض يرتفـع

وقـال :

اذا خطب الحسناء كهل وناشيء فان الصبا فيها شفيع مشفـع
ولا يزهدنها عدمه إن مـدّه لأبرك من صاع الكبيـر وأنفـع

وقـال :

أخو سفر قصده لحـــده تمادى به السير حتى بلـغ
ودنياك مثل الاناء الخبيث وصاحبها مثل كلب ولـغ

وقـال :

الفكر حبل متى تمسك على طرف منه ينط بالثريا ذلك الطـرف
والعقل كالبحر ما غيضت غواربـه شيئا ومنه بنو الأيام تغتـرف
أبني بجهلي دارا لست أسكنها أقيم فيها قليلا ثم أنصـرف
أأنكر الله ذنبا خطه ملك وبالذي خطه الانسان أعتـرف
سرفت والله أرجو أن يسامحنا وفي القديم خلا من أهله سـرف
تروم رزقا بأن سموك متكـلا وأدين الناس من يسعى ويحتـرف
اذا افتكر علمنا أنّ ذا ضعـة أعلى النجوم ولله انتهى الشـرف

وقـال :

لا تشرفن بدنيا عنك معرضـة فما التشرف بالدنيا هو الشّـرف
واصرف فؤادك عنها مثلما انصرفت فكلنا عن مغانيها سننصـرف
يا أم دفر (٢) لحاك الله والدة فيك الحياء وفيك الهم والسرف
لو أنك العرس أوقعت الطلاق بها لكنك الأم مالي عنك منصـرف

---

(١) : في ب وشنظا
(٢) : الدفر : الدنيا

وقـــال :

ردت الى مليك الخلق أمـري | فلم أسأل متى يقع الكســوف
وكم سلم الجهول من المنايـا | وعوجل بالحمام الفيلسـوف

وقـــال :

فؤادك خفاق وبرقك خافـق | وأعياك في الدنيا خليل موافق
أردت رفيقا أن ينالك رفقـه | فدعه اذا لم يأت منه المرافق

وقـــال :

من مبلغ عني المآلك (١) معشرا | عليا ومحمودا وخانا وألكـا (٢)
فما أتمنى أنني كأقلهـــم | ولكن أضاهي القترين الصعالكا
فما فيهم من ناهض يدعي بـه | يفرج عني بالمضيق المسالكـا
وينفر عقلي مغضبا ان تركتـه | سدى واتّبعت الشافعي ومالكا

وقـــال :

ياخالق البدر وشمس الضحـى | معولي في كل أمر عليـك
وكل ملك لك عبد ومـا | يبقى له ملك فيدعي مليـك
قد رامت النفس لها موئـلا | فقلت مهلا ليس هذا إليـك
إن الذى صاغك يقضي بمـا | شاء ويمضي فازجرى عاذليـك
البحر في قدرته نغبــة | والفلك الأعظم فيها فليـك

وقـال :

ذر الناس واصحب وحش بيد اوقفرة | فان رضاهم غاية ليس تدرك
اذا ذكروا المخلوق عابوا وأطنبوا | وان ذكروا الخلاق خانوا وأشركوا
كلفت بدنياك التى هي خدعـة | وهل خلّة منها أغر وأفـرك
إذا فاتك الثراء من غير وجهـه | فان قليل الحلّ خير وأبرك . (٣)

---

(١) : جمع مألكه وهي الرسالة .
(٢) : خان لقب تركي يطلق على أعلى زعماء الاتراك رتبة وألك ايضا كلمة تركية تعني نائب الخان .
(٣) : في ب وفي تعريف القدماء ١٧٢ أغس ؟

وقـــال :

تسمى رجال بالملوك سفاهـــــةً ولا ملك إلا الذي خلق الملكـــا

أرى فلكا مادارإلا لحكمـــــة فلا تنس من أجرى لحاجتك الفلكا

وقـــال :

في الوحدة الراحة العظمى فاحي بها قلبا وفي الكون بين الناس إثقـــال

إن الطبائـــع لما ألفت جلبـــت شرا تولد منه القيـــل والقـــال

وقـــال :

كم تنصح الدنيا ولا نقبـــــل وفائز من جده مقبـــــل

إن أذاهـــا مثل أفعالنـــا ماض وفي الحال ومستقبـــل

أجبلت الأبحر فـــى عصرنـــا هذا كما أبحرت الأجبـــل

فاترك لأهل الملك لذاتهـــم فحسبنا الكمأة والأحبـــل

ونشرب الماء براحاتنـــــا إن لم يكن في بيتنا جدول

لا تأمن الاغفار في النيق أن تصبح موصولا بها الأحبـــل

لو نطق الدهر هجا أهلـــه كأنه الرومي أو دعبـــــلُ

وهو لعمرى شاعـــر مغلـــق بالفعل لكن لفظه مجبـــل

يذبل غصن العيش حقا ولـــو أضحى ومن أوراقه يذبـــل

فليت حواء عقيمـــا غـــدت لا تلد الناس ولا تحبـــــل

فكروا بالله واستيقظـــوا فانها داهيــة ضِئْبـــلُ

في حبة تخلق من سنبـــــل ثمت منها يخلــق السنبـــل

يكره عول الشيخ أبنـــاؤه وهل يعول الأســـد الأشبل

تنزل في دار لنا رحبـــــة تطل بالآفـــات أو تهــــل

وكل من حل بها يكـــره النقـــلـــة عنها وهي تستوبـــل

وقـــا ل :

أسكن الثرى هل تبعثون رسالة إلينا ولستم سامعى كلم الرُّسل

ولم تسل نفسى عنكم باختيارها ولكن طول الدهر يذهل أويسلي

ومابردت أعضاء ميـــت مكـــرم وان عـــزّ حتى أغلى الماء للغسل

وقـــال :

اذا ماشئت موعظـة فعـرج ... بيثرب سائلا عن آل قيلـة
وقف بالحيرة البيضاء، وانظر ... منازل منذر وبني بقيلـة

وقـــال :

لو تعلم النحل بمشتارهـا ... لم ترها في جبل تعسـل
والخير محبوب ولكنــه ... يعجز عنه الغسل أويكسل
والأرض للطوفان مشتاقـة ... لعلها من درن تغسـل
قد كثر الشر على ظهرها (١) ... واتهم الرسل والمرسـل

وقـــال :

كم توعظون ولا تلين قلوبكـم ... فتبارك الخلاق ما أعتاكـم
إن الغواية كالغريزة فيكـم ... يأوي اليها كهلكم وفتاكـم

وقـــال :

دموعـي لا تجيب على الرزايـا ... فلولا ذاك مافتئت سجومـا
رضاً بقضاء ربك فهو حتـم ... ولا تظهر لحادثة وجومـا

وقـــال :

ومولـد هذي الشمس أعياك حده ... وخبّر لب انه متقـادم
وما آدم في مذهب العقل واحد ... ولكنه عند القياس أوادم
تخالفت الأغراض ناس وذاكـر ... وسال ومشتاق وبان وهـادم

وقـــال :

وما دنياك إلا دار سـوء ... ولست على اساءتها مقيمـا
أرى ولد الفتى عبئا عليـه ... لقد سعد الذي أمسى عقيمـا
أما شاهدت كل أبي وليـد ... يؤم طريق حتف مستقيمـا
فاما أن يربيـه عـدوا ... واما أن يخلفـه يتيمـا

---

(١) : في ب وفي تعريف القدماء ((أهلها)) ص ١٧٤

وقـــال :

كل ذكـر من بعده نسـيان … وتغيب الآثـار والأعـيان
إنما هذه الحيـاة متـاع … فليخبرك عن أذاها العيان
نفس بعد مثلـة يقضـي … فتمر الدهور والأحيـان
قد ترامت إلى الفساد البرايـا … واستوت في الضلاله الأديان
أنا أعمى فكيف أهدى الـى المنـ … ـهج والناس كلهم عميـان
والعصا للضرير خير من القـا … ئد فيه الفجور والعصيـان
ليسرفي هذه المجره مـاء … فيرجى وروده الصديـان

وقـــال :

المجبرون يناظرون بباطـل … فاسمع مقالهم بغير بيـان
كل يقول أرى الإله أضلني … وأراد بي ماكان عنه نهاني
إن صح ذا فتعوذوا من ربكم … ودعوا تعوذكم من الشيطـان

وقـــال :

أرى الحيرة البيضاء حارت قصورها … خلاء ولم يثبت لكسرى المدائن
وهجن لذات الملوك زوالهـا … كما غدرت بالمنذرين الهجائن
ركبنا على الأعمار والدهر لجة … فما صبرت للموج تلك السفائن
تجيء الرزايا بالمنايا كأنما … نفوس البرايا للحمام رهائن
لعمرى لقد خادعت نفسي برهة … وصدقت في أشياء من هو خائن
وخانتنى الدنيا مرارا وإنما … يجهر بالذم الغواني الخوائن
أعلل بالآمال قلبا مضلضلا … كأني لم أشعر بأني حائن
يصون الكريم العرض بالمال جاهدا … وذو اللؤم للأموال بالعرض صائن

وقـال :

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة … ولا الحيُّ في دار (١) السلامة آمن
وإن وليدا حلها لمعـذب … جرت لسواه بالسعود أيامن

---

(١) : في ب تعريف القدماء ٧٦ " حال "

وقــال :

عجبت لكهل قاعــد بين نسـوة يقات بما جرت عليه الروادن (١)
تحاربنا أيامنا ولـنا رضــــى بذلك لو أن المنايا تهــادن
إذا كان جسم للرغام أكيلـــة فكيف يسر النفس أنــي بادن
ومن شر أخدان الفتى أم زنبـق فتلك عجوز أهلكت من تخادن
تخبر عن أسراره قربــــاءة ومن دونها قفل منيع وسادن

وقــال :

أيا نفسا ماصومها وصلاتهـــا بدين لها بل تركها الظلم دينهــا
يوثر في حر الجباه سجودهــا ويشكو أذاها جارها وخدينهـــا

وقــال :

رأيت سواد الرأس يسلب لونــه من الدهر بيض يختلفن وجـــون
فلا يغترر بالملك صاحب دولـة فكم من مليك غيبتـه دجـــون
وإني أرى أنصار إبليس جمــة ولا مثل ما أوفى به الزرجـــون
وإن كانت الأرواح بعد فراقهـا تنال رضاء فالجسوم سجـــون

وقال : كأن نجوم الليل زرق أسنـة بها كل من فوق التراب طعيـن
ولائح هذا الفجر سيف مجرد أعان صرف الزمان ظعيـــن (٢)

وقــال :

حياتي تعذيبي وموتي راحـــة وكل ابن انثي في التراب سجين

(وقــال) :

توهمت يا مغرور أنك ديــن علي يمين اللـه مالك ديـــن
تسير الى البيت الحرام تنكسـا ويشكوك جار بائس وخديـــن

وقــال :

بئست الأم للأنــام هي الـد نيا وبئس البنون للأم نحــن
فسد الأمر كله فاتركوه للاعــ ـراب (٣) إن الفصاحة اليوم لحن

---

(١) : جمع رودن وهي بمعنى أتعب أو أعي القاموس.
(٢) : سقط هذا البيت من تعريف القدماء ١٧٨.
( ) : في تعريف القدماء ١٧٨ " فاتركوا الأعــراب ".

وقـــال :

لقد أتوا بحديث لا يثبتـــه | عقل فقلنا عن أيِ الناس تحكونـه
فأخبروا بأسانيد لهم كـذب | لم تخل من ذكر شيخ لا يزكونـه
عجبت للأم لما مات واحدها | بكت وساعدها ناس يبكونـه
هم أسارى منايا هم فما لهم | اذا أتاهم، أسير لا يفكونـه
فلو تكلم دهر كان شاكيهم | كما تراهم على الاحسان يشكونـه
أما ترون ديار القوم خالية | بعد الجماعات والاجداث مسكونه

(وقـال) :

يصوم ناس عن الزاد المباح لهم | ويغتدون بلحم لا يذكّونـه (١)

وقـال : اذا ماشئتم دعـة وخفضـا | فعيشوا في البريـة خاملينـا
ولا يعقد لكم أمل بخلـق | وبيتوا للمهيمن آملينـا

وقـال : اذا جاءك الموت فافرح بـه | لتخلص من عالم قد لعـن
هم طعنوا حيدرا ساجـدا | وحسبك من عمر اذا طعـن

وقـال :

اذا ماذكرنا آدما وفعالـه | وتزويج ابنيه لبنتيه فى الدنـا
علمنا بأن الخلق من أصل زنية | وأن جميع الناس من عنصر الزنـا

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن بن أبي عقامة من اليمـن ، وكان فاضـلا،

فقـال :

لعمرك أما فيك فالقول صادق | وتكذب فى الباقين من شط أودنا
كذا أقرار الفتي لازم لـه | وفى غيره لغو كذا جاء شرعنـا

وقال أبو العلاء :

عليك السابغات فإنهـن | يدافعن الصوارم والأسنّـة
ومن شهد الوغى وعليه درع | تلقاها بنفـس مطمئنـة
وحبات القلوب يكن حبـا | إذا دارت رحاها المرجحنـة
على أن الحوادث كائنـات | ومايغني الدروع ولا الاكنّـة

---

(١) : الذكاة : هى الذبـح .

وقـــال :

تسوقوا للغنــى بربهـــم — وأظهروا خيفة لـه ودعـــوا
سعوا لدنياهم بآخـــرة — فبئس ماحاولوا غداة سعــوا
ولم يعوا مايقول واعظهـم — ولكن لقول المخرصين وعــوا

وقـــال :

بخيفــة الله تعبدتنـــا — وأنت عين الظالم اللاهـــي
تأمرنا بالزهد في هذه الد — نيا وماهمك إلا هـــــي

وقـــال :

يا أمــة مالها عقـــول — وقبح ألبابهـا دهاهـــا
فحدثونــي بخيريــــن — عن الثريـا وعن سهاهـــا
بأي جرم وأي حكـــم — سلط ليـث علـى مهاهـــا
وظـالم عنـده كنـــوز — من أم دفر ومـن لهاهـــا
كان إذا مادجا ظــلام — صاح بأجمالـه وهـاهـــا

وقـــال :

وجدت غنائم الإسلام نهبـا — لأرباب المعازف والملاهـــي
تنازعني إلي الشهوات نفسي — فلا أنا منجح أبدا ولا هـــي
وكيف يصح إجماع البرايـــا — وهم لا يجمعون على الإلـــه

وقـــال :

لا تهاد القضاة كي تظلم الخصـ — ـم ولا تذكـرن ماتهديــــه
إن من أقبح المعائـب عـارا — أن يمن الفتى بما يسديــــه

وقـــال :

نمسي ونصبح في ضلالتنـــا — وماعلى الغبراء إلا سفيــــه
فنسأل الـواحد إنقاذنـــا — من عالم السوء الذي نحن فيــه

وقـــال :

لو كان جسمك متروكا بهيئتـه — بعد التلاق طمعنا في تلافيــه
كالدن عطل من راح تكون بـه — ولم يحطم فعادت مرة فيــــه
لكنه صار أجزاء مقسمــــة — ثم استمر هباء في سواقيــه
وذاك في هذه الدنيا ويبعثه — يوم القيامة مخفية وخافيـــة (١)

---

(١) : نشرت هذه الترجمة في كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء ط : القاهرة ١٩٦٥
ص : ١٤٣ — ١٨١.

اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد ـ أبو عثمان النيسابوري

الحافظ الواعظ المفسر ، طاف الدنيا في طلب الحديث ، وسمع بهراة ، وخراسان ، ونيسابور ، وما وراء النهر ، والعراق ، والشام والحجاز ، والهند ، وطبرستان ، وغزنة ، وغيرها ، و وعظ بنيسابور ، وله سبع سنين ، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ومن شعره :

إذا لم أصب أموالكم ولم أنل المعروف منكم ولا البرّا
وكنتم عبيدا للذي أنا عبده فمن أجل ماذا أتعب البدن الحرا

وقال أيضا :

مالي أرى الدهر لا يسخو بذي كرم ولا يجود بمعوان ومفضال
ولا أرى أحدا في الناس مشتريا حسن الثنا بانعام وافضال
صاروا سواسية في لؤمهم شرعا كأنما نسجوا فيه بمنوال

ذكر وفاته :

وقع وباء عظيم بنيسابور ، فصعد المنبر ، واجتمع الناس ، فدعا ، فورد كتاب من بخارى ، يذكر فيه ، أن رجلا تقدم إلى خباز ، يشترى منه خبزا ، فدفع اليه درهما ، والخباز يخبزه فمات الخباز ، وصاحب الدكان ، والمشترى في ساعة واحدة ، فلما قرأ الكتاب ، هاله ذلك ، ثم أمر القارئ فقرأ : ((أفأمن (١) الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض.)) ثم بالغ في الوعظ والتخويف ، وتغير في الحال ، وأنزل من من المنبر، وهو يصيح من وجع بطنه ، وحمل إلى الحمام ، ثم إلى بيته ، فأقام سبعة أيام ، ومات ، وصلى عليه خلق عظيم ، وقيل مات سنة خمسين وأربعمائة ، وقيل إنه تكلم على المنبر ، فغرق في علم المشاهدة ، وغلب ، فوقع ، فأقام سبعة أيام لا يفيق ، وتوفي فلم يبق بنيسابور بكر ، ولا عانس إلا وحضرن جنازته ، وكان يوما مشهودا ، في المحرم .

حدث عن الحاكم أبو عبد الله وغيره .

وروى عنه الخطيب ، وغيره ، وكان يحضر مجالسه الأئمة ، وجلس مكان أبيه ، وله سبع سنين ، وكان أبوه عبد الرحمن ، من كبار العلماء الزهاد ، وكان يعظ بنيسابور ، ففتكوا به لأجل التعصب في المذهب، فجلس أبو عثمان مكانه ، واتفقوا على فضله وزهده ، وورعه ، وصدقه ، وثقته .

---

(١) : سورة النحل الآية ٤٥ .

الحسين بن أحمد

ابن القاسم بن علي بن محمد بن أحمد بن أحمد بن ابراهيم بن طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، عليه السلام، النسابة، ولد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وتوفي في صفر، وكان مميزا من بين أهله بعلم النسب، ومعرفة أيام الناس.

سعد (١) بن أبي الفرج محمد بن جعفر - أبو الغنائم

علاء الدين بن فسانجس، وزر للملك أبي نصر بن أبي كاليجار، ونظر بواسط، أول قدوم طغرلبك الى بغداد، ثم عصى، وخطب للمصريين بواسط، وقد ذكرنا مقتله، وكان يوم قتل ابن سبع وثلاثين سنة.

عدنان بن الشريف الرضي الموسوي

ولي نقابة الطالبيين بعد عمه المرتضى، وكان فاضلا، وتوفي في رجب روى عن أبيه وعمه.

علي بن هندي أبو الحسن

قاضي حمص، ولد سنة أربعمائة، وكان فاضلا، نزها، عفيفا، فصيحا، وتوفي بدمشق ودفن بالباب الصغير ومن شعره:

تخلق حسن إن لم تكن خلق ... تورع حسن إن لم تكن ورع

فما أرى قيمة الدنيا وإن عظمت ... أن يأتي الحرُّ من نفسه يضع

---

(١): في ب سعيد وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه انظر المنتظم: ١٨٩/٨.

((السنة الخمسون والأربعمائة))

فيها استولى البساسيرى على بغداد ، وأخرج منها القائم بأمر الله ، ودرس آثارها ، وجرى على الخليفة ، وداره ، وأهله ، منه مالم يجر من الكفار ، ثم أن الله تعالى أخذ منه بالثأر ، ورد الخليفة الى مقره ، وسنذكر ذلك في موضعه ، ان شاء الله تعالى .

وفي المحرم ، صرف أبو علوان ، ثمال بن صالح (١) بن الزوقلية ، أمير حلب منها ، وأقطع عكا وقيسارية وصيدا ، والبلاد الساحلية ، عوضا عنها ، وولاها صاحب مصر لأبي علي بن ملهم الخويلدى ، وخرج صحبته القاضي أبن أبي عقيل ، قاضي صور ، حتى تسلم ابن ملهم حلبا ، وعاد القاضي إلى صور ، وكان بقلعة حلب أبو نصر بن أبي عمران الداعي ، فرتباه بحلب ، وعاد الداعي إلى مصر .

وفي المحرم بعث السلطان ساوتكين الخادم الخاص ، ومعه فرجية ديباج مطمومة بالذهب ، وعمامة مكية مذهبة ، وفرسا بمركب ذهب ، إلى أخيه ابراهيم ينال ، وأحب أن يزقه بملا بس الخليفة ، وكان ابراهيم بالموصل ، وأمره السلطان بالمسير اليه عاجلا .

وفي صفر ورد الخبر بأن البساسيرى أقطع الرحبة لخاصته ، وأرتفاعها ثمانون ألف دينار ، ووعد بإنفاذ ستين ألف دينار من مصر ، في كل سنة مضافة إلى ذلك ، يتصرف في إقامة العسكر البغداديين الذين معه ، وكتب إليه من مصر أن لا يعبر الفرات ، ويتعرض لأعمال العراق ، إلى أن يرى صاحب مصر رأيه في المسالمة أو المنافرة .

وقدم إبراهيم ينال بغداد سلخ المحرم وقيل في صفر .

وفي صفر قصد الوزير رئيس الرؤساء دار المملكة ، واجتمع بالسلطان ، وخاطبه في معنى أخيه إبراهيم ينال ، وقال عن الخليفة : قد راسلتك أيها السلطان عند وقوع الارجاف عليه بعصيانه عليك ، بأن لا تقبل فيه قول قائل ، ولا تعجل عليه ، فللناس أغراض يبلغونها بك ، ويتسوفون بها عندك ، وقال الله تعالى : " سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيك ونجعلُ لكما سلطانا فلايصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون (٢) ،

---

(١) : انظر : لمزيد من التفاصيل سيرة المؤيد في الدين : ١٧١ ـ ١٧٤ .

(٢) : سورة القصص الآية ٣٥ .

وما يبلغني عنه إلا الطاعة الخالصة ، والمحبة الصادقة ، والموالاة المؤكدة ، بحيث أنني قد اشتهيت أن أراه ، وقد شوقني ما أسمع عنه ، إلى مشاهدته ، فقال السلطان : إذا أمر أمير المؤمنين ، سيرته إلى خدمته ، ثم شرع يشكوه ، فقال : لما سلمت اليه الجبل (١) وعولت عليه عصى علي ، وجاهرني فسرت اليه ، فظفرت به ، وعملت معه الجميل ، ولو كان ماذكر عنه الآن من العصيان حقا ، لسرت اليه بنفسي ، وأخذته برقبته ، ولا أخاف إلا من شغلي به ، فتبقون أنتم هاهنا ، بحيث يتمكن العدو من انتهاز الفرصة فيكم ، فقال له رئيس الرؤساء : بعد قصده بابك ، ووطئه بساطك ، وتشرفه بالحضرة الامامية المقدسة ، مايكون منه مايتوزع الخاطر لأجله ، أو يقع الاهتمام بأمره ، ثم شكا اليه رئيس الرؤساء ، فساد الجند ، فقال : الأمر اليك في هذا ، افعل ماتراه ، وقد كنت الساعة قبل حضورك ، تقدمت الى عميد الملك ، بأن يتقدم إلى الحواشي والحجاب ، ويقول لهم : من أرجف بأني عائد إلى خراسان آذيته ، وعذبته ، وقد كنت أجوب الأرض حتى أصل الى هذه الرتبة ، من خدمة الدار العزيزة ، وقد بلغت منها نهاية الأمنية ، ولم يبق من خراسان من أخاف منه على بلادى ، كلهم لبسوا خلعي ، ودخلوا تحت طاعتي ، ولابد لي من نطحة الشام بعد تقضي الصيف ، وحضور المهرجان ، ثم خرج رئيس الرؤساء من عنده ، واجتمع بابراهيم ينال ، وقال له : أمير المؤمنين قد أنس بقربك ، وسكن إلى سلامتك ، وسر بما يبلغه من طاعتك ، فقام وقبل الأرض ، وقال : أنا خادم الدار العزيزة ، وباذل مهجتي في نصرتها ، وحيث ورد كتابك وأمرك بالحضور ، سارعت متشرفا بهذا المحل الشريف ، ومتجملا بهذا الاستدعاء الكريم ، وأنا واقف على الأوامر والمراسيم ، فشكره الوزير ودعا له .

وفي هذا الشهر أنفذ أهل سفانا (٢) وقلعة العين التي لمحمود بن الأخرم ، أمير بني خفاجة ، وهي معقل الخفاجيين ، إلى السلطان ، فسلموها اليه ، فأعطاها أنوشروان ابن زوجته ، فتسلمها أصحابه .

وفيه أخرج خمارتاش الحاجب ، في جماعة من العسكر ، إلى الأنبار وبارتكين وبارختكين الحاجبان إلى الموصل ، وسببه أنه ورد الخبر ، أن الساسيرى وقريش بن بدران ، ومن معهما من الغلمان البغدادية ، والأكراد ، قطعوا الفرات ، ومدوا أيديهم في أعمال الجزيرة .

---

(١) : أى بلاد الجبل ــ انظر معجم البلدان .

(٢) : في معجم البلدان " سنعان " صقع بين نصيبين وجزيرة ابن عمر .

وفيه ورد الخبر بأن الغلمان البغدادية ، شغبت على البساسيرى ، وقالــــوا : قد أقطعت الرحبة ، وليس لنا مايقوم بنا ، وانفصل عنه جماعة إلى دمشق ٠

(وفيها أبو نصر بن أبي عمران الداعية ، وشكوا اليه ، وطلبوا أن يذهبوا إلـــى مصر فنهاهم عن مصر ووقع لهم بما سألوا وأرضاهم وأعادهم إلى البساسيري ، فعـــادوا كارهين له فقطع عليهم الطريق بنو كلاب ، فقاتلوهم فنصر الغلمان عليهم فقتلوا منهــــم ونهبوا خيولهم وجاؤوا إلى حلب وبها أبو علي بن ملهم ، فشكوا إليه حالهم ، فعـــرف أنهم يكرهون العود إلى البساسيري ، فارتباطهم عنده ، وقرر لهم مايرضيهم ودخلـــوا إلى حلب فأقاموا بها) (١)٠

وفي مستهل ربيع الآخر ، ورد البساسيرى ، وقريش ، إلى تل أعفر ، وخرج عنهـــــا نائب السلطان إلى الموصل ، وجاءا فنازلا الموصل ، وكان غلمان السلطان ، يخرجـــون فيقاتلونهم ، واستظهروا على العرب ، وبلغ السلطان ، فأنفذ إلى الجبال يطلـــــــب الخيلباشية ، وجهز إليهم سبعمائة غلام ، مع الحجاب ، وورد بغداد ، سلطان بن دبيس ، في عسكره ، نجدة للسلطان ، فتلقاه عميـــد الملك ، وقبل الأرض بين يدي السلطان ٠

وفي جمادى الأول (٢) برز إبراهيم ينال ، من بغداد ، متوجها إلى الموصل ، وكان بقلعتها ايدانجبك الذى خلفه السلطان بقلعة تل أعفر ، جاء منهزما من البساسيرى، وكانت كتبه متواترة إلى السلطان بطلب النجدة ، وأنهم في ضيق ، فأراد السلطان أن يسير بنفسه ، فمنعه الخليفة ، وأشار بتسيير إبراهيم ينال ، وأشار على السلطان بمداراتــه وأزاله علله ، فامتثل ، وطيب قلبه ، وخلع عليه خلعة نفيسة من ثيابه ، وأعطـــــاه مالا ، وبعث إليه الخليفة خلعا ، وثيابا ، وفرسا من مراكبه ، وراسله بألطف الرسائـــل وسار نحو الموصل ٠

وفي جمادى الآخـــرة ولّى الخليفة نقابة الطالبيين لأبي عبد الله بن أبي طالب نقيب الكوفة ، والمظالم ، والحج ، وخلع عليه ، ولقبه بالمرتضى ، ذى الفخرين ، وحضر قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني ، والأعيان ، عند رئيس الرؤساء ، ببيت النوبة ، وخلــع عليه فيه ، وقرأ رئيس الرؤساء عهده ، وخرج القاضي معه ، والحجاب ، وعبر إلى الجانب الغربي ، إلى الدار التي كان ينزلها المرتضى أبو القاسم الموسوي ، عند بركة زلزل ،

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من (ب)٠

(٢) : في ب الآخـــر٠

فلما كان في يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الآخرة ، عبر الأعيان ليهنوه ، وفيهم أبو منصور بن يوسف ، والشريف أبو الحسين بن المهتدى ، الخطيب ، وأبو محمد التميمي ، وجماعة ، فأخذت عمائمهم في الطريق من قلة الناس ببغداد . وكثرة اللصوص ، ومضى أبو نصر بن الصباغ ، الى الجامع يوم الجمعة ، فأخذت عمامته ، وكان العجم من أصحاب السلطان ، يفتحون الدكاكين نهارا ، ويأخذون الأموال ، ولا يتجاسر أحد أن ينطق ، وخاف الناس خوفا عظيما ، وعزم السلطان على نهب الجانب الغربي ، وقتل من فيه من كثرة ارجافهم عليه ، فمنعه عميد الملك ، وقال : هذا يفضي الى خراب البلد ، واندراسه ، ولما سار ابراهيم ينال ، من بغداد الى واسط ، أجفل بين يديه ، أهل تلك البلاد ، وكان قد مضى الى ازبك ال بن موسك ، وعاد وهو مريض ، والعسكر مرضى من الوباء ، وجماعة المقدمين ، فأنزلوا في سفينة الى بغداد ، فلما وصلوا اليها ماتوا ، ولحق عميد الملك ا على خمارتاش حزن عظيم ، وقعد على التراب ، وامتنع من الطعام والشراب ، وكان يحبه ويعتمد عليه ، ثم نقله في تابوت الى خراسان .

وفي يوم الاثنين مستهل رجب ، برز السلطان خيمه نحو الموصل ، فخرج اليه رئيس الرؤساء ، وحمل معه خلعة ، من خلع الخليفة ، وفرسا ، وقال : قد رسم أن السلطان يسير يوم الأربعاء عاشر الشهر ، ، فانه اختير من طريق النجوم ، وكان الخليفة قد أشار على السلطان أن لا يخرج بنفسه ، فقال : أصحابي محصورون بالموصل وقد قل زادهم ، والبساسيرى قريب منهم ، وكنت قد قلت في أول الأمر : انني أخرج ، فمنعت ، فجرى على عسكري ماجرى ، ولا بد من الخروج ، فخرج وطلب من الخليفة مالا ينفقه في الغلمان ، فبعث اليه بمال سراء لا يدرى ما مبلغه ، ولما خرج السلطان ، رأى في عسكره قلة ، فشق عليه ، وقال لعميد الملك : هلا أخبرتني لأتوقف حتى تجتمع العساكر ، وكان عدة من معه نحو ألفي غلام .

وفي رابع رجبه هرب جماعة من أصحاب السلطان ، من قلعة الموصل ، فسلم البعض ، وغرق البعض ، وبقي منهم جماعة في القلعة ، وكانت العامة عليهم تقاتلهم ، ثم جاء البساسيرى ، فنزل دا الامارة ، وكان يقيم فيها نهاره ، ويخرج منها الى عسكره ليلا ، ووصل أصحاب السلطان من الجبل ، وجاءته العساكر وسار يوم الجمعة ، لأربع بقين من رجب ، ولما قرب من الموصل ، هرب البساسيرى ، وقريش بن بدران وأهل الموصل ، فهدم السلطان قلعة الموصل ، ونزل العسكر في دور أهل الموصل ، ولم يكن بقي منهم بها أحد ، وكان شتاء فنقض العسكر اخشابها وأوقدوها ، وخرب أكثرها ، وانما هرب أهل البلد لأنهم قاتلوا وأصحاب السلطان ، الذين كانوا في القلعة ، ولم يطل مقام السلطان بها ، وسار الى نصيبين ، فلما قرب منها ، ولم يبق بينهما

وبينه الا ليلة واحدة ، خرج اليه شيوخها ، وبذلوا عن البلد ثلاثين ألف دينـــار ، تدفع الى العسكر، فالتمس منهم مائة ألف دينار ، وقال : مايكفي العسكر أقل منهــا وبات أهل البلد على أسوأ حال ، فأصبحوا فلم يروا للسلطان والعساكر أثراء وذلك يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان ، والسبب فيه : أن ابراهيم ينال استشعر من السلطـان ومازال ابراهيم عنه نافرا ، وقيل انه كان يكاتب البساسيري باطنا ، وأشار عليـــه البساسيري بالعصيان لأخيه ، وأطمعه بأن ينفرد بالملك ، ويساعده على ذلك ، وكــان رئيس الرؤساء قد ظفر بكتاب المصرى ، والبساسيرى إلى إبراهيم ينال بذلك ، فأخـذ الوزير الكتب من الجاسوس، وأطلقه ولم يسيء اليه ليتألف قلب إبراهيم ، فعاد فعلـــه بالوبال وسوء الحال ، فان الجاسوس مضى من فوره إلى إبراهيم ينال ، والتقاه فـــي تلك الليلة ، وأخبره ، فانزعج وسار فى الليل (١) في قطعة عظيمة من الجيش الى همذان ولم يشعر االسلطان ، لأنه كان بعيدا عنه ، ولما علم سار ، فعدا خلفه خوفا أن يسبقه الى همذان ، وبها حلل التركمان ، فيملكها ويأخذ من همذان مابها من خزائـــن السلطان ، وأمواله وسلاحـه ، وتقدم إلى خاتون ، وعميد الملك، وأنوشروان ابن خاتـون وجميع الحاشية ، حتى طبيبه ومنجمه الذين لم يخلوا قط من صحبته ، وأمرهم بالانحدار سرعـة الى بغداد ، ليمضى هو جريدة بنفسه خلف إبراهيم ، ثم يكاتبهم من هناك بما يقتضيه الحال ، فانحدروا مجدين ، فدخلوا بغداد يوم الاثنين رابع شوال ، وأمـــا السلطان فانه وصل الى همذان ليلة الخميس الحادى والعشرين منه ، ثم وصـــل ابراهيم ينال بعده الى حلل التركمان ، فحلفهم واستوثقوا منه أن لايصالح أخاه ، ولا يكلفهم المسير الى العراق ، من بلادهم ، ولا الى غيرها ، ولا يستوزر وزيرا ، إلا برأيهم فحلف لهم ، وتحصن السلطان بهمذان ، وقاتل أهلها بين يديه ، و وردت كتبه إلـى عميد الملك ، وخاتون بالإسراع إليه ، والعسكر الذين معهم ليتقوى به ، فعزمـت خاتون على المسير ، فمنعها الخليفة خوفا من انصراف الجند ، وخلو البلد ، وقال لها عميد الملك : من يوصلنا إلى همذان ، والعساكر محيطة بها ، ومتى ظفر بنا ابراهيم ، كان وهنا عليك وعلى السلطان ، ودفعها رئيس الرؤساء عن ذلك ، وشرع عميد الملك باطنا في ترتيب أنوشروان ابنها من خوارزم شاه ، في الامارة ، وطالبه العسكر بالمـال ،

---

(١) : أفاض المؤيد فى الدين في سيرته : ١٧٤ ـ ١٧٦ بأخباره اتصالاته بابراهيم ينال مما أدى إلى ثورته ولمزيد من التفاصيل انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيـــة ص : ١١٠ ـ ١١٩ .

فأنفق فيهم عميد الملك قطعة من ماله ، ومال خاتون ، ومال أنوشروان ، وساعدهم الخليفة بالغلال ، ومن الناس أيضا ، وأعلم عميد الملك الرؤساء الترك ، بما عزم عليه وأطلع اينانجيك ، وعمر ، على شيء منه ، فلم يريا أنوشروان أهلا فنقضا عليه ما دبره وبلغ عميد الملك ذلك فأحفظه ، فلما كان يوم السبت الخامس والعشرين من شوال ، حضروا في دار المملكة فقال عميد الملك لعمر : ماتدع الفساد على السلطان ، ولا تصفى نيتك له وقد بلغني أنك تفسد العسكر لابراهيم ، وتحملهم على مفارقة باب الخليفة ، ونحن بازاء هذه العدو = يعني البساسيري ــ فقال له عمر : أنت تعلم من هوذا يسعى في الفساد ، يشير إليه ، ولكن قد كرهت كوني معك ، وأنا ألحق بالسلطان ، وأدعك فنفر من ذلك ، ونهض عازما على القبض عليه ، وأحس عمر ، فخرج وجرد سيفه ، وركب فرسه ، ومضى إلى داره واعترضه جماعة من أصحاب عميد الملك ، فلم يقدروا عليه ، واتبعه اينانجيك مائلا لعميد الملك ، خائفا منه ، ووصل عمر من ساعته في غلمانه ، وخاصته بالأسلحة والسيوف المسللة الى الجبل ، وجاءت رسالة خاتون الى رئيس الرؤساء باصلاح مابين اينانجيك وبين عميد الملك لئلا يلحق بعمر ، فيتضاعف الضرر ، فأحضره رئيس الرؤساء واستحلفه على الطاعة للخليفة والسلطان ، وعميد الملك ، وخرج له من حضرة الخليفة دست ثياب ، تشريفا له وتطييبا لقلبه ، فخرج من دار رئيس الرؤساء وقت العتمة ، فسار متبعا لعمر من غير التفات الى ماحلف عليه في الديوان ، ودخل عميد العراق الى بغداد لما مضى السلطان إلى الجبل ، واختلفت (١) الأمور عليه ، وكان مقيما بواسط لجباية الأموال ، فأصعد الى بغداد ، ودخلها في شوال .

وفى ليلة السبت ثامن شوال ، نقب جامع المنصور ، وأخذ منه المطرد الذي ينصب على المنبر ، والستر والسجاد ، وثياب المكبرين .

وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشرة ، بين المغرب والعشاء ، جاءت زلزلة عظيمة ، ولحق الناس منها خيفة شديدة ، ووصلت الأخبار بأنها اتصلت من همذان إلى بغداد ، وواسط وسقي الفرات وعانة ، وتكريت ، وكان ببغداد أرحاء تدور ، فبطلت ، وبعد هذه الزلزلة بشهر أخرج القائم من داره وجرى ماجرى .

---

(١) : فى ب " واختلت "

ولما خرج اينانجيك وعمر، اتبعهما جميع من كان ببغداد من التركمان والأتراك ، ولم يرض أحد منهم بتأمير أنوشروان عليه ، وقد كان عميد الملك خاطب الخليفة على أنوشروان، واظهاره في الملك ، فقال الخليفة : هذا أمر ينبغي أن يستر ، وقد جرت الأخبار بوفاة ركن الدين ، فان فعلنا ذلك صح ماأرجفوا به ، وطمع فينا العدو، والمصلحة الآن تدبير العساكر ، لئلا يخلو البلد منهم ، وهذا الأمر لايفوت ، وبعث رئيس الرؤساء الى أبي الأعز دبيس، يستحثه في القدوم إلى بغداد خوفا من البساسيري، فقدم يوم الاثنين ثاني ذي القعدة في مائة فارس ، فنزل النجمي مقابل دار الخليفة، واستأذن في ضرب الطبل على باب خيمته ، في أوقات الصلوات ، فأذن له في بعضها ، فلما كان يوم الأربعاء ، إذا بعميد الملك ، وأنوشروان قد عبرا دجلة ، وهما على دبيس الخيمة ، في مائة غلام ، فاستشعر وظن السوء فخرج إليهما ، وعرفاه أنهما هربا من خاتون ، وأنها أرادت القبض عليهما ، فضرب لهما خيمة وأنزلهما فيها ، وقيل ان خاتون كانت على اللحاق بالسلطان خوفا من أن ينحدر البساسيري الى بغداد ، وأيضا بلغها أن السلطان دخل ببنت الملك أبي كاليجار بن بويه ، وأنه قد مال اليها ، وخافت ايضا أن يعلم السلطان بما عزم عليه أنوشروان وعميد الملك ، فربما أنه تخيل على رأيهما ، فعزمت على القبض عليهما ، وقيل إن كتاب السلطان ورد عليها بالقبض عليهما ، لأن الخبر وصله بما شرعا فيه ، فأطلعتهما على الكتاب ، ، وأشارت عليهما بالانصراف ، فلما عبرا دجلة ، نهبت دورهما واستدعت الخيلباشية والتركمان ، وحاشية السلطان ، وأخبرتهم بذلك ، وأطلقت لسانها في عميد الملك وأنوشروان ، وأنهما منعاها من اللحاق بالسلطان ، لسوء نيتهما ، وأظهرت الندم على افلاتها لهم (١) ، وتقدمت إلى الجماعة بالمسير، ورحلت بكرة يوم الأربعاء خامس ذي القعدة ، فبعث إليها الخليفة بالتوقف فزبرت الرسول ، وسارت ، وخاف الحريم من عبث الغزية ، يعني حريم دار الخلافة ، فرمى الناس أقمشتهم في الآبار ، وأقام الوزير على أبواب الدروب من يحفظها ، وباتوا على وجل ، وسار الغز مع خاتون ، ونهب من تخلف منهم دار المملكة، ومافيها من السلاح والرجال ، وكان شيئا كثيرا ، وعبر عميد الملك من خيم ابن مزيد ، وقت العصر (٢) إلى بيت النوبة ، واجتمع برئيس الرؤساء ، واستقر الرأى مع الخليفة ، عبور ابن مزيد الى الجانب الشرقي ، لتهمتهم اياه

---

(١) : في ب افلاتهما منهما "

(٢) : في ب " بعد " .

بالبساسيري ، وجرت بينهم وبينه مراسلات إلى أن عبر يوم الخميس سادس ذي القعدة ، وتواترت الأخبار بانحدار (١) البساسيري وقريش ، ونزولهما على هيت منتهزين الفرصة في بغداد ، ولم يبق مع عميد الملك غير غلمانه ، فانحدر إلى دير العاقول يوم الخميس ، طالبا خوزستان ، فلقي في طريقه أبا كاليجار هزارسب ، وكان قد استدعي إلى بغداد ، فعرفه مسير خاتون بالعساكر ، فرجع معه ، ومضيا جميعا إلى الأهواز ، وأما أنو شروان ، فسار لاحقا بوالدته ، وكثرت الأخبار بقرب البساسيري ، وضعفت نفس الخليفة ، ووزيره ورجع الناس ، وخصوصا حاشية الخليفة ، وخدمه ، وقال الخليفة : من أراد الإنصراف فلينصرف ، فإني خارج من البلد ، فأخرج الناس أموالهم وأولادهم إلى شاطئ دجلة ، وضج النساء والاطفال ، وأنزل الحاشية والعجم أموالهم إلى السفن .

وفي وقت هذه الثورة ، صاح على دار الخليفة ، نحو عشر بومات صياحا مزعجا ، وكررت تكريرا موحشا ، ولما تحقق أبو الأغر دبيس ، وصول البساسيري قال لرئيس الرؤساء من بقي هاهنا من هؤلاء العجم يدافع ، والرأي عندي خروجي وخروجك عن البلد ، وانحداركما ومن يتعلق بكما ، في دجلة إلى البلاد السفلية ، بحيث تأمنا عدوكما ويجتمع هزارسب معي في خدمتكما ، ويجتمع إليكما من تتقوى به ، فوافق على هذا الرأى ، وخاطب الخليفة مرات فأجابه إليه ، ثم صعب عليه مفارقة داره وماله ، وسمع من والدته ماقوى قلبه وعزمه في المقام ، فاجتهد به رئيس الرؤساء في الانحدار ، فأبى ، فقال دبيس : قد فحصت الرأى ، فالله يقيكم ويدافع عنكم ، وانصرف إلى ديالى (٢) وأقام متوقعا خروج الخليفة ، ولم يقبل ، وانحدر معه قوم من الحواشي ، وخاف الغز من غدره ، فتوقفوا ، وأقام الخليفة على كره وضرورة ، لا عن رأي وارادة ، وجمع إليه من بقي وأمر بأصعاد العجم من السفن ، التي كانوا يتحدرون فيها ، وخرج عميد العراق أبو نصر أحمد المستوفي لينحدر ، فخرج الخليفة بنفسه إليه فرده ، واجتمع مع الخليفة نحو مائة فارس ، وألف راجل ، وأمر أهل الجانب الغربي أن يعبروا إلى الجانب الشرقي ، وأمر الزهيري ، وابن البدن ، وابن المذهب ، وهم رؤوس الفتن أن يعبروا الى الجانب الشرقي إلى الحريم (٣) ، ومضى رئيس الرؤساء وعميد العراق إلى دار المملكة ،

---

(١) : في ب " بنزول "

(٢) : نهر كبير بقرب بغداد وهو : نهر يعقوبا الاعظم معجم البلدان .

(٣) : أي الحريم الطاهري احد قصور بغداد بأعلى المدينة في الجانب الغربي منها منسوب الى طاهر بن الحسين وبه كانت منازل أبي طاهر وكان من لجأ اليه أمن فلذلك سمي الحريم وكان اول من جعله حرجا عبدالله بن طاهر بن الحسين وكان عظيما في دولة بني العباس : ياقوت معجم البلدان .

وأخذا من الساج (١) الذي فيها ماصلح ، وضربا الباقي بالنار ، واحترق بيت كبير ، يقال له السبكتكيني ، بناه سبكتكين حاجب معز الدولة ، كان فيه السلاح ، ولما بنى عضد الدولة دار المملكة ، وغيرها لم يتعرض لهذا البيت ، وقال : هذا فخر بني بويه يشاهده الناس في دار المملكة ، ودخل يوم الجمعة سابع ذي القعدة ، أو سادس عشرة ، غلمان من البغدادية الذين مع البساسيري ، إلى بغداد ، إلى الجانب الغربي ، واجتازوا بالكرخ ، فوثب اليهم أهل الكرخ ، وخلقوا دوابهم ، ودعوا لهم وللبساسيرى ، ولصاحب مصر ، وسبوا رئيس الرؤساء ، وكان أبو طالب كامروين الملك أبي كالهجار محبوسا في دار في الجانب الغربي ، فأخرجوه وشدوا له علما أحمرا ، وأقاموه بازاء دار المملكة ، وبعثوا إلى البساسيري يخبرونه بدخولهم بغداد ، ومافعلوا ، ويستحثونه على لحاقهم ، وأقاموا مع كامرو إلى وقت المساء ، ثم حمله إلى قرية عقرقوفه فباتوا بها ، و وافاهم البساسيرى ، وقيل لم يصل الناس الجمعة بجامع المنصور ، وانما صلوا الظهر ، بغير خطبة ، ونزل البساسيرى يوم السبت ، بعقرقوب (٢) ، ولقيه كامرو ، فلم ير عنده ماقدره وجاهره بما يكره ، وحصل في جملته غير مهتم بأمره ، ولا مراع لحقه ، فلما كان يوم الأحد ثامن ذي القعدة ، دخل بغداد ، فخرج إليه أهل الكرخ ، وتضرعوا في أن يجتاز عندهم ، فعدل معهم ، ودخل الكرخ ، فنثروا عليه الدنانير ، والدراهم ، وعليه جبة عتابي ، وعمامة خز ، وكان دائما ينتخب الملابس الفاخرة ، وعن يمينه أبو الحسن ابن عبد الرحيم ، وعن يساره من الغلمان البغدادية العدد القليل ، وعلى رأسه نحو من عشرين قصبة من القنا ، منها عشرة ملبسة بالفضة ، مشدود عليها تسعة مطارد سقلاطون ، مكتوب عليها بالذهب والفضة : ((الامام المستنصر بالله ، أبو تميم ، معدة أمير المؤمنين)) ومنها عشرة ملبسة بالحرير الأحمر ، على واحدة منها ، راية بيضاء منسوج فيها بالذهب اسم المستنصر أيضا ، فنزل بمشرعة الروايا ، ونزل قريش في نحو من مائتي فارس في مشرعة باب البصرة ، في بني عقيل ، ولما استقر بالقوم المنزل ، ركب عميد العراق من الجانب الشرقي في العسكر ، وحواشي الدار ، والخدم ، والهاشميين ، والعلويين ، والعوام ، وقد ألبسهم السلاح ، فكانوا عددا كبيرا ، ومعهم فيل صغير حمله السلطان

---

(١) : هوالطيلسان الاخضر وقيل هو الطيلسان المقور ينسج كذلك كانت القلانس تعمل منه أو من نوعه النهاية لابن الاثير.

(٢) : قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ ، معجم البلدان.

الى الخليفة لما زف اليه ابنة أخيه ، وضربوا الدبادب والبوقات)وصاحوا عليهم الى آخر النهار ، ثم انصرفوا ، ولم يجاوبوا من عسكر البساسيرى بكلمة ، ولا فعل ، ونهبت دار قاضي القضاة أبى عبدالله الدامغاني ، وكانت بالجانب الغربى ، وتلف أكثر السجلات ، والكتب الحكمية ، ونهبت دور المتعلقين على الخليفة ، والعجم إلاّ من كان فى داره ، فانهم لم يتعرضوا له ولا لداره ، وأوصى البساسيري الغلمان أن لاينهبوا ، ويحسنوا العشرة مع الناس ، وطرحت النار فى باب البصرة ، وكان أكثر اهلها قد عبروا الى دار الخليفة فنهبت وأحرقت ، واجتهد البساسيرى فى منع ذلك ، فلم يقدر لأن أهل الكرخ أظهروا ماكان فى قلوبهم ، وخرج من بقي من أهل باب البصرة عراة ، ومعهم النساء والأطفال ، وقعدوا على الطرق والدكاكين ، وكان الزمان شتاء ، والبرد شديد ، فمات أكثرهم ، وأعاد أهل الكرخ الأذان بحي على خير العمل ، وأظهروا الفرح والسرور والتشفي بازاء ماقاسوه من الخوف والذل ، وعملوا راية بيضاء وكتبوا (١) عليها اسم المستنصر ، ونصبوها في وسط الكرخ ، وعقد البساسيرى الجسر عند باب الطاق ، ليضيق دجلة ، وجرى بينه وبين عميد العراق حرب على عقده ، وجمع اليه البساسيرى العوام، وأهل الكرخ أطمعهم فى نهب دار الخليفة ، واجتمع اليه العيارون ، وكان كل من عبر إليه الى الجانب الغربى ، خلع عليه وزفه بالبوقات والدبادب ، وخطب بجامع المنصور للمستنصر ، وألبس الخطيب والمؤذنين الثياب البيض ، وزيد في الأذان حي على خير العمل ، وركب عميد العراق الى جامع الرصافة ، وأقام الخطبة للقائم على العادة ، ولما تكامل الجسر ، والقتال يعمل عليه ، سير جماعة يوم الاثنين سادس عشر ذي القعدة ، فوافاهم عميد العراق عند الزاهر ، واقتتلوا ، فانهزم عميد العراق ، ومن كان معه ، وقتل من الديلم نحو من ثلاثين رجلا وعبر البساسيري بعسكره ، وخرج إليه عميد العراق ، وبنو هاشم ، وغيرهم ، وقاتلوه من نهر معلى ، وإلى باب أبرز ، وكان القتال يعمل كل يوم وخطب يوم الجمعة بجامع الرصافة للمستنصر أيضا ، وكان الخطيب في جامع المنصور والرصافة يقال له ابن شعيب الأرجاني ، وكان شريرا ممعنا ، وكان البساسيري يعرفه بالشر ، فنال من الخليفة ، ومن رئيس الرؤساء على المنبرين ، وكان عميد العراق ، ورئيس الرؤساء ، والخدم ، والزهيري ، وابن البدن ، وابن المذهب القاص يقفون بباب النوبي ، ويقاتلون ويجمعون العوام ، ورئيس الرؤساء يحرضهم ويقول : ((اقتلوهم حيث ثقفتموهم)) (٢)

---

(١) : زيدت " وكتبوا " من ب

(٢) : سورة البقرة الآيـة ١٩١

وكان النساء يقاتلن ، ويأيديهن الدفوف ، وحفرت الخنادق والآبار حول دار الخليفة ، وخلا جانب الحلبة من المقاتلين ، واشتغلوا بحفظ باب النوبي ، فلما كان يوم الأحد التاسع والعشرين من ذي القعدة ، قصد البساسيرى دار الخليفة ، من ناحية باب النوبي ، وعرف العوام خلو باب الأزج ، والحلبة ، فجاءوا الى ناحية باب الأزج ، وهدموا حائطا ، وأحرقوا أماكن ، وعلم البساسيرى ، فساق اليهم فوجدهم قد اشتغلوا بالنهب من باب الأزج ، ولما رآهم أصحابه ينهبون ، شرعوا في النهب ، فبقى في عسكر قليل ، وحمل أصحاب عميد العراق عليه ، وقتلوا أحد مماليكه ، فانصرف وقد غاظه ماجرى ، ونادى في أصحابه : من نهب حل دمه ، وباكر القتال من غد عند الحلبة ، وكان عميد العراق واقفا بباب أبرز في أصحابه ، وهو مستظهر عليه ، ولو قبل رئيس الرؤساء رأيه لطال الأمر ، ولكنه عدل إلى رأي نفسه ، وجاء إلى باب الحلبة فشجعه القاضي أبو الفضل الهمذاني وقال : افتح لي الباب لأخرج إلى هذا الكلب وآخذه برقبته ، ولم يكن رئيس الرؤساء يقيم الحرب ، ولا له به خبرة ، ففتح الباب فخرج أبو الفضل في من تخلف عن عميد العراق ، من العجم ، ومعه الخدم ، والخواص ، والهاشميون ، والعوام إلى الحلبة ، وانتشروا فيها ، وعميد العراق في باب أبرز ، ووقف رئيس الرؤساء بالباب يفرق النساب ، فاستجرهم البساسيري إلى آخر الحلبة ، ثم أكب عليهم فانهزموا ، وقتل من الخدم ، والخواص جماعة ، وكذا من الهاشميين منهم : أبو علي بن أبي تمام نقيب الهاشميين ، وجماعة كثيرة ، واستأمن بعضهم ، وازدحم في باب الحلبة خلق فمات منهم جماعة منهم : القاضي أبو الفضل الهمذاني ، وجماعة من العوام ، حتى املأ العقد بهم ، وصعد الناس على القتلى ، وازدحموا فوقهم ، وهرب رئيس الرؤساء الى دار الخلافة ، ورجع البساسيرى إلى معسكره ، وعبر العوام وغيرهم من دار الخلافة ، إلى الجانب الغربي ، وأخذوا نسائهم وأموالهم ، ونهبوا حريم الخلافة ، وخرج رئيس الرؤساء إلى باب النوبي ، واستدعى عميد العراق ، وقال له : احفظ باب العامة وكن على سور دار الخلافة ، ودخل إلى القائم وقد أطاف بالقائم خدمه وخواصه فقال له : ما الرأى ياعلي ؟ فقال : تحفظ الدار ، ويكون القتال على السور ونسأل الله حسن المقدور ، فقال له بعض الهاشميين : يارئيس الرؤساء ، قامرت في الدولة العباسية ، فقمرتها ، وهم على ذلك ، سمعوا صراخا في الدار ، فقال : انظروا ماهذا ؟ قالوا : العوام والعسكر دخلوا الدار ، ونهبوا ديوان الخاص ، ودواب الخدم ، والخواص ، وأشاروا على الخليفة بالركوب ليشاهده الناس ، فاما يرجعوا ، وإما استذم قريش ، فركب وعليه السواد ، وعلى كتفه البردة ، وبيده سيف مجرد ، وعلى رأسه اللواء ، والهاشميون حوله ، والجواري

حاسرات ناشرات الشعور ، معهن المصاحف على روؤس القصب ، وبين يديه الخدم بالسيوف المسللة ، فوجدوا جماعة من النهابة ، قد وصلوا باب الفردوس، فقتلوهم ، ورجع الى باب العامة يريد عميد العراق ، فوجده قد استأمن إلى قريش بن بدران ورمى أكثر أصحابه سلاحهم ، واستأمنوا معه ، فعاد الى الحلبة الصغيرة ، وعرف أن البساسيرى وقريش في الحلبة الكبيرة ، فصعد الى منظرة له ، وأطلع رئيس الرؤساء ، وصاح بقريش : ياعلم الدين أمير المؤمنين يستدنيك ، فدنا الى تحت المنظرة ، فقال : قد آتاك الله رتبة لم ينلها أمثالك ، وأحلك منزلة لم يحلها أشكالك ، فان أمير المؤمنين يستذم منك على نفسه ، وأهله ، وأصحابه ، بذمام الله تعالى ، وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمام العرب ، فقال قريش : قد أذم الله له ، قال : ولي ولمن معه ؟ قال :نعم ، وخلع قلنسوة من تحت عمامته ، وأعطاها ذماما للخليفة ، وأعطى مخصرته لرئيس الرؤساء ذماما ، ففتح الباب ، ونزل الخليفة ، ورئيس الرؤساء إلى قريش، وحصلا معه ، فقبل قريش الأرض دفعات ، وكان ابن مسلمة قد تسرح من الحائط ، فنزل وبلغ البساسيرى فأرسل إليه يقول : أتذم لهما ، وقد استقر بيني وبينك ما استحلفك عليه ؟ وكانا عند انحدارهما قد تحالفا ، أن لاينفرد أحدهما عن الآخر بشيء، ويكون العراق بينهما ، نصفين ، فقال قريش : ماعدلت عما استقر بيننا ، عدوك ابن المسلمة — يعني رئيس الرؤساء — فخذه ، وأنا آخذ الخليفة ، فرضي بذلك ، وبعث رئيس الرؤساء اليه مع منصور بن مزيد ، فحين رآه البساسيرى ، قال : مرحبا بمدمر الدول ، ومهلك الأمم ، ومخرب البلاد ، ومبيد العباد ، فقال له : أيها الأجل ، العفو عند المقدرة ، فقال : قد قدرت فما عفوت ، وأنت تاجر صاحب طيلسان ، ولم تبق على الحريم ، والأطفال ، والأموال ، فكيف أعفو عنك ، وأنا صاحب سيف ، وقد أخذت أموالي ، وعاقبت حرمي ، ونفيتهم إلى البلاد ، والقلاع ، واعتقلتهم فيها ، وقتلت أصحابي ، ودرست دورى ، وسببتني (١) ، وأبعدتني ، وفعلت تلك الأفاعيل فيها ، ولكن هذا من تصورك (٢) الفاسد ، وعقلك الناقص، واجتمع العامة على ابن المسلمة ولعنوه ، وسبوه ، وهموا به ، فأخذ البساسيرى بيده ، وسيره الى جنبه خوفا عليه من العامة ، ولم يزل يوبخه ، ويعنفه وهو يعتذر إليه ، ويستعطفه ، وحل الركابي حزام البرذون ، الذى كان تحته ، ليسقط

---

(١) : في ب " شتتني ".

(٢) : في الاصل " قصورك " والتقويم من ب

ويتمكن منه العامة ، فسقط فوقف البساسيرى حتى أركبه ، ومضى به الى خيمته ، وانتزع أحد الأتراك ماكان عليه ، وألبسه قميص خز ، وعمامة لطيفة بيضاء وقيده بقيد ووكل به ، وحصل في يده جميع من كان يظلبه ، مثل : ابن المردوشي ، وأبى عبدالله بن الدامغاني ، قاضي القضاة ، وهبة الله بن المأمون ، وأبي علي (١) بن الشيرواني ، وأبى عبدالله بن عبد الملك ، وكان من التجار الكبار ، وبينه وبين البساسيرى عداوة ، وكان قد سكن دار الخلافة خوفا منه على ماله ، ونعمته ، وظفر بالسيدة خاتون بنت الأمير داود ، زوجة الخليفة ، فأحسن معاملتها ، ولم يتعرض لها ، وسلمها إلى أبي عبدالله بن جردة البيع ، وأما قريش ، فحصل في يده الخليفة ، وعميد العراق ، وأبو منصور بن يوسف ، وولده ، فحمل الخليفة الى معسكره راكبا عليه الثياب السود ، وعلى كتفيه البردة ، وبيده سيف مسلول ، وعلى رأسه اللواء ، فمال ، فأنزله قريش خيمة لطيفة ، ومعه من خواص خدمه : صبحان ، وموفق ، وعفيف موكل بالخيمة قوما من أصحابه ، ولحق الخليفة ذرب عظيم ، فامتنع من الطعام ، والشراب ، فسأله قريش ، وألح عليه حتى أكل وشرب ، ثم أن قريش أذم لأبي عبدالله بن جردة ، وكان تاجرا لم يدخل نفسه في غير التجارة ، وأخذ أبا منصور بن يوسف ، وابنيه إلى حلته ، وأكرمه ، وأصلح حاله مع البساسيري ، وكان ابن جردة قد ضمن لقريش عشرة آلاف دينار ، إن حمى له داره ، ومافيها من أموال التجارة ، فحماها ، وعبر العوام من الكرخ وغيره يوم الثلاثاء ، فأحرقوا رباط أبي سعيد الصوفي ، بباب المدرسة النظامية ثم صعدوا الى دار الخليفة ، وفتحوا بابها ، (٢) ونهبوها ، وأخذ منها من الأموال والجواهر ، والثياب ، والأواني ، والياقوت ، والمصاغ ، وجميع الاشياء ، مالا يحصر قيمته ، واستغنى أهل الكرخ ، والعراق ، والعرب ، والغلمان ، وفلما كان يوم الأربعاء ، رفع البساسيرى النهب عن دار الخليفة ، واستخرجت الأموال منها ، واقتسمها البساسيري، وقريش على ما اتفقا عليه ، وقتل ابن المذهب القاص بباب النوبي ، وأفلت ابن الزهيرى ، وابن البدن الجنان ، وكان هؤلاء الثلاثة القائمين ، القاعدين ، المتهددين، المتوعدين ، وكان في قلوب الناس منهم مافيها ، وعبر البساسيري بابن المسلمة إلى حريم ابن طاهر ، واعتقله فيه ، وثقله بالحديد ، وضربه بيده ضربا مبرحا ، حتى انتفخت قدماه ، ففك قيده حتى سكنت ، ثم أعيد القيد ، واعتقل أيضا القاضي ، ومن سمّينا ،

---

(١) : في ب أو أبى عبدالله .

(٢) : في ب أبوابها .

وواصل العقوبة عليهم ، وأقام بالحريم وجعله داره ، وشد الفيلة على بابه ، وطلب الخليفة من قريش ، فلم يفعل ، فاتفقا على أن أيديهما متساوية في حفظه ، وأن لا يكون في يد أحدهما ، إلى أن يتقرر لهما عزم في بابه ، وأن يبعثاه الى مهارش صاحب الحديثة ، وأن يكون معتقلا عنده ، وعرف الخليفة ذلك ، فخاف أن تكون مكيدة ، فراسل قريشا في المجيء اليه ، فامتنع ، فقام الخليفة ، ومشى إلى خيمة قريش ، ودخل عليه ، وعلق بذيله ، وقال : قد عرفت ما استقر من إبعادي عنك ، وإخراجي من يدك ، وماسلمت نفسي إليك ، إلا لما أعطيتني ذمامك ، الذى يلزمك الوفاء به ، وقد دخلت عليك بذمام آخر ، فالله الله في نفسي ، فإنك إن أسلمتني ، أهلكتني ، وضيعتني وماذاك معروف في العرب ، فقال له : مايدالك سوء ، ولا يلحقك ضيم ، غير أن هذه الخيمة ليست لك بدار مقام ، وأبو الحارث لايؤثر مقامك معه ، في هذا البلد ، وقد جرى دين ، وتأله ، فلا تخف ، واسكن إلى مراعاتي لك ، وعد الى مكانك ، فلما يئس منه قام عنه ، وهو يقول : لله أمر هو بالغة ، واسترجع ، وعبر قريش ليلة الأربعاء تاسع ذى الحجة ، إلى الجانب الغربى ، وضرب خيمة بقرب جامع المنصور ، وحمل الخليفة إلى المشهد ، بمقابر قريش ، وقيل له : تبات الليلة فيه ، فامتنع ، وقال : هؤلاء العلويون الذين به أعدائي ويشنونى ، وربما جرى منهم قول قبيح ، فلم يلتفت اليه ، وألزم الدخول ، وبات في بعض البيوت ، وكان القصد في ادخاله المشهد إنما لما جرى على المشهد من الحريق والهوان ، وفعل الزهيرى ، وابن البدن ، إنما كان عن أمره وإيثاره ، فأرادوا الموافقة له على ذلك ، وأنه عوقب بدخوله اليه ، وأصبح أصحاب البساسيري ، وأصحاب قريش ، فتسلموه وأقعدوه في هودج على جمل وحده ، وساروا به إلى الحديثة ، فلما بلغ الانبار شكا وصول البرد إلى جسمه ، وطلب شيئا يلبسه ، فلم يجد ، وعرف شيخ من مشايخ الأنبار ، يقال له ابن مهدويه ذلك (١) فأنفذ اليه جبة يرد تيها قطن ، وبقيار أو لحافا ، وكتب الخليفة رقعة من هناك إلى بغداد ، يتلطف فيها بالبساسيري وقريش ، ويسألهما اعادته إلى بغداد ، واحسان العشرة ، وحلف بالأيمان المؤكدة على براءة ساحته ، من جميع مانسب اليه ، فلم يقع التفات إليها ، ولا ردا جوابا عنها ، وركب البساسيرى ، يوم الخميس العاشر من ذي الحجة إلى المصلى في الجانب الشرقي ، وعلى رأسه الألوية المصرية ، وأكثر من في موكبه من العجم ، وكانوا سبعمائة فدنا منهم ، ولم يتعرض لهم ، وعبر في طيار الخليفة ، وعلى الطيار أعلام المصريين ،

---

(١) : زيدت ((ذلك)) من ب .

فصلي العيد ، ونحن بين يديه أبو منصور بن بكران حاجب الخليفة ، على رأسه في النحر ، وعليه ثياب بياض ، وضرب البساسيري دنانير سماها المستنصرية ، وكان على جانبه (١) : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وعلى الآخر : عبد الله ووليه الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين ٠

وأما دبيس فانه كان مقيما بديالي ، ولما بلغه ماجرى ، رحل منها ، ودخل بغداد يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة ، والتقاه البساسيري ، وقريش ، وفي جملتهم أبو عبد الله المردوشي ، وجماعة من الحاشية طمعا أن يصلح حالهم مع البساسيري ، وضرب خيمة على الصراة ، وكان البساسيري يقبض في الليل على جماعة منهم ، ويفرقهم ، وقدم عليه من كان بواسط من الغلمان ، والعجم ، واستخدمهم و وطيب قلوبهم ، وأقفر حريم دار الخلافة ، ولم يبق فيه الإ عدد يسير ، وخربت الدور والمساكن والأسواق ، وكان بتكريت أصحاب السلطان طغرلبك رتبهم عند عوده من الموصل ، فندب البساسيري رجلا يقال له حيدر ، من العجم ، كان قد خدم البساسيري وقال : تمضي مع قريش لحصار تكريت ٠

وفي ذي الحجة غرق البساسيري قوما من العجم هموا بالفتك به ، وغرق معهم جماعة من العيارين ، ظفر بهم ، فيهم الزهيري ، وكان الزهيري لما أنزل في السفينة ليغرق ، سأل بعض الملاحين ، وكان من أهل السنة ، أن يحل كتافه ، ففعل ، وسبح وانحدر الى مشرعة القصب ، وصعد الى زورق فاستكن فيه من البرد ، وأنكره ملاحوه ، فضمن لهم خمسة دنانير على أن يحملوه الى مربعة القطانين ، فحطوه ، فدخل دار العكبري ، معلم أولاد ابن المسلمة ، وأخذ من أحد أقاربه خمسة دنانير ، فدفعها إليهم ، وخاف العكبري أن يشيع ذلك ، فيغرقه البساسيري عوضه ، فبعث للبساسيري وأخبره ، فبعث فأخذ الزهيري فقتله ، وطرح في دجلة ، وأما ابن البدن ، فانه هرب إلى النهروان ، فبعث به ناظر النهروان إلى البساسيري ، فجاء به فارسان إلى الزاهر ليلا فناما ، وهرب في الليل ، وسبح إلى باب البصرة ، واختبأ عند امراة فسلم ٠

وفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة قتل رئيس الرؤساء وسنذكره ان شاء الله تعالى ٠

---

(١) : أي جانب كل دينار ٠

وفي هذا اليوم ورد ركابي الى بغداد ، ومعه كتاب إلى دور أحد حجاب السلطان ، يخبر فيه أن السلطان كان محاصرا بهمذان ، وورد الخبر إلى أخيه ابراهيم ينال ، أن زوجة السلطان واصلة بالعساكر والخزائن ، فحرص على أخذها ، وبعث بقطعة كبيرة من العسكر وراءها ، وتبعها أكثر التركمان طبعا في نهب مامعها ، ففل عسكر ابراهيم ينال منهزما ، وسار السلطان إلى الري ، ولحقت به خاتون وفاتت التركمان ، وعادوا فوجدوا أموالهم قد نهبت ، ووصلت خاتون بالسلطان ، وسلمت ، وكان ابنها أنو شروان معها مقيدا ، وقد كان لحقها بحلوان ، فقيدته واستصحبته معها ، فلما رآه السلطان على تلك الصورة ، رق له ، وفك قيده ، وأفرج عنه •

وكان البساسيري ، لما دخل بغداد أسر بارختكين ، حاجب السلطان ، وكانت زوجته مع خاتون ، فسألت السلطان أن يفدي زوجها بنساء البساسيرى ، وأولاده ، فأجابها وبعث كتابا إلى بدر بن المهلهل الكردي ، ليتسلم بارختكين ، ويسلم أولاد البساسيرى•

وفيه أفرج البساسيرى عن قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني ، بعد أن قرر عليه ثلثمائة آلاف دينار وضمنه حموه ابن السمناني عليها ، وأدى سبعمائة دينار، وسكت البسلسيرى عن الباقي •

ووصل الخليفة الى الحديثة ، والتقاه مهاوش البدوي ، وكان حسن الطريقة يخدم الخليفة بنفسه •

وفيها قدم الحسن بن الحسين بن حمدان ، الملقب بناصر الدولة ، ذي المجدين، من مصر ، أميرا على دمشق ، فأقام بها واليا إلى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، وندب إلى حلب ، لقتال بني كلاب ، فتوجه إليهم ، وجرت له معهم وقعات ، منها وقعة الفنيدق ، فكسر ابن حمدان كسرة عظيمة ، قتل أكثر عسكره ، وأسر الباقون ، ومضى إلى مصر جريحا ، وقيل كانت في شعبان •

وقال الرئيس أبو يعلى ، حمزة بن أسد بن علي التميمي : وفي سنة خمسين وأربعمائة وصل الأمير ناصر الدولة ، أبو محمد الحسن بن الحسين ابن حمدان ، إلى دمشق ، واليا عليها دفعة ثانية ، بعد أولى يوم الاثنين ، النصف من رجب ، فأقام يجمع أموالها ، ويسوس أحوالها ، إلى أن ورد عليه الأمر من مصر بالمسير إلى حلب ، فتوجه إليها في ربيع الأول ، سنة اثنتين وخمسين ، واتفقت الوقعة المشهورة (١) عند الفنيدق بظاهر حلب ، يوم الاثنين مستهل شعبان ، فانهزم ناصر الدولة (٢) مفلولا جريحا ، واستولت العرب على ماكان معه •

---

(١) : في ب " المذكورة " ووافق ماجاء بالاصل رواية ابن القلانسي ص ١٤٢ •

(٢) : زيدت كلمة ((الدولة)) من ب •

قال المصنف رحمه الله : ومعنى قوله ورد دمشق دفعة ثانية ، أن ناصرالدولة كان قد ولي دمشق سنة ثلاث وثلاثين ، بعد أمير الجيوش أنوشتكين ، وورد في صحبة ناصر الدولة إلى دمشق ، الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس ابن الحسن بن الحسين بن أبي الحسن ، نقيب الطالبيين ، فأقام ناصر الدولة إلى سنة أربعين ، فعزل في رجب ، وحمل مقبوضاً عليه إلى مصر (١).

وفيها توفي داود جغري بك ، أخو السلطان طغرلبك ، وهو الأكبر ، ولم يقدم بغداد ، وكان مقيما بخراسان بازاء أولاد محمود بن سبكستكين ، وداود حمو القائم ، وكان عاقلا شجاعا ، مدبرا ، حكيما جوادا(٢) رضي بخراسان (٣) وكانت وفاته ببلخ ، ومضى ولداه ياقوتي وقاورت من حضرة السلطان ، إلى أخيهما المتملك الأمر بعد أبيهما ، واسمه ألب ارسلان ، وقرر السلطان أمورهم ، وكان بأصفهان ، وقد عزم على قصد العراق .

وفيها توفي طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أبو الطيب الطبرى القاضي الشافعي ، ولد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بآمل (٤) ، وتفقه بخراسان ، والعراق ، وابتدي بدرس الفقه والعلم ، وله أربع عشرة سنة ، فلم يخل به يوم واحد حتى مات ، وولي القضاء بربع الكرخ ، وكان حسن الخلق ، دفع إلى خفاف خفا ليصلحه ، فكان يمر عليه فيتقاضاه ، فاذا رآه الخفاف أخذ الخف ، وغمسه في الماء ، وقال : الساعة أصلحه لك ، فلما طال عليه ذلك ، مر به يوما ، فأخذ الخف فغمسه في الماء على العادة ، فقال له : ياهذا إنما دفعته إليك لتصلحه لا لتعلمه السباحة.

وتوفي يوم السبت لعشر بقين من ربيع الأول ، وصلى عليه أبو الحسين بن المهتدي بجامع المنصور ، ودفن بباب حرب ، وقد بلغ مائة سنة وسنتين ، وهو صحيح العقل ، ثابت الفهم ، سليم الأعضاء والسمع والبصر ، على رسمه في الجدال والنظر ، يقضي ويفتي إلى حين وفاته ، وكان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يافقيه ، وكان يفرح بذلك ، ويقول : سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الفقيه .

---

(١) : أنظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ص١٤٢ (٢) : في ب " حليما ".
(٣) : زيدت عبارة " رضى بخراسان " من ب .
(٤) : حاضرة منطقة طبرستان انظرها في مادة طبرستان في معجم البلدان .

وقال الخطيب : أنشدني أبو الطيب لنفسه :

مازلت أطلب علم الفقه مصطبراً	على الشدائد حتى أعقب الظفرا
فكان ماكان من درس ومن سهر	فى عظم مانلت فى عقباه مغتفرا
حفظت مأثوره حفظا وثقت	به ومايقاسي على المأثور معتبرا
صنفت فى كل نوع من مسائله	غرائب الكتب مبسوطا ومختصرا
اذا انتضيت بيانى عن غوامضه	حسرت عنها قناع اللبس فانحسرا
وان تحريت طرق الحق مجتهدا	وصلت منها الى ما أعجز الفكرا
وكنت ذا ثروة لما عنيت به	فلم أدع ظاهرا منها ومدخرا
أقول بالأثر المروي متبعا	وبالقياس إذا لم أعرف الأثرا
وماأبالي إذا ماالعلم صاحبني	ثم التقي فيه أن لا أصحب البشرا
ثنت عنانى عنه همة طمحت	إلى الهدى فاستطابت عنده الصبرا
اذا أضقت سألت الله مقتنعا	كفايتي فأطاب الورد والصدرا (١)

وقال أبو الوفاء ، على بن عقيل الحنبلي : حكى لي بعض أهل العلم ، أن أبا الطيب الطبرى ، صعد من سماريه (٢) وقد تم له عشر المائة ، فقفز منها إلى الشط أمدا بعيدا ، فقال له بعض من حضر : ياسيدنا لا تفعل هذا ، فان أعضاءك تضعف عنه وربما أورثت هذه الطفرة فتقا ، فقال له : ياهذا إن هذه أعضاء حفظناها من معاصي الله فى الصغر ، فحفظها علينا فى الكبر .

عبد الله بن على بن عياض أبو محمد الصورى

ويلقب بعين الدولة ، كان جليلا نبيلا ، ولي القضاء بصور ، وسمع الكثير ، وخرج له الخطيب (٣) فوائد في أربعة أجزاء ، وقرأها عليه بصور ، وكانت وفاته فجأة في الزيب ، قرية بين عكار وصور ، فى شوال ، وكان فاضلا صدوقا ثقة ، ويقال أن الخطيب قطعه من تصانيفه ، وادعاها لنفسه .

---

(١) : انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٩ : ٣٥٨ — ٣٦٠ مع فوارق بالشعر وزيادة في عدد الابيات .

(٢) : سمارية : من أنواع القوارب .

(٣) : ليست له ترجمة في تاريخ بغداد

علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمرو بن خالد بن الرقيل

أبو القاسم الوزير ، والرقيل من أولاد كسرى أبرويز ، أسلم في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ، وهم أهل بيت رئاسة ومكانة ، وتقدم وعدالة ، وفضائل ، والمسلمة جدتهم من قبل الأم ، واسمها حميدة بنت عمرو ، أسلمت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وتزوجت بزيد ابن منصور الكاتب ، فأولدها ابنه أبا جعفر محمد بن يزيد ، وأولدها بعد أبي جعفر أم كلثوم، واسمها قرة العين ، وهي ابنة المسلمة ، فتزوجها أبو القاسم الحسن بن عبيد بن عمرو بن خالد ، وبنوه بها يعرفون ببني المسلمة ، وكان الوزير أحد الشهود العدول المبرزين ببغداد ، ثم استكتبه القائم بأمر الله ، واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الورى ، ومولده في شعبان تسع وتسعين وثلاثمائة ، وكان مضطلعا بعلوم كثيرة ، مع سداد رأي ، ووفور عقل ، قال : رأيت في منامي كأنني وطئت على نبقة كبيرة ، فأخذتها ، فملأت كفي ، وألقي في روعي أنها من الجنة ، فعضضت منها عضة ونويت درس الاصول ، وعضضت أخرى ونويت درس الفرائض ، وعضضت آخرى و نويت حفظ القرآن ، وعضضت أخرى ونويت درس الفقه ، وعضضت أخرى ونويت النحو والعربية ، فما علم من هذه إلا وقد رزقني الله منه ، (١) وقال لأبي اسحق الشيرازي في قول القائل لزوجته : إن دخلت أو خرجت إلا باذني ، فأنت طالق ، هل تكتفي بإذنه فيه مرة واحدة ؟ قال : لا ، قال الوزير : أليس قوله إن دخلت شرط ، وهو لا يقتضي التكرار، فلا حاجة إلى اعتبار الإذن في كل مرة ، فقال أبو اسحق : عولوا على هذا في المسألة .

((ذكر مقتله))

لما كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، أخرج من حبس البساسيري بالحريم الطاهري مقيدا ، وعليه جبة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفي رقبته مخنقة فيها جلود مثل التعاويذ على جمل ، ووراءه إنسان يضربه بقطعة من جلود ، وابن المسلمة يقرأ :

---

(١) : جاء هذا الخبر في الأصلين في غاية الاضطراب ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب والنبقة ثمر لسدر أشبه شيء به العناب قبل أن تشتد خمرته . النهاية لابن الاثير .

قل اللهم مالك الملك (١) " الآيـة ، وشهر ببغداد ، ومروا به في الكرخ ، فنتروا عليه خلقان المداسات ، ولعنوه وسبوه ، وأوقف بازاء دار الخلافة ساعة ، ثم أعيد إلى العسكر عبر سوق المارستان ، وقد نصبت له خشبة بباب خراسان ، بازاء تربه الحلاج ، فحط من الجمل ، وخيطوا عليه جلد ثور قد سلخ في الحال ، وجعلوا قرونه على رأسه ، وعلق بكلابين حديد في كتفيه (٢) ، ولما أصعدوه الخشبة قال : قولوا للأجل : قد بلغت أغراضك مني ، فاصطنعني لتنظر خدمتي ، وإن قتلتني فغدا يأتي سلطان خراسان فيهلك العباد والبلاد ، فسبوه ، واستبقوه ، وكان البساسيري قد أمر أن ينزل الكلابان في ترقوته ليبقى حيا أياما يعذب ، ويطعم في كل يوم رغيف يحفظ نفسه ، فخاف متولي أمره أن يعفو البساسيري عنه ، فضرب الكلابين في مقتله ، فقال عند موته : الحمد لله أحياني سعيدا ، وأماتني شهيدا ، ولم يزل يضطرب عامة نهار الاثنين ، ومات في آخره •

ومن أعجب الإتفاقات ، أنه لما ولي الوزارة ركب إلى جامع المنصور بعد ما خلع عليه ، فأتى إلى تل وهو في موكبه ، فقال هذا مكان مبارك ، وفيه صلب الحلاج ، وكان بيت عبادة قديما ، ثم نزل فصلى ركعتين ، وأخذته رعدة شديدة ، فقال الناس : هو حلاجي المذهب ، فأقام في الوزارة إثنتي عشرة سنة ، ثم صلب في ذلك المكان بعينه ، فقال الناس ، وعلموا رعدة رعدة كانت لذلك وبلغ من العمر اثنتين وخمسين سنة ، وكان بين مقتله ومقتل البساسيري سنة •

علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري

الإمام الفاضل الشافعي ، له التصانيف الحسان ، منها التفسير وسماه النكت ، وكتاب الحاوي ، والأحكام السلطانية وقوانين الوزارة ، وكتاب الأمثال والحكم ، وكتاب الاقناع ، وولي القضاء ببلدان كثيرة ، وكان محترما عند الخلفاء والملوك ، وكان زاهدا عابدا ، ورعا ، مهيبا ، مارأى أصحابه شيئا من بدنه قط ، توفي بعلة الفالج ، توفي يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأول ، ودفن بمقابر باب حرب ، وقد بلغ ست وثمانين سنة ، وكان ثقة صالحا ، سيد أهل زمانه •

---

(١) : سورة آل عمران الآيـة ٢٦ •
(٢) : في ب " فكيه " •

((السنة الحادية والخمسون والأربعمائة))

فيها في يوم الخميس ثاني المحرم انصرف أبو الأغر دبيس بن صدقة عن بغداد، على غضب ومنافرة، وخيم على صرصر (١)، فركب البساسيري إليه فرده وحده بغير مخيمه، وبلغ له بعض غرضه، وانصرف يوم الأحد رابع المحرم إلى بلده، غير راض، وسببه أنه كان قد احجم عن المجيء إلى بغداد لمعاونة البساسيرى، لعلمه ما اتفق عليه البساسيرى، وقريش، و وقع فتحها، فخاف من التأخر، واضطر إلى المجيء وعرف ما أخذ من دار الخلافة، وما أخذ قريش من الأموال الجليلة، والأعمال المقسومة، وندم على تأخره، ونقم البساسيري عليه بسبب ذلك، وخاطب البساسيرى في أمر أبي عبد الله بن المردوشي، وحاشية الخليفة، وأن يؤمنهم على نفوسهم، ويردهم الى منازلهم، فلم تقع اجابته، ونسب البساسيري أبا عبد الله، المردوشي، أنه منع زهرة جاريته، وولديها المعتقلين، بالجبل من الهرب حين التجوا الى داره، وسلمهم إلى ابن المسلمة، فاعتذر المردوشي، وأنكر ذلك وقال: غلبت عليهم، فلم يقبل عذره، ثم طالبه دبيس باقطاعه من السلطان، فما رده فرحل إلى بلاده، وفي نفسه مافيها.

وفي هذا الشهر، صالح أبو منصور بن يوسف مع البساسيري بواسطة قريش، وركب البساسيرى وقريش إليه، وكان قد ضمن على نفسه مالا يحمله إليهما.

وفي هذا الشهر كتبت والدة القائم، إلى البساسيرى، من مكان كانت فيه مستترة، رقعة تشكو إليه مالحقها من الأذى والضرر، وهي جارية أرمنية قد ناهزت التسعين، فأفرد لها دارا في الحريم، وأعطاها من جواريها جاريتين تخدمانها، وأجرى عليها كل يوم إثنى عشر رطلا من الخبز، وأربعة أرطال لحم.

وفي يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من المحرم، أصعد قريش إلى تكريت، ومعه خاتون بنت أخي السلطان، زوجة القائم، وعميد العراق مقيدا، وكان قد راسل البساسيري قريشا في معناه، وقال: مايجيء منه خير، ومافي أصحاب طغرلبك أشر منه، فدعني أصلبه إلى جانب ابن المسلمة، وأعطيك من مالي خمسة آلاف دينار، فلان قريش، وكان شحيحا وعلم عميد العراق، فراسل قريشا، وقال: أنا افتح لك قلعة تكريت، فان فيها من لايخالفني، ثم أعطيك مالا كثيرا، وأنفذ زوجتي إلى خراسان تحضره، فبعث اليه البساسيري بسببه، فقال قريش: أنا ما استبقيته، وقد استقر أنه يدفع إلي القلعة،

---

(١) : قريتان من سواد بغداد صرصر العليا وصرصر السفلى وهما على ضفة نهر عيسى وربما قيل نهر صرصر فنسب النهر إليهما معجم البلدان.

ومالا فابعث معي صاحبك ، فإذا فتحت القلعة ، سلمته إليه فقتلته ، فبعث معه اسختكين ، أحد غلمانه الأتراك ، ولم يعلم العميد بذلك ، ولما وصل قريش إلى تكريت لم يكن له على فتح القلعة قدرة ، ولا حيلة ، فقال لعميد العراق : قد حفظت مهجتك من أبي الحارث ، مع علمك بما تردد فيك (١) ، فراسل القوم بتسليم القلعة كما وعدتني ، فاستدعى قوما من العجم ، وراسل من في القلعة بالتسليم ، فلما حصلوا في القلعة اجتمع من فيها ، ووقفوا على سورها ، وسبوا قريشا ، ولعنوه ، وقالوا : يا ملعون أين ذمامك للخليفة ، ورئيس الرؤساء ، وعهدك ، وقد جرى عليهما ماجرى ، وبالغوا في لعنته ، وظن قريش أن العميد وطن إليهم بذلك ، فرحل عن البلد يوم الإثنين ثاني عشر صفر ، طالبا للموصل ، بعد أن سلم عميد العراق إلى اسختكلين ، وأنفذ معه صاحبا له فحطوه في سمارية (٢) وكتفوه وغرقوه .

وفي يوم الإثنين ثاني عشر صفر جمع البساسيري قاضي القضاة أبا عبدالله الدامغاني وأبا منصور بن يوسف ، وأبا الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب ، وجماعة من وجوه العباسيين ، والعلويين ، وأخذ عليهم البيعة للمستنصر ، واستحلفهم له ، وكان ذلك في دار الخليفة ، وهو معهم جالس ، في مجلس الخليفة .

وفي صفر أصعد ابن البساسيري الأصغر إلى الرحبة ، للمقام فيها ، ومجيء أخيه الأكبر منها .

وكتب البساسيري كتابا إلى مصر ، مع ختتكين ، وبعث أبا طالب كامرو بن الملك أبي كاليجار بن بويه ، والفيلة الصغيرة فقط ، ولم يبعث مالا ولا غيره ، وكان البساسيري مستوحشا من أبي الفرج ابن المغربي ، وزير مصر لقبيح كان يبدو منه في حقه ، وإهمال لمراسلته ، وإطراح جانبه ، وإزراء على رسله ، وصور ابن المغربي في نفس صاحب مصر ، أن هذا قد أخذ الأموال ، واستولى على البلاد ، وهو بين أمرين ، إما أن يقوى علينا فيفعل بنا كما فعل بالغير ، أو يكون طريقا إلى مجيء العساكر الخراسانية ، إلى بغداد ثم إلى الشام ، وأن الذي فعله ماكان برجاله ، ولا باجتهاده ، وإنما كان بسعادتنا ، ومالنا ، وكان في الكتاب إلى مصر : سلام الله على سيدنا ، ومولانا الإمام ، المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وصلاته وتحياته للمنتخب من العنصر الطاهر ، والشيخ ذي الفخر الباهر والكوكب الطالع الزاهر ، المستخلص لحفظ الدين ، ورعاية الأمم أجمعين ، أصدر

---

(١) : في ب " فيه " .
(٢) : نوع من أنواع القوارب

ملوك المواقف المقدسة ، زاد الله في أنوارها ، وأعز كافة (١) أنصارها ، وأطال الدعاء إلى أن قال : وأمكنت الفرصة ، في بلوغ الغرض من قصد العراق ، والإنتقام من أهل الشقاق ، وأقامة الدعوة الشريفة في الآفاق ، فحينئذ سار في خفارة أدعية المواقف الشريفة ، والبركات عليه غادية ورائحة ، وأيدي الرشد ليمينه معاهدة مصافحة ، فكان دخوله بغداد في يوم الأحد ثاني ذي القعدة في طالع توفرت سعوده ، وعظمت جدوده وانتظمت عقوده ، فألفى مدينة السلام متهدمة البنيان ، ساقطة الجدران ، قائمة على عروشها ، مربعا لبومها ووحوشها ، ووجد أهلها كما نبشوا من القبور ، لماقاسوه من تصاريف الأمور ، فوقع دخوله عندهم موقع الشفاء ، من الألم ، والبرء من السقم ، وتلقوه متشمين نسيم السلامة ، راجيين افتتاح تلك الغمامة ، متمسكين به تمسك الولد بالوالد والطالب للواحد ، فتعطف عليهم بقلب خاشع ، وطرف دامع ، ثم أنه أقام الدعوة في الجانب الغربي ، وعقد الجسر ، وأقامها في الجانب الشرقي ، وخيم بمكان يقال له الزاهر ، وهو على دجلة في وسط البلد قريب من الدار التي احتقنت فيها الآثام والأوزار ، فأذنت بالخذلان والبوار ، وكان أعداء الله الطاغون ، قد جمعوا مايزيد على أحد عشر ألف نفس من الترك ، والعجم ، والهاشميين ، والخول ظنا منهم أنهم يثبتون للمقارعة والمساجلة والمنازعة ، إلى أن يأتيهم من خراسان نجدة تخلصهم من الحصار ، وتكون بعدوهم سببا إلى الرجوع والإنكسار ، وكانوا في مضايق لاتجول فيها الخيول ولا تتمكن ، وإن كثر فهو مقهور ، إلى يوم الإثنين سلخ ذي القعدة ، فإنهم فتحوا بابا من الأبواب ورشقوا بالنشاب ، فأكبت عليهم الشجعان ، وركبتهم الفرسان ، فما كانت إلا ساعة من ساعات الزحف ، حتى حل بهم الخسف ، وصاروا تحت أيدي الخيول كالسحيق ، ودماؤهم تنزل كالرحيق ، فأجلت الوقعة على القتلى ، وهم ثمان مائة نفس ، فيهم نقيب الهاشميين ، والعاصي النائب عن عميد العراق ، وابن المأمون ، وغيرهم ، واستأمن منهم جم غفير ، منهم العميد ، وخلق كثير ، وملك العباسي ـ يعني الخليفة ـ وقاضي القضاة ، والحجاب والأعيان ، والأصحاب ، ووقعوا كالسمك تحت الشبك ، ونهبت الدار ، وحل بها البوار ، وأخذ منها من الأموال والجواهر واليواقيت والخيل والثياب ، ومايكثر عدده ، ولا يحصى أمده ، وحمل العباسي إلى حديثه عانة ، محتاطا عليه إلى أن يخرج الأذن الشريفة في معناه ، وأما ابن المسلمة ، فإنه عذبه بأنواع العذاب ، وصلبه على أقبح الوجوه ، وجعله عبرة لمعتبر ، وموعظة لمفتكر ، وذكر كلاما طويلا ، وكتب إلى الوزير كتابا من هذا الجنس ، وصادر البساسيري كتاب الخليفة ، والوزير ، وغيرهم على ألوف كثيرة .

---

(١) : في الأصل " كافور " والتقويم من ب

وفي ربيع الأول خرج البساسيري إلى زيارة المشهدين ، وكان دبيس بمطير أباذ ، فراسله بأن يجعل طريقه عليه ، فجاء إليه ، فخرج واستقبله وأضافه ، وسأله في معنى أبي عبد الله المردوشي ، فاستعفاه من الخطاب في أمره ، وعدد أشياء كانت في نفسه ، ثم استقر بينهما الإنحدار إلى واسط ، وتدبير أمر أبي كاليجار هزارسب وكان بالبصرة ، إما صلحا ، وإما حربا ، وعاد البساسيري إلى المدائن ، وأقام ينتظر الغلمان وانفذ من ابتدى بنقض تاج الخليفة ، فنقضت شرافاته ، فقيل له : هذا مما لا معنى له ، والقباحة فيه أكثر من الفائدة ، فأمسك عنه ، وجاءته كتب الوزير ابن المغربي ، وكتاب كاتب صاحب مصر أبي نصر بن أبي عمرو يصفان ما تأثل له من الحرمات بهذا الفتح ، ولم يكتب إليه صاحب مصر جوابا .

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول عاد البساسيري إلى بغداد ، وتلقى ابنه الواصل من الرحبة في ثاني ربيع الآخر ، وقدم صحبته يارختكين الحاجب المأسور بالموصل مقيدا في عمارية ، وضربت القباب بالجانب الغربي لابن البساسيري ، وطيب ابنه قلوب الناس ، ومحال أهل السنة ، وحمل الناس على شرع واحد .

وفي هذا اليوم وصل غلام ليارختكين ، يخبره بحصول حرم البساسيري بشهرزور عند بدر بن المهلهل ، وذكر أن السلطان ظفر بإبراهيم ينال ، ومحمد وأحمد ولدي ارتاش أخو إبراهيم ينال ، وقتلهما ، وخنق إبراهيم بوتر قوسه ، وقتل ألوفا من التركمان ، وهربوا وجاء السلطان بعد أن كسر إبراهيم والتركمان إلى الري ، واجتمع بخاتون .

قال محمد بن الصابي : لما انهزم إبراهيم عن همذان كاتب ابني أخيه محمدا وأحمدا واستعان بهما ، فسارا إليه في نحو ثلاثين ألفا ، ونزل بقزوين ، وبينها وبين الري عشرون فرسخا ، وخرج السلطان من الري إليه ، وواقعه ، فظهر عليه إبراهيم ، فعاد إلى الري فاستولى إبراهيم ، وقوى ، فورد على السلطان الأمراء قاورت بك ، صاحب كرمان ، وياقوتي ، وألب أرسلان ، أولاد أخيه داود ، وقوي بهم فخرج إلى إبراهيم ، فانهزم إبراهيم من بين يديه ، وقتل من أصحابه مقتلة كبيرة ، وأسر إبراهيم ، ومحمد وأحمد ابنا أخيه وحملوا إلى السلطان ، فأمر بقتلهم ، فشل فيهم ، فتوقف وفي قلب النار مما تم على الخليفة ، وهو يتصور أن إبراهيم فعل ذلك ، ثم أحضر إبراهيم بين يديه ، وخنقه بوتر قوسه ، وقتل ابني أخيه محمدا وأحمدا ، وبعث إلى هزارسب بقباء إبراهيم ليتحقق الحال ، وكان هزارسب مقيما بالأهواز ، وعنده الكندري عميد الملك ، فأخذ منه دنانير وثيابا وخيلا ، وسار نحو السلطان ، على أصفهان .

وفي ربيع الآخر انحدر البساسيري إلى واسط متيما غرة في أمر هزارسب ، بعد أن أنفذ أنوشتكين أحد حجابه إلى قريش يشير عليه بأن ينفذ أرسلان خاتون إلى السلطان ، وكان السلطان ، قد راسل قريشا يلتمسها ، ويخلط بذلك ذكر الخليفة ، ورده إلى مكانه ، ويكون البساسيري ، وأصحاب الأطراف على عادتهم بالعراق ، بعد أن ينقشوا السكة باسم السلطان ، وبعث لها البساسيري ثلثمائة دينار تنفقها في سفرها ، فردتها على الحاجب استقلالا لها ، وقالت : هذه نفقة يوم ، وقد وهبتها لك ، وشرع قريش في تجهيزها ، وهيأ لها عمارية ، وجللها بالديباج وبعث لها دنانير وثيابا وخيلا وبغالا ، ولم يبق إلا مسيرها ، وكان عميد الملك قد كتب إلى السلطان ، يقول : ماكان سبب ماجرى ببغداد إلا من إيدجانجيك وعمر ، فإنهما فسخا التدبير ، وقلا الجموع ، فخافا من السلطان ، واستوحشا منه ، وتحصنا بقلعتين .

وفي جمادى الأولى عاد أنوشتكين الحاجب من الموصل ، وذكر أنه ورد إلى قريش خادم من جهة السلطان يقال له زيرك ، ومعه ثياب ومال لأرسلان خاتون ، وكتاب إلى قريش يتضمن شكره على مافعله من استصحاب خاتون ، والإرهاب فيما يتعلق بالخليفة ، والإشارة إلى إعادته إلى داره ، وإعادة الخطبة ، والدعوة له ، وأن يكون البساسيري على باب الخليفة ، ويقيم السلطان في بلده إلى حين مايرى من مسيره إلى العراق ، وكتب قريش في الجواب : إنني العبد الخادم ، وماجرى كان عن قضاء الله عز وجل قدره ، وفعل ابن المسلمة ذلك الغالط ، وقلة تدبيره ، وقد جرى على البلاد ما أخربها ودرسها ، وليس هاهنا مايثابر عليه ، وتطمح العين إليه ، ومتى وقع تشرع في المسير إلى العراق ، فلست آمنا أن يتم على الخليفة أمر يفوت ، وسبب بسوء ، ولسنا بحيث نقف لك ، ولا نحاربك ، بل نبعد عنك ، أما هذا الرجل — يعني البساسيري = فأنا أتوصل إلى كل مايراد منه ، والسلام . وراسل قريش البساسيري مع أنوشتكين وقال له : إن السلطان قد التمس ، كذا وكذا ، فأياك والمخالفة ، ونحن قد خدمنا سلطانا بيننا وبينه ستمائة فرسخ ، وفعلنا معه مالم يظنه ، وقد مضى لنا منذ ستة أشهر ، منذ فتحنا العراق ماكتب إلينا حرفا ، ولا التفت إلينا ، وقد عادت رسلنا بعد سنة منه صفرا ، ولم ينفذ لنا رسالة ، فضلا عن مال ، ورجال ، ومتى تجدد أمر فما يشقى به إلا أنا وأنت ، وما المطلوب سواي وسواك ، والصواب المهادنة ، ورد الخليفة إلى أمره ، ونستكتب له من نأمنه ونتحقن الدماء ، ونحفظ الأموال ، ونعيش باقي العمر في سكون وطمأنينة ، والسلام ، وكان البساسيري قد انحدر إلى واسط ، فلما كان يوم الإثنين لتسع بقين من جمادى الأولى سار من واسط يريد الأهواز ، وابتدى بالبصرة ، فرتب أصحابه فيها ، ولم يدخلها ، وكان معه دبيس ، وصدقة بن منصور ، وأبو الفتح بن ورام ، واجتمع إليه جماعة كثيرة ،

من الديلم ، والأكراد ، والترك ، والعرب ، وكتب هزارسب إلى دبيس ، يقول : ماأخالف أبا الحارث في شيء ، وإنما بيني وبين السلطان متاخمة في الأعمال ، و مجاورة في البلاد ، ومتى انحرفت عن طاعته لم آمنه ، وجاءني من قبله مالا طاقة لي به ، وكذا أمري معكم لاأقاتلكم ، ولا أواجهكم ، بل أبعد عنكم ، والمصلحة مصالحة السلطان ، وأن يجاب إلى ما أمر به من رد الخليفة إلى داره ، وهو مع ذلك يكاتب السلطان ، ويستنجده ويهون عليه أمر البساسيري .

وفي جمادى الأولى سير قريش أرسلان خاتون إلى السلطان ، ومضى معها جماعة من العجم الذين سلموا من القتل ، وكانوا قد أصعدوا مع قريش إلى الموصل ، وبعث أيضاً بأولاد عميد العراق ، وزوجته ، وهي مظهرة الشكر لقريش ، مبطنة الشكوى منه .

وفي جمادى الآخر ورد رسول البساسيري من مصر ، وكان قد أنفذه من الرحبة قبل فتح بغداد ، يطلب الأموال ، فأقام سنة ، وعاد بغير شيء ، وذكر أن بعض أصحاب المستنصر خلا به ، وقال له : لما وصل الخبر بفتح بغداد ، لم يصل من صاحبك كتاب بصورة الحال على الفور ، وإنما سمعناه من نوابنا بالشام ، وليست العادة جارية بهذا ، وهذا الرجل قد التجأ إلينا فآويناه ونصرناه ، وأمددناه وأعطيناه ، وكان العسكر منه شاكين والرعية في الأعمال عنه نافرين ، لما استعمله معهم في طريق العراقيين من الظلم والعسف ، واستبد برأيه فيما يفعله ، وكنا نكاتبه ولا يفعل إلا مايريد ، ولا يجيب عن شيء ، ومضى إلى الموصل بغير أمرنا ، وقلنا له : سالم أهل العراق ، إلى أن نأمرك فما التفت وسار إلى العراق بغير إذن ، ثم فتح دار العباسي ، التي هي قلعة أموال العباسيين ، والناس ، وذخيرة أهل الدنيا من سائر الأقطار ، وأخذ أموالهم ، ونهب الرعية ، وصادرهم ، وفعل مالا يحل ، ولا يسوغ ، ولا يحمد عليه ، واحتجر الأموال لنفسه ، وأخذ منه ماعظم خطره ، وأخذ العباسي واعتقله بحيث لايد لنا عليه ، ولا أمر ينفذ لنا فيه ، وقتل أصحابه وصلبهم من غير استئمار ولا استئذان ، ولا رأى على نفسه أن يعيد بعض الأموال ، التي حصلت إليه ، ونحن إنما نطلق الأموال لتفتح بها البلاد ، ثم نستعيدها وأضعافها ، وكل هذا جميعه داخل في حكم العصيان ، خارج عما ألفناه من أوليائنا وقد بلغنا أن حاجة ابن يارختكين واصل إلينا ، وإذا وصل أنفذنا صحبته الجواب ، وأنت مخير في المقام والمسير ، قال : فقلت المسير إلى أهلي وولدي أحب إلي ، وانفصلت عنهم .

وورد الخبر بأن السلطان عاد من همذان إلى أصفهان ، إطماعا للبساسيري وتسكينا إليها ، وإظهارا للبعد عن العراق ، ليكون ذلك داعية إلى خلاص الخليفة ، ورده إلى وطنه ، وحراسة مهجته .

وفى تاسع عشر جمادى الآخر ، وصلت زوجة البساسيري بنت الحازم ، وزهرة جاريته ، وولداها منه ، فأفرج ابن البساسيري أبو البركات عن يارختكين الحاجب ، وخلع عليه ، وحمله على عدة دواب ، وسار يوم الجمعة لست بقين من الشهر ، وخرج معه من بقي ببغداد من العجم ، وحكت زوجة البساسيري وزهرة بما قاسيا في القلعة بعد المصادرة ، والضرب العظيم ، من الجوع ، فإن والي القلعة ، كان يعطيهم كل يوم من خبز الشعير مالا يكفيهم ، وكانوا يغزلون الصوف ويبيعونه ، ويتقوتون به ، وكان مع زوجة البساسيري صبي من أهل بغداد ، وكان يحتطب ويبيع الحطب وينفق عليهم من ثمنه .

وعاد البساسيري إلى واسط ، بعد أن دخل قريبا من الأهواز ، ذكر السبب : لما قرب البساسيري من المأمونية (١) ونزل بها ، جاء ولي الدولة أبو العلاء بن هزارسب ، في رسالة إلى البساسيري ، تتضمن بذل المال ، والمصالحة عن خوزستان ، وعود العساكر عنها لئلا تشعثها ، فأجاب البساسيرى ، واقترح الخطبة لصاحب مصر ، ونقش السكة باسمه ، فامتنع هزارسب من ذلك ، ونزل أبو العلاء على دبيس ، وبعث فأخذ أمواله وأسبابه من الأهواز ولم يعد إليها وكان صديق البساسيري قديما وكان هزارسب في ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس ، وألف راجل ، والبساسيري كذلك ، وأكثر ، وكانوا قد وصلوا إلى المأمونية جياعا عطاشا ، قد ضاقت بهم العلوفات ، وسبق هزارسب حتى نزل على قنطرة دون الأهواز ، ونزل البساسيري فى مقابلته ، وبينهم نهران ، أحدهما الذي هم عليه نزول والآخر يلي عسكر البساسيري ، ثم وقعت المراسلة على هدنة مقدارها ستة أشهر آخرها سلخ ذي الحجة ، ولا يتعرض أحد إلى بلد أحد ، وأن تكون الخطبة للمستنصر بعد هذه العدة ، أول المحرم ، وأشاع هزارسب كراهيته لعسكر السلطان ، وكان قصده المغالطة ، ووقعت الأيمان على المصافاة ، وكان بين العسكرين نهر مقداره رمية سهم ، ولم يسمع بعسكرين بينهما مقدار هذا ، فتقابلوا أسبوعا ، ثم ورد أنو شروان إلى هزارسب من عند السلطان بالنجدة ، فعاد البساسيري مسرعا إلى واسط ، وكان قد عبر من رجالة البساسيري خلق كثير إلى الأهواز ، بسبب النهب ، فقتلهم أهلها ، وأقام البساسيري بواسط يجمع العساكر ، على نية العود إلى حرب هزارسب ، وأصعد الأمراء الذين كانوا معه إلى بلادهم ، وهم : دبيس ، وأبو الفتح بن ورام ، وأبو منصور ، وغيرهم ، وكتب البساسيري إلى قريش ، وبعث الرسول يشكو من دبيس ، والجماعة ويسأله الإنحدار إلى واسط ليدبر على هزارسب تدبيرا ، وشكا إليه تقاعد دبيس ، وابن ورام ، وكونهما تخليا عنه ،

---

(١) : محلة كبيرة طويلة عريضة ببغداد منسوبة إلى المأمون العباسي معجم البلدان ياقوت

وقال مهما فتحت من خوزستان ، فهو بيننا نصفان ، وبعث إلى حلب يطلب الغلمان البغدادية ، وكانوا قد انصرفوا عنه لماكانوا بالرحبة، كراهية له ، ولما كان يعاملهم به ، وكانوا جمرة قوية (١) ، ولما فتح بغداد قال له قريش : ردهم فما تستغني عنهم ، فامتنع فلما كان في هذا الوقت ، راسلهم بكاتبه أبي علي بن فضلان ، فلم يلتفتوا ، وقالوا : لقد فتح بغداد ونهب أموالها ، فلما لم يبق إلا الخوف من طغرلبك ، والقتال ، طلبنا ، مالنا عنده حاجة .

ووردت كتب ابن ختكين رسوله الذي سار بكتابه بفتح بغداد يقول : بأن ابن المغربي الوزير توقف في أمورك كلها وقد كان أبو الفتح بن المغربي هذا هرب من البساسيري إلى مصر، ووزر لصاحبها ، وفي قلبه مافيه فطعن عليه عند صاحب مصر ، وقال له ماقدمناه ، وذكر ابن ختكين في كتابه أن الوزير أحضره ، وقال : صاحبك فعل وفعل ، وافتات على أمير المؤمنين بكذا وكذا ، وذكر بمعنى ماذكرناه ، وقال : قد أخذ الأموال العظيمة ، وماهان عليه أن يقدم للخزانة شيئا ، ثم أخذه العباسي ، واعتقاله بالحديثة ، ولا يسيره إلي ثانية ، واتفاقه مع قريش على مقاسمة البلاد ، كأنها كانت ملكه ، وصلبه لابن المسلمة من غير استئمار وأذن منا ، ثم يكاتبنا بعد الفراغ من الأمور ، ولعمري إن هذه لعادة تلك البلاد في العصيان ، وأطراح أمر السلطان وكان الوزير قد قال لصاحب مصر : إن الذي جرى ببغداد من أمر العباسي ، غير مأمون العاقبة ، وربما يتأتى من عسكر خراسان على الشام مالايمكن استداركه ، ويجب أن تدع العراق ومافيه ، ومايجاوب البساسيري عن كتابه بحرف ، وكل غيظ المستنصر منه حيث لم يبعث بالخليفة إليه ، وقد كان عزمه أن يبعث به إليه ، لولا ذمام قريش إليه ، واتفاقهما .

ثم أظهر السلطان التجهيز إلى العراق ، فكتب بدر بن المهلهل بن أبي الشوك الكردي إلى البساسيري ، يقول : السلطان قد قرب ، وقد كان التمس منك أن تعيد الخليفة إلى مكانه وتكون على بابه ، ولا يطأ العراق ، فلم تفعل ، وأنا أدخل في القضية ، وأعطيك ولدي رهينة فلم يجبه عن كتابه .

---

(١) : في ب ((قوته))

وفى شوال لاح فى الليل فى السماء ضوء عظيم ، كالبرق يلمع فى موضعين أحدهما أبيض والآخر أحمر ، وأقام إلى ثلث الليل ، وكبر الناس وهللوا +

وفى شوال عاد صاحب قريش إليه ، وكان قد بعثه مع أرسلان خاتون ، وورد معه أبو بكر بن أحمد بن أيوب ، المعروف بابن فورك ، وزيرك الخادم صاحب السلطان ، بكتاب إلى قريش ، عنوانه : للأمير الأجل علم الدين عز الدولة ، أبي المعالي قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ، ملك المشرق والمغرب ، ركن الدين ، غياث المسلمين ، سلطان بلاد الله ، مغيث عباد الله ، طغرلبك ، أبى طالب ، محمد بن ميكائل بن سلجوق ، يمين خليفة الله ، أمير المؤمنين ، وعلى رأسه بخط السلطان : حسبي الله ، ومضمونه : كتابنا ، أطال الله بقاء الأمير علم الدين ، أدام الله عزه وتأييده ، وتمكينه وتمهيده ، أن نعم الله علينا متظاهرة ، وآلاؤه متوالية ، ورد كتابه ، ووقفنا عليه ، واعتددنا بصنع الله له ، وسابغ إحسانه إليه ، فأما مابلغه الرسل من حسن اعتقاده ، فى خدمتنا ، وسلامة صدره فى طاعتنا ، فقد علمناه ، ولما وردنا العراق ، كان فى عزمنا تسليم الأمر إلى علم الدين ، فى تلك الولايات ، ليستقل بالخدمة الشريفة ، والمواقف المقدسة ، وحدثت حوادث ، وعرضت عوارض ولم يحدث منها بحمد الله فى حقه مايقدح في الإعتقاد السليم ، وإزالة الحق عن السنن المستقيم ، وقد ظهرت نيته الجميلة ، وهمته العالية الجليلة فى خدمة سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله ، أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وأعز أنصاره ، وأولياءه ، حتى لم يظفر الأعداء منه بما حاولوه ، ولم يدركوا فيه ، ما أملوه ، وهذه منة عظيمة على الإسلام وأهله ، وأثر جميل فى الدين ، لم يوفق أحد لمثله ، ثم الذي وفق له من المحافظة على سنن العرب من رعاية حسن العهد ، ماعظمت علينا وعلى المسلمين منته ، وزادت عندنا مكرمته ، فلو أعطيناه جميع ماحويناه ، لاستقللناه واحتقرناه واستصغرناه وقد أقبلنا بخيول المشرق ، إلى خدمة سيدنا ومولانا الإمام ، ولا فسحة لنا فى التأخير عنه ساعة من الزمان ، بعد أن أهلكنا أعداءنا ، وذللنا حسادنا ، والمقصود أحد أمرين : إما أن يقبل الأمير بسيدنا ومولانا ، إلى مقر خلافته ، وسرير عظمته ، وينتدب الأمير بين يديه متوليا حكمه ، ممتثلا رسمه ، فذلك هو المراد ، وهو خليفتنا فى تلك الخدمة المفروضة ، وتولية العراق بأسرها ، وتصفية مشراع برها وبحرها ، وإما أن يحفظ علينا شخص مولانا العالي بتحويله من القلعة إلى حين لحاقنا بخدمته ، ويكون الأمير مخيرا بين أن يكتفى بنا ، وبين أن يقيم حيث شاء ، فنوليه العراق ، ونستخدمه فى الباب الشريف ، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية ، وعشائره كلهم إخواننا ، وهم فى أماننا ، فلا تدخل قلوبهم رهبة منا ، وكذا جميع العساكر المنسوبين إلى خدمته ، ولكل مذنب عندنا فى العراق عفونا وأماننا ، إلا الفاجر الكافر البساسيري ، عدو الله

ورسوله ، فإنه لاعهد له ولا أمان عندنا ، فلقد ارتكب في دين الله عظيما ، وخطبا جسيما ، وهو إن شاء الله مأخوذ حيث وجد ، ودلت أفعاله على سوء عقيدته ، وخبث طويتـــه ، فإن ضرب في الأرض لحقه المكتوب على جبهته ، وإن وقف فالقضاء سابق إلى مهجته ، وقد حملنا الأستاذ العالم أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب ، أدام الله عزه ، والشيـــخ معتمدنا أبا الوفاء زيرك مايؤديانه من الرسالات ، ويبلغانه من التجملات ، وهو يصغـي إليهما ، ويعتمد عليهما ، ويسرحهما إلى القلعة ليخدمان مجلس سيدنا ومولانا الإمـــام عنا ، ويأتيان ببشارة على شخصه المحفوف بالبركات ، والبلاد كلها والقلاع للأمير مبذولة، في جلب مساعيه ، والثقة به ، وكان مع الرسولين للخليفة أربعون ثوبا أنواعا ، وعشـــر دسوت ثيابا مخيطة ، وخمسة آلاف دينار ، وخمس دسوت مخيطة من خاتون زوجـــة الخليفة ، وحكى الرسول كثرة العساكر مع السلطان ، فخاف قريش والزعج ، وبعث إلـى الجفار (١) من أصلح المياه ، وعزم على دخول البرية ، وبعث بالكتاب إلى البساسيـــري والرسالة ، وحذر الرسول ليعود بالجواب بسرعة ، وكان قريش يكاتب السلطان ســرا يطمعه في البلاد حسدا للبساسيري ، وتغيرا عليه ، فإذا صح من السلطان ماعـــزم أجفل من قربه ، ولم يجتمع به ، وبعث البساسيري إلى بغداد ، فأخذ دوابه ومالـه وسلاحــه إلى واسط ، وتقدم بأن يسلخ جلد ثور ، ويكسى به ابن المسلمة ويجعـــل قرنيه (٢) على رأسه ، وفوقهما طرطورا أحمر وكان السلطان قد اقترح أن تحط رمـــة ابن المسلمة ، وورد رسول قريش من عند البساسيري ، وقال : قد أجاب بحيث لايذكـر السلطان ببغداد في الخطبة ، وقويت الأراجيف بقرب السلطان من بغداد ، وأقيمت لـــه الإقامات بحلوان ، وكتب أبو البركات بن البساسيري إلى أبيه يسأله مايصنع ، فكتب إليـه يأمره بالمقام والثبات ، ووصلت مقدمات السلطان إلى قصر شيرين ، وانحدر حرم البساسيري وأولاده وأصحابه وجميع من يتعلق به إلى واسط ، وذلك يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة وتبعهم أهل الكرخ ، و وصلوا إلى صرصر ، وهلك منهم في عبورهم خلق كثيـر، ولحقهم العيارون ونهبوهم ، ومن بقي منهم نهبهم بنو شيبان ، وقتلوا أكثرهم ، وسبوا نساءهـــم وغرقوهم ، واتفق دخول البساسيري بغداد يوم الأربعاء سادس ذي القعدة ، فكان تملكها سنة كاملة ، وثار الهاشميون ، وأهل باب البصرة ، إلى الكرخ ، فنهبوه وطرحوا النار في أسواقه ، ودوره ودروبه ، فاحترق منه ألف (وماءتا) دار كل دار تساوي ثلاثة آلاف دينار، وفيها دور تساوي كل دار ثلاثون ألف دينار.

---

(١) : الجفار : جمع جفر والجفر البئر القريبة القعر الواسعة لم تطوى معجم البلدان مادة جفار.

(٢) : في الأصل ((قرنته)) والتقويم من ب .

((ذكر أحوال الخليفة))

كان قد استحلف مهاوش العقيلي وتوثق منه في حراسة نفسه وأن لا يسلمه إلى عدوّه ، وكان مهاوش قد تغير على البساسيري لبذول بذلت له ، ولم يقع الوفاء بشيء منها ، وبعث قريش أبا الحسن بن المفرج إلى مهاوش يقول : قد كنا أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك ، وسكونا الى ديانتك ، ولنكف به عادية الغز عن بلادنا ونفوسنا وعشائرنا ، وقد عادوا الآن ، وأطلوا علينا ، وربما قصدوك وحاصروك ، وأخذوه منك ، فخذه وارحل به ، وبأهلك وولدك إليّ ، فإنهم إذا علموا حصوله في أيدينا ، لم يقدموا علينا خوفا على نفسه ، فاذا طلبوه منا اشترطنا عليهم أن لا يتعرضوا لبلادنا ، ولا لعشائرنا ، ونقترح عليهم ماشئنا من المال والبلاد ، وما أروم تسليمه إليّ ، بل (حاله عندك)(١) يكون على حاله في يدك بحيث لايؤخذ قهرا من أيدينا ، فقال مهاوش لرسوله : قل له : البساسيري غدرني ولم يفِ بما ضمن لي ، ومابقي لكم في رقبتي أيمان، وقد قلت أرسل خذ صاحبكم الذي عندي ، فلم يفعل ، وعرف الخليفة خلاص رقبتي من اليمين، فاستحلفني لنفسه ، فعاد ابن المفرج بغير شيء ، وقال مهاوش للخليفة : الرأى أن تخرج ونقصد بلد بدر بن مهلهل ، ونكون في موضع نأمن به على نفوسنا ، فلا نأمن أن يأتي البساسيري فيحاصرنا ، ولا نقدر أن ندفعه عنا ، فقال : افعل ماتراه ، فخرجا من الحديثة يوم الاثنين حادى عشر ذي القعدة ، وسارا حتى قطعا دجلة ، وحصلا بقلعة تل عكبرا ، قال ابن فورك : عدت من عند قريش إلى حلة لبدر بن مهلهل ، وأنا على وجل من أمر الخليفة ، لما سمعته من قريش في معناه ، وحذرا ان يقصد الحديثة ، فيأخذه معه ، ويصير بحكمه ، فبينا أنا مفكر في ذلك ، وعودي إلى السلطان بمثله ، اذ جاءتني رسالة بدر بن المهلهل ، فحضرت عنده ، واذ بسوادى قد ورد اليه ، فقال : أعد ماحكيته ، فقال : رأيت البارحة عسكرا يقصد تل عكبرا ، فسألت عنه فقيل : هذا الخليفة مع مهاوش قد جاء من الحديثة ، قال : فاستبعدته ، فلم أبرح من مكاني حتى ورد رسول من قلعة تل عكبرا يقول : قد نزلوا تل عكبرا ، فحققت الحال ، وطرت فرحا ، وقمنا إلى القلعة ، وضرب له بدر خيما ، ونزل إليها ، وسلمت اليه ماكان معي من المال والثياب، وجاء السلطان ، فدخل بغداد ، وعبر إلى الجانب الغربي ، ونزل بالنجمي ، (٢) وكتبت إليه ، وعرفته صورة الحال ، وطلبت للخليفة خيما وسرادقا ، وفرشا ، ولما وقف على كتابي طار فرحا ، وجاءه مالم يكن في حسابه ، ولم يخطر بباله ، وأنفذ أنوشروان في

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من ب .
(٢) : من قصور بغداد .

ثلثمائة غلام ، ومن استعقله من الحجاب ومعهم البخاتي(١) عليها السرادق الكبير، وعدة خيم وخركاوات ، وآلات وفرشا كثيرة ، وبغالا عليها الأواني والثياب ، وغير ذلك ، وبغلا عليه مهد مسجف بالديباج الأسود وثلاثة أفراس بمراكب الذهب ، وبعث بالجميع مع عميد الملك ، وعرفت خبرهم ، فركبت واستقبلتهم ، فسألني عميد الملك عن ما جرى من ذلك ، فشرحته له ، فقال : تقدم واضرب السرادق ، والخيم، وانقل أمير المؤمنين اليها ، للقاء فيها ، واذا حضرنا فلتؤخر الاذن لنا ساعة كبيرة ، فسبقت وطالعت الخليفة بذلك ، فأجاب إليه وضربت السرادق والخيم ، وانتقل اليها، وجاء عميد الملك والأمير أنو شروان والجماعة (٢) فنزلوا على فى خيمة ساعة ، ثم اذن لهم فدخلوا وقبلوا الأرض ، وذكر عميد الملك رسالة عن السلطان ، وسروره بخلاص الخليفة ، وشكر مهاوشا على فعله ، وقال : بسم الله نسير ، فقال : قد تعبنا ، ونستريح يومين ثم نرحل ، فكتب عميد الملك الى السلطان كتابا يخبره بصورة الحال ، وأحب أن يأخذ خط الخليفة عليه تصديقا لما تضمنه ، ولم يكن عند الخليفة دواة ، فأحضر عميد الملك من خيمته دواة على ترفع ، فيها ألف وسبعمائة مثقال من الذهب ، فتركها بين يديه ، وأضاف أليها سيفا محلى ، وقال : هذه خدمة منصور بن محمد ، يعني نفسه ، خدم بها، وقد جمع بين السيف والقلم ، فشكره الخليفة ، وكتب من الدواة ، وسرنا بعد يومين الى النهروان ، فوصلنا اليه يوم الأحد رابع عشرين ذي الحجة ، وجاء السلطان للقاء الخليفة، فلما وقعت عينه على السرداق ، ترجل ومشى إلى أن وصل ، فلما دخل قبل الأرض سبع مرات ، فقال الخليفة : ياركن الدين ، ما ذا لقينا بعدك ، وأخذ مخدة من دسته فطرحها بين يديه ، وقال : اجلس عليها ، فأخذ المخدة وقبلها ، وجلس عليها ، وأخرج من بند قبائه الجبل الياقوت الأحمر الذى كان لبني بويه ، فقبله وطرحه بين يديه ، ثم أخرج اثنتي عشرة لؤلؤة كبارا مثمنة ، وقال : هذه تقدمة أرسلان خاتون — يعني زوجة الخليفة — أنفذتها معي ، وسألت أن يسبح بها أمير المؤمنين ، وكان السلطان يكلم عميد الملك ، وهو يفسره للخليفة ، واعتذر من تأخره بعصيان أخيه ابراهيم ينال ، وقال : قد عصى غير مرة ، وعفوت عنه ، فلما دخل الضرر على أمير المؤمنين بسببه ، كان جوابه أنني خنقته بوتر قوسي ، وقتلت ولدي أخيه الذين استنجد بهما ، ثم شفع ذلك وفاة الأخ الأكبر داود ، فاحتجت إلى المقام حتى رتبت أولاده مكانه وكنت على نية المسير إلى الخدمة لأخلص المهجة الشريفة ، فوصلني الخبر بماكان تفضل الله تعالى بخلاصها ، وخدمة هذا الرجل يعني مهاوشا ، فى معناها بما أبان

---

(١) : في الاصل ((النجابي)) والتقويم من ب .
(٢) : زيدت كلمة الجماعة من ب .

من صحيح ديانته ، وصادق عقيدته ، وأنا إن شاء الله أمضي وراء هذا الكلب . يعني البساسيري — وأقتنصه ، وأيمم الى الشام ، وأفعل بصاحب مصر مايكون جزاء لفعل البساسيري ، فدعا له الخليفة ، وشكره وقلده بسيف كان إلى جنبه ، وقال : لم يسلم معي وقت خروجي من الدار غيره ، وقد تبركت به ، فقبل الأرض ، وقام فاستأذن في دخول العسكر الى الخدمة ، ليشاهدوا الخليفة ، فأذن ، وكشف السرادق والخليفة فى خركاة (١) ، فدخلوا وشاهدوه ، وقبلوا الأرض ، وانصرفوا ، وقال الخليفة : اضربوا خيمتي عند خيم السلطان ، فأني أريد أن أكون معه حتى يقضي الله فى هذا اللعين — يعني البساسيري — فقال السلطان : هذا مما لا يجوز فعله ، ونحن الذين نصلح للحرب والسفر والتهجم والخطر دون أمير المؤمنين ، فإذا خرج بنفسه ، فأي حكم لنا ، وأي خدمة تقع منا ، والمصلحة دخول أمير المؤمنين إلى داره ، فأجاب على كره ، وكان يقول : أخاف من غائلة اللعين ، وجرت لمهاوش خطوب فى اقتراحاته ، أدت الى أن أطلق السلطان عشرة آلاف دينار ، أحيل منها بسبعة آلاف على مال الأهواز ، وسلمت إليه هيت بالثلاثة آلاف الباقية ، ولم يمسك راضيا بما فعل معه ، ولا طيب النفس بما جعل له ، ولما كان لخمس بقين من ذي الحجة ركب القائم وعساكر السلطان بين يديه والجنائب والملوك والاصفهسلارية ، والمهد بين يديه ، والأعلام على رأسه ، وعليه السواد ، وأبهة الخلافة ، وبيده سيف مسلول ، والعجم محدقون به ، ولم يبق من يستقبله من أهل بغداد سوى القاضي وثلاثة أنفس من الشهود ، لهرب الناس من مصادرات البساسيري ، والضرب والعقوبات ، وسبق السلطان فجلس على دكة الباب النوبي مكان الحاجب ، وكان قد سأل الخليفة أن يمشي بين يديه من النهروان ، فامتنع فلما ورد الخليفة باب النوبي ، قام السلطان وقبل الأرض ، وأخذ بلجام دابته ، ودخل يمشي إلى باب حجرة الخاص ، فدخل الخليفة بالبغلة إلى أماكن قد فرشت بفرش عظيمة ، من عند السلطان ، واعتذر (٢) من قلتها ، ثم قبل الأرض ، واستأذنه فى المسير وراء البساسيري فأذن له فعبر من وقته إلى النجمي ، وتجهز للمسير خلفه ، وقال أبو علي الحسن بن جعفر الضرير البندنيجي ، ويعرف بابن الهمذاني من أبيات :

ولما أن طغت عصب وطاشت ... حلوم أورثت لهم ضراما
وقادهم القضاء إلى عتل ... زنيم قاد للفتن السواما
أباح الله ركن الدين لطفا ... وتأييدا فأجرى من الاما

(١) : الخركاة كلمة تركية تعني الخيمة .
(٢) : فى ب (واعتذر السلطان) .

وأردى العبد لا جادت يداه ... سوى النيران تضطرم اضطراما
وأتعس جده فما زال منه ... وأقعصه وقد جد انهزاما
أقام بفاقة الإسلام لما ... تأود إذ بأمر الله قاما
أمير المؤمنين رضىً وعفوا ... لعارض بنوه طرقت لماما
فان الله أبلاك امتحانا ... كما أبلى النبيين الكراما
لقد قرت بأوبته عيو ... ن منذ زايل أن تناما
وأسفرت الخلافة بعد يأس ... وحال قطوب دولتها ابتساما

((ذكر مقام الخليفة بالحديثة))

أقام عند مهاوش البدوي هذه المدة ، يخدمه بنفسه ، وقال الخليفة : لما كنت بحديثه عانة قمت في بعض الليالي إلى الصلاة ، ووجدت في قلبي حلاوة المناجاة ، فدعوت الله تعالى بما سنح لي ، ثم قلت : اللهم أعدني إلى وطني ، واجمع بيني وبين أهلي وولدي ، ويسر اجتماعنا ، وأعد روض الأنس زاهرا ، وربع القرب عامرا ، فقد قلّ العزاء ، وبرح الجفاء فسمعت قائلاً على شاطئ الفرات يقول بأعلى صوته : نعم ، نعم ، فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثم أخذت في السؤال والابتهال ، فسمعت ذلك الصائح بعينه ، يقول : إلى الحول ، فعلمت أنه هاتف أنطقه الله تعالى بما جرى عليه الأمر .

وكتب القائم في السجن دعاء ، سلمه إلى بدوي ، وقال : اذهب إلى الكعبة وعلقه عليها وكان في الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الله العظيم ، من عبده المسكين ، اللهم إنك العالم بالسرائر ، المحيط بمكنونات الضمائر ، اللهم إنك غني بعلمك واطلاعك على أمور خلقك ، عن أعلامي بما أنا فيه ، عبد من عبادك قد كفر نعمتك ، وما شكرها وألغى العواقب وماذكرها ، أطغاه حلمك ، واغتر بأناتك حتى تعدى علينا ، وأساء الينا عتوا وعدوانا ، اللهم قل الناصر واغتر الظالم ، وأنت المطلع العالم ، والمنصف الحاكم ، بك نعز عليه ، وإليك نهرب من بين يديه ، فقد تعزز علينا بالمخلوقين ، ونحن نعز بك يارب العالمين ، اللهم إنا حاكمناه ، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك ، وقد رفعت ظلامتي الى حرمك ، ووثقت في كشفها بكرمك ، فاحكم بيني وبينه ، فأنت أحكم الحاكمين ، اللهم أظهر قدرتك فيه ، وأرنا ما نرتجيه ، فقد أخذته العزة بالاثم ، اللهم فاسلبه عزة ، وملّكنا ناصيته ، يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وسلم ، وكرم .

فحملها البدوي ، وعلقها على الكعبة ، فحسب ذلك اليوم ، فوجد البساسيري قتل وجيء برأسه بعد سبعة أيام من التاريخ ، ومن شعر القائم قاله في الحديثة :

خابت ظنوني فيمن كنت آمله (١) ولم يخب ذكر من واليت في خلدي (٢)

تعلموا من صروف الدهر كلهم فما أرى أحدا يحنو على أحد

وقال ايضا :

مالي من الأيام إلا موعد فمتى أرى ظفرا بذاك الموعد

يومي يمر وكلما قضيته عللت نفسي بالحديث إلى غد

أحيا بنفس تستريح إلى المنى وعلى مطامعها تروح وتغتدى

وأقام القائم مدة مقامه ، يتوقع البساسيرى ، وحصاره القلعة ساعة بعد ساعة ، ويحسب أنه يبعث به إلى مصر ، فكان ذلك أشد عليه من الحبس ، ويتمنى الموت على عدد الأنفاس ، إلى أن أتاه الفرج بعد الاياس .

---

(١) : في ب ((ممن))
(٢) : في ب ((يحمل من واليت))

ذكر مسير السلطان خلف البساسيري وقتله

لما عبر الخليفة داره عبر السلطان دجلة ونزل بالنجمي قاصدا البساسيري فجاءه سرايا بن منيع ، مقدمة من خفاجة ، وقال له : أيها السلطان الرأي أن تنفذ معي ألفي غلام من العسكر ، لأمضي على طريق الكوفة ، وأشغل البساسيري عن الإصعاد إلى الشام ، وتنحدر أنت وراءه ، فتأخذه من غير فوت ، فلم يعجب السلطان ذاك ، الا أنه قد خلع عليه ، وأعطاه سبعمائة دينار ، فلما انتصف الليل ، انتبه السلطان واستدعى خمارتكين الطغرلبي ، وقال له : رأيت الساعة في منامي كأني قد ظفرت بالبساسيري ، وقتلته فالواجب أن تسير اليه عسكرا من طريق الكوفة كما قال سرايا ، فخذ معك ألفي غلام ، وسر فقال : سمعا وطاعة ، واشتغل بتجريد الغلمان ، فدخل أنو شروان على السلطان واستأذنه في المسير إليه مع الغلمان ، وانضاف إليهما يارختكين ، وساوتكين الحاجب ، وجماعة من العرب ، ومحمد بن منصور العقيلي وساروا إلى طريق الكوفة ، وسار السلطان بنفسه إلى واسط يوم الجمعة تاسع عشرين ذي القعدة ، منحدرا على دجلة ، ولما فارق بغداد ، شرع أصحابه في خراب البلد ، فأحرقوا الأسواق والدروب ، وأخذوا الناس فعاقبوهم ، واستخرجوا الدفائن ، ودام النهب والحريق والقتل حتى خربت بغداد ، ودثرت من الجانبين ، ولم يبق غير حريم دار الخلافة ومافيه الا آحاد الناس ، ومات بالجوع والبرد كثير من الناس على الطرقات ، وأكلت الكلاب لحومهم ، وكلب الناس .

وأما البساسيري فأنه أقام بواسط مستهينا بالسلطان ، متشاغلا بجمع الغلات والتمور ليصعد بها إلى بغداد ، فبلغه دخول الخليفة والسلطان إلى بغداد ، فعزم على الهرب ، وتحير في أمر الغلات والتمر ماذا يفعل فيها ، فوقعت نار في زورق كبير فاحترق ، فتطير وكان فارسطغان الحاجب لما عصى على جلال الدولة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، ونزل بدير العاقول جمع الزواريق ، فاحترق زورق كذا ، فقتل بعد سبعة أيام ، وكذا البساسيري فاحتاج أن ينزل على دبيس ، ويستجير به ، وقد كان شاكا فيه لما يعرفه من انحرافه عنه ومافعل معه لما فتح بغداد ، وإنما ألجأته الضرورة ، وكان دبيس خائفا من السلطان ، ولم يحضر إليه ، فنزل البساسيري عليه ، وطرح نفسه بين يديه ، واستجار به ، واجتمعت العرب عند دبيس ، وهو بين الحلة وواسط على الفرات وحدر دبيس ماله ورجاله إلى البطيحة ، وصاحبها أبو نصر بن الهيثم ، وانحدر معهم جماعة من أهل بغداد ، منهم أبو عبد الله المردوشي ، وغيره ، ولما وصلت السرية التي

بعثها السلطان إلى حلل دبيس ، نزلوا قريبا منهم ، فأرسل البساسيري اليه ، وقال : المصلحة تواقعهم الليلة ، فانهم كالون وخيلهم قد تعبت ، فامتنع عليه وقال : نباكرهم غدا ، وأصبحوا : فراسل أنوشروان ابن مزيد ، والتمس به الاجتماع فمضى اليه ، واجتمعا فقال له : عميد الملك يسلم عليك ، ويقول : قد مكنت في نفس السلطان منك ، ماجعلت لك منه المحل اللطيف ، والموقع المنيف ، وشرحت له ما أنت عليه من طاعته ، ويجب أن تسلم هذا الرجل ، وتسلم انت ومن في صحبتك ، فما المطلوب سواه ، لما اقترفه من عظيم ذنبه ، وارتكبه من كبير جرمه ، وان امتنعت واحتججت بالعربية وذمامها ، وحرمة نزوله عليك والتزامها ، فانصرف عنه ، ودعنا واياه . فقال : ماأنا الا خادم السلطان سامع مطيع لأوامره ومراسيمه ، الا أن للبدوية حكمها وذمامها ، وقد نزل هذا الرجل على نزولا ما آثرته ولا اخترته ، بل كرهته وأبيته ، وقد عرفت مافعلت معك ومع عميد الملك ببغداد لما التجأتما إليّ ، ونزلتما عليّ ، وكيف خدمتكما وسيرتكما ، والصواب أن تسرع في صلاح حال البساسيري مع السلطان ، وتصطنعه ، وتستخدمه ، فما يستغنى عن مثله ، وقد فات ماذبح ، وعفا الله عما سلف ، فقال له أنوشروان : هذا هو الرأي ، ونحن نبعد عنكم مرحلة ، وتبعدون عنا مثلها لئلا يتطرق البعض الى البعض ، بوقوع العين في العين ، والسلطان فقد وصل الى النعمانية (١) ، وأنا أراسله في هذا ، ومانخالفك ومافيهما الا من قصد خديعة صاحبه ، أما دبيس فانه قصد مدافعة السلطان لما تحقق وصوله حتى تبعد عنه السرية ، فانه يصعد إلى البرية الى حيث يأمن على نفسه وحلته وعشيرته ، ويدبر أمر البساسيري في مضية عنه ، وأما أنو شروان فانه قصد أن يبعد عن القوم ويفسح لهم في البرية ، فاذا رحلوا تبعهم وأكب عليهم ، لانهم حينئذ يكونون قد اشتغلوا برحيلهم وأهلهم عن الحرب ، فكان ماقصد صحيحا ، وفعله الله تعالى ، وعاد دبيس إلى البساسيري وأخبره ، فقال : الأمر اليك قد أشرت بما أشرت ، وماقبل مني ، أفعل ماتراه ، وأصبح دبيس يوم الثلثاء حادي عشر ذي الحجة هو والبساسيري ، فرحلا ورحل أنو شروان بمقابلتهم وقد اكمن يراصدهم ، فلما أخذوا في الرحيل أكبوا عليهم ، فثبت البساسيري وتبين لدبيس غلطه ، فسارع الى أوائل الظعن ليرده فلم يقبلوا منه ، ولا التفتوا إليه ، وصار الواحد يردف ولده خلفه وامرأته ، وتشاغلوا بنفوسهم ، وألقى الله في قلوبهم الرعب ، فانهزم دبيس بن مزيد ، ووقف البساسيري فقاتل ، وكثروا عليه وأسروا أبا الفتح بن ورام أمير الأكراد بالحلة ، فأفرج عنه أنوشروان ، واصطنعه ، وثقل ذلك على السلطان لما بلغه ، وأسر منصور ، وبدران وحماد ، أولاد مزيد ، وانهزم البساسيري ، بعد أن تورط فيهم ، على فرس بتجافيف فلم تنجه ، وضربه بنشابة ، واجتهد في قطع التجافيف فلم تنقطع ، وأدركه بعض الغلمان فضربه في وجهه بالسيف ، ولم يعرفه ، ورآه بعض العرب المجروحين و

---

(١) : بليدة بين واسط وبغداد معجم البلدان .

وأسره كمشتكين فنازعه عليه اردم الخادم ، فنزل إليه وحز رأسه ، وجاء به إلى السلطان .

وقال محمد بن هلال الصابي : اعتبرت دخول أصحاب البساسيري بغداد ، فكان اليوم السادس من ذي القعدة سنة خمسين ؛ وخرج أهله وأولاده منها في مثل ذلك من السنة الاتية ، وانتزع الخليفة من داره يوم الثلاثاء من عشر كانون الثاني في سنة خمسين ، وقتل البساسيري يوم الثلاثاء الثامن عشر منه في السنة الآتية ، وهذا من الاتفاقات الغريبة ، ودخل الترك في الظعن جميعه ، فساقوه وكان فيه أموال بغداد جميعها ، مع الأكابر ، وأموال العرب بأسرها مع نسائها وأولادها ، وكان في السبي نساء البساسيري ، وأولاده ، وبناته ، وزهرة ، وزوجته ، وأختان لابن مزيد ، وابنتان له ، وارتكب من النساء المحظور ، ونجا من نجا على فرسه دون ماله وحرمه ، وبقيت الثياب والأموال مطروحة في البرية لكثرتها ، وعجز الغلمان عن حملها ، وهلك من الناس العدد الكثير ، والجم الغفير ، وكان الفتك من العرب فانهم أفسدوا ، والترك لم يفسدوا ، وإنما اخذوا الأموال ، وأحضر السلطان جماعة فعرفوا رأس البساسيري ، فوجدوا في جيبه خمسة دنانير ، فدفعها السلطان إلى من قور رأسه ، وأخرج مخه ، ثم بعث به إلى بغداد ، فوصل يوم السبت منتصف ذي الحجة ، فترك على قناة ، وطيف به ، وضربت بين يديه الدبادب والبوقات ، وعلق مدة ، ثم حمل إلى خزانة الرؤوس (١) فيقال انه باق إلى هلم جرا ، وهرب ابن مزيد إلى البطيحة ، ومعه أبو البركات ابن البساسيري ، وأخواه الصغيرا ، وقيل زهرة والدتهما وأخته .

ووصل السلطان إلى واسط فرأى أصحابه قد نهبوها ، فعز عليه ، ولام اريسغى وكان قد تقدم اليها ، وعبر السلطان إلى الجانب الشرقي قريب من البطائح ، وجاءه هزارسب وتوسط حال ابن مزيد معه ، وحضر باب السلطان ، وداس بساطه ، ثم أصعد في خدمته إلى بغداد ، وكذا صدقة بن منصور ، ورد السلطان على ابن مزيد أولاده ، واخوته الأسرى ، وقبل إصعاد السلطان أنفذ من واسط والدة الخليفة ، ووالدة الأمير أبي القاسم علاء الدين بن ذخيرة الدين ، وصلف ـ وقيل اسمها وصال ـ القهرمانة ، وتبعهم خلق كثير من أهل بغداد ، وكانوا في أسر البساسيري ، ومعه في الوقعة فأخذوا .

---

(١) : كان في دار الخلافة حجرة او اكثر عرفت باسم خزانة الرؤوس حيث حفظت فيها رؤوس كبار الخارجين على الحكم العباسي .

ذكر ماجرى لابن البساسيري الصغير

كان نائبا عن أبيه بالرحبة ، فوصله الخبر في يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ، فارتاع وخاف المقام ، وبلغه أن مهاوشا قد خرج من بغداد في ثلثمائة غلام من الأتراك يريد الرحبة ، فأراد ان يعطيه (١) بالس ، وكانت لعطية بن الزوقلية الكلابي ، وكان بينه وبين أبيه مودة وصداقة ، وأغارت بنو شيبان على سواد الرحبة ، وأحرقوا فخاف الصبي أن يخرج لقبيح فعل بني شيبان وغدرهم ، فاستدعى وجوههم وقال : تسيرون معي الى بالس (٢) ، وجعل لهم على ذلك خمسمائة دينار ، واستحلفهم وتوثق منهم ، وأودع الذهب عند من رضوا به ، فاذا قاربوا بالس رجعوا ، واستدعى جماعة من العجم ، ممن استأمن إلى أبيه ، فأعطاهم ثلاثة آلاف درهم ، وسلاحا فأظهروا طاعته ، وأبطنوا مخالفته ، والتجأوا إلى محلة في الرحبة ، يقال لها القصر ، وعليها سور ، واجتمع القاضي وابن محكان وأبو الكرم كاتب الديوان ، على الخطبة للسلطان طغرلبك والقائم ولم يتحققوا حقيقة الحال ، الا أن مهاوش البدوي قاصدا الرحبة في سرية ، وخرج ابن البساسيري في خامس عشرين ذي الحجة مبرزا ، فأغلقوا وراءه الابواب ، ورماه العجم الذين أعطاهم الأموال والسلاح بالنشاب (٣) ، وسبوه وشتموه ، وخرج معه خلق كثير من أهل البلد نكانوا مع أبيه ، وسار طالبا بالس ، ولم يقنع بنو شيبان بما قرره لهم فتخطفوا الناس ونهبوهم ولو لم يكن في جماعة كبيرة لنهبوه ، ووصل الى بالس ، واجتمع بعطية ، ولم يتعرض له . كل هذا وماعند أحد خبر ماجرى للبساسيري إلا أنهم على انتظاره ، وابنه يمنيهم رجوعه ، ثم سار يطوي المنازل إلى حلب فأقام على بابها .

وفي هذا الشهر عزل القائم أبا الحسن محمد بن أحمد بن المهتدي ، عن خطابة جامع المنصور ، لأجل خطبته لصاحب مصر ، وولى مكانه أبا علي الحسن بن عبد الودود ابن المهتدي ، وخلع عليه خلعة سوداء ، وبرز له توقيع فيه : خرجت الأوامر الشريفة والمراسيم العالية المتفقة ، أنفذها الله شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، بترتيب الشريف الجليل بهاء الشرف ، أدام الله تأييده في الخدمة ، ولإقامة الدعوة الشريفة ، على المنبر بالمسجد ، جامع المنصور صلوات الله على الآمر ببنائه وأن يعتمد على المداومة في الخدمة واتصالها ، فليمتثل المأمور ، وليعتمد المرسوم ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) : في الاصل (يقصد) وهي تصحيف قوم من ب .
(٢) : هي مسكنة على الفرات في سورية حاليا .
(٣) : في الاصل ((والنشاب))و التقويم من ب .

ذكر ما اعتمده الخليفة بعد رجوعه

لما عاد إلى بغداد من الحديثة لم ينم على وطاء ، ولم يدع أحدا يحمل إليه فطوره وطهوره (١) لأنه نذر أن يتولى ذلك بنفسه ، وعقد مع الله العفو عمن أساء اليه ، والصفح عن جميع من تعدى عليه ، فوفى بذلك ، وأشرف في بعض الأيام على البنائين في داره ، فأمر الخادم باخراج واحد منهم ، ثم رآه في الدار فقال للخادم : أعطيه دينارا وأخرجه وتهدده إن عاد ثانيا ، فأتاه الخادم ، وأعطاه دينارا ، وقال : إن عدنا رأيناك هاهنا قتلناك ، فسأل الخليفة عن السبب ، فقال : إن هذا أسمعني يوم خروجي من الدار الكلام الشنيع ، وماكفاه حتى تبعني الى المكان الذي بت فيه في المشهد ، وجعل يشتمني ، وماكفاه حتى تبعني إلى عقرقوف يسمعني ما أكره ، فأمسكت عن معاقبته رجاء ثواب الله تعالى ، وما عاقبت من عصي الله فيك بأكثر من أن تطيع الله فيه .

وفيها كان بمكة رخص لم يعهد مثله ، بلغ البر والتمر مائتي رطل بدينار ، وهذا غريب في ذلك المكان .

وفيها قتل أرسلان التركي أبو الحارث البساسيري ، وكان يلقب بالمظفر ، وكان مقدما على الأتراك ، لا يقطع القائم أمرا دونه ، فتجبر وطغى ، وأراد نقل الدولة لفساد نيته ، وخبث طويته ، فقلبها وفعل مافعل ، فقتل أقبح قتلة ، ويقال إنهم أحرقوا جسده وأطعموا بعضه الكلاب .

وقال أبو يعلى ابن القلانسي : لم تزل الأخبار متواترة ، من ناحية العراق بظهور المظفر أبي الحارث أرسلان البساسيري ، وقوة شوكته ، وغلبة أمره على الإمام القائم بأمر الله ، وقهر نوابه ، وامتهان خواصه وأصحابه ، وخوفهم من شره ، حتى أفضى أمره بأخذ الجاني من حريم الخلافة ، لا دافع عنه ، وهو واحد من الغلمان الاتراك ، عظم أمره واستفحل شأنه لعدم نظرائه من الغلمان الاتراك ، والمقدمين ، فاستولى على العباد والأعمال (٢) ومد يده في جباية الاموال ، وشاع بالهيبة أمره ، وانتشر ذكره ، وتهيبته العرب والعجم ، ودعى له على كثير من منابر العراق ، والأهواز ، وقد ذكرنا سيرته مفصلة .

---

(١) : في الاصل (ظهوره) والتقويم من ب .
(٢) : في الاصل ((الاموال)) والتقويم من ب ومن تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٤٣ . ويلاحظ ان النقل عن ابن القلانسي مختصرا بعض الشيء .

الحسن بن ابى الفضل أبو علي الشرمقاني

وشرمقان (١) قرية من قرى نيسابور ، قدم بغداد ، وكان حافظا للقرآن ووجوه القراءات ، زاهدا ، عابدا ، ورعا سليم الصدر ، طاهر البدن ، كان يخرج إلى دجلة فيقعد عند أقوام يغسلون الخس، فيأخذ من الورق مايحدره الماء ، وكان يقرأ على ابن العلاف ، ويأوي إلى مسجد بدرب الزعفران ، غربى بغداد ، فاتفق أن ابن العلاف خرج يوما يتوضأ على دجلة ، وكان زمان مجاعة ، فرأى الشرمقاني يأخذ مايرمي به أصحاب الخس من الورق فيأكله ، فشق عليه ، وكان ابن العلاف ينبسط إلى رئيس الرؤساء ، فأخبره بحاله ، فقال : نبعث له شيئا ، قال : مايقبل ، فقال : نتحيل فيه ، فقال لغلام له : اذهب الى مسجد الشرمقاني ، واعمل لغلقه مفتاحا من حيث لا يشعر ، ففعل ، فقال له : احمل فى كل يوم ثلاثة أرطال خبز ودجاجة مشوية وقطعة حلواء سكر ، فكان الغلام يرصده ، فاذا خرج من المسجد ، فتح الباب ، وترك ذلك فى القبلة ، وكان الشرمقاني يتعجب ويقول : المفتاح معي ، وماهذا إلا من الجنة ، فسكت ولم يخبر أحدا خوفا أن ينقطع ، فأخصب جسمه وسمن ، فقال له ابن العلاف : قد سمنت فايش تأكل ؟ فأنشده :

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا

وأخذ يوري ، ولم يصرح ، فلم يزل به حتى أخبره ، وقال : هذه كرامة لي يبعثها الله لي كل يوم من الجنة كذا وكذا ، قال : من أين لك ذلك ؟ قال : لأن الباب مغلق والمفتاح معي ، فقال : ينبغي ان تدعو للوزير ، ففهم وانكسر قلبه ، وتنغص عيشه ، وتوفي عقيب ذلك .

أبو البركات

عقيل بن العباس بن الحسن بن العباس بن الحسن بن العباس بن أبي الجن الحسين بن علي ، ولد بدمشق سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، وولى نقابة العلويين بها ، وكان جوادا سمحا ، توفي بطرابلس ، وحمل إلى دمشق ، فدفن بها رحمه الله .

---

(١) : العجم يقولون جرمقان ، بليدة بخراسان من نواحى سفرايين فى الجبال بينها وبين نيسابور أربعة أيام معجم البلدان .

علي بن الحسين بن هندى ـ قاضي حمص

ولد سنة أربعمائة ، وبرع في علم الأدب والشعر ، وتوفي بدمشق ، ودفن بباب الفراديس ، ومن شعره :

يا ضاحكا بمن استقل عباده ... سيثور عن قدميك ذاك القتير (١)
لا فارس بجنودها منعت حمى كسرى ... ولا للروم خلد قيصر
جدد مضت عاد عليه وجرهم ... وتلاه كهلان وعقب حمير
وسطا بغسان الملوك وكندة ... فلها دما عنده لا ثار
لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا ... ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا

علي بن محمود بن إبراهيم ـ أبو الحسن الزوزني

المنسوب إليه الرباط المقابل لجامع المنصور ، والرباط إنما بني للحصري ، والزوزني صاحب الحصري ، فنسب اليه ، ولد على سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وصحب الحصري ، وكان يقول : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ من كل شيخ حكاية ، وكانت وفاته في رمضان ، ودفن بباب الرباط .

قريش بن بدران

أبو المعالي ، ويلقب بعلم الدين ، أمير بني عقيل ، كان داهية بخيلا سفاكا للدماء بعيد الغور ، غدارا ، حمله شحه ، وقلة دينه على موافقة البساسيري ، على تغيير الدولة العباسية ، شرها إلى ماكان في دار الخلافة ، وطمعا في الزيادة من صاحب مصر ، وفعل تلك الأفاعيل وذم للوزير رئيس الرؤساء ، وغدر به ، وسلمه إلى البساسيري، حتى فعل به مافعل ، ولم يمنعه ، ولو منعه ماخالفه ، وكان قد احتال على مهاوش ، وقال له : خذ الخليفة ، وتعال إلينا ، وكان قصدة أن يدخل بالخليفة إلى الجفار ، ويسلمه إلى صاحب مصر ، فبعث اليه السلطان ، وخلص الخليفة ، ولم يستصحبه البساسيري لأجل عسكره ، فانه كان شحيحا والعرب ذامة له ، ومتقللة عنه لأجل اسمه وذكره ، فبذل له أن يقطعه أملاك الخليفة ، وإقطاعه ، وأن يكون ماعدا ذلك بينهما نصفين ، من

---

(١) : في ب ((العثير))والقتير غبر الجيش النهاية لابن الاثير.

بن البلاد والغنائم ، وأن لا يكون لقريش ذمام ولا إجارة عليه ، وتحالفا على ذلك ، وتكاتبا وتعاهدا ، فلما دخلا بغداد تسلم قريش الأملاك والاقطاعات التي للخليفة ، وأخرج أصحابه إلى الضياع ، فصادروا أهلها ، وأخذوا ماقدروا عليه ، ولما استوليا على دار الخليفة (١) ، اقتسما ماكان فيها من مال ، وجوهر ، وقماش ، وثياب ، وخيل ، وطلب قريش أن يسلم إليه نصف الاقطاعات المنحلة عن الغلمان البغدادية وغيرهم ، فامتنع البساسيري من ذلك ، ثم اتفقا على الثلث إلى أن وصل السلطان البلاد ، فزال ذلك كله ، ودخل الخليفة إلى داره ، وقتل البساسيري ، ومات قريش بالموصل خائفا من السلطان ، وقام ولده مسلم ، وكنيته أبو البركات ، وقيل أن قريش مات في السنة الآتية ، وكان السلطان قد أباح دمه ، وقال : لا عهد له عندي ، ذاك الكذاب الغدار ، المستبيح أموال الخليفة وبلغه فمات خوفا .

---

(١) : في ب ((الخلافة .))

((السنة الثانية والخمسون والأربعمائة))

فيها في صفر ، نزل عطية صاحب بالس إلى الرحبة ، وحصرها ، وفتحها ، فلما دخلها أحسن معاملة أهلها ، وخطب للمستنصر ، بعد أن كانوا قد خطبوا فيها للقائم والسلطان .

وفي يوم الخميس سابع عشره ، دخل السلطان بغداد مصعداً من واسط ، وفي خدمته أبو كاليجار هزارسب ، وأبو الأغر بن مزيد ، وأبو الفتح بن ورام ، وصدقة بن منصور بن الحسين ، وجلس الخليفة للسلطان ، ووصل إليه يوم الاثنين الحادي والعشرين منه ، وخلع عليه عمامة قصب مذهبة سنية ، وفرجية ديباج مذهبة ، وعمل الخليفة سماطا عظيما في رواق روشن المكتفي بالمشرف على دجلة ، بعد أن أعيدت شرافاته ، التي قلعها البساسيري ، وحضر السلطان ومن معهما ، واستحلفوا على طاعة السلطان والخليفة وخلع على الأمراء .

وفي ثاني ربيع الأول ، توجه السلطان إلى الجبل ، وتأخر عميد الملك بعده ، ليدبر الأمور ، ثم لحق بالسلطان ، بعد أن دخل على الخليفة ، وخدمه فشكره ، وخاطبه بالجميل ، الذى شرح صدره ، ولقبه سيد الوزراء ، مضافا إلى عميد الملك .

وفي يوم الثلثاء تاسع جمادى الآخرة ، ورد الأمير ، عدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين ، وخدمه وعميه ، مع أبي الغنائم بن المحلبان ، وسنه أربع سنين ، واستقبله أبو الفتح المظفر بن الحسين ، عميد بغداد ، وكان ولاء السلطان في هذه السنة ، والتقاه أيضا الخدم ، والحجاب ، والأعيان في الماء ، وعلى الظهر ، وجلس الأمير في الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان ، والخدم ، والخواص ، وصعد بباب الغربة ، وقدم له فرس فأركبه ابن المحلبان ، ودخل به إلى حضرة الخليفة ، وكان الخليفة قد أعد لابن المحلبان مالا وخلعا ، فامتنع من أخذه ، وقال : ما أريد إلا أن أسلم الأمير من يدي ، إلى يد أمير المؤمنين ، فأذن له ، فدخل عليه ، وقبل الأرض ، ويده ، وسلم الأمير إليه ، فشكره القائم وأثنى عليه ، ورفع منزلته .

ذكر السبب في سلامة الأمير وماجرى لهم

قال أبو الغنائم بن المحلبان : لما فتحت دار الخليفة ، دخلت إلى داري بباب المراتب ، فوجدت بها زوجة رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وأولاده ، والبساسيرى يطلبهم أشد الطلب ، فقلت : من أنتم ؟ قالت : أنا زوجة الوزير ، وقد تحيرنا وماندري مانصنع ولا أين نهرب ، وكنا قد استشرنا صاحبنا — يعني ابن المسلمة — فقلنا : إلى من نقصد ؟ فقال : مالكم غير أبي الغنائم بن المحلبان ، فان كان لكم خلاص، فما أرجوه إلا منه ، وعلى يده ، فاقصدوه فأنه يتعصب لكم ، ويتوصل إلى حفظكم ، فقلت : طيبوا قلوبكم نفسي دون نفوسكم ، وخلطتهم بأهلي عند سكون الثائرة (١) ، وأنزلتهم بدار الخليفة ، فلما صلب الوزير ، أخرجتهم الى من أثق به إلى ميافارقين ، وقلت : هؤلاء أهلي ، أخاف عليهم ، وخرجوا في محمل ، فاتفق خروج البساسيري يودع قريش بن بدران ، ومحملهم إلى جانب البساسيري ، وسلم الله ، ومضوا سالمين ، ثم جاءني محمد الوكيل ، فقال : قد عرفت أن ابن الذخيرة ، وبنت الخليفة وأمها يبيتون في المساجد مع المكديين ، وينتقلون من مكان إلى مكان ، ومايشبعون الخبز ، وهم عراة ، ولما علموا بما فعلت مع أهل الوزير ، واختلاطي بك ، سكنوا اليك وإليّ ، واطلعوني على أمرهم ، وسألوا في خطابك في معناهم ، وتدبر أمرهم ، وقد ذكروا أن أبا منصور بن يوسف أرشدهم إليك ، فما رأيك ، وكان البساسيري قد أذكى عليهم العيون، فشدد في طلبهم ، وقد عميت عليه أخبارهم ، واستعجبت آثارهم ، فقلت له : واعدهم المسجد الفلاني ، حتى أنفذ زوجتي إليهم ، ففعل ، وخلصوا (٢) في داري ، فحملت اليهم ثيابا سنية ، وكسوة ، وقلت : سلهم كم كانت مشاهرتهم على الخليفة ؟ فقالوا : كذا وكذا ، فأضعفت ذلك ، وأقاموا عندي ثمانية أشهر على أحسن حال ، فلما تواترت الأخبار بمجيء عسكر السلطان خافوا ، وراسلوني ، وقالوا لانقم في هذا البلد معدخول العسكر ، فان خوفنا منهم مثل خوفنا من البساسيري ، من أجل هذا الصبي ، فان أرسلان خاتون ضرة جدته ، وهي كارهة لسلامته ، ونريد أن تخرجنا مع ثقة لك بحيث نأمن على نفوسنا ، ونتصرف على حسب اختيارنا ، فانتدبت لهم صاحبا لي ، ولم أعلمه بهم ، بل قلت : هؤلاء أهلي وأريد أن أخرجهم خوفا من البساسيري ، واشتريت لهم الجمال وجهزتهم إلى قرية من قرى سنجار ، تعرف بالخيال ،

---

(١) : أي الفتنة .

(٢) : في ب ((حصلوا)).

وجاء الغز ، فدخلوا بغداد ، فخرجت نحوهم ، وحملتهم إلى حران، فلما دخل الخليفة بغداد ، حملتهم إليه .

وقال المصنف رحمه الله : وقفت على تاريخ ميافارقين ، وفيه : أن أبا نصر ابن مروان الكردي ، صاحب ديار بكر ، أنزلهم في قصر بآمد ، وأجرى عليهم الجرايات ، فقال له القاضي أبو علي بن البغل : أحب أن تكون ضيافتهم علي ، فقال ابن مروان : كيف يسمع عنى أن ابن الخليفة ، أقام عندي ، ولم يكن في ضيافتي ، فقال : يسمع الناس أن بعض خدمك أقام بابن الخليفة فلم يجبه (١)ء

وفي رجب وقفت دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، وذلك لأن الدار التي وقفها سابور الوزير ، بين السورين في الكرخ سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أحرقت لما دخل طغرلبك بغداد ، وتمزقت الكتب ، ونهب الباقي ، وحمل أكثرها إلى خراسان ، ودرس العلم والمكان الذى كانت فيه ، من حساب الكرخ ومواضعه .

وفي رجب ملك محمود بن شبل الدولة (٢) بن الزوقلية ، ومنيع ابن عمه حلبا والقلعة وأخرجا منها أبا علي بن ملهم النائب من قبل مصر ، بعد أن أذما له ، وسببه : لما حصل عطية بن الزوقلية بالرحبة ورأى أهلها قد أنفذوا إلى بغداد بالطاعة ، وأقاموا الخطبة للخليفة والسلطان ، خاف من سرية من العساكر السلطانية ، فأحدر صاحبا له الى بغداد في الطاعة والخدمة ، فطلب من الخليفة خلعا ولقبا ، ليخطب له .

وعرف أبو علي بن ملهم بذلك ، فكتب إلى مصر فانزعجوا ، وعملوا على من يقصد الرحبة ، ويخرج منها عطية ، وكاتبوا إلى الرحبة ، وأنفذوا جلال الدولة مقدم كتامة ، والقاضي العلوى الزيدي قاضي دمشق إلى حلب ، سرا من ابن ملهم ، وعرفت بنو كلاب بمسير بني كلب إلى أرضهم ، فخافوا وقصدوا ابن ملهم ، وجلال الدولة ، والقاضي ، وقالوا : قد بلغنا مجيء بني كلب الى هاهنا لأجل عطية والرحبة ، ونحن نعطيكم رهائن ونكفيكم أمر عطية والرحبة من غير أن تطأ بني كلب ديارنا ، ومتى فعلتم ذلك أخرجتمونا إلى

---

(١) : الخبر ليس في تاريخ مفارقين لابن الازرق الفارقي ط• القاهرة ١٩٥٩ ص١٧٦ وكان نصر الدولة المرواني هو حاكم ميافارقين وليس كما ورد في النص : اما ابن البغل فكان آنذاك قاضي ميافارقين .

(٢) : هو نصر بن صالح بن مرداس .

العصيان ، فقالوا : هذا أمر جاء من مصر ، ليس لنا فيه رأى ، فأيسوا منهم ، وكتبوا إلى عطية بما جرى ، واستدعوه ليؤمروه ويدفعوا بني كلب ، فأصعد من الرحبة إليهم ، واستحلفهم وتوثق منهم ، واتفق أن جماعة من العرب وقطعة من بني عقيل ، وبني شيبان وخفاجة كانوا نازلين على بني كلاب ، فساروا بأجمعهم مع عطية الى حمص وحماة ، فأخذوهما ، وهما من أعمال بني كلب ، وأخربوا سور حمص ، ونهبوا الغلات ، وجاء أبو تغلب ابن حمدان في جماعة من أصحابه ، وبنى كلب إلى فامية ، ووصلت الكتب الى عطية من مصر باستعطافه ، فرجع عن ذلك ، وانصلحت نيته ، وقد كانت علوية بنت وثاب أم محمود بن شبل الدولة عند هذا الاختلاط ، قد أفسدت جماعته من أحداث حلب ، واستمالتهم ، وكتبت إلى محمود ولدها ، ومنيع ابن عمه ، وكانا بالقرب من البلد ، فقربا ، وفتح الأحداث الأبواب لهما ، ونادوا بشعارهما ، فدخلا في جماعة من بني كلاب ، وظفروا بجلال الدولة الكتامي ، والعلوي القاضي ، قبل أن يصعدا إلى القلة (١) وقتلو جماعة من المغاربة والمصريين ، وصعد قوم من الغلمان البغدادية إلى القلعة ، وحصلوا مع المغاربة ، ومع أبي علي بن ملهم ، وصارت الحرب بينهم ، ووثق محمود ومنيع بمن معهما من الأحداث ، واطرحا بني كلاب ، ولم يوصلا إليهم ماكان وعداهم به فانحرفوا وقصدوا أبا تغلب ابن حمدان ، وحصلوا معه ، وثقل على عطية تملكهما البلد ، فانصلح لصاحب مصر ، وحلف له ، فسار أبو تغلب ابن حمدان حينئذ إلى حلب ، وعرف محمود ووالدته ومنيع ذلك ، فلم يقدروا على ذلك ، فخرجوا ومعهم الكتامي والقاضي مقيدين ، ونزل ابن ملهم من القلعة ، وفتح الباب لأبي تغلب ، فدخل فقتل الأحداث وصلبهم وأحرق أكثر البلد ، وجاء عطية الى أبي تغلب ، فقيده ، بقيد من ذهب كان حمله معه من مصر ، ثم فك عنه ، وأفضيت عليه الخلع ، وأعطي مالا مالاكان ضمن له ، وعزم أبو تغلب على الخروج الى بني كلاب الذين نزل عليهم محمود ومنيع ، فأشير عليه أن لا يفعل ، فلم يقبل ، وانعزل عنهم عطية بأهله ، ومعه قطعة من الغلمان البغدادية وبقى ابن البساسيري الأصغر ، وقد كان سلم من الحرب التي قتل أبوه فيها ، وأصعد إلى حلب .

---

(١) : في ب " القلعة " والقلة أعلى مافى القلعة .

وراسلوه : بأنك قد فعلت مافيه هلاكنا ، وبلوغ غرض العدو منا ، فإن هذا المكان لايحملنا ، ولا نجدما نأكل نحن وخيلنا ، ومتى أقمنا سقط الثلج علينا ومتنا ، والرأي أن ننصرف الى الري ، ونشتو بها ، وإذا جاء النوروز سرنا حيث نشاء ، فلما سمع ذلك ، صعب عليه ، وتهددهم ، فنفروا ، وقالوا : مانخرج عليك ، ولا نغضبك ، ولكن تمضي إلى بغداد ، ونستولي على أموالها ، ونتفرق في أعمالها ، ونستريح من هذه الأسفار المتصلة ، والتعب العظيم ، وندعك ورأيك ، ومتى منعتنا حاربناك ، وكان الخليفة معنا ، فلما سمع ذلك صعب عليه تهددهم ، وبان له منهم هذه المكاشفة ، أعاد الجواب : بأنكم اولادي ، وماقلت ماقلت إلا ، بحكم الدالة ، واذا اخترتم الري فبعد خمسة أيام أتوجه إليها ، وتقدم بضرب السرادق إلى ناحية الري ، وحلف لهم ، وحلفوا له ، ورتب أنوشر وان ايناتجيك في تلك الأعمال ، وسار نحو الري وكان الذي أصلح هذه الأحوال خمارتكين الطغرلبي ، وهو المهتم بعرض العساكر على السلطان ، فأظهر له السلطان جميلا ، وخلع عليه ، واستحلفه عميد الملك ، وكان بينهما عداوة متقدمة ، وكان السلطان قد قلد أمر بغداد إلى أبي الفتح المظفر بن الحسين العميد ، فشرع في عمارتها من الجانبين ، وأحسن الى الناس ، وأقام الهيبة ، ونهى أهل الكرخ عن العبور إلى الحريم ، والجانب الشرقي فما كان إلا القليل ، حتى عمرت الأسواق ، وكان قد ضمن بغداد في هذه السنة بمائة ألف دينار ، وفيما بعدها بثلثمائة ألف .

وفيها توفي أحمد بن عبدالله بن فضالة ، أبو الفتح الموازيني الحلبي الشاعر ويعرف بالماهر ، سكن دمشق ، ومات بها في صفر ، ودفن في داره ، ثم نقل الى الباب الصغير ، وكان ينظم الدرة ، ورأس الجرة ، ويقول الجيد والردىء ، ومن شعره :

من صح قبلك في الهوى ميثاقه حتى تصح ومن وفى حتى تفي
عرف الهوى في الخلق مذ خلق الهوى بمذلة الأقوى وعز الأضعف
يامن توقد في الحشا بصدوده نار بغير وصاله ماتنطفي
وظننت جسمي ان سيخفى بالضنى عن عاذلي فقد ضنيت وماخفي

وقال :

أرى نفسي تحدثها الظنون بأن البين بعد غد يكون
وماترك الفراق عليّ دمعا يسح ولا تسح بها الجفون
وفرض البين منهزم فقل لي عليك بأي دمع استعين
كأني من حديث النفس عندي جهينة عندها الخبر اليقين

وقـــا ل :

الشعر كالبحـــر في تلاطمــــه ... مابين ملفوظـه وسامعـــــه
فمنه كالمسك في لطائـــــه ... ومنه كالمسك في مدابعـــــه (١)

((التونجـــان))

زوجة السلطان طغرلبك ، أم أنوشروان ، زوجة خوارزم شاه ، كانت أم ولـــد ، وفيها دين وافر ، ولها معروف ظاهر ، وكانت تتصدق كثيرا ، وتفعل أفعال البـــر ، وصاحبة رأي ، وحزم ، وعزم ، وكان السلطان سامعا لها ، مطيعا ، والأمور مردودة إلـى عقلها ورأيها (٢) ، وكانت وفاتها بجرجان (٣) بعلة الاستسقاء ، فحزن السلطان عليها حزنا شديدا ، وحمل تابوتها معه إلى الري ، فدفنها بها ، ولما احتضرت ، قالـــت للسلطان : اجتهد في الوصلة بابنـة الخليفـة لتنال شرف الدنيا والآخـرة ، وأوصت بجميع مالها ، بأن يكون لبنت القائم .

الحسن بن أبي الفضل أبو محمد النســوي

صاحب شرطة بغداد ، كان صارما فاتكا ، يقتل الناس ، ويأخذ أموالهم ، وشهد عليه الشهود عند القاضي أبي الطيب ، فحكم بقتله ، فصالح بمال ، فسلم ، وعـــزل من الشرطة ، ثم بذل مالا ، فرد ، فاتفق أهل باب البصرة والكرخ ، ومحال السنـــة والشيعة ، أنهم متى ظفروا به قتلوه ، وكانت فيه فطنة ، سمع في إحدى ليالي الشتــاء صوت برادة تخط ، فأمر بكبس الدار ، فوجـد رجلا مع امرأة ، فقيل له من أين علمت ؟ فقال : برادة لاتكون في الشتاء ، فعلمت أنها إشارة بين اثنين ، وأتى بجماعـــة مــــن المنهزمين فأقامه بين يديـه ، واستدعــى بكوز من ماء ، فشرب ثم رمى بالكوز من يده ، فانزعجـوا الا واحد منهم ، فانه ماتغير ، فقال : العملة مع هذا ، فقـرروه ، فاعترف ، فقيل له : من أين علمت ؟ فقال : اللص يكون قوى القلب، وسمع الحديث ، وكان أصحاب الحديث اذا جاءوا للسماع عليه ، يقول : ويحكم هذا سمعناه على أن يكون فينا خير .

---

(١) : لم نقف له على ديوان ولم يذكره العماد في خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام .
(٢) : في ب ((وفيها)) .
(٣) : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، معجم البلدان .

أم القائم بأمر الله

واسمها قطر الندى ، وقيل بدر الدجى ، وقيل علم ، وهي التي حبسها البساسيري ولما انحدر إلى واسط أخذها معه ، فكانت في أسره ، فلما وصل السلطان إلى واسط حملت إليه ، وكانت في الوقعة مع البساسيري ، فبعث بها إلى الخليفة ، وكانت قد أسنت وجاوزت التسعين سنة ، وكانت أرمنية ، وتوفيت يوم السبت الحادي والعشرين من رجب ، وصلى عليها القائم في صحن السلام المغرب ، بمن حضر للخدمة ، وكبر عليها أربعا ، والتابوت بين يديه ، ثم حمل إلى الرصافة ، ودفنت عند القادر بالله ، وجلس للعزاء عنها ببيت النوبة .

محمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الفضل المالكي ، المعروف بابن عمروس ، ولد سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وانتهت إليه رئاسة المالكية ببغداد ، وكان من القراء المجودين ، وتوفي في المحرم وكان ثقة دينا ، وأخرج له الخطيب حديثا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله .

((السنة الثالثة والخمسون والأربعمائة))

فيها : في يوم الجمعة غرة المحرم ، توفي سلطان بن أبي الأغر دبيس بن مزيد وكان أبوه قد أهله أن يكون موضعه ، وكان المميز لذلك من بين أخوته .

وكان الخليفة في السنة الماضية ، قد طلب رد خاتون زوجته إلى دار الخلافة ، وكان قريش قد بعث بها إلى السلطان بالري ، فتأخرت عن الوصول ، حتى ورد في هذا الشهر أبو يحيى سعد بن صاعد ، قاضي الري مع صلف قهرمانة الخليفة ، وموفق خادم الخليفة الخاص ، وكان الخليفة قد بعث بهما ، ليحملا إليه أرسلان خاتون زوجته ، فعادا بغير شيء ، وكان مع القاضي رسالة من السلطان إلى الخليفة ، تتضمن خطبة السيدة بنت الخليفة ، فثقل ذلك عليه ، وقيل أن صلفا عرضت للسلطان بذلك ، وأطمعته فيه ،

---

(١) : في ب يعمله وكذلك في ترجمته في تاريخ بغداد : ٢/٣٣٩=٢٤٠/٥

وتكلم قاضي الري في بيت النوبة كلاما يشبه التهدد ، فأجاب الخليفة إلى ذلك إجابة خلطها بالإقتراحات التي ظن أنها تبطل الأمر ، وقال : ماجرت بهذا عادة لأحد من الخلفاء ، وركن الدين عضد الدولة ، وركنها والمحامي عنها ، والماحي لكل أذى منها وماهذا مما يجوز سومنا (١) إياه ومطالبتنا به ، وتردد في ذلك ما انتهى إلى إجابته ثم اقترح عن ذلك تسليم واسط ، وماكان لخاتون زوجة السلطان من الأملاك والرسوم في سائر الاصقاع ، وثلثمائة ألف دينار مهرا ، وأن يكون مقام السلطان ببغداد ، ولا يرحل عنها ، فقال العميد أبو الفتح ، وكان المخاطب مع ابن صاعد ، بحكم نظره ببغداد ، أما الملتمس من المهر ، وغيره فمجاب إليه ، من جهتي عن السلطان ، ولو أنه أضعافه ، فان أمضيتم الأمر ، وعقد تم العقد ، سلم جميعه ، وأما مجيء السلطان إلى بغداد ، ومقامه فيها ، فهذا الأمر لابد من عرضه عليه ، وندب في جواب هذه الرسالة للخروج إلى الري أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي القاضي ، وأصحبه بذكره ، ورسم له الخطاب بالاستعفاء من ذلك ، فإن تم فهو المراد ، وإلا سلم ليذكره إليه على مضض وكره ، ورسم له أن يستعين بعميد الملك على ذلك وأنفذ معه الكامل أبا الفوارس طراد بن أبي تمام ، نقيب الهاشميين ، وأبا نصر غانم صاحب قريش بن بدران ، في رسالة من الخليفة ، في العفو عن قريش ، وإظهار رضى السلطان عنه ، والتقدم برد أعماله المأخوذة عنه ، وكان قد بذل للخليفة عشرة آلاف دينار ، وقدم منها ثلاثة آلاف ، وحلف له الخليفة على صفاء النية ، والتجاوز عن مامضى ، والعفو عنه ، وبعث الخليفة للسلطان خلعا وهدايا .

وفي ربيع الأول قبل قاضي القضاة ، أبو عبد الله الدامغاني ، شهادة أبي جعفر ابن أبي موسى الهاشمي ، وأبي يعلى يعقوب بن ابراهيم الحنبلي ، وأبي الحسن المبارك بن عمر الخرقي .

وفيه ورد الأمير أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، من شيراز للنظر في أمور الخليفة ، فاستدعاه ، وشرح القصة إن الخليفة لما عاد من الحديثة ، استخدم أبا تراب بن الأثيري ، في الإنهاء وحضور المواكب ، ولقبه حاجب الحجاب ، عز الأمة وجلس على باب الغرفة ، وقد كان خرج مع الخليفة ، إلى الحديثة ، وخدمه ، وقام بكبير أمره ، وصغيره ، وجميع خدمه وأغراضه ، وصلح له ، وقيل للخليفة : إن عميد الملك يوءثر هذا المنصب ، فكره أن إيثار عميد الملك له ، فلا يرشحه ، فراسله بالجميل ، وقال : مابقي بعد أبي القاسم من يصلح لهذا إلا انت ، ويجب أن تقرر مع ركن الدين ذلك ، فأظهر عميد الملك الامتناع إظهارا ، أراد في جوابه إلزاما ، فأمسك

---

(١) : أي مما لايجوز أن يمتحننا به .

الخليفة عن الخطاب ، وكان عميد الملك إذا دخل دار الخليفة ، تجنب المكان الذي فيه أبو تراب ، وخرج عميد الملك من بغداد ، وهو غير طيب القلب بهذا السبب واتفق أن أبا منصور بن يوسف عاد إلى بغداد من أسر البساسيري ، فآذاه أبو تراب ، فاستوحش منه ، ثم وقع الخوض في من يصلح لخدمة الخليفة ، فذكر ابن يوسف أبى الفتح بن دارست ، وقال : رجل غني ، واسع الحال ، مأمون الأفعال ، وكان على خزائن الملك أبى كاليجار بن بويه ، مع سلامة صدره وثقته ، فكتب الخليفة إليه يستدعيه ، فوصل فاستكتبه ، وخلع عليه ، وعز على عميد الملك ، فكتب إلى الخليفة : عن لسان كراهيته له ، ويشير بأن لا يستخدم ، فقال الخليفة : لو ورد هذا الكتاب قبل أن نستدعيه لكان، أما بعد مافارق بلده وأهله ، وعرف الناس خبر ، فلايمكن ، ولزم أبو تراب داره ، واستقل ابن دارست في الخدمة، وأوصله الخليفة إليه ، وكانت خلعته قميص قصب ، وجبة سقلاطون ، ودارعة سوداء، وعمامة سوداء ، مشبكة مذهبة ، بدوابة وبغلة بمركب ذهب ، ودواة محلاة، وسيف تحت ركابه ، وكتب عهده •

وفيه : عزل السلطان أبا الفتح عميد العراق ، وولى أبا أحمد بن عبد الواحد ابن الخضر النهاوندي ، ولقبه رئيس العراقين ، وأذن له في القبض على أبي الفتح عميد العراق ، وبلغه فالتجأ إلى دار الخليفة ، فلم يقدروا عليه •

وفي ربيع الآخر جهز السلطان العساكر إلى قلعة كردكوة (١) وكان بها ابن عمه قتلمش ، فتحصن بها وانضم إليه التركمان والأتراك ، فكسر عسكر السلطان ، وأوقع بهم•

وفيه دخل رئيس العراقيين (٢) بغداد ، واجتاز بدار الخليفة ، ولم يدخل إليها ونزل في خيم تحت دار المملكة ، ومنع أصحابه من العبور إلى الجانب الغربي وأذية الناس، ومد يده إلى اقطاع الخليفة ، وغيره ، وصرف أناس من الهاشميين غلامين له ، فبعث غلمانه في السفن فرموا التاج بنشابتين ، وأخذوا زورقا للخليفة فيه شعير، وانزعج الخليفة والناس، وجرت منه أسباب ثقلت على الخليفة ، ثم عوتب فلم يفد معه عتاب•

---

(١) : ليست في معجم البلدان ولا في غيره من المصادر الجغرافية •
(٢) : أي العربي والعجمي •

وفي ربيع الآخر قدمت أرسلان خاتون إلى دار الخلافة ، ومعها عميد الملك وجماعة من الحجاب ، ومعهم المهر والجهاز لتحرير أمر الوصلة ببنت الخليفة .

ذكر القصة :

قد ذكرنا وصية خاتون للسلطان وإرساله لابن صاعد مع الكامل أبي الفوارس التميمي ، وغانم صاحب قرسش، وابن المعوج ورد بكتب ابن وثاب تتضمن خدمته ، وأن يقطع خطبة صاحب مصر من حران والرقة ، ويقيم الخطبة للخليفة ، والسلطان ، فلما وصلوا إلى همذان ، وكان السلطان بها ، اجتمعوا به ، وأعطوه الكتب ، وقدم التميمي هدية الخليفة ، وهي جبة ديباج مذهبة مفرجة ، وفرجية نسيج بالذهب ، وعمامة مشبكة مذهبة، وطرح الفرجية على كتفيه ، وقاموا وحضروا من الغد في دار المملكة ، وقيل : لهذه الجهة الكريمة الملتمسة ، جهاز أعدائها ، وخدمة عجل بها ، وكان فيها صدر بيت مؤزر مفروش ، فيه سماط ذهب فيه تماثيل ـ قال عميد الملك : يوفى وزنه على أربعمائة ألف مثقال ـ وبيت مثله من السنجاب ، قيل قيمته مائة الف دينار ، وبيت سمور مثله ، وبيت أبو قلمون ، وعدة بيوت من ذلك الجنس ، وشيئا كثيرا من الجواهر ، واليواقيت ، وانصرفوا ، وبقي أبو محمد التميمي ، فإنه خلا بعميد الملك ، وفاوضه فيما ورد فيه ، وعرض عليه التذكرة بعد المشافهة بالاستعفاء ، فقال له : هذه الرسالة والتذكرة لا يحسن عرضها ؛ فإن الإمتناع لا يحسن بعد السؤال والضراعة ، ولا المطالبة بالبلاد والأموال ، بإزاء الرغبة في الإفتخار والجمال ، ومتى طرق هذا سمع السلطان علم أن الرغبة في الشيء لا فيه ، فربما تغيرت نيته ، وكان منه مالا نؤثره ، وهو يفعل في جواب الإجابة أكثر مما يطلب منه فقال له التميمي :الأمر إليك والتعويل عليك فافعل ماتراه ، والآن له القول ، فسكن عميد الملك إلى ذلك ، وبنى عليه ، وطالع السلطان بأن الإجابة قد حصلت ، فسر بذلك ، وجمع الوجوه والأكابر ، وعرفهم ، وذكر عميد الملك لهم في هذا فضلا ، مضمونه : إن السلطان يذكر نعمة الله عنده ، وبلوغه مالم يبلغه أحد من قبله ، بسبب هذه الوصلة بأمير المؤمنين ، فأظهرت الجماعة السرور ، ثم تقدم السلطان إلى عميد الملك بالمسير مع خاتون إلى بغداد ، لتولى العقد ، وبعث معهما فروخ خادم الخاص ،وأصحبهما مائة ألف دينار من مهر بنت الخليفة ، وآلات ذهب وفضة ؛ وقال : إن ينعم الخليفة ويجب إلى تسليمها ، فاقعد فروخا برسم خدمتها ، والقيام على باب حجرتها ، وجهز معهما جماعة الأكابر فأشير على عميد الملك بأن يأخذ خط التميمي بذلك ، فراسله وقال السلطان : شاكر

لما عرفته من خدمتك ، وأريد أن تكتب خطك بذلك ، ليقف عليه ، فيتحقق خدمتك ، ويختص مجازاتك ، وأكون أنا على بينة من أمري ، فلم يقدم على ذلك ، وقال : الذي وردت فيه ما تضمنته التذكرة أن تقع الإجابة إلى الإعفاء من هذا الأمر ، الذي لم تجر به عادة ، وكتب خطه بهذا ، فثقل على عميد الملك مافعله ، وقد كان وقع تقصير في تفقده ، والجماعة الذين في صحبته ، وسببه عميد الملك بأنه كان متغيظا على الخليفة ، وعلم أنه لا شيء في يده منه ، وأنه لم يتم مراده ، حيث لم يكتب خطه ، ليجعله حجة على الخليفة ، وخاف في إتمام العزم في المضي إلى بغداد فيكون بصورة عاجز ، ولم يتم الأمر على يده ، فدافع بالمسير ، وأمره السلطان ، فقال : قد كتبت إلى هزارسب حتى يحضر مائة ألف دينار ، ولا نخرج من الخزانة شيئا ، وأنا على انتظاره ، فقال له السلطان : لا تفعل ، وخذ من الخزانة فإنا يقبح بنا أن لا يكون في خزانتنا مانصرفه في هذا الأمر ، فلما بطل ذلك ، وضع الأمراء والحجاب الذين أمرهم بالمسير إلى بغداد مراسلة للسلطان ، وقالوا : هو ذا ينفذنا إلى الخليفة ، في هذه الوصلة، فما الثقة بأنه يفعلها ، ويسلم ابنته إلينا ، وربما لم يفعل فعدنا ، وماقضينا حاجته ، وصار من ذلك قباحة وسبه ، فقال : إن فعل فذاك ، وإن لم يفعل فعودوا ، وقد كان قال في أثناء ذلك يجب أن نضرب عن هذا الأمر صفحا ، فإنما أردنا أن نعلم رأي الخليفة فينا ، وموضعنا عنده ، وتقدم بتسريح الرسل ، ثم عدل عن ذلك ، ورجع فتمم العزم الأول ، وأطلق للرسل مالم يكن على قدر أملهم ، ولا افتقدهم ولا رآهم إلا يوما واحدا ، وهو الأول .

وأما قريش فذكره عميد الملك بالقبيح ، ونسبه إلى الغدر الصريح ، ونهب دار الخلافة ، ولابد من مقابلته على فعله ، وطرده عن أعماله ، ثم جاءه خبر وفاته في إثناء ذلك ، وأما ابن وثاب فأجابه إلى ما التمسه .

وسار عميد الملك والأمراء والحجاب وأرسلان خاتون ، والقضاة والشهود فوصلوا بغداد يوم الخميس ، وخرج أمين الدولة ابن دارست إلى النهروان ، والتقى عميد الملك وخدمه ، وجاء عميد الملك ، فجلس على باب النوبة إلى أن جاءت خاتون ، ودخل معها دارها ، وانصرف إلى دار المملكة ، فنزل بها ولم يعلم الديوان ، وأنفذ من وقته إلى العميد أبي الفتح ، وهو بدار الخليفة ، وبعث إليه بخاتمه ، فجاء فعاتبه ، وقال : أكلت ضمان بغداد سنة ، ولم توف دينارا ، وتعتصم بدار الخليفة ، ثم وكل به (١) فشفع الخليفة فيه ، وخاتون ، فأزال عنه التوكيل أياما ، ثم قبض عليه وقيده ، ثم ضربه ، وبقي في

---

(١) : أي ألقى القبض عليه واحتجزه .

الاعتقال إلى أن خدمه بألف دينار ، وضمنه سرخاب ، وحمله إلى باب السلطان ، فلما كان يوم الإثنين لأربع بقين من جمادي الأولى حضر إلى بيت النوبة ، وفيه أبو الفتح ابن دارست ، وأنهى إلى الخليفة حضوره ، وحضور الجماعة الذين معه ، فقيل النهار قد انصرف ، والوقت قد أزف ، ويكون يوما آخر ، فنض عميد الملك ، ولم يعد وظهر من ابن دارست فى حقه تقصير ، وبعث عميد الملك إلى أرسلان خاتون فى خطاب الخليفة في معنى الوصلة ، فخاطبته ، وبان له أن الشروط التى شرطها مع التميمى والاقتراحات لم يكن فيها جواب محرر ، وجرى كلام طويل حاصله ، أن الخليفة قال : إن أعفيت من هذا الأمر ، وإلا خرجت من البلد ، وأطلق عميد الملك لسانه ، وأرعد وأبرق ، فقال : قد كان يجب أن يقع الامتناع الكلي من الأول ، ولا يكون اقتراح ، وهذا الإمتناع سعى في دمي مع السلطان ، ثم أظهر عميد الملك الغضب ، وبعث خيمة ضربها بالنهروان ، وعزم على الخروج ، فسأله أبو منصور بن يوسف ، وقاضي القضاة التوقف ويكاتبان الخليفة ، وخوفاه وأرهباه ، وساق الأمر إلى العقد ، على أن يشهد عميد الملك ، وقاضي قضاة الري على نفوسهما أن لا يطلبا الجهة إلى أربع سنين ، وأفتى الحنفيون بأن العقد صحيح ، والشرط باطل ، وأفتى الشافعيون بأن العقد باطل ، إذا دخله شرط ، فرجع عن الإجابة ، ووصل عميد الملك إلى الخليفة ، فوعظه ومنعه مما قد لج فيه ، وقال : أنا أرد هذا الأمر إلى رأيك وديانتك ، وقد علمت ما فيه من الوهن على بني العباس ، ولم يجر لهم به عادة ، واتفق أن كتاب السلطان ، وصل إلى عميد الملك ، يأمره بالرفق بالخليفة ، وأن لا يكون خطابه إلا على الوجه الجميل وسببه أن كتابا كتب من الديوان إلى خمارتكين الطغرلبي يشكي فيه على ما يبدو من عميد الملك ، وأطلاع السلطان عليه ، وكتب الطغرلبى إلى عميد الملك ، أن السلطان غير مؤثر لشيء مما جرى ، ولا يلزم الخليفة هذا الحال ، فسكن الخليفة ، واطمأن ، وكتب عميد الملك إلى السلطان يستأذنه فيما يفعل وأقام يرعد ويبرق ، والخليفة يحتمله واجتاز يوما معه ابن دارست على مسجد ، وعلى بابه مكتوب معاوية خال على ، فأنكر ذلك وأمر بعض الغلمان بمحوه ، وقال : أما تستحيون تكتبون على مساجدكم هذا ؟ ونال من معاوية وبنى أمية ، وعمل له ابن دارست دعوة فى الديوان ، فشرع يأكل ، وغلمانه يتصافعون بمخاد الديوان حتى تقطعت ، وحضر الديوان يوما ، وعليه ثياب بيض(١) وتحته بغلة بيضاء ، فعوتب ، فقال : هذه هي السنة ، وكان آخر الأمر أن الخليفة جلس في جمادى الآخرة ، وحضر عميد الملك والقضاة وغيرهم ، فشرع عميد الملك

---

(١) : كان السواد شعار الدولة العباسية .

يستطعم الخليفة الكلام، ويقول : أسأل مولانا أمير المؤمنين الدخول بذكر ماشرف به ركن الدين الخادم الناصح العبد المخلص، فيما رغب فيه ، وسمت نفسه إليه ليسمع الجماعة ، فقال : نحن بنو العباس ، خير الناس فينا الإمامة والزعامة إلى يوم القيامة، من تمسك بها أرشد واهتدى ، ومن ناوأنا ضل وغوى ، وقد سطر فى هذا المعنى مافيه كفاية ، وأسبلت الستارة ، وانصرف عميد الملك مغضبا ، وسار عشية الثلاثاء السادس والعشرين من جمادى الآخر طالبا همذان ، ومعه المال والجواهر ، وبقي الناس وجلين خائفين .

وقال محمد بن الصابئ : وقفت على ثبت ماحمل إلى بغداد ، وهو مائة ألف دينار ، وألف ثوب من أجناس مختلفة ، وألفان ومائتان وخمسون قطعة جوهر ، ومائة وعشرون لؤلؤة ، وزن كل واحدة من مثقال إلى ثلاثة ، ومن الياقوت الأحمر والبلخش(١) ستمائة قطعة وأربعين قطعة ، ومن الفيروزج ثمان مائة وخمسون قطعة ، ومن الزمرد القصب الكبار ثمان وعشرون قطعة ، ومن الميناء إثنتي عشرة قطعة ، ومن الحلي أربع عشرة قطعة ، منها تاج مرصع وأسورة وحلق ، وخواتيم ، وفصوص ياقوت ، وخلاخلة مرصعة ، وسروج ، ومراكب ، وأوان ، وأخاوين وخوانجات (٢) وزبادي ذهب ، كلها مرصعة، وطشوت ، وأباريق ، ونحوها ، ومن الفرش واللحف والمخاد والزلاول الروميات والطلفس الإبريسم (٣) وما أشبهها ، ومن الجواري خمس وثلاثون جارية ، كل جارية على فرس، بدست ثياب ، وأطواق الذهب ، وعشرون وصيفة وثمانون من الخيل والبغال ، ومائة جمازة (٤) ، ومن الخيم والخركاوات شيء كثير ، وكل هذا جهاز خاتون زوجة السلطان ، ما زاد فيه إلا مائة ألف دينار .

وكسفت الشمس في هذا الوقت على ساعتين من يوم الأربعاء ، جميعها ، وظهرت الكواكب بأسرها بالنهار ، وسقطت الطيور من طيرانها ، وكان المنجمون قد حكموا أنه يبقى سدسها ، فلم يبق منها شيء ، وكان انجلاؤها على أربع ساعات وكسر ، ولم يكن الكسوف فى غير بغداد وأقطارها .

وفيه ضمن ابن فضلان ضياع الخليفة بثمانين ألف دينار ، وكان ظالما ، فجاء أهل الضياع يتظلمون ، ومنعوا الخطيب من الخطبة ، وشعثوا واستغاثوا ، فلم يجابوا بشيء، وثار العوام على ابن فضلان ، وأرادوا قتله ، فانهزم ، فحمله الخدم إلى باب المراتب .

---

(١) : نوع من أشباه الياقوت انظر : كتاب أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار لاحمد ابن يوسف التيفاشي ط. القاهرة ١٩٧٧ ص ٩٥ .

(٢) : مفردها خوان وهو : المائدة وتجمع بالعادة أخونة انظر : المعجم الذهبي لمحمد الطونجي .

(٣) : الحرير اعجمي معرب انظر : المعرب للجواليقى : ٢٧ .

(٤) : [illegible]

وفي هذا الشهر برز السلطان من باب همذان إلى الري ، وأنفذ خمارتكين الطغرلبي على مقدمته إلى الري ، وحفظها من ابن عمه قتلمش ، وعزم على المسير إليه بنفسه يحاصره في كردكوه ، ونواحيها .

وفي رجب ورد رسول عميد الملك ، إلى أبي نصر ، يذكر أن كتاب السلطان ورد عليه ، أن الخليفة إذا لم يجب إلى الوصلة ، التي سألناها ، نطالبه بتسليم أرسلان خاتون إليك ، وردها إلي ، لأسير بنفسي إلى قتال قتلمش ، وبعد انفصالي عنه أسير بنفسي وأتولى الخطاب في هذا الباب ، وأمر بترك المال والجهاز ببغداد ، وأنه أراد العود من الطريق ، فخاف أن لا ينضبط له العسكر إذا عاد إلى بغداد ، للنفرة الواقعة بين الخليفة والسلطان ، ويقول : وقد أعدت هذا الرسول لنقل خاتون إلى دار المملكة ، إلى حين اجتماعي بالسلطان ، وإصلاح هذه القضية ، وكتاب أرسلان خاتون بمثل ذلك ، فازداد الإنزعاج ، ودافع الخليفة عن الجواب ، وشرع رئيس العراقين في خرق الهيبة والحشمة ، وهجم دار الخليفة مرارا ، وأخذ من التجأ إليها ، وقبض على ابن مهدوية مقدم الأنبار — الذي بعث للخليفة العمامة واللحاف ، من تحت تاج الخليفة ، والخليفة يشاهده ، فاستغاث بالخدم الذين كانوا على الروشن ، فلم يغنوا عنه ، وعاقبه وأخذ خطه بمال ، فأنفذ الخليفة منصور بن يوسف إليه ، واستعظم ما جرى ، ولطف به ، ورفق حتى خلصه من يده ، وأدخل يده في إقطاعات الخليفة والحاشية والخدم ، وطالبهم بما أخذ منهم ، فجاء السوادية إلى تحت التاج ، واستغاثوا وقالوا : إما أن تدفع عنا المطالبة ، أو ترد ما أخذت ، وسار رئيس العراقين بالناس السيرة الجميلة ، وجلس للمظالم بنفسه ، وأباد المفسدين ، وأطرح كل لذة وراحة ، حتى أمنت الطرق في البلاد ، وجميع السواد ، وصار الرجال والنساء يمشون في الليل والنهار كيفما شاءوا ، وكف أذى العجم عن الناس ، وأقام الطرق للخفراء ، فدرت القوافل وكثرت ، واتسعت الأرزاق ، ومات بعض المغنيات ، فحملت تركتها إلى داره ، فقال : ماهذه ؟ فأخبروه ، فقال ردوها على أهلها ، ونادى إن السلطان قد رد المواريث الحشرية إلى ذوي الأرحام ، واتفق أنه مات إنسان ، وله بنت وخلف ثلاثة آلاف دينار ، فقيل له : إن السلطان يستحق النصف ، فقال : بالأمس نادينا بأمر ، واليوم ننقضه ردوا عليها مال أبيها .

واتفق في هذا اليوم أن امرأة ماتت بالحريم الخليفي ، وخلفت بنتا وخزانة فارغة، فاعترضها ابن العطار الناظر في المواريث من قبل ديوان الخليفة ، فباع الخزانة بدينار ونصفه فأعطى البنت/خمسة عشر قيراطا ، وأخذ الباقي ، فقال الناس : يالله العجب من التفاوت بين الفعلين ، وأرخوا ذلك ، وضرب الدراهم ، ورفع التعامل بالقراضة .(١) وكان ذلك قد أعيى الوزير قبله ، ولم يراقب خليلا في حق يتوجه عليه ، ولم يغض عن صديق في رخصة تقع منه ، ورفع عدة مكوس ، فاتصلت الألسن بالدعاء له ، وكانت سيرته وسياسته شبيهة بسيرة عميد الجيوش ، ومخالفة لما عهد وعرف ، وعمرت بغداد من الجانبين ، وكان ميله إلى عمارة الجانب الغربي أكثر ، لخرابه ، وكانت أيامه نعمة من الله لأنه ورد بعد الخراب ، والفتن ، والخوف ، والحريق ، والنهب .

قال محمد بن هلال : حضرت يوما عنده ، وهو على روشن داره ، في قصر عيسى ينظر إلى دجلة ، ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقلت : مالك فقال : تعال وانظر ، فجئت فإذا بمقتول تحت داره ، غريق يدور ولا يبرح ، فقال : هذا يستغيث بي على من قتله ، لا أدري ما أصنع في أمره ، فقلت : سعادتك زائدة، وبيتك جميلة ، وطويتك سليمة ، وما أظن الأمر يخفى عنك ، فتقدم بإخراج المقتول ، وتجهيزه ودفنه ، وانصرفت ، فلما كان بعد أيام حضرت عنده زائرا على عادتي ، فقال لي : وجدت قاتله ، فقلت : وأين هو ؟ فقال : هم ثلاثة في الاعتقال ، فأحضرهم وهم أكراد ، فاستنطقهم ، فأقروا بقتله ، فقال : إنما أخرت قتلهم حتى تسمع إقرارهم، ثم أمر بقتلهم ، فقتلوا ، فقلت : كيف وقعوا لك ، وهذا أمر لا يمكن البحث عنه ، ولا الاطلاع عليه ؟ قال : بعثت إلى جميع النواحي العليا ، إلى تكريته أسأل فلم أقف له على خبر ، فأحضرت أهله ، وقلت لهم : حدثوني عنه ، قالوا : خرج في اليوم الفلاني لبعض حوائجه ، ولم يعد ، قلت : هل تعرفون له عدوا أو تتهمون به أحد ؟ قالوا : قد كان بينه وبين قوم من الأكراد ، ينزلون بقربنا سوء فان كان دهي ، فالظاهر أنه منهم ، فأنفذت إلى الأكراد المذكورين ، فسألتهم عنه ، فتغيروا ، فقررتهم فأقروا، وأنعم الله علي بإظهار ذلك على يدي .

---

(١) : القراظ : المضاربة النهاية لابن الأثير.

ومنها أنه كان ببغداد رجل أعجمي ، يعرف بأميرك ، كان يهجم على دور الناس نهارا ، ويأخذ أموالهم ، وكان يؤدي إلى عميد العراق كل يوم دينارا ، فدخل أميرك على صيرفي وأخذ كيسه وفيه ذهب ، فلما أصبح الصيرفي استغاث وضج ، وكانت داره إلى جانب دار قاضي القضاة ابن الدامغاني ، فلم يشعر بأميرك إلا وقد قبض على يده ، وقال له : أنا أخذت خرقتك وفيها بهرج[1] ، وأريد أن أحملك إلى عميد العراق ، وأضع الخرقة بين يديه ، ويرى ضربك للبهرج ، فخاف الصيرفي ، وقال : يا أخي أنت في حل من الخرقة ، وهو يقول : لا والله ما أفارقك إلا عند العميد ، فاستغاث بأصحاب القاضي ، فسألوا أميرك فيه ، فلم يتركه حتى أخذ منه خمسة دنانير والخرقة ومضى ، فلما ولي رئيس العراقين ، بلغه خبر العجمي أميرك فأخذه ليلا (٢) فغرقه ، ولم يطلع أحدا على خبره ، فأمن الناس .

وفي يوم الخميس لأربع بقين من رجب ، خلع الخليفة على طراد الزينبي ، ورد إليه نقابة العباسيين ، فانحدر إلى البصرة ، واستخلف ببغداد أخاه أبا طالب وخلع بعد ذلك ، فأقام على أبي الفتح أسامة بن أبي عبدالله أحمد بن أبي طالب العلوي ، وولاه نقابة الطالبيين .

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من شعبان ، هرب خمارتكين الطغرلبي ، وهو على كردكوه يحاصر قتلمش ، ذكر السبب : كان السلطان مشغوفا به ، حتى خصاه ، وكان يدخل معه على خاتون لقلة صبره عنه ، فاستفحل أمره ، وصار الحجاب والأمراء يقفون على رأسه ، وكان عميد الملك يحسده لقربه من السلطان ، ولما شغب الحجاب والغلمان على السلطان عند انصرافه من تبريز ، خرج إليهم وأزال شغبهم فأطاعوه ، وتفرقوا ، وقيل للسلطان : إن الذي فعلوه بمواطاة منه ، فخلع عليه وزاد في إقطاعه قرميسين (٣) ، وقربه زيادة على مايعهد منه ، ثم اطلع على مافي طوية السلطان له ، فاستشعر منه ، وسار إلى قرميسين ، وكان قريبا منها رجل كردي ، يقال له سعد وحكان ، في القلاع ، وقد قطع الطرق وأخاف السبيل ، وقتل من أصحاب السلطان جماعة ، وفي قلب السلطان منه شيء عظيم ، فاتفق لخمارتكين من السعادة أن سعد و حكان ، لما بلغه قربه منه نزل إليه مستهينا به ، مكشوف الرأس بقميص رومي ، فقاتله فاستظهر عليه سعد و حكان ، فجاء سهم غائر فذبحه ،

---

(١) : البهرج : الرديء أو الباطل النهاية لابن الاثير
(٢) : أضيفت كلمة ليلا من ب
(٣) : بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدينور . معجم البلدان .

واستولى خمارتكين على أصحابه وقلاعه ، وأنفذ رأسه إلى السلطان، وأقام بمكانه مدافعا مقاطعا ، وبعث السلطان عميد الملك إلى بغداد ، فاجتاز به ، وقال له : أنا ماض إلى بغداد وقد خلا السلطان ممن يأنس به ، ويجب أن تعود إليه ، وتكون في خدمته ، فربما طال تأخري عنه ، وتحالفا وتعاقدا ، وسار عميد الملك إلى بغداد ، وخمارتكين إلى السلطان ، ولما ورد عميد الملك بغداد ، ظهر له أن بين خمارتكين وبين أبي تراب بن الأثيري ، صاحب الخليفة مكاتبات ، يقول فيها خمارتكين: إن السلطان مايؤثر أن يثقل على الخليفة ، وإنما عميد الملك يفعل هذا ، ليتقرب إلى السلطان ، ولما عاد عميد الملك من العراق إلى السلطان، عرفه ذلك، وأم مكاتباته إلى ابن الأثيرى منعت الخليفة من الاجابة إلى الوصلة، واستشهد على ذلك بأشياء أثبتت فى نفس السلطان ذلك ، وبلغ الطغرلبى ذلك وأن السلطان قد تغيرعليه ، وكان السلطان يحاصر القلعة التى فيها قتلمش، فهرب الطغرلبى فى شعبان فى ستة من غلمانه ، ومعه من الجمازات والخيل ما استظهر به ، فأرسل السلطان إينحانجيك خلفه ، وكتب إلى البلاد بخبره ، والتحرز منه ، والتلطف فى أخذه ، وكوتب رئيس العراقين بذلك ، ونسب عميد الملك هربه إلى أبي تراب بن الأثيري وأن الخليفة علم به ، وكان فى كتاب السلطان إلى رئيس العراقيين : وهذا جرى من الخليفة ، الذي قتلت أخي فى خدمته ، وأنفقت أموالي فى نصرته ، وأهلكت خواصي وحاشيتي وعسكري فى محبته ، أن يجيب مملوكي ، ويفسد نظامي ، ويفعل بي مافعل ، ثم تقدم إلى الرئيس بقبض مافي يد الخليفة ، ويد الحاشية من الإقطاعات ، ويترك ماكان فى أيام القادر (١) وأن يطالبه بتسليم أبى تراب المتهم بخمارتكين ، فحضر الرئيس بيت النوبة ، وعرض ما أنهى إليه ، فقال الخليفة : إما الاقطاعات فبين يديكم ، واما ابن الأثيري فليس لما نسب إليه أصل ، ولا حقيقة ، ويحضر قاضي القضاة فيستحلفه بالأيمان التي تبرئ ساحته ، فإما المطالبة بتسليم خواصنا ، وأصحابنا وثقاتنا ، مما لانفعله ، وتقدم الخليفة بإصلاح الطيار ، وقال : نخرج من هذا البلد ، ونخليه لكم ، فانزعج الناس، وخافوا وتوقف الخليفة ، وفعل الرئيس ماأمره به السلطان ، وأما خمارتكين فإن إينجانجيك تبعه ، فسلك طريقا تلفت جمازاته وخيله ، وبقي مع خمارتكين فرس واحد وغلامان ، فقصر به فرسه ، ووصل إلى ناحية بيزد جرد (٢)

---

(١) : ٣٨١ — ٤٢٢ هـ / ٩٩١ — ١٠٣١ / م .

(٢) : لم يذكرها ياقوت فى معجمه ولم نقف عليها فى المضان الجغرافية .

وكان بها خادم كان قد ضربه قديما ، وكسر يده وضيق (١) عليه ، فقال خمارتكين الطغرلبي للغلامين : ادخلا فاشتريا لي فرسا غير هذا ، ونام على سطح ، فدخلا فرآهما الخادم ، فعرفهما ، فقال : ماالذي تصنعان هاهنا ، فاختلف كلامهما ، فقتل أحدهما ، وقال للآخر : اصدقني وإلا ألحقتك به ، فقال : نحن مع الطغرلبي ، ودله عليه ، فجاء وهو نائم فقيده ، وقتل الغلمان الذين كانوا معه ، ووصل إينانجيك في ذلك اليوم إلى يزدجرد ، فتسلمه وعاد به إلى السلطان ، فقام أولاد إبراهيم ينسال وقالوا : هذا قتل أبانا ، وسأل تسليمه إلينا ، فسلمه إليهم بإشارة عميد الملك فقتلوه وجاءوا برأسه إلى السلطان ، وسنه نيف وعشرون سنة .

وفي ذي القعدة كتب السلطان إلى رئيس الرؤساء كتابا يتضمن استعمال القبيح في حق الخليفة وخرق الهيبة ، ورفع الحشمة ، وإلى أرسلان خاتون بالإنفصال عن دار الخليفة ، وإلى دار المملكة ، إلى حين من يرد من يسير معها إلى السلطان وشرع رئيس العراقين في أخذ أصحاب الخليفة من داره ومصادرتهم ، ومد يده إلى الجوالي (٢) ، وكان مغلها في كل سنة ألف وخمسمائة دينار ، وكانت داخلة في إقطاع الخليفة ، فصعب عليه ذلك ، فراسل رئيس العراقين بأبي منصور بن يوسف ، وقال : إن ركن الدين ماجعل هذه لنا ، فيأخذها منا ، وهذا أصل من أصول الشريعة يتعلق بنا ، فلايجوز صرفه عنا ، فقال الرئيس : فهوذا أخاطر بنفسي مع سلطاني في خدمة الخليفة ، وخلفي أعداء ينقلون إلى السلطان عني أنني مقصر فيما اعتمده (٣) في حق الخليفة ، وقد كنت أرجو أن الأمر ينصلح ، وما أراه إلا قد تفاقم وتزايدت الوحشة ، والكتب واردة بكل مايزيد الوحشة والنفرة ، فقال له ابن يوسف : أفرج عنا ، فنحن في تدبير أمر الوصلة ، ونريد أن نواصل السلطان فيها ، فرفع يده .

وفيها توفي الأمير أحمد بن مروان ، أبو نصر الكردي ، أمير ميافارقين وديار بكر .

---

(١) : في ب ((وحنق)).

(٢) : الجوالي : الجزية وفيه على رجال المشركين الآخرين البالغين دون النساء والصبيان والعبيد والمجانين ، قوانين الدواوين لأسعد بن مماتي ط. القاهرة ١٢٩٩ هـ ص١٣ .

(٣) : زيدت فيما أعتمده من ب .

ذكـــر طرف من أخبـــاره

قد ذكرنا بداية أمرهم ، ومقتل أخيه ممهد الدولة في سنة إحدى وأربعمائة وإقامة أحمد مقامه ، ولقبه القادر ، نصير الدولة ، واستولى على ديار بكر ، وميافارقين وله إثنتان وعشرون سنة ، فأقام واليا ثلاثا وخمسين سنة ، وأحسن السيرة ، وعمر الثغور ، وحصنها ، وامتنعت (١) الرعية في زمانه ، ووزر له أبو القاسم (٢) بن المغربي مرتين ، وعنده مات ، ووزر له فخر الدولة محمد بن جهير ، وكان عند الجبل الياقوت الأحمر ، الذي كان لبني بويه ، اشتراه من ورثة الملك أبي منصور بن أبي طاهر ، وأنفذه إلى طغرلبك مع هدايا كثيرة تساوي ثلاثمائة ألف دينار ، ومعها مئة ألف عينا ، وهذا الجبل الياقوت هو الذي قدمه السلطان للخليفة لما نزل من الحديثة ، واجتمع به في النهروان (٣).

وكان أبو نصر مداريا للملوك ، إذا قصده عدو ، يقول : كم مقدار ماينفق لرده ؟ فإذا قيل له مائة ألف دينار مثلا ، بعث بها إلى العدو ، فيدفع شره عنه ، وأمن على عسكره من المخاطرة .

وكان جواد سخيا ، والرعية معه آمنون على أموالهم وحريمهم ، وتزوج عدة من بنات الملوك ، ولم يتنعم أحد من الملوك مثل تنعمه ، كان في قصره ثلاثة آلاف جارية عمالات ، يبلغ شرئ الواحدة من ألف دينار إلى خمسة عشر ألف دينار ، وملك خمسمائة سرية ، سوى توابعهن ، وخمسمائة خادم ، وكان في مجلسه من الأواني والآلات والجواهر ماتزيد قيمته على مائتي ألف دينار ، ورأى من الإلتذاذ بالدنيا والراحة مالم يره غيره ورخصت الأسعار في زمانه ، وتظاهر الناس بالأموال ، ووفد إليه الشعراء ، وسكن عنده العلماء والزهاد ، وبلغه أن الطيور تخرج من الجبال إلى القرى في الشتاء ، فتصاد ، فتقدم بفتح الاهراء ، وأن يحمل إليها من الحب مايشبعها ، فكانت الطيور في ضيافته طول عمره ، ولا يتجاسر أحد أن يصيد طيرا ، وبعث له القائم بأمر الله الخلع السنية ، وفيها الطوق والسواران ماعدا التاج ، وكان فيها فرس بمركب ذهب من مراكب الخليفة ، وجاءه من مصر هدايا وتحف وخلع ، ولقبه

---

(١) : في ب ((وأمنت))

(٢) : هو الحسين بن علي من الدهاة العلماء الأدباء ولد بمصر وقتل الحاكم بأمر الله الفاطمي أباه فهرب إلى الشام وحرض قبيلة طيء على إقامة خلافة حسنية في الرملة وبعد إخفاقه اتصل بحكام الشام والجزيرة والعراق وأقام آخر أيامه في ميافارقين إلى أن توفي سنة ٤١٨هـ / ١٠٢٧م له عدة كتب طبع بعضها الأعلام للزركلي أما بالنسبة لابن جهير فسيرد فيما يلي المزيد من أخباره .

صاحب مصر عز الدولة وجاءه رسول ملك الروم بالهدايا والتحف ، واجتمع الكل عنده ، فأحضرهم وجلس في قصره ، وأجلس رسل الخليفة عن يمينه ، ورسل صاحب مصر عن شماله والرومي بين يديه ، ولبس خلعة الخليفة ، وأعطى الرسل عطاء عظيما ، ومالا كثيرا ، وخلعا هنية ، فانصرفوا شاكرين ، وأوقف الأوقاف على أبواب البر والصدقات ، وأدار سور ميافارقين ، وقصده الشعراء ، وامتدحه التهامي بقصائده .

قال المصنف رحمه الله : ورأيت في تاريخ ميافارقين ، أن الملك العزيز ابن بويه (١) وفد عليه ، وقدم له الجبل الأحمر الياقوت ، ومصحفا بخط علي عليه السلام ، وقال له : قد حملت إليك الدنيا والآخرة ، فقبل الجميع وقدم له أموالا كثيرة وتحفا عظيمة ، وأنزله بأسعرد (٢) ، فأقام بها إلى أن توفي مكرما ، وحمل تابوته إلى الكوفة ، فدفنه عند أهله ، وكان أبو نصر مع لذاته ، واشتغاله بما كان فيه ، لم تفته صلاة الفجر في وقتها طول عمره ، ولا ظلم أحدا من خلق الله تعالى ، ولا تعدى على أحد ، ولا مد عينه إلى حريم أحد ، ولا خلا بامرأة ليست له بمحرم ، وقيل لبعض أصحابه : قد قيل : إن أيام نصر الدولة كانت ثلاثا وخمسين سنة ، فقال : لا بل مائة وست سنين ، قيل : وكيف ؟ قال : لأن لياليه كانت أحسن من أيامها .

ومن واقعاته أنه قدم عليه منجم في بلاد الهند ، وكان حاذقا ، فأنزله وأكرمه فقال له يوما : أيها الأمير يخرج على دولتك بعدك رجل قد أحسنت إليه وأكرمته فيأخذ الملك من ولدك ، ويقلع البيت ، ولا يلبث إلا مدة (٣) يسيرة ، ويؤخذ منه ، فأفكر ساعة ، وكان الوزير ابن جهير واقفا على رأسه ، فرفع رأسه إلى الوزير ، وقال : إن كان هذا صحيحا ، فهو هذا الشيخ ، فقبل ابن جهير الأرض ، وقال : الله الله يامولانا ، ومن أنا ، قال : بلى ، إن ملكت فأحسن إلى ولدي ، وكان ابن جهير قد اطلع على الخزائن والذخائر ، وارتفاع البلاد ، فقال ابن جهير لبعض أصحابه : من يوم قال المنجم ماقال وقع في قلبي على صحة كلامه ، فكان كما قال .

فلما مات الأمير في تاسع عشرين شوال من هذه السنة عن سبع وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين ، ودفن بجامع المحدثة بميافارقين ، ثم بنت له ابنته ست الملك قبة إلى جانب الجامع ونقل إليها ، وكان قد عهد إلى ولده نظام الدين أبي القاسم نصر بن أحمد

---

(١) : أنظر تاريخ ميافارقين ص (١٢٢ـ١٢٣).

(٢) : أسعرد وأسعرت أو سعرت ذكرها بين مدن الجزيرة قدامى بن جعفر في خراجه انظر نبذة من كتاب الخراج المطبوعة مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة في لايدن ١٨٨٩ـ ٢٣٣.

(٣) : في ب ((أياما)).

وكان أخوه أبو الحسن سعيد الكبير ، وابن جهير هو الوزير ، فبايع ابن جهيز والناس أبا القاسم نصر بن أحمد ، واستقر الأمر له ، ولم ينازعه أحد من بني أعمامه وأخوته ثم نازعه أخوه سعيد ، فلم يقدر عليه ، فسار إلى باب السلطان طغرلبك ، وشكا إليه فأرسل معه جيشا (قوامه) خمسة آلاف فارس ، فنزلوا على باب ميافارقين ، فخرج الوزير ابن جهير إلى سعيد ، فأصلح أمره وأعطاه مالا ووفق بينه وبين أخيه نظام الدين ، وصرف عسكر السلطان ، وأقام سعيد عند أخيه مكرما .

ثم بعث القائم إلى نظام الدين في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وقيل سنة أربع وخمسين يستدعي إليه الوزير ابن جهير ، فجهزه في أحسن زي ، وأجمل جهاز ، وبعث معه بالتحف الهدايا والأموال ، فاستوزره الخليفة ، فكان بنو مروان يفتخرون ويقولون وزر لنا ابن المغربي وزير الحاكم خليفة مصر ، ووزر له وزير للخليفة ، ثم كان زوال أمر بني مروان على يد ابن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة . وسنذكره إن شاء الله تعالى ، وانفصل سعيد عن أخيه نظام الدين ومضى إلى ألب أرسلان ، وكان طغرلبك قد مات .

(وفيها مات).

علي بن محمد بن يحيى أبو القاسم السلمي الدمشقي

صاحب دويرة الصوفية (١) بدمشق ويعرف بالسميساطي ، وقفها على الصوفية ووقف علوها على الجامع ، ووقف أكثر أمواله على أبواب البر ، وكانت وفاته عاشر ربيع الآخر ، ودفن بهذه الدار ، وقبره عند السقاية ، وزعم قوم أنه أوصى أن يدفن هناك تواضعا ، وأثنى عليه ابن ماكولا (٢) وقال : كان متقدما في علم الهيئة والهندسة ، فاضلا في فنون كثيرة .

السنة الرابعة والخمسون والأربعمائة

في المحرم ورد الخبر بأن صاحب مصر قبض على أبي الفرج (٣) بن المغربي وزيره ، واستوزر أبا الفرج البابلي ، ثم رد ابن المغربي إلى كتابة الجيش وهي رتبته قبل الوزارة ، ولم يكن قبله وزير يعزل فيعود إلى قديم تصرفه .

---

(١) : كذا والمشهور أنه أوقف الخانقاه السمساطية لمزيد من المعلومات انظر : منادمة الأطلال لعبد القادر بدران ط. دمشق ١٣٧٩هـ : ٢٧٥ — ٢٧٨ .

(٢) : المشهور لابن ماكولا كتاب الإكمال ولم أقف على ذكر للسميساطي في هذا الكتاب كما أن المصنف لم يوضح اسم مصدره الذي نقل عنه .

(٣) : انظر لمزيد من المعلومات كتاب الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ٢٥٨ — ٢٥٩ .

وفيه ولى صاحب مصر الأمير مكين الدولة (١).

وفى يوم الخميس تاسع عشر صفر خرج أبو الغنائم المحلبان إلى باب السلطان طغرلبك ، بإجابة الخليفة إلى الوصلة ، ذكر السبب : كانت الكتب قد وردت من السلطان إلى بغداد وواسط والبصرة بادخال اليد في إقطاع الخليفة والحاشية ، وكاتب الأطراف بتعديد ما فعل من الجميل دفعة بعد دفعة ، وماكان من المقابلة ، من رد عميد الملك وأعيان الدولة خائبين من الوصلة ، وخرج الكلام إلى ماينافي قانون الطاعة ، ومقتضى الخدمة ، وقطع المكاتبة إلى الخليفة وكان من جملة ذلك كتاب إلى قاضي القضاة أبي عبدالله بن الدامغاني : من شاهنشاه المعظم ، ملك المشرق والمغرب ، وذكر ماجرت به العادة وقال من جملته : وقاضي القضاة وإن كانت أوقاته مقصورة على العلم ، وتدريس الفقه فهو مندوب إلى مايؤدى إلى حسم الخلاف وتمهيد أسباب الإئتلاف ، ولما عاد الشيخ الجليل عميد الملك إلى حضرتنا ، شرح من حسن سمته وصونه وتجرده في إدارك ماطلبناه وخطبناه ، ما ازددنا ثقة به ، وهو يعلم أن تلك الوصلة لم تكن عن جفوة حتى تستوجب بها قبيح المكافاة على جميع ما قدمناه من المآثر ، ولا يخفى ماقدمناه من أنواع الإهتمام ، وأوجبناه من الأنعام ، ثم ماأظهرناه من التذلل والخضوع الذي كنا نطلبه (٢) قربة إلى الله تعالى ، فعاد ذلك وبالا علينا فى الدنيا والآخرة ولكنا واثقين من الله أنه لايضيع جميل أفعالنا ، ويرى سوء المغبة لمن أضمر فينا سوءا ، وذكر كلاما يقتضي التهديد والوعيد ، فأشير على الخليفة بتلافى هذا الأمر ، وإلا بعد المرام ، واتسع الخرق ، فوقع التعيين على أبي الغنائم بن المحلبان بأن يخرج إلى السلطان يستعطفه ويسترضيه فقال : إن لم يحصل غرضه من هذه الوصلة التي خطبها ، لم يكن قصدي له نافعا ، بل زائدا في غيظه فتوقف عن الجواب ، فتأخر الخروج ، وطالت الأيام وزاد من رئيس العراقين الاستقصاء فى قبيح الأفعال وأشار القاضي والأعيان على الخليفة باستدارك الفارط فأجاب وكتب وكالة لعميد الملك ، وأذن القاضى القضاة أبى عبدالله بن الدامغانى ، وأبى منصور بن يوسف وأوصلهما إليه حتى شهدا عليه بما سمعاه ، وخرج أبو الغنائم في التاريخ المذكور، وورد بعد خمسة أيام كتاب من السلطان مع ركابية برد إقطاع الخليفة إليه ، واعتذار مما جرى ، وأن أبا نصر بن صاعد واصل بهدية ومشافهة فطابت القلوب ، ووقعت البشائر، وخلع على الركابية ، وضربت بين أيديهم الدبادب ، والبوقات ، ورفعت يد رئيس العراقين

---

(١) : فى الأصل "ولد صاحب مصر الأمير مكين الدين" وقد لحق الخبر تصحيف واضح قوم من تاريخ دمشق لابن القلانسى الذي جاء فيه ((ص ١٥٣)) في المحرم منها سنة ٤٥٤ قلد الأمير مكين الدولة طبرية وثغر عكا من قبل الإمام المستنصر.

(٢) : فى ب ((نضتة))

عن الإقطاع وسلم إلى وكلاء الخليفة ، وكان في كتاب عميد الملك إلى رئيس العراقين بأن الأمور عادت إلى أحسن ماكانت عليه ، فبادرت بهذه الأحرف مبشرا بأن تلك اللوثة التي ظهرت فيما يتعلق بوكلاء الدار العزيزة النبوية المقدسة ، عمرها الله ببقاء سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، زالت بأسرها من غير واسطة إلا بإرائة ، التي رآها مولانا السلطان جريا على كريم عادته وخلقه ، ومراعاة لما فعل في الدولة العباسية ، واحترازا من شماتة عدو أو مقال حاسد ، مع ماظهر من خمارتكين الخائن من العصيان ، واستجلاب الخذلان ، وقد عجل الله بروحه إلى النيران في دار الهوان ، فكان يظهر أن مايفعله بإشارة الدار العزيزة ، وقد أراح الله منه ، وذكر كلاما ، وقال في آخره : وعليك بالخدمة والوصية ، والتقدم إلى سائر الزعماء بالعراق بمثل ذلك ، وكتابي هذا من جرجان غرة ذي الحجة ، والرايات القاهرة متوجهة نحو العراق ، وبعد هذا يصل رئيس نيسابور أبو نصر محمد بن صاعد ، ومعه رسالة تتضمن الخدم والقربة ، والسلام ، فكتب الخليفة إلى ابن المحلبان بالتوقف إلى حين وصول ابن صاعد ، ليسمع رسالته ، ورد الجواب بمقتضاها ، والمماطلة في مسيره ، وورد عليه الأمر وهو بشهرزور ، فأقام يتردد في أعمال بدر بن مهلهل ، ويتلوم بكثرة المد والثلوج ، ثم ظهر في ساقه خراج ، فأظهر أن مادة نزلت فيه ، فمنعته من الركوب .

وفي ربيع الأول السابع عشر من آذار ورد إلى بغداد سيل عظيم ، ووقف الماء في الشوارع والدروب ، ووقعت الحيطان وجاء ظلمة ورعد وبرد كبار ، في الواحدة نحو الرطل وأكثر ، فأهلك الغلات والثمار ، ودام بقية آذار ونيسان ، ووردت الأخبار بأن بالجبال وفارس والشام والجزيرة ، وجميع الدنيا هو أعظم من ذلك ، ومطرت سنجار والجزيرة ثمانين يوما مطرا مارأ واشمسا ، وجاء السيل إلى بلد بدر بن مهلهل صاحب شهرزور فأخذ حله من الأكراد ، فطرحها في تامرا (١) ، وزادت دجلة بطالع السرطان سلخ ربيع الأول أحد وعشرين ذراعا ، وكذا بلغت سنة سبع وستين وثلاثمائة في أيام عضد الدولة ، وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وغيرها ، والكل بطالع السرطان ، وغرقت بغداد من الجانب الشرقي ، ودخل الماء دار الخليفة ، وخرج الخليفة ليلا ، وغرس القضيب النبوي في الماء ، فكان تارة ينقص وتارة يزيد ، وكان قبل هذا منتهى الزيادة ثمانية ، ودار الماء في شرقي بغداد على جلولاء (٢) وتامرا وعلى الوحوش فحصرها فلم يكن لهما مسلك ، فكان

---

(١) : هو طسوج سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود معجم البلدان .

(٢) : على طريق خراسان بينها وبين خانقاين سبعة فراسخ . معجم البلدان .

أهل السواد يسبحون فيأخذونها قبضا ، ويحصل للواحد في اليوم مائتا رطل من اللحم .

وفيها ورد الخبر بقبض أبي العباس فضلويه بن علويه زعيم الأكراد الشوانكار بنواحي شيراز على الأمير أبي منصور ، متولي شيراز ، ابن الملك أبي كاليجار بن بويه ، ووالدته خراسويه ، بباب شيراز ، وقتلهما ، وأقام أسفيد بار أخا أبي منصور بن أبي كاليجار مكانه ، وكان أبو منصور سفاكا للدماء قتل جماعة (منهم): أبا سعد ، وبويه أخويه ، والعادل أبا منصور الفسوي مدبر دولته ، وقتل ولده برزويه ، وعزم على قتل فضلويه ، فعاجله فضلويه بتدبير الملك ، وأبن أبي كاليجار كالغازية .

وفيها كانت وقعة بين أبي المكارم مسلم بن قريش بن بدران ، وعمه مقبل بن بدران ، وكان مقبل قد طلب الأمر لنفسه ، واجتمع إليه خلق من الأكراد وغيرهم ، وبخل مسلم بالمال ، والتقيا على الخابور في مكان يعرف بالكوكب ، فانهزم مسلم وملك الجزيرة مقبل ، فبذل مسلم المال وعاد إلى عمه لهزمه ، ثم اتفقا على أن يكون لمقبل ثلث مغل الموصل ، ثم اجتمعا واصطلحا ، وفي ربيع الآخر طلقت الماء آخر بغداد ، ونادى رئيس العراقين برفعها .

وفيه ورد الخبر بمسير السلطان من جرجان إلى قلعة الطرم بسميران وهي من القلاع التي ترام وكان صاحبها جستان بن أيمر بن المرزبان سيء الطريقة ، قبيح السيرة ، فاستوحشت زوجته منه ، وشكته إلى ابنه مسافر ، فوجدت عنده أكثر مما عندها ، فوافقته على تسليم القلعة ، وتحالفا على ذلك ، وتوقعا خروج خشتان إلى الصيد ، وكان مسافر ساكنا في مكان آخر ، فواعدته عند خروج أبيه عن القلعة بقصدها ، فخرج أبوه إلى الصيد ، فأغلقت الباب ، وجاء مسافر في الليل إلى مكان عينته ، فاستقته في زنبيل هي وجواريها فأصعدته ، فجلس موضع أبيه ، وأخرجا من كان في الحبوس من الأسرى والرهائن ، وكانوا عددا كثيرا ، وخلعا على جماعة منهم ، وراسلهما خشتان في إعادته فلم يتلتفتا إليه فلما يئس قصد طغرلبك ، وعرفه ماتم عليه ، وأطمعه في القلعة ، وقال : إذ قربت منها قبض من فيها على الزوجة ومسافر ، فسار السلطان فحصرها من نواحيها ، وأخرب العسكر بلادها ، ولم يتلفتا إليه ، وطال مقامه فتراسلوا واتفقوا على مائة ألف دينار ، وألف ثوب يأخذها السلطان ، فرضي ورحل ، وأخرج مسافر زوجة أبيه ، وصرفها إلى أهلها ، ثم قتل مسافر من بعد .

وقال ناصر بن الحسين الأبهري العلوي : لما أخذ مسافر سميران دار مملكة الطرم ، وهي على نصف يوم من جبال الديلم ، وعليها يجري النهر المعروف بإسفيذ روذ أنفذ خشتان لما يئس من سميران ابنه نوحا إلى حصن آخر كبير ، يسمى القلعة ، من

سميران على ثمانية فراسخ ، ورسم له المقام فيه ، ليذهب هو إلى السلطان مستعينا على ولده وزوجته ، وجرى في ذلك ماقدمناه ولم يبلغ خشتان غرضا ، ولحقه من الغم والذل ما أداه إلى الموت في هذه السنة ، وقصد مسافر القلعة ، وأخاه نوحا ، في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وحصره وقاتله ، فجاء مسافر في بعض الأيام سهم فأثخنه ، ووقع الإياس منه ، فراسلوا أخاه نوحا ، واستحلفوه وسلموه إليه ، فاعتقله ثم قتله وكان سبب تسليم أصحابه له قبح سيرته ، وسفك الدماء من أصحابه وتملك سميران ولد مسافر ، ومات طغرلبك ، وقام بعده ولد أخيه ألب أرسلان ، فأراد إنفاذ من ينتهز الفرصة في تلك الأعمال ، فسأله سرخاب بن كامر والديلمي أمير ساوة أن يجعل أعمال الطرم مردودة إليه ، وأن ينتزعها من أولاد خشتان وأرسل إلى نوح فتهدده ، وقال له : انزل إلى السلطان بأمان ، فنزل فقبض عليه وجاء به إلى قلاع الطرم ، وقال : سلموها فلم يلتفتوا إلى سرخاب ورجع إلى ساوه ولم يظفر بطائل (١).

وفي جمادى الأولى خرج رئيس العراقين أبو أحمد النهاوندي إلى باب السلطان مستقبلا من ولاية العراق ، ولحق الناس من الأسف والحزن مالاحد عليه (٢) لما رأوا منه من الإحسان وحسن السيرة والهيبة ، وبكوا عليه ، ولقبه الخليفة ذو الكفايتين ، واستحلف أصحابه في البلد ، وأكد الوصية عليهم بالرعية ، وقد كان واصل المكاتبات إلى السلطان بالاستعفاء من النظر في العراق ، وسأل أن يكون على الباب ، فأجابه ، ولما طالت أيام ابن المحلبان ببلد شهرزور ، وعرف السلطان حركة الخليفة ، فأنفذ كتابا إلى أرسلان خاتون ، بالخروج من دار الخليفة، إلى دار المملكة وتتجهز إلى الري فإنه مشتاق إليها ، فأرسلت إلى الخليفة، فمنعها وقال : ماالسبب ؟ فقيل : تأخر ابن المحلبان ، فقال : ما أخرناه إلا ليصل ابن صاعد ويسمع رسالته ، ويرد الجواب ، ويكون نفوذهما جميعا ، وأما إذا استشعرتم فنحن نأمر ابن المحلبان بالإتمام ، وكتب إليه بالمسير إلى السلطان فسار.

---

(١) : انظر مادة سميران في معجم البلدان ـ ياقوت حيث قدم مادة إخبارية جيدة.

(٢) : في ب ((لـه)).

وفي هذا الشهر جرت وقعة بين معز الدولة ثمال بن صالح صاحب حلب ، وبين الروم ، أجلت عن قتل الروم وهزيمتهم ، وسبب هذه الوقعة أنه كان لثمال رسم على ملك الروم كل سنة : مال ، وثياب ، وتحف ، فلما بعد ثمال عن حلب إلى مصر طمع صاحب الروم ، وقطع ذلك ، فلما عاد إلى حلب بعث وطلب الرسم، فجهز صاحب الروم العساكر إلى الشام، وجمع ثمال بني كلاب وغيرهم ، والتقوا على مكان يقال له أرتاح (١) ، وبعث ثمال أخاه عطية في مقدمته ، واجتمعت إليه القبائل ، وبنو خفاجة ، والتقوا فنصروا على الروم ، وكان بينهم وبين حلب ستة فراسخ ، فانهزمت الروم وقتل أكثرهم ، وغنمهم وفتح عم (٢) وأرتاح ، وانتهى إلى أنطاكية وحصرها ، وضاق بهم الشيء فصالحوه وأعطوه مالا ورسمه ، ورجع ، ويقال أن الجارية الحسناء من الروم بيعت بخمسة دنانير ، وكذا الفرس الجواد .

وفي رجب ملك قاورت بك بن داود بن أخي السلطان طغرلبك مدينة شيراز ونواحيها ، وتحصن فضلويه ببعض القلاع ، وكان الديلم والأتراك يكرهون فضلويه لما فعل بأبي منصور بن أبي كاليجار ووالدته ، وكان قد كاتبوا قاورت بك بالمسير إلى شيراز ، وقالوا : لابد مانقاتلك أياما فلاتخف ، فلما جاء وحصر البلد ، خرجوا إليه ثلاثة أيام فقاتلوه ثم سلموا إليه البلد ، فأحسن إليهم ، وخلع عليهم وعدل في الناس ، فأحبوه وأطاعه أهل الأطراف ، وخطبوا له ، وبعث بأسفنديار وأمه إلى كرمان ، وأما فضلويه فانه لما قرب قاورت بك من شيراز ، مضى إلى موضع يعرف بكفيرة (٣) على خمسة فراسخ من شيراز ، ثم انتقل إلى جبال حصينة على خمسة عشر فرسخا من شيراز ، وسار خلفه قاورت بك ، فحاربه فهزمه قاورت بك ، وقتل من أصحابه ستمائة رجل ، وصعد إلى قلعة جهرم ، وهي في جبال منيعة ، ومضايق وهي من أعمال فسا ، على أربعين فرسخا من شيراز ، وعاد قاورت بك إلى شيراز، فأقام الخطبة للسلطان طغرلبك ، وبعث له هدايا وكتب إليه بالفتح .

وفي يوم الخميس الثالث عشر من شعبان ، كان العقد للسلطان على بنت الخليفة بظاهر تبريز ، قال محمد بن هلال بن المحسن الصابي : سألت أبا منصور ابن يوسف عن شرح ماجرى ، فأوقفني على رقعة كتبها إلى الخليفة ، مضمونها بعد

---

(١) : اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب ـ معجم البلدان .
(٢) : قرية غناء ذات عيون جارية وأشجار متدانية بين حلب وإنطاكية معجم البلدان .
(٣) : قرية غناء ذات عيون جارية وأشجار متدانية بين حلب وإنطاكية معجم البلدان .

البسملة : صبح الله المواقف المقدسة النبوية الإمامية والسعادات والإقبال ، والبركات واستجاب من العبد الخادم صالح الأدعية منها ، كان مع الغلام الوارد من ابن المحلبان كتاب إلى الخادم ، في عطفه مدرج شرح ماجرى عليه الأمر ، في المعنى الذي خرج لأجله ، وقد أنفذته عطف هذه الخدمة ، لتقف المواقف عليه ، ومن العادة أن يسطر في التاريخ ماهذه سبيله ، بعد أن يذكر ماجرت الحال عليه أولا من الإمتناع ، ومابذل من الأموال ، وأن الحال أفضت إلى فساد الدولة والدين ، وإن أذن للخادم أن يجتمع بمحمد بن الصابي ، ويوقفه على المشروح ويوافقه على مايثبته عنده في التاريخ فعل ، والأمر أعلى إن شاء الله تعالى . وعلى رأس المسطور توقيع نسخته : وقفت على ما عرضته ، واستأمرت فيه ، ويجب أن تقول له أن يكتب :

ولما كان فعل اللعين البساسيري ماكان ، وانتهازه الفرصة فيمن انضوى إليه من الأجناد المطرودة عن مدينة السلام ، وعود ركن الدين إلى بلاده وتشاغله بقتال أخيه إبراهيم ينال ، حين شرد عن الطاعة ، وفارق الجماعة ، وأصغى إلى أباطيل البساسيري ، وإطماعه في الدولة والولاية ، ومضارة دار الخلافة ، واقتضى حكم الاستظهار ، أنتقال الإمام إلى الحديثة ، والمقام بها إلى أن تستقر الأمور .

وورد ركن الدين إلى مدينة السلام ، وعادت الخدمة الشريفة إلى مستقر سدتها ، وقتل اللعين البساسيري ، وحمل رأسه إلى الخزانة الإمامية ، واقترح ركن الدين الإناقة به ، ومقابلة خدمته بما يبقى له فخره وجماله على الأعقاب ، ويخلد ذكره مع الدهر والزمان ، ورغب في الخدمة بتجميله بعقد على كريمتها ، وعلم أن موضعه يقتضي كل ايجاب ، وترددت في ذلك أقوال اختلفت ، وبذل في مقابلة ذلك من الأموال والإقطاعات ، ما اشتمل مبلغه على ألف ألف دينار ، سوى الأواني المرصعة ، والمهد المرصع ، والمراكب المرصعة بالجواهر الثمينة ، وأعد جميعه ، ثم انساقت الحال إلى أن عقد العقد اسما من غير أن يكون اجتماع ، على أربعمائة درهم ودينار ، ثم يساق الشرح على ماجرى منه ، ونسأل الله التوفيق في جميع الأمور .

وقال ابن الصابي : وأوقفني أبو منصور بن يوسف على المشروح فكان مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم ولما نزل العسكر بظاهر تبريز ، أختير لإنجاز الأمر الرشيد ، الوقت المبارك السعيد ، وهو بعد العصر من يوم الخميس ثالث عشر شعبان ، ومد سماط عظيم ، واستدعيت ، وعميد الملك جالس على باب السرادق السلطاني ،

وأكثر السماط تماثيل السكر ، ومقداره مايجوز منه نشابة ، فلما رآني عميد الملك ، نهض وأظهر من إجلال الخدمة الشريفة مايتجاوز الوصف ، وأخذ بيدي وأجلسني في صدر السماط ، والملوك والأمراء وقوف في الخدمة ، والفيلة من جانبي السماط بحفظونه من النهب ، ثم نهب بعد ذلك ، وأدخلت أنا ومن معي على السلطان ، وهو جالس على سرير وعليه ماشرف به : فرجية طعيم ، وعمامة ، وقباء تحت الفرجية ، والأمراء والملوك حول السرير على مراتبهم ، فجلست بعد ماسلمت على السلطان ، فأدناني عميد الملك ، ورحب بي ، ثم قمت قائما ، وأخرجت كتاب الوكالة ، وقام الجماعة بين يدي السرير ، وقرأتها ، فلما بلغت إلى ذكر ماخرجت به المراسيم العالية ، سجدت ، وسجد الحاضرون ، وعميد الملك والسلطان ، فلما جرى ذكر المهر ، وأنه أربعمائة درهم ودينار ، ارتفعت الأصوات بالدعاء للخليفة ، واستعظموا ذلك ، وقام إنسان يقال له مسعود الخراساني ، فخطب ، ونثر عميد الملك بين يدي السرير عدة كفوف لؤلؤ ودنانير ، وزن كل دينار عشرة مثاقيل ، ونثروا على باب السرادق الدراهم والدنانير ، وأدينا الرسالة ، فشكر ودعا ، ونهضنا ، وكانوا قد قدموا بين يدي من النثار جاما خسروانيا مغطى ، فلم أمد يدي إليه ، فحملوه إلي وإذا فيه ألف دينار ، ومثلها دراهم ، وأبرزوا إلي توقيعا بتقرير معيشة في كل سنة عشرة آلاف دينار ، وذكر كلاما طويلا .

قال المصنف رحمه الله : ذكر جدي في المنتظم (١) : أن العقد وقع على أربعمائة ألف دينار ، وأن السلطان قال : أنا المملوك القن الذي قد سلم رقبته وماحوته يده ، ومايكتسبه باقي عمره ، إلى الخدمة الشريفة ، وماذكر ابن الصابي أليق بالقصة ، لأن القائم اتبع السنة الطاهرة ، في أربعمائة درهم ودينار .

قال ابن المحلبان : ولما كان من الغد أخرج من الخزائن المعمورة من الجواهر واللؤلؤ ، والذهب المصاغ ، والثياب والألطاف ، والعين ، والجواري الأتراك والغلمان ، وغير ذلك شيئا كثيرا ، وقال في تذكرته : وأما الأخبار فان الأمير أبا نصر محمد بن وهشوذان ، المعروف بهملان الرازي صاحب تبريز ، حضر إلى باب السلطان مسلما ومستلما ، فقرر عليه مالا ، فأقام بأكثره ، وسلم ولده رهينة على باقيه ، وانتقل السلطان إلى مدينة بجيحون قريبة من بلد الروم صاحبها يعرف بأبي دلف بن الصقر الشيباني ففعل كما فعل صاحب تبريز ، وكذا فعل ابن الجليل صاحب أرمية (٢) ،

---

(١) : المنتظم : ٨/٢٢٦ .
(٢) : مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان _ معجم البلدان .

ونزل السلطان على خوي (١) وهي من أعمال ثغور المسلمين ، وركن قوى من أركان الدين والمستولي عليها شيخ من أهلها ، فامتنعوا وقاتلوا ، وذكر كلاما طويلا ، وكتابا إلى الخليفة بصورة ماجرى ، وذكر فيه أن العقد كان على أربعمائة درهم ودينار ، مهر سيدة النساء فاطمة البتول صلوات الله عليها ، ليعلم الكافة والخاصة تنزه سيدنا ومولانا الإمام عن التلبس بحطام الدنيا وذكر معناه .

وفي شعبان توفي المعز بن باديس ، صاحب القيروان .

وفي شوال عاد رئيس العراقين إلى بغداد ، من عند السلطان ، ذكر السبب: كان مواصلا للسلطان بالمكاتبة ، يطلب الحضور إلى بابه ، فأذن له ، فلما مضى حمل ماكان استصحبه من المال والخيل والثياب ، فوقعت خدمته أحسن موقع ، وتصور السلطان فيه أنه كان السبب في انقياد الخليفة إلى الوصلة ، بما فعله من التضييق عليه ، وعلى أصحابه ، واتفق أن الخليفة بعث مع ابن المحلبان يشكو منه ، ويبالغ فأداها ابن المحلبان ، وسأل الإعفاء من رده إلى بغداد ، وقد كان ابن المحلبان من جملة من آذاه في ضياعه ، وأوحشه فلم ينفعه ذلك مع السلطان ، لما وقر في نفسه ، ولعناية عميد الملك به ، وميله إليه ، لأجل ماكان منه من الشكاوى التي نفعته عنده ، وجملته في عين سلطانه ، وخوطب في العود إلى بغداد ، فامتنع وسأل الإعفاء منها ، وشكا من خرابها وخراب سوادها ما أوضحه ، فقيل : لابد من عودك إليها ، لترتب إقامة السلطان بها مدة مقامه ، فإنه قاصد إليها ، فإذا خرج منها ، فأخرج معه ، وأصحبه حاجب للسلطان واسمه سول ، ومعه للخليفة ثلاثون غلاما من الترك وثلاثون جارية على الخيول ، وخادمان وفرس بمركب ذهب مرصع بالجواهر الثمينة ، وعشرة آلاف دينار ، وعشرة آلاف أخرى لكريمته ، وتوقيع إقطاعات ، وجميع ماكان لخاتون المتوفاة من الإقطاع بالعراق ، وعقد جوهر فيه نيف وثلاثون حبة ، في كل حبة وزن مثقال وثلاثة آلاف دينار لوالدتها وخمسة آلاف دينار لعدة الدين ، وخرج الناس على طبقاتهم ، لتلقي رئيس العراقين ، ولما وصل إلى باب النوبى نزل وقبل الأرض ، ومضى فنزل في خيمة تحت دار المملكة ، ولم يدخل الديوان ، وركب بعد ثلاثة أيام مع سول إلى دار الخلافة ، إلى باب خاتون ، وسلم إليها ماكان معه ، لتسلمه إلى الخليفة .

---

(١) : بلد مشهور من أعمال أذربيجان معجم البلدان .

وقال أبو الفضل نعمة الله بن أحمد خطيب تبريز : كان السلطان مجدا في التوجه إلى بغداد على طريق ميافارقين ، ليقرر أمر أولاد مروان في بلادهم بعد وفاة أبيهم ، وكذا أمر مسلم بن قريش ، ويطالبهم بالأموال التي خلفها أبوهم ، فاتفق أنه طالب أهل خوي بعشرة آلاف دينار ، فقالوا : نحن قوم مجاهدون ، ويجب عليك معونتنا بالمال والسلاح ، وبذلوا له أربعة آلاف دينار ، فأنفذ إليهم سرية فقاتلوهم فظاهر أهل خوي عليهم ، فراسل السلطان رئيس البلد يوسف بن منكين بهزارسب وساوتكين الخادم الخاص ، فلم يمكنهما الدخول ، فرجعا ونشبت الحرب في رمضان ، وبعض شوال ، مدة أربعين يوما ، وقتل من الفريقين مقتلة كثيرة ، فراسل مشايخ البلد عميد الملك على يد أبي كاليجار هزارسب ، يطلبون الأمان ، فأعطاهم ، وعاد هزارسب وساوتكين فدخلا البلد ، وقرر عليهم ثلاثين ألف دينار ، ودخل عميد الملك البلد بعد ثلاثة أيام ، وأخذ جماعة ممن كان يحارب السلطان ، فقطع أيديهم ، وقتل آخرين وقبض على يوسف وابن أخيه موسى ، ورد رئاسة البلد إلى أبي سعيد بن حموية أحد مشايخ خوي ، وكان بذل عشرة آلاف دينار ، وشرط أن يسلم إليه يوسف لعداوة كانت بينهما ، فسلمه إليه ، فضربه وصفعه في الجامع ، وبلغ عميد الملك ، فقبض عليه ونزع يده ، ورد الرئاسة إلى عمر بن سحتكان وكان رئيسها قديما ، وأخرب عقار يوسف الذي في البلد ، وبنى مكانه قلعة باسم السلطان وانصرف السلطان إلى أرمينية وأطلق موسى ابن أخي يوسف ، ومات يوسف في الإعتقال عند توجه السلطان إلى العراق بالطريق ، ثم غلب موسى على خوي ، وقتل جماعة من أصحاب السلطان ، وأخرج الباقين لسوء أفعالهم ، وصار رئيس البلد .

وفي يوم السبت رابع ذي القعدة عزل أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست من ديوان الخليفة ، وانتقل إلى دارة بباب المراتب ، وكان سيء التدبير ، كلما دبر عملا لم يحصل من عقباه حمد ، ومن ذلك تضمينه ضياع الخليفة لابن علان اليهودي وظلم الناس ، وأقام الشناعات ، ثم هرب إلى واسط ، وذهب ارتفاع الضياع ، ثم ولى على الكتاب كاتبا يعرف بابن الحصين ، بذل له ثلاثين ألف دينار ، فأطلق يده ، فضرب وحبس ، ولم يحصل على شيء ، فعمل أهل بغداد في ابن الحصين القصائد منها :

يابن الحصين ولا فخرا بذي النسب　　　لقد فضحت أمام العجم والعرب
وسولت لك نفس منك ساقطة　　　ظلم العباد لمحض الزور والكذب
تراك تحسب أن الله يغفل عن ما　　　كان منك ولا يقتص عن كثب
تالله تالله إني خائف وجل من　　　دعوة نفذت عن صدر ذي كرب
قل لابن دارست علي إن ظفرت به　　　أنظر لنفسك واجنبها عن الريب
واذكر معادك والأعضاء شاهدة　　　والله يحكم والمظلوم في الطلب
لا المال يبقى ولا الأيام ممهلة　　　وليس ينفع إلا حسن منقلب

من أبيات .

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة (١) ورد الكافي أبو نصر محمد بن محمد بن جهير من ميافارقين في ديوان الخليفة ، وكان قد وقع الإختيار عليه وأخرج إليه الكامل أبو الفوارس طراد نقيب العباسيين ، وركب رئيس العراقيين وجماعة الحاشية والخدم ، ونزل بالحريم الظاهري منتظرا لجواز الكسوف القمري ودخل الديوان يوم الأحد التاسع عشر من الشهر ، منحدرا في الماء ، ومعه الناس على طبقاتهم ، وخرج من الخليفة توقيع يدل على الابتهاج بمورده والتقريظ له ، وحملت أليه أطعمة وفواكه .

وفي ذي القعدة ورد أبو علي شاذل بن محمد التاجر ، متقدم بعض اليمن هاربا من مكة ، لدخول أصحاب الصليحي (٢) إليها ، وقد قطع عليه الطريق ، وكان لما انهزم من اليمن دخل مكة وبها شكر بن أبي الفتوح الحسني أميرا ، فاستنجده فوعد شكر ومناه وأعطاه ، وأخذ منه عشرين ألف دينار على أن يفرقها فيمن يسير معه ، ولم يقدم شكر على ذلك لعجزه عن معاندة الصليحي ، وأقام أبو علي قانعا بسلامته ومات شكر ليلة الخميس ثالث شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين من فواق خرج من حلقه أقام بضعة عشر يوما (٣) وطلب مكانه ابن عمه يحيى بن عبد الله بن جعفر الحسني ، واستولى على دور شكر بالبرقة ، وبينها وبين مكة خمسة فراسخ ، واستدعى جماعة من بني عمه ليستوثق منهم ، فتربصوا عليه ، وبلغهم وفاة شكر ، فتصوروا أن أراد قبضهم ، وأرادوا

(١) : في ب ((القعدة))

(٢) : انظر تفاصيل ذلك في كتاب غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ط. القاهرة ١٩٦٨ ١ / ٢٥٤ .

(٣) : زيد ما بين الحاصرتين من (ب) .

أن يكون الأمر فيهم ، فاجتمعوا في خمسة وأربعين فارسا ، وقصدوا برقة ، وبها يحيى فانهزم وقتل ، فدخلوا مكة واستولوا عليها ، وكان لشكر عبد يقال له محيا ، فجمع العبيد وفرق فيهم المال ، وقصد مكة ، فانهزم بنو أبي الطيب منها ، وقصدوا أعمال الصليحي ، فقواهم بالمال والرجال ، وساروا إلى مكة ، وكان لمحيا منجم فقال له لاتخرج اليوم ولاغدا ، فخرج وقاتل فهزموهم ، ومضى في جماعة قليلة ، ودخل الأشراف مكة ، ومعهم بنو هذيل ، وكان لهم عند شكر ثأر ، فقتلوا من العبيد مقتلة كبيرة ، ونهبوا ، والتجأ شاذل إلى البيت الحرام ، واجتمع بهني هذيل وذم له قوم منهم ، وضمن لهم مالا ، وحملوه إلى داره ، وكان الصليحي قد قرر مع الأشراف حمله إليه ، وعلم فهرب مع قوم من العرب ، فقطع عليه الطريق ، فدخل الكوفة عريانا فكساه ابن كروشان الهاشمي ، وأقرضه ما استعان به على المسير إلى بغداد ، ونزل إلى باب المراتب ،ومعه ستة من أولاده ، وعاد محيا إلى الينبع، وملك مكة الأشراف .

وفي يوم السبت تاسع ذي الحجة جلس الخليفة ، واستدعى ابن جهير ، ووصل إليه ، وخلع عليه لحاف سقلاطون ، ودراعة مصمت ، وعمامة قصب مذهبة حراقيه ، وأعطي دواة من صندل محلاة ، وخاطبه بالجميل ، واحتفل به في جلوسه مثلما يحفل بالملوك ، وحمل على بغلة بمركب محلى ، وقرئ عهده بالوزارة قائما ، وأول مافتح الدواة كتب بمائة دينار صدقة ، وكان في عهده بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد فإن أمير المؤمنين ، حين عدم الكفاة بحضرته ، المرتضين لخدمته ، وتحقق ماعليه محمد بن جهير، من صحة الدين ، وخلوص المعتقد واليقين ، وما تأدى إليه من الكفاية والعفاف ، والتنزه عن كل مايذم من الخلال ويعاف ، وكملت فيه الأوصاف والأدوات التي جمعت بين كل سجية رضية ، وصفة مرضية استوجبت إنزاله (١) أفضل مراتب الخلصاء ، وأوجه منازل الأصفياء ، فقلده الوزارة ، وخصه من الطول مايعلى مناره ، وعول عليه في الوساطة بينه وبين رعيته ، وخاصته وعامته ، وأمره بتقوى الله ، وذكر مايذكر في العهود ، ولقب فخر الدولة ، شرف الوزراء .

---

(١) : فى ب ((الإنابته))

وفي ذي الحجة كثرت الأراجيف بموت طغرلبك بأرمية واختلط الناس ببغداد ثم ورد الخبر بأنه عوفي واستدعى السفن إلى تكريت لينزل في الماء إلى بغداد .

وفيها توفي إبراهيم بن العباس بن الحسن بن العباس بن الحسن بن الحسين أبي الحسن ، أبو الحسين القاضي الشريف ، مستخص الدولة ، ولي القضاء والخطابة بدمشق في أيام المستنصر نيابة عن قاضي القضاة أبي محمد القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان .

ولد ابراهيم سنة أربع وتسعين وثلاثمائة في المحرم ، وتوفي يوم السبت تاسع وعشرين رمضان ، ودفن بالباب الصغير ، قرأ القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء ، وسمع الحديث ، وكان فاضلا جوادا عفيفا نزها .

ثمال بن صالح أبو علوان

معز الدولة ، صاحب حلب ، ابن الزوقلية ، الكلابي ، كان شجاعا جوادا ، حليما ، أغنى أهل حلب بماله ، وعمهم بحلمه ونواله ، وكان محسنا إلى القبائل وجميع الناس ، وبلغ من حلمه أن فراشا كان يصب عليه يوما من إبريق ، في طشت ، فغفل الفراش ، فأصابت بلبلة الابريق ثنيته (١) فوقعت في الطشت ، فلم يقل شيئا ، وعفا عنه ، وقد مدحه ابن أبي حصينه بقصائد فقال :

وسن العدل في حلب فأخلت — بحسن العدل بقعتها البقاعا
حليم عن جرائمنا إليه — وحتى عن ثنيته انقلاعا
مكارم ما اهتدى فيها بخلق — ولكن ركبت فيه طباعا
إذا فعل الكريم بلاقياس — فعالا كان مافعل ابتداعا (٢)

وكان ملجأ القصاد ، والعلماء ، والفقراء ، وقام أخوه عطية مقامه .

---

(١) : مقدم أسنانه .
(٢) : ديوانه ١/١٦٥ــ ١٦٩ مع فوارق .

سبكتكين التركي (١)

أبو منصور بن همام زلة ، ولي دمشق من قبل المستنصر سنة اثنتين وخمسين وتوفي بها في ربيع الأول ، كان صالحا عفيفا ، سمع الحديث ورواه ، وكان إذا قرئ عليه الحديث ، يقول القارئ : انبأنا العادل ، الأمير الصالح ، أبو منصور التركي .

عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن أبو الفضل الرازي

المقرئ العجلي ، كان إماما في كل فن ، جوالا في طلب العلم ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، يأوى إلى المساجد الخراب في أطراف البلد ، ويطلب الخلوة ، فاذا عرف في مسجد انتقل إلى آخر ، وماكان يقبل برأحد وكانت وفاته بنيسابور وقيل بكرمان ، وكان يقول : إن هذه الأوراق ، تحل منا محل الأولاد ، ومن شعره :

يا موت ما أجفاك من زائر ... تنزل بالمرء على رغمه
وتأخذ العذراء من خدرها ... وتسلب الواحد من أمه

وقال :

أخي إن صرف الحادثات عجيب ... ومن أيقظته الواعظات لبيب
وإن الليالي مفنيات نفوسنا ... وكل عليه للفناء رقيب
وإن مصيبات الزمان كثيرة ... لكل امرئ منها أخي نصيب
طوى الدهر أترابي فبادوا ... وفارقوا وماأحد منهم إلي يؤوب
ومن رزق العمر الطويل تصيبه ... مصائب في أشكاله وتنوب
إذا مامضى القرن الذي أنت منهم ... وخلفت في قرن فأنت غريب
وإن امرؤ قد سار تسعين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب

محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حمرك أبو عبد الله

القاضي القضاعي ، سمع الكثير ، وولي القضاء بمصر ، وصنف الكتب منها : كتاب الشهاب ، وكتاب دستور الحكم ومأثور معاني الكلم ، وكتاب تاريخ ، وغير ذلك ، وكانت وفاته بمصر في ذي القعدة .

---

(١) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٥٠ .

وقال فارس بن الحسين الذهلي يمدح كتاب الشهاب :

إن الشهاب كتاب يستضاء بـه   في العلم والحكم والآداب والحلـم
سقى القضاعي غيثا كلما لمعت   هدى المصابيح في الأوراق والكلم (١)

منيـع بـن وثـاب

أبـو الزمام ، أمير بني نمير ، والي حران والرقة ، كانت وفاته بعلة الصـرع، ليلة الخميس لخمس خلون من جمادي الآخرة ، وكان جوادا سمحا (٢).

السنة الخامسة والخمسون والأربعمائـة

فيها في يوم الجمعة ، سابع المحرم ، وصل السلطان بغداد ، وعزم الخليفـة على لقائه ، فاستعفى من ذلك، فأعفي فخرج إليه الوزير ابن جهير من الغد ، وتلقـاه عميد الملك ، وأوصله إلى السلطان، فخدمه وأدى إليه عن الخليفة رسالة تتضمـن السرور بسلامته ، وعافيته ، والأنس بقربـه ، وحمل إليه فرجية ، وعمامة وثيابـا وفرسا من مراكبـه ، فعضد حتى قام وقبل الأرض، وطرح العميد الفرجية على كتفيه ، ودخل من الغد دار المملكة في زبزب بعثه إليه الخليفة ، وكان مرغ بأرمية، وثقـل فشغب العسكر ، فأجلس على مضض، وأدخل وجوههم إليه وأوصى إن حدث بـه الموت ، أن ينصبوا مكانه سليمان ابن أخيه داود ، وهو حينئذ صغير بأصفهـان والسلطان متزوج بوالدته ، وان يرجعوا إلى رأي عميد الملك ، من غير مخالفة ولا عدول عنه ، وقرظه ومدحه ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، إلا اردم الحاجب ، فإنه قـال : ما أخدم أحدا بعدك ، وأمضى إلى ألب أرسلان ابن أخيك داود ، وأنزل عليـه ، وسار من وقته إلى خراسان ، وكان من رأي عميد الملك ومشورته ، ليتم له الأستبـداد بالأمور ، ويستولي على الملك ، وقالت الجماعة : قد نزل الثلج ومالنا طاقة بالمسير إلى

---

(١) : أفاد الزركلي في أعلامه أن كتاب الشهاب قد طبع وذكر بقية كتب القضاعـي المخطوطة منها والمطبوعة والمفقودة.

(٢) : في ب ((شجاعا)).

بغداد ، ونريد أن نستوفي بيوتنا ، فقال : اذهبوا ، وجاء إلى بغداد ، ومعه عميد الملك ، وبرسق الحاجب ، والأمير علي بن الملك أبي كاليجار هزارسب ، وبدر بن المهلهل ، وغيرهم ، وسار فصادفوا عقبة عظيمة قد طمها الثلج ، ولابد من قطعها ، فحمل السلطان في محفة على أعناق الرجال ، ومات معظم الناس والدواب ، ولما دخل السلطان بغداد ، نزل العسكر في الجانب الغربي ، وأخرجوا الناس من دورهم ، وأوقدوا أخشاب السقوف للبرد العظيم ، وتعرضوا لحريم الناس ، وقطعوا الطرقات ، وأخذوا عمائم الناس ، وجاء قوم من الأتراك ، فصعدوا إلى أسطحة حمامات بنهر القراطيس ، ونهر طابق ، وقلعوا الجامات ، وأطلعوا على النساء ثم نزلوا ، وهجموا عليهن ، وأخذوا من أرادوا منهن ، وخرج الباقون عراة إلى الطريق ، واجتمع الناس وخلصوهن من أيديهم ، وجاء عميد الملك إلى دار الخلافة وخدم عن السلطان ، فأوصله إليه ، وخاطبه بالجميل ، ولاطفه وأعطاه عدة قطع ثيابا ، تشريفا له ، وطلب الجهة وحمل خاتم السلطان ، وكان ذهبا وفضة ماس وزنه درهمان وحبتان ، وقال : هذا للجهة الكريمة ، ولازم مطالبا بها ، وبات في الديوان ، وترددت رسائل إلى الخليفة ، فكان الجواب : إنك يامنصور بن محمد كنت تذكر أن الغرض من الوصلة التشرف بها ، والذكر الجميل لركن الدين فيها ، وكنا نقول : إننا ما نمتنع من ذلك ، إلا خوفا من المطالبة بالتسليم ، وجرى ماقد علمته ، ثم أخرجنا ابن المحلبان ، وقرر معكم قبل العقد ماأخذ به خطك ، وأنه إن كان يوما ما طالبه باجتماع ، كان ذلك في دار الخلافة ، ولم يسم لبراح الجهة منها فقال عميد الملك : كل هذا صحيح ، والسلطان مقيم عليه ، وعازم على الانتقال إلى هذه الدار العزيزة ، حيث ما استقر ، فليفرد له ولحجابه وخواصه وغلمانه مواضع يسكنونها ، فما يمكنه بعدهم عنه ، وقطع بذلك الجهة ، وجرت مراسلات استقر انتقالها إلى دار المملكة ، وعلى أن لا تخرج من بغداد مع ركن الدين ، ولا تنتقل معه في أسفاره ، وأحضر قاضي القضاة حتى استحلفه على الاجتهاد في ذلك ، وانصرف عميد الملك .

وفي المحرم توفي سعيد بن مروان ، صاحب آمد ، وكان أخوه نصر بميافارقين ويقال أن نصرا أخاه ، اتفق مع أبي الفرج الخازن على أن يسقي سعيدا السم فسقاه ، فلما شربه أحس ، فقال لأصحابه اقتلوا هذا الكلب ، فقد سقاني السم ، فقتلوه ، ولم يظفر نصر من آمد بطائل ، وكان لسعيد ولد صغير اسمه مسكونه ، فأجلسوه مكان أبيه ، وانحرف أهل البلاد على نصر ، وسبوه ، ونفروا منه .

وفي صفر حمل الخليفة إلى السلطان مائة ألف دينار ، ومائة وخمسين ألف درهم ، وأربعة آلاف ثوب من أجناس مختلفة ، وكل ذلك منسوب إلى المهر .

وفي ليلة الإثنين خامس عشر صفر ، زفت السيدة ابنة الخليفة إلى السلطان ، ونصب لها من دجلة إلى دار المملكة سرادق ، ودخلت فجلست على سرير ملبس بالذهب ، ودخل السلطان فقبل الأرض بين يديها وخدمها ، ودعا للخليفة ، وخرج من غير أن يجلس ، وما قامت له ، ولا كشفت البرقع عن وجهها ، ولا أبصرته ، وخرج السلطان إلى صحن الدار والحواشي يرقصون فرحا ، ويغنون بالتركية ، وبعث إليها مع أرسلان خاتون عقدين فاخرين ، وخسرواني ذهب ، وقطعة ياقوت أحمر (١) ودخل من الغد فقبل الأرض ، وخدمها وجلس على سرير فضة مقابلها ساعة ، ثم خرج وأنفذ إليها جواهر مثمنة ، وفرجية نسيج مكللة بالحب ، ومخنقة منسوجة بالحب ، ومازال كل يوم يفعل ذلك ، يخدم ويبعث التحف ، وظهر منه سرور عظيم ، ومن الخليفة تألم كثير ، وخلع السلطان في بكرة ذلك اليوم على عميد الملك ، في دار المملكة ، وحمل على فرس بمركب ذهب ، وأعطاه سيفا محلى ، وزاد في ألقابه حيث حصلت الوصلة بسفارته ، وخلع على جميع الأمراء والحاشية ، وواصل عمل السماط أياما .

وفيها دخل الصليحي إلى مكة ، واستعمل الجميل مع أهلها ، وأظهر العدل والإحسان والأمن ، وطابت قلوب الناس ، ورخصت الأسعار ، وكثرت له الأدعية ، وكان شابا ، أشقر اللحية ، أزرق العينين ، وليس باليمن أزرق أشقر غيره ، وكان متواضعا ، إذا جاز على جمع سلم عليهم بيده ، وكان فطنا قل أن يخبر بشيء إلا ويصح ، وكسا البيت ثياب بياض ، وردع بني شيبة عن قبيح أفعالهم ، ورد إلى البيت من الحلي ماكان بنو أبي الطيب الحسنيون أخذوه ، لما ملكو بعد شكر ، وكانوا قد عروا البيت والميزاب ، ودخل البيت ومعه زوجته ، ويقال لها الحرة ، وكانت حرة كاسمها ، مدبرة مستولية عليه وعلى اليمن ، وكان يخطب لها على المنابر ، للمستنصر وبعده للصليحي ، وبعده لزوجته ، فيقال : اللهم وأدم أيام الحرة ، الكاملة السديدة ، كافلة المؤمنين ، وكانت لها صدقات كثيرة وكرم فائض ، وعدل وافر .

---

(١) : في ب : حمراء .

وأقام الصليحي إلى يوم عاشوراء ، وراسله الحسنيون ، وكانوا قد بعدوا عن مكة اخرج عن بلدنا ورتب منا من تختاره ، فرتب محمد بن أبي هاشم في الإمارة ، ورجع إلى اليمن ، ومحمد صهر شكر على ابنته وأمره على الجماعة ، وأصلح بين العساكر واستخدم له العساكر ، وأعطاه مالا وخمسين فرسا وسلاحا وكان الصليحي يركب على فرس يسمى الملك ، قيمته ألف دينار ، وعلى رأسه مائة وعشرون قصبة ملبسة بالذهب والفضة ، وإذا ركبت الحرة في مائتي جارية ، مزينات بالحلي والجواهر ، وبين يديها الجنائب بمراكب الذهب المرصعة ، وقيل أنه أقام بمكة إلى ربيع الأول ، فوقع في أصحابه الوباء ، فمات منهم سبعمائة رجل ، ثم عاد إلى اليمن لأن العلويين تجمعوا عليه ، ولم يبق منهم إلا نفر يسير ، فسار إلى اليمن وأقام محمد بن أبي هاشم نائبا عنه ، فقصده بنو سليمان الحسنيون مع حمزة بن أبي هواش ، فلم يكن له بهم طاقة ، فحاربهم ، وخرج عن مكة فتبعوه ، فرجع فضرب واحدا منهم ضربة بالسيف فقطع درعه وفرسه وجسده ، ووصل إلى الأرض ، فدهشوا ورجعوا عنه ، وكان تحته فرس يسمى دنانير لا يكل ، وليس له في الدنيا نظير ، ومضى إلى وادي الينبع وقطع الطريق عن مكة والقافلة ، ونهب بنو سليمان مكة ، ومنع الصليحي الحج من اليمن ، فغلت الأسعار ، وزادت البلية .

وفيها : ورد الخبر بمسير الأمير ألب أرسلان بن داود من بلخ إلى نيسابور ، لما كثر الأرجاف بموت السلطان .

وفي يوم الخميس تاسع ربيع الأول ، حضر عميد الملك إلى ديوان الخليفة ، واستأذن للسلطان ولابنة أخيه أرسلان خاتون زوجة الخليفة بالمسير إلى الري ، يستزيرها مدة ستة أشهر ، فأذن للسلطان ، ولم يأذن لخاتون ، وكانت شاكية أطراحة لها ، فانه لم يقربها منذ اتصل بها ، وخرج السلطان من الغد ، وهو عليل ثقيل ميئوس من سلامته ، واستصحب معه السيدة ابنة الخليفة ، بعد امتناع شديد ، فغلظ عليها وألزمها ولم يتبعها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة برسم خدمتها ، ولحق الخليفة ووالدتها من ذلك أمر عظيم ، وأظهر الحزن الكثير وكان من فعل عميد الملك ووضعه .

ومضى هزارسب إلى الأهواز ، بعد أن أقام على باب السلطان سنتين .

ووقع بمصر وباء عظيم ، كان يخرج منها في كل يوم ألف جنازة ، وتوفي فيه ابن المدبر(١) الوزير ، وكان قد نظر في وزارة مصر في ربيع الأول .

وفي يوم الأحد عاشر ربيع الآخر ختن الأمير عدة الدين أبو القاسم.

وفي ليلة الإثنين لخمس بقين منه انقض بغداد كوكب كبير ، وفي صبيحته كان ريح وسحاب ورعد وبرق ، فلحق قافلة عظيمة عند قبر الإمام أحمد رضي الله عنه منه صاعقة أحرقت واحداً منها ، ولم يتغير لون جلده ، وإنما نزعوا قميص المحترق فوجدوه قد صار هباءاً منثورا .

وفي ربيع الآخر قدم أمير الجيوش بدر (٢) إلى دمشق واليا عليها، ونزل بالمزة ، ومعه القاضي الشريف أبو الحسين يحيى بن زيد الحسني الزيدي ، ناظرا في أعمالها ، فأقام بها بدر ، فلم تستقم له مع أهلها حال ، وحاربهم وحاربوه ، فهرب منها في رجب سنة سبع وخمسين (٣).

وفيها عصى أنوشروان على السلطان ، وانهزم ، فلحقه إيتكين فأخذه أسيرا ، وحمله إلى الري ، فقال له : دعني أزور قبر والدتي ، فأذن له ، فلما دخل استجار بالقبر، وقال : لا أخرج ، فلازمه ايتكين وكتب إلى السلطان ، وهو بهمذان يخبره ، فبعث من قيده ، وأخرجه من التربه ، وحمله إلى بعض القلاع وبينها وبين الري بضعة عشر فرسخا فحبسه .

وفيه ورد الأمير أبو القاسم سليمان ، ابن أخي السلطان ووالدته من أصفهان إلى الري ، وكان السلطان قد جعل إليه ولاية العهد ، وأوصى إلى عسكره .

وفيها كانت بين قاورت بك بن داود ، وبين فضلويه الشوانكاري وقعة عظيمة ، على فرسخين من شيراز ، وانهزم فضلويه إلى فسا ، وكان قد مال إليه طائفة من الديلم، فقتلهم وغنم أموال فضلويه ، وكان فضلويه في عشرين ألفا من الديلم وغيرهم ، وكان قاورت بك في أربعة آلاف تركي ، وكان الديلم قد حلفوا لقاورت بك، وغدروا به ، فأسر منهم جماعة ، وسأل القضاة والفقهاء ، وقال : هؤلاء حلفوا لي وغدروا وقصدوا قتلي، فأفتوه بقتلهم ، فضرب رقابهم على نهر يسمى العمري ، فكانت دماؤهم فيه مثل الماء

---

(١) : هو أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر ولي الوزارة مرتين وتوفي وهو فيها الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي : ٥٩.

(٢) : انظر لمزيد من التفاصيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٥٤.

(٣) : كذا وفي ابن القلانسي (١٥٤) سنة ٥٦.

تجـرى ، ويقال كانوا سبع مائة رجل ، ونظف البلاد من الديلم ، ومضى فضلويه إلى فسا ، ولما بلغ الديلم مافعل قاورت بك ، مالوا كلهم إلى فضلويه ، وأطاعوه ، وكان قـاورت بك عادلا ، منصفا ، جوادا ، وكان يخطب للخليفة ، وبعده لعمه طغرلبك ، ثم لنفسه .

وفي جمادي الآخـرة ورد الخبر بدخول نصر بن مروان آمد ، وملكه إياهـا ، مضافا إلى ميافارقين (١) . ذكر السبب :

لما مات سعيد أخو نصر مسموما ، أقام أهل آمد ابنه مكانه ، وكان صغيـرا ، وقام بأمره أبو علي بن البغل القاضي ، وخطب له ، واستدعى أميرا من الغز ، كـان بتلك الديار ، ومعه جماعة إلى آمد ، وتقوى بهم خوفا من نصر فراسل نصر زوجـة أخيه ، والدة الصبي ، وأطمعها في تزوجه بها ، وبذل لها مالا ، فأجابته وتوافقـا على القبض على القاضي ، فدخل القاضي يوما على ولدها على عادته ، فقبضت عليه ، ووثب أهل البلد إلى دار القاضي ونهبوها ، وكان فيها شيء كثير للتجار في الأمصار ، وودائع ، وبعثت إلى نصر فجاء ، وقرب من آمد ، وعلم ابن خان أمير الغز ، فوقع به قوم من بني تميم ، فأسروه ، وجاء نصر إلى باب البلدة ففتحت له ، وحصل في القصر ، وأحضر وجوه البلد ، وطيب قلوبهم ، وقرر على القاضي نيفا وثلاثين ألف دينـار ، واعتقله على إدائها ، وجاء بنو تميم بابن خان ، فابتاعه منهم ، وبعث به إلى ماردين فرمي من أعلى سورها فهلك .

وفي جمادى الآخرة ورد كتاب من الشرق ، بأن عميد الملك برز من الري إلـى قلعة كردكوه ، يحاصر قتلمش ابن عم السلطان ، وهو الآن مقيم بجنبها في عشـرة آلاف مقاتل ، غير الحشو والرجالة والقلعة ممتنعة جدا لا يمكن الـوصول إليها ، إلا بنفاد الزاد والماء ، وليس فيها عين ، وإنما يشربون من ماء المطر ، يجتمع في الصهاريـج فإن نفدا سلموا وإلا فلاسبيل عليها ، وكان قد شرع في الصلح وأجاب إلى النـزول غير أنه أقترح اقتراحات منها : أن السلطان يحلف له بالطلاق على الحفـظ والحراسة ، وأن لا يطالب بجريرة فعله ، ومنها : أن يتزوج بأخت الأمير سليمان ، ومنها : أن يفرد بولاية جليلة ، فقيل أما التوثقة فمبذولة ، لكن تشتمل على الأيمـان المعهودة ، وأما الولاية فيجاب إليها ، وأما التعيين على التزويج ، والحلف بالطلاق ، فمن يتجاسر على السلطان بهذا ؟ فقال قتلمش : فإذا لم تجسروا على السلطان بهذا ، فكيف أسلم أنا نفسي إليكم بغير توثقة يطيب بها قلبي ، فتوقف الأمر بهذا السبب .

---

(١) : لم يذكر صاحب تاريخ ميافارقين هذه الأخبار .

ووردت الأخبار بأن ألب أرسلان بن داود وكانت تجددت الأراجيف بالسلطان — قد جمع عسكره وجنده ، ومقدار عسكره الذين في صحبته عشرون ألف فارس وعشرة آلاف راجل وسار طالب الري فلما تحقق عاقبه السلطان ووصوله إلى الري عاد إلى خراسان ولم يحدث حدثا وكان قد سار في عساكر عظيمة وهيبة جليلةوعدل شامل .

وفي شعبان كانت بأنطاكية واللاذقية وطرابلس، وصور وعكا والشام، وطرف من الروم زلازل عظيمة هدمت الحصون والأسوار.

وفيه نزل محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب ، وحصر عمه عطية بها ، وقتل لليلة النصف من شعبان عليها منيع بن كامل بحجر المنجنيق ، ورحل محمود عنها ، ولم يظفر بطائل (١).

وفي رمضان قتل محمود بن محمود بن ثمال الأخرم ، أمير بني خفاجة في سرداب ، بمكان يقال له الجامعين ، غيلة ، والذي قتله رجب بن منيع ، وكان أميرا قبله ، وسليمان ابن أخيه ، وكان الأخرم مطرحا لأمر بني خفاجة ، مدلا عليهم ، معرضا عنهم ، متهاونا بهم ، مانعا لهم عن الغارات ، مستقصيا عليهم في الاقطاعات ، فلما أدركت الغلات في هذه السنة ، أنفذ إلى بغداد ، فاستدعى نجدة من العجم، استوفى بها مال السلطان المقرر عليه عن سقي الفرات ، فأنفذ إليه نحوا من خمسين فارسا وسار بهم إلى الجامعين ، وقرر على بني خفاجة عن نواحيهم نحو ألفي دينار ، وأخذ رهائنهم على الوفاء بها ، وفعل بالباقين كذلك ، فاجتمعوا إلى رجب بن منيع ، وقد كان محمود صالحه واستحلفه ومكنه من الفز ول معه والقرب ، فشكوا إليه مايلاقون ، ووافق ذلك ماكان في قلبه ، فاستحلف جماعة منهم ، ودخل سليمان ابن أخي رجب معهم ، وضمن لهم اغتياله ، ونزل محمود إلى سرداب يتبرد فيه ، فجاء رجب وسليمان بن أخيه ، فدخل جابر حاجب محمود ، وكان وافقهم ، فعرفه بحضورهم ، فقال هذا وقت القيلولة ، يقعدوا في الخيمة حتى أخرج ، فهجموا عليه ، وقال : ويلكم إنه دم لا يضاع ، ومسكه جابر حتى قتلوه ، وقطع سليمان رأسه ، وتركه في كمه ، ودخل على خطية محمود فافترشها قهرا ، والرأس يشخب دما في كمه ، وأخذها

---

(١) : لمزيد من التفاصيل أنظر زبدة الحلب ١/٢٩٤ـ ٢٩٤.

إلى قلعة سفان (١) وكان يركب منها (٢) الفاحشة فضجرت منه ، وقالت لا حياة بعد محمود ، وألقت نفسها من أعلى القلعة (٣) فهلكت ، وهرب بدر بن محمود إلى بغداد ، وقتل صالح بن محمود مع أبيه .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان ، توفي السلطان طغرلبك بالري ، ووصل إلى بغداد من جهته السيدة ابنة الخليفة في الرابع والعشرين منه ، وذكرت أن حالة ثقلت ، فحمل من الموضع الذي كان فيه بقصران ، إلى الري ، فلما نزل الدار مات ، وتولت زوجته أم سليمان ، التي كانت زوجة أخيه داود ، وفروخ الخاتوني أمره في غسله ودفنه ، وكان بين زفاف السيدة إليه وبين وفاته ستة أشهر وعشرين يوما .

وفيها كثرت غارات العرب على بغداد ، حتى أخذوا ثياب الناس من باب بغداد ، وقدم رجب بن منيع وأمير بني خفاجة ، فنزل بالنجمي واستدعي إلى بيت النوبة خامس ذي القعدة ، فخلع عليه طاق سقلاطون ، وفرجية ديباج مذهبة ، وعمامة بيضاء مذهبة ، وكتب عهده على ماوليه من سقي الفرات وعاد إلى بلده ، ولما توفي السلطان كاتب الخليفة أصحاب الأطراف : مسلم بن قريش أمير العقيليين ، ودبيس بن مزيد أمير الأسديين ، وأبا كاليجار هزارسب ، وأبا الفتح وأبا النجم ابني ورام ، وبدر بن مهلهل ، أمراء الأكراد ، كتبا تتضمن إعلامهم بما تجدد ، واستدعائهم إلى الباب فيشاوروه فيما يفعل ، وخص مسلم بخلعة بعث بها إليه ، وروسل العميد أبو سعيد القايني ، وأشعر بالحال ، واستدعى ابراهيم وأمر له مايعتمده ويعول عليه في تسكين البلاد والخدمة ، فرهب الحضور ، وقال : قد ظهر من الإشاعة لهذا الخبر ، وتسريح الركابية إلى أصحاب الأطراف بالاستدعاء ، إلى ما أوحشني ، وقد كان الرأي أن يكتم هذا الأمر حتى تسلم البلاد من الغارات وتنحسم عنها مواد الأطماع ، إلى أن يحكم تدبيرها ، وأنا فما أحضر إلى الدار العزيزة إلا بعد الأمان الذي أسكن إليه ، ومع ذلك فما ورد إلي في هذا الأمر ماعول عليه ، وإذا صح عندي فأنا غلام عميد الملك ، وإذا ورد إلي كتابه بأمر امتثلته ، وجمع العجم إليه ، وكان نازلا بقصر عيسى ، وابتدأ يعمل سور على بابه يتحصن به ، وأعد فيه

---

(١) : سفان صقع بين نصيبين وجزيرة ابن عمر في ديار ربيعة.
(٢) : أضيفت كلمة (منها من ب).
(٣) : أضيفت كلمة (القلعة) من ب .

الغلات والسلاح ، وعبأ على السطوح الجص الذي حدره في الزواريق من عكبرا ، وأطلق يده بالتواقيع للعرب بالنواحي ، ولم يقطع ضرب الطبل من دار المملكة ، وأظهر قلة الثقة بهذا الخبر ، وجلس الوزير ابن جهير للعزاء في صحن السلام ، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من رمضان ، وفي مثل هذا اليوم كان دخول السلطان بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، فكانت مدة ملكه العراق سبع سنين وأحد عشر شهرا واثني عشر يوما ، وثقل على الخليفة مافعله أبو سعيد ، وتقدم بأن يكتب له الأمان الذي التمسه ، وعلم عليه بخطه (١) ، فحضر بعد مخاطبة طويلة ، وصعد إلى باب الغربة ، وخدم ودعا ، وعاد من وقته ، ولم يحضر موضع التعزية ، فطرح أصحابه الخلع على الملاحين سرورا بسلامته ، وتقدم إلى الخطباء من الديوان ، بقطع خطبة السلطان فقطعت يوم الجمعة لليلة بقيت من رمضان .

وفي شوال قتل سليمان قاتل الأخرم ، وكان قد اعترض قافلة شامية ، وطلب منها خفارة ، فمنعه ابن بطن الحق الكعبي ، وقال : هذه خفارة أبي وجدي ، وتنازعا فضربه بحربه قتله ، وهرب بنو كعب خوفا من رجب بن منيع ، فقال رجب : أنا ولي هذا الدم ، وقد وهبته ، وكان بين قتل محمود وسليمان أقل من شهر .

وفيه ورد الخبر بأن هزارسب راسل صدقة بن منصور يقول : قد ورد الخبر بوفاة السلطان ، ولابد من الاجتماع ليقرر مايفعل ، فسار صدقة إلى الأهواز ، فلما حصل في دار هزارسب قبض عليه واعتقله ، وكان الليث بن صدقة في بعض الطريق ، ومعه معظم خزانة أبيه ، فهرب ودخل بغداد بعد أن ترك دبيس ، وترك الخزانة في الحلة ، وسأل الديوان مكاتبة هزارسب في معنى أبيه ، والتلطف في خلاصه فكتبت له الكتب ، وكتب إلى أبي عبدالله المردوشني ، وكان عند دبيس بالمضي إلى هزارسب في هذا المعنى ، فعاد ، وقال : أولى بنا تحقق الأمر .

---

(١) : في ب ((وعلم الخليفة عليه بخطه)) .

وفي يوم السبت منتصف شوال وكل بالعميد القايني في دار الخلافة ٠

ذكر السبب : كان مكاشفا للخليفة ، مطرحا أمره ، ولما مات السلطان لم يقلع عن ذلك ، وأدخل يده في الإقطاعات ، والأسباب الخليفية ، وتوقع منه الرجوع، فلم يفعل ، وطولع الخليفة بأن عنده من الارتفاع (١) جملة ، ودخل رجل من بني عقيل فاستجار بحريم الطاهري ، فبعث وأخذه ، وكان معه مال ، فأرسل إليه الخليفة : قد كنت تنظر في هذا البلد ، من قبل (٢) ملك نمضى لسبيله ، فأما أن ترفع يدك ، وتسكن آمناً ، وإلا فاخرج من هذا البلد ، فدافع وغالط ، وأقام في الديوان من ينظر في البلد ، وهرب العجم إلى دار العميد ، فأحضر الخليفة القضاة والفقهاء وأرسل اليهم : ماتقولون فيمن عصى الإمام ، ومرق عن طاعته ، وأبدى صفحة مخالفته ؟ فأفتوا بقتاله وجهاده ، وبلغه ذلك ، وشاع انحلال أمر عميد الملك ، فأرسل يعتذر واستقر أن يحضر بيت النوبة ليحلف عما حصل في يده من الارتفاع ، ويرجع إلى داره بحريم الخلافة لعمل الحساب ، وأحيط بالسور الذي عمله ، وحفظوه من الهرب، فخاب فعبر إلى بيت النوبة ، واستحلفه قاضي القضاة ، فأقر بثلاثين ألف دينار ، وستمائة كرغلة (٣) ، فقال القاضي : أين هذا المال ، حاضر أو مفرق في السواد ؟ ففطن فقال : مفرق ، فقال : إذا أحضرته شهدنا عليك ، وطالبه أقوام بأموال ، فاعتقل حتى يحرز أمره ، وقيل إنه قيل له : امض إلى دارك بدرب الدواب واعمل الحساب ، فخاف ، وقال : ما أخرج من هذه الدار العزيزة ، وطولع الخليفة ، فقال : يكون في الديوان ومعه خادم وجماعة ، ثم قرئ على المنابر توقيع من الخليفة برفع الضرائب والمكوس ، وكتب على أبواب الجوامع ٠

---

(١) : في ب : الارتفاعات ٠

(٢) : في الأصل " قبلك " وهو تصحيف قوم من (ب) ٠

(٣) : الكر بالعراق والكوفة وبغداد ستون قفيز وكل قفيز ثمانية مكاليك وكل مكوك ثلاث كيالج ٠ والكليجة وزن ستمائة درهم ٠ مفاتيح العلوم للخورازمي ص ١٢ ٠

ذكر ماجرى من أصحاب الأطراف

قد ذكرنا أن الخليفة كاتبهم بالاستدعاء ، وخص مسلم بن قريش بخلعة ، فوصل إلى تكريت ، ورام انحدار العرب معه ، فلم يفعلوا ، وطلب كل منهم منـاه ، وأطمع جماعة منهم ، فاتبعوه ، وراسل أبا علي بن موشك ، وأبا الحسن بن عيسكان بن غيمي الأكراد بأرض أربل وبلادها ، وموه عليهما ، وقال : إنني منحدر إلى بغداد وان الخليفة يؤمرني على العراق ، ويستنيبني في البلاد ، ولبس الخلعة المنفذة إليه بالموصل ، فعبرا إليه ، وانحدرا في جملته ، واتفق أن الوزير ابن جهير وجد غلامين لمسلم من الغز ، ومعهما ملطفات (١) إلى الغز والعجم الذين ببغداد ، وإلى الرمش الحاجب يعدهم بالمال والبلاد ، فقبض عليهما ، وكان مسلم قد بعث أخـاه ابراهيم إلى أوانا (٢) يستخرج ارتفاعها ، فجهز الوزير الرمش في مائتي غلام ، ومحمد ابن منصور ومهارش بن مجلي في نحو خمسين فارسا إلى أوانا ، للإيقاع بأخي مسلم ، وبلغه فانهزم ، وكوتبت الأطراف بالمبادرة ، فأما ابنا ورام فقدما في عدة قوية ، ونزلا ظاهر الحريم ، وتوقف دبيس ، ثم قدم وراسل مسلم والي تكريت بتسليم القلعة ، فقال : حتى يخرج الشتاء ، فان طريق خراسان ، لاينسلك اليوم من الثلج ، فحاصره فكبسه في الليل ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأخذ خيلهم ، وأخذ فرسا لمسلم يعرف ببنت العرجا كان وعد به ، وعاد إلى القلعة ، وانتشرت البوادي في السواد ، وأرجف بأن مسلم يدخل بغداد ، ويجلس في دار المملكة ، ويحاصر دار الخلافة وينهبهـا فانزعج الخليفة والناس ، وعبر الرمش الحاجب والغز والغلمان إلى الجانب الغربي وخلع الخليفة على العرب والترك ، وبذل المال .

وورد كتاب هزارسب إلى الأهواز يذكر أنه يخدم الخليفة بمائة ألف دينار ، إن وسم بميسم الملك ، فكتب إليه : هذا أمر لا يمكن إلا في السلجوقية ، ويجب أن تتشاغل بقاورت بك الذي هو بقربك ، وقد استولى على البلاد حتى تدفعه ، ويكون لك بعد ذلك حديث ، وكان قاورت قد كتب إليه يأمره بالدخول في طاعته ، وإقامة الخطبة والسكة له بخوزستان والبصرة ، وتلك النواحي ، ويتهدده إن لم يفعل ، وجاءت رسل مسلم إلى الديوان برسالة مضمونها :

---

(١) : رسائل سرية .

(٢) : أوانا بليدة كثيرة البساتين والشجر من نواحي دجيل بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت . معجم البلدان .

ما أعلم سبب هذه الجموع ، والعساكر والخلع ، وإنفاق الأموال ، فإن كان لأجلي ، فما شققت عصا ، ولا خرجت عن طاعة ، ولا انحدرت إلا بكتبك أيها الوزير ، واستدعائك ، وإنفاذك إلي الخلعة ، وإني لبستها بالموصل متشرفا بها ، فلما انحدرت وقربت من الخدمة ذممت أفعالي ، وقبحت أحوالي ، وجمعت العساكر علي ، فإن كان قربي قد كره ، فأنتم استدعيتموني ، ومالي ذنب في ورودي ، وأما تصرفي البلاد ، فما فعلت منكرا ، هذه بنوأسد ، بلادهم مازالت في أيديهم ، مدة أيام السلطان طغرلبك ، وقد استجدوا اليد في أعمال واسط ، وكذا بدر بن مهلهل ، وهزارسب ، وابن ورام ، وعدد أمراء الأطراف ، وأما نحن جماعة بني عقيل ، فما زلنا في أيام السلطان مدفوعين عن إقطاعاتنا ، خائفين ، وغيرنا يأكل بلادنا ، فلما مات ، وزال ماكنا نخافه ، رجعنا إلى بلادنا ، من غير أن حدثنا نفوسنا باستضافة مالم يكن لنا ، فإن دفعتموني عما كان لآبائي وأجدادي ، فمن بغى عليه لينصرنه الله ، وإن أجريت تجرى نحوي فليرجع كل واحد من هؤلاء الأمراء إلى مكانه ، فإني جار في الطاعة مجراهم ، وخادم الدار العزيزة ، فثقل على دبيس والجماعة قوله ، لكونه تعرض لما مدوا أيديهم إليه ، وطالعوا الخليفة ، فكان الجواب : لو كان باطن ما أورده كظاهره ، ما أنكر عليه ، ولكنه قد أبطن العصيان ، وظهرت أمارات الفساد منه ، وماله عندنا جواب عن رسالة ، ولا هاهنا غير دفعه ، ومحاربته ، وتقدم إلى الجماعة بدفعه عن هذه البلاد ، والعبور إلى النجمي ، والنزول على الرملة ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وأرسلوا إلى أعمالهم يحشدون الرجال من العرب والديلم وغيرهم ، وقال الوزير للرسل : قد جئتم برسالة ظاهرها الطاعة ، وأفعالكم تنافيها ، وماكوتبتم إلا كما كوتب غيركم ، ولتكونوا في الخدمة طائعين ، وقد ظهر منكم ضد ذلك ، فان كنتم صادقين فابعثوا بعبس بن عيسى ، فإنه وجه عشيرتكم ، ومقدم أمرائكم لنقرر معه قاعدة يجري الأمر عليها ، وبينما الناس على هذا ، وصل مسلم إلى أجمة الزيادة ، وهي على ثلاث فراسخ من بغداد ، فعبر الحاجب ودبيس وبنو ورام وبدر بن مهلهل والغلمان إلى الجانب الغربي ، ونزلوا بالنجمي ، وباب الشام ، وباب التبن ، وجاء عبس من عند مسلم ، فأورد ما أورده الرسل أولا ، وقال : أنا على الطاعة إن أعطيت أماكن سماها ، استوعبت العراق ، فأعطي بعضها ، فلم يقنع وعاد إليه رسوله ، واختلفت الأمراء على الخليفة ، وتقدم إلى دبيس يتولى حربه ، فامتنع ، وقال : احتاج إلى صاحب جيش يندبه الخليفة معي ، تسير الجماعة تحت رايته ، ويكون معه من المال مايعطيه لمن يبين بين يديه ، وورد ولد دبيس من واسط ، ومعه جماعة من العرب الأسدية ، والديلم ، والأتراك الواسطية ، والبغدادية ،

وورد رجب بن منيع في جماعة من بني خفاجة ، ومن بلد بدر بن مهلهل ، وأقيمت لهم الإقامات ، وأعطوا المال والخلع ، وطابت قلوبهم ، وندب لهم من خدم الخليفة موفق الخادم الخاص ، وضربت له النوبة بالنجمي ، وعقد له الخليفة لواءا أبيضا بيده ، وفيه كتائب سود ، ولقبه أمين الدولة ، وسار في خدمته الأتراك والأمراء المذكورين ، والعساكر ، فخيم بقطعية الدقيق ، وثار العوام وطلب أهل كل محلة منجوقا يقاتلون بين يديه ، وغلقوا الأسواق ، ولبسوا السلاح ، ودقوا بالدبادب ، وواصلوا الخروج إلى العسكر ، وجاء جماعة من العرب إلى بعض القرى ، وعلم بهم العسكر ، فخرج إليهم جماعة ، فقتلوا منهم جماعة ، وأخذوا خيلهم ، وجاء رسول مسلم يعتذر ، ويقول : أنا العبد الجاني ، ومهما أمرت به امتثلته من غير مخالفة ، ولا مراجعة ، وجرى ما انتهى إلى من يخرج إليه ، ويتوسط الحال ، ويقرر القواعد التي يزول معها الخلاف .

وفيها وردت الأخبار من الري أن عميد الملك طالب السيدة بنت الخليفة بالجواهر ، التي كانت للسلطان عندها ، وذكر لها قيمة عظيمة ، فأنكرت أن يكون عندها شيء ، فأدخل يده في إقطاعها هناك .

وفيها ثار أهل همذان على العميد فقتلوه ، وقتلوا معه جماعة سبعمائة رجل من أصحاب السلطان والشحنة ، وجلسوا يشربون الخمر على القتلى ، ويضربون بالطبول مدة ، ويؤمرون من شاءوا وذلك لما صح عندهم أن السلطان مات .

وفيها قصد قتلمش الري ، ومعه خمسون ألفا من التركمان ، فدفعه عميد الملك عنها .

وفيها توفي السلطان طغرلبك ، واسمه محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، وكنيته أبو طالب ، قدم بغداد سنة سبع وأربعين ، وخلع عليه القائم ، وخاطبه بملك المشرق والمغرب ، وهو أول ملوك السلجوقية ، وهو الذي بنى لهم الدولة ، ورد ملك بني العباس بعد أن استولى البساسيري على القائم ، وأخرجه إلى الحديثة ، وكان شجاعا ، جوادا حليما ، عصى عليه جماعة ، فعفا عنهم ، ولم يؤاخذهم ، وكتب بعض خواصه إلى أبي كاليجار بن بويه كتابا (١) يذكر فيه سوء سيرته فاطلع (٢) على الكتاب فلم يقل شيئا ، وكان عميد الملك قد استولى عليه ، وتوفي بالري يوم الجمعة ثامن رمضان ، وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة ، وقيل ثلاثين سنة ، وعمرة سبعون سنة ، وقيل جاوز الثمانين

---

(١) : زيدت ((كتابا)) من ب .

(٢) : في ب ((فوقف)) .

والأول أصح ، قال عميد الملك : قال لي السلطان : رأيت في منامي كأني رفعت إلى السماء ، وأنا في ضباب لا أدري ، ولا أبصر ساعة ، وإني أشم رائحة طيب (١) فنوديت أنت بقرب الباري عز وجل فسل حوائجك ، فقلت في نفسي : ما من شيء أحب إلي من طول العمر ، فقيل لي ، تعيش سبعون سنة ، وانتبهت ، قال عميد الملك : فحسبت عمره ، وإذا به سبعون سنة ، وكانت قد توالت عليه أمراض مختلفة ، وواصلته حمى ملازمة ، وأخرى مناوبة ، وماكان يحتمي ، ولا يشرب دواء ، فآل به الأمر إلى سقوط القوة ، فكان يرعف دائما ، فحمل من المخيم إلى دار السلطنة في محفة ، فمات بها ، فغلسته زوجته أم سليمان ، وفروخ الخادم ، وكفنته ودفنته ، وكان عميد الملك يحاصر قتلمش في قلعة كردكوه ، فأرسلوا إليه ، وأقام الناس يوم السبت والأحد وهم يظنون أنه في عافية ، والأمور على حالها والطبل يضرب على عادته ، واستحلف إينانجيك الحجاب والخيلباشية ومن كان عنده لسليمان بن داود الذي نص عليه السلطان ، وكنيته أبو القاسم ، ولقبه مشيد الدولة ، وسار الرسول إلى عميد الملك آخر نهار الجمعة ، ووصل إليه يوم الإثنين ضحوة ، والمسافة نيف وستون فرسخا ، فجمع العساكر وغيرهم ، وعرفهم الخبر وقال : أنتم تعلمون أني وإياكم عبيد ذلك السلطان ، وقد مضى لسبيله ، وكان عهد إلي وإليكم في معنى ولد أخيه ، وأنا قانع بثوب ألبسه ، وفرس أركبه ، وأعيش فيما بينكم ، فإن ساعدتموني فعلت معكم مايوفي على أعمالكم وآمالكم ، فقالوا : نحن عبيدك ، وجميع ماتدبره فما نخرج عنه ، فجمع مافي العسكر من مال ودواب وثياب ، وغيره فأعطاهم إياه ، حتى الدواة التي كانت بين يديه ، ولم يبق له سوى فرس يركبه وسار إلى الري وهم معه ، فوصلها يوم السبت سادس عشر رمضان ، ودخل دار السلطنة وجاء إلى المكان الذي فيه تابوت السلطان ، فبكى وحزن حزنا كثيرا ، وأراد الأمراء والحجاب تمزيق ثيابهم ، فقال : قد فات وقته ، والصواب التشاغل بغيره ، وأجلس سليمان على التخت ، وجدد له الأيمان ، وحط من القلعة سبعمائة ألف دينار ، وستة عشر ألف ثوب من الأنواع ، وسلاحا يساوي مائتي ألف دينار ، وفرق الكل فدعوا له وشكروه ، وقال لهم : ماثم من يخاف من ينازعه إلا ألب أرسلان ، صاحب خراسان ، وأنا أرسله ، وأقول : قد عرفت ماكان من وصية السلطان في معنى الأمير سليمان ، وهو منك وإليك ، وبضعة من جسمك ، فإن طمحت إلى البلاد فقد اتخذت من الأعمال مايوازي هذه البلاد مثل خوارزم ونيسابور وغيرها ، فهو لك ، وأن كنت تريد المال فنحن نبعث إليك من هذه القلعة ماترضى به ونقيم الدعوة لك ، بعد

---

(١) : في ب ((الطيب))

سليمان ، وتجتمع الكلمة ، وتكون الدعوتان واحدة ، والبلاد محروسة ، والدماء محقونة، وإن أبيت وحا ولت غير ما رتبه السلطان، فقد أعذرنا ، ونحن نقصدك قبل أن تقصدنا ، ويحكم الله بيننا وبينك ، وقيل إن عميد الملك كتب كتابا بخطه إلى ألب أرسلان أبرق فيه وأرعد ، وخوف وهدد ، فكان سببا لمنيته ٠

وكان السلطان قد اعتقل أنوشروان ابن امرأته ، في قلعة الري ، فلما قوى مرض السلطان عاهده والي القلعة أن يطلقه إن حدث بالسلطان حدث ، فلما مات السلطان ، طالبه بما وعده به ، فلم يفعل وكتب إلى عميد الملك بسببه ، فخاف عميد الملك منه ، فلم يأذن بإطلاقه ، وكان في عقل أنوشروان لوثة ، فاستدعى الوالي وجلسا يلعبان بالشظرنج في الحجرة التي هو معتقل فيها ، فوثب عليه فقتله ، وثار أهل القلعة ، وأحاطوا بالحجرة ، فخاف على الجارية التي كانت له ، وكان يحبها ؛ فقال لها : اطلعي من هذه الروزنة إلى الصحراء ، وانظري من تحت القلعة ؟ فأطلعت فدفعها ، ورمى بها إلى الأرض لتهلك قبله ، فدخلت الريح في ثوبها فحملتها إلى ناحية الجبل ، فانكسرت يدها ، وسلمت نفسها ، ثم رمى بنفسه بعدها ، وحمل في تابوت ، فدفن عند أمه ٠

وسار ألب أرسلان من خراسان يريد الري ، وسار أخوه سليمان إلى شيراز ، وأقام عميد الملك الخطبة لألب أرسلان في ذي القعدة ، وبعث رسولا إليه بالطاعة، وجاء قتلمش فحاصر الري ، وقاتلوه وكان في خمسين ألفا من التركمان ، فنهبوا الضياع وسبوا النساء ، وقتلوا ، وجاءهم الخبر بأن ألب أرسلان قد قرب من الري ، وتقدمت مقدماته ، فسار قتلمش يطلبها ، وأدركه السلطان ، فانهزم قتلمش ، وسنذكره إن شاء الله تعالى ٠

وفيها مات :

مسلم بن ابراهيم

أبو الفضل السلمي البزاز ، ويعرف بابن الشويطر ، من شعره :

مافي زمانك من ترجو مودته ... ولا صديق إذا خان الزمان وفى

فعش وحيدا ولا تركن إلى أحد ... فقد نصحتك فيما قلته وكفى

السنة السادسة والخمسون والأربعمائة

فيها في مستهل المحرم ، استقر أمر مسلم بن قريش ، وأعطي من البلاد مارضي به ، وطلب أن يحضر إلى بيت النوبة ، ليخلع عليه فأجاب ، ثم امتنع وتعلل ، فبعثوا إليه بالخلع فلبسها ، وحلف وزالت الوحشة ، واطمأن الناس ، ورجعت العساكر إلى بلادها ، ودخل أبو علي بن موشك ، وأبو الحسين بن عيسكان إلى الديوان ، وخلع عليهما الفرجيات المذهبات ، والعمائم وبعث لمسلم اللواء ، والمركب الذهب وغير ذلك .

فلما عاد عميد الملك من حصار قتلمش بكردكوه ، نزل قتلمش من القلعة ، وسار إلى التركمان ، فنزل عليهم واستجار بهم ، فنزل إليه أكبرهم ، فقوى جأشه ، وانصرف إليه كل مفسد ، فسار إلى ساوة (١) ومعه خمسون ألف فارس ، وكاتب الأمراء بالإستمالة فأجابه سرخاب بن كامورا ، ورحل في الليل هاربا إليه ، وبعث إليه أخاه فجسره على قصد الري ، وكان أبو نصر الدهستاني ، الملقب بنظام الدين ، عند قتلمش معتقلا ، ولما علم عميد الملك مافعل قتلمش ، وأن ألب أرسلان قد توجه من نيسابور يريد الري ، كاتبه واستعده واستخرج أمره فيما يفعل ، وأقيمت له الخطبة بالري ، كما ذكرنا ، وجاء قتلمش حادي وعشرين ذي القعدة ، فأشرف على الري ، فخرج إليه عميد الملك والعسكر ، فالتقوا وقصدهم وكان في المقدمة الأمير إينانجيك ، فأسر وأسر معه جماعة خمسمائة غلام ، وانهزم عميد الملك ، ودخل البلد ، وعاد العسكر إلى البلد فضبطوه ، وجاء التركمان فحاصروه ، وقطعوا المواد عنه ، وأشرف الناس على خطة صعبة ، وأنفذ عميد الملك عدة جمازات إلى ألب أرسلان ، فجاء جوابه : لا تخرجوا من البلد ، فأنا واصل إليكم ، وعمل التركمان كل قبيح ومنكر ، ووصلت مقدمات ألب أرسلان إلى الدامغان (٢) ، مع الحاجب أردم ، فرحل قتلمش سلخ ذي القعدة ، بمن معه ، وساروا يطلبون العسكر الوارد ، ليفرغون منه ، ويعودون إلى الري ، فصادفوا أردم بمكان يقال له قرية الملح ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وتحصن بالقرية ، وبعث إلى ألب أرسلان يخبره ، وكان على فرسخين منه ، فرحل إليه فلحقه ، ووقع القتال ، واشتد الأمر ، وكثرت القتلى ، وأنزل الله نصره على ألب أرسلان ، فانهزم قتلمش والتركمان ،

---

(١) : مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط بينهما معجم البلدان .

(٢) : بلد كبير بين الري ونيسابور وصور قضبة قومص معجم البلدان .

وركبهم السيف مسيرة أربعة فراسخ ، وأسر رسول تكين أخو قتلمش وابن قتلمش الأكبر وعدة من الأكابر ، واستخلصوا نظام الدين ، والأمير إينانجيك ، ومن أسر بباب الري وغنموا أموالهم ، وجميع ماكان معهم ، وسار ألب أرسلان يطلب الري ، وبعث إلى عميد الملك بالخلع ، ورسم بأن ينقل طغرلبك من الدار إلى التربة ، وتنظف الدار لينزل بها ، وكان عميد الملك ينزل في دهليز الدار ، في حجرة ، فاستأذن في الإنتقال منها فقال ألب أرسلان : سروري قربك : فكيف تبعد عنا ، ولم يأذن له في الإنتقال ، وأما قتلمش فإنه أفلت من الوقعة ، وترك الطريق المسلوك ، وتعسف الجبال ، والمضايق ومر على بعض قلاع السلطان ، فأرسل صاحب القلعة وراءه ، فساق فرسه ، فسقط به ، فتقيأ الدم ومات ، فحمل إلى الري .

وفي يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة (وصل السلطان ألب أرسلان إلى الري) وخرج عميد الملك للقائه فأكرمه وقربه ، وأدناه ، ونزل ألب أرسلان في دار المملكة ، ولازم عميد الملك خدمته طول النهار ، وعلى عادته مع السلطان ، وثقل ذلك على نظام الملك أبي علي الوزير ، وشرع عميد الملك في قبض جماعة من حواشي طغرلبك وخدمه ، فجمع منهم خمسمائة ألف دينار ، وسببه أن ألب أرسلان عتب عليه فيما أخرجه من مال القلعة ، وأطلقه للعساكر ، فقال : ما أمكنني غير مافعلته ، وأما أرد بمقدار ما أخرجت ، فصادر الأعيان والخدام .

وفي يوم الخميس خامس المحرم من هذه السنة ، عمل السلطان بالري سماطا عظيما في دار المملكة ، ومد بين يديه السماط الذي كان لطغرلبك ، ووزنه ألفي ألف مثقال ، وجلس في مرتبة عظيمة ، وخلع على جميع الأمراء ، والحجاب ، ولما بلغ خبر عميد الملك ، واستقامة أحواله ، إلى بغداد سأل دبيس في العميد أبي سعيد ، والإفراج عنه ، فأفرج عنه في المحرم ، وخلع عليه ابن جهير جبة ديباج وعمامة بيضاء ، وانصرف إلى داره ، وكان يبدو منه تهدد على ماعومل به .

وفي يوم السبت سابع عشر المحرم ، قبض ألب أرسلان على عميد الملك آخر النهار ، واستولى على أعماله وأمواله ، وبعث به إلى مرو الروذ (١) فاعتقله بها وخلع على وزيره نظام الملك أبي علي الحسن بن إسحق الطوسي في هذا اليوم .

---

(١) : مدينة قريبة من مرو الشهجان معجم البلدان .

وراسل السيدة بنت الخليفة ، بالإذن لها في المسير إلى بغداد ، وقيل إن تعويقها كان من عميد الملك ، فخرجت من وقتها إلى دار المرتضى نقيب العلويين بالري ، ثم سارت من عنده إلى ساوة ، وبعث اليها خمسة آلاف دينار للنفقة ، فامتنعت من قبولها ، فقيل لها هذا قبيح فقبلتها ، وقيل لها عن نظام الملك الوزير : إنما قبضت على عميد الملك لما فعله في حقك ، ونقلك إلى الري ، وسير في خدمتها جماعة من الأعيان إلى بغداد ، وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله ، ويعرف بابن الموفق في صحبتها ، والخطاب في إقامة الدعوة لألب أرسلان ، وترتيب من يقوم بالنظر في الحضرة، فتوفي ابن الموفق بالموذقان (١) ، فعدل إلى رئيس العراقين أبي أحمد النهاوندي، وتقدم إليه بالمسير معها ، فامتنع فألزم ، فسار مسير مكره على غير اختيار ، وكتب معه كتابا إلى الخليفة بإقامة الخطبة ، ووصلت إلى بغداد ، في ثالث عشر ربيع الأول ، ودخلت ليلا إلى الدار ، وخرج الخدم والحاشية لتلقيها ، وكانت قد نزلت بالراوودية على نصف فرسخ من بغداد ، فخرجت إليها والدتها والخدم والقهرمانة ، ودخلت ليلا وسر القائم بدخولها ، وكان قد وصل في خدمتها القاضي أبو عمرو محمد ابن عبد الرحمن ، وأيتكين الحاجب ، وحضرا بيت النوبة ، وسأل قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني أن لا يعقد القاضي أبو عمرو فوقه ، فقيل هذا ضيف ، وقد وصل بالجهة فلاسبيل إلى ذلك ، وقام أيتكين الحاجب وسلم إلى الوزير كتابين كانا معه : كتاب إلى الخليفة، وكتاب إلى الوزير ، فخرج الجواب يتضمن الشكر للملك عضد الدولة ألب أرسلان ويعتد بخدمته في تسييره السيدة ، فإنه وقع في موقعه ، وتقدم إلى الخطباء بالخطبة على المنابر ، وأقيمت الدعوة يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر ، وكانت الخطبة على المنابر : اللهم وأصلح السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم ، ملك العرب والعجم ، سيد ملوك الأمم ضياء الدين ، غياث المسلمين ، ظهير الإمام ، كهف الأنام ، عضد الدولة ، وتاج الملة أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود ، برهان أمير المؤمنين ، وصحب هذا القاضي كتب إلى الأطراف ، إلى مسلم بن قريش ، ودبيس بن مزيد ، وابن ورام وغيرهم ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وكان ورد قبل السيدة صاحب لرئيس العراقين النهاوندي ، يعرف بمظفر ، بكتب إلى الديوان ، والوزير فخر الدولة ، متضمنة للخدمة ، وأنه قدم مظفر أمامه إلى حين وروده ، فتقدم إليه الوزير بتسليم المعاملات وتمكينه من النظر والتصرف الذي يتعلق به ، وتمادت الأيام بوصول رئيس العراقين ، ثم ورد من أخبر أنه مقيم بهمذان ولا رأي له في العراق .

---

(١) : ليست في معجم البلدان .

وفي هذا الوقت وردت الكتب بأن السلطان ألب أرسلان ، دخل خلف الأكراد اللورية ، وكانوا يقطعون الطرق ، فأوغل خلفهم في الجبال ، فظفر بهم وغنم العسكر أموالهم ، وأقام بمكانه ، وكتب إليه من بغداد بإقامة الخطبة ، فسر سرورا عظيما ، وسجد شكرا لله تعالى ، وبعث العميد أبا الحسن علي بن عيسى ، وأصحبه عشرة آلاف دينار ومائتي ثوب إبريسمية أنواعا ، وحوالة على الناظر ببغداد عشرة آلاف أخرى ، وعشرة أفراس ، وعشر بغلات ، ووصل العميد إلى بغداد ، تاسع جمادي الأولى ، والتقاه عميد الدولة ابن فخر الدولة بن جهير ، ووصل إلى باب النوبي ، ونزل وقبل العتبة ، ثم مضى إلى دار المملكة ، فنزل بها ، وكان معه توقيع لخاتون السفرية من ألب أرسلان ، بماكان من الإقطاعات لزوجة طغرلبك التي صارت إلى السيدة بنت الخليفة ، فامتنع الخليفة من الإفراج عنها ، وقال : في هذا غضاضة وقباحة، ولهذه في أموال ركن الدين الذي خلفها حق ، بحسب هذا القدر منه ، فوقع الإمساك حينئذ عنها ، وطلب القاضي النقش على السكة ، والخلع ، فنقش أسم ألب أرسلان على السكة ، وأما الخلع فتوقف أمرها ، واحتج بأن منها صناعات ، وآلات تحتاج إلى مدة طويلة ، والخزائن خالية ، فان كان المراد التعجيل ، أنفذنا فرجية وعمامة ولواء، وإن أردتم الخلع السلطانية ، فأقم يامحمد بن عبد الرحمن - يعني القاضي - حتى تستوي ، وتكمل وهذا أمر مردود إليك ، ثم استقر الأمر على مايذكر ، إن شاء الله تعالى ، وكان ألب آرسلان قد سأل أن يكاتبه الخليفة بالولد المؤيد ، فنقشوا على السكة ، كما يدعون في الخطبة ، ومن جانب أسم القائم وماجرت به العادة ولقب الخليفة إياز بن ألب أرسلان : الأمير شهاب الدولة ، قطب الملة ، وملك شاه طريده : جلال الدولة جمال الملة .

وبيع بواسط دار بدرهم ودانقين ونصف ، فاستزاد البائع قيراطا ليتم ذلك درهما ونصف ، فلم يفعل ، وسببه استيلاء الخراب عليها ، وقد بيعت دار من نهر طابق ببغداد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة بثلاثة قراريط .

وفي ربيع الأول شاع ببغداد أن قوما من الأكراد ، خرجوا متصيدين ، فرأوا في البرية خيما سودا ، سمعوا منها لطما شديدا ، وعويلا كثيرا ، وقائلا يقول : قد مات سيدوك ملك الجن ، وأي بلد لم يلطم عليه فيه، وتقام المآتم، ثم قلع من أصله، وأهلك أهله ، فخرج النساء العواهر إلى قرب الجبانة ، وباب أبرز يلطمن ويمزقن ثيابهن ، وينشرن شعورهم ويخمشن وجوههن ، وأقمن ثلاثة أيام على ذلك ، وقال القاضي ابن السماك أنه شاهد رجالا قد شوشوا عمائمهم وفتقوا جيوبهم لذلك ، ثم وردت الأخبار بأن واسطا وأعمالها ، وبلاد العراق جميعها وخوزستان وغيرها من البلاد على مثل ذلك ، وتعدى إلى بغداد ، وأصعد إلى الموصل وديار بكر وغيرها من الأوطان .

ذكر انفاذ الخلع الى ألب أرسلان

لما وقع الفراغ من الخلع ، سأل العميد الخليفة ، الجلوس العام ، والمشافهة بتقليد ألب أرسلان ، وتسليم الخلع إلى الرسول ، بمشهد من الخاص والعام ، فجلس يوم الخميس في دار الخلافة ، في البيت المتصل بالتاج المشرف على دجلة ، واستدعى الوزير ، والقاضي ، والعميد ، وسلم إليهم الخلع والعهد ، على ما جرت به العادة ، وشافههم بأنه قد فوض الأمور إلى عضد الدولة ، وجهز معهم الكامل نقيب العباسيين ، وأبا محمد التميمي ، وموفق الخادم الخاص ، وخرجوا بذلك ، وكان في كتاب الخليفة بعد البسملة : من عبد الله أبي جعفر ، الإمام القائم بأمر الله ، أمير المؤمنين إلى الولد المؤيد ، شاهنشاه الأعظم ، ملك العرب والعجم ، سيد ملوك الأمم ، ضياء الدين ، غياث المسلمين ، ملك الإسلام ، ظهير الإمام ، كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، وتاج الملة الباهرة ، ألب أرسلان ، أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل ، سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين ، سلام الله عليك ، فان أمير المؤمنين يحمد إليك الله ، الذي لا اله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، ويسلم تسليما ، أما بعد : أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، ونعمتك ، وأحسن رعايتك وكلاءتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، ولا أخلاه منك ، ثم ذكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وما جرت به العادة ، وأنه وارثه ، وما أشبه ذلك ، ثم قال : وإن أمير المؤمنين ، بما وكله الله إليه من الأمور العامة للبلاد ، وللعباد ، وملكه من زمام الإصداد والإيراد ، وناطه به من حفظ النظام ، وفرضه عليه من السعي في الصلاح الشامل العام ، يرى استنفاذ الوسع في اختيار من يستنيبه في الأراضي ، ويلقي إليه مقاليد البسط والقبض ، ويحبوه بالمرتبة التي طالما امتدت نحوها الآمال ، فخابت ، وطمع في وفاء الأقدار في وعود المنى فخابت ، وإذا لاحت شواهد الكمال فيمن استدعى العز فأجابه ، ورمى الغرض فأصابه ، وعضد ذلك بالإخلاص في الطاعة ، وبلغ أقصى الثناء والحمد مداخلا في نظام الجماعة ، غدا التوفيق زائرا في اختصاصه بالمنزلة التي تعجز الأماني عن ارتقاء هضابها ، ويقصر الباع عن الامتداد إلى التشبث بأهدابها ، فأهلته لما يجتني به ثمرة سوابقه ولواحقه ، ويتجلى به العز في أنضر رياضه وحدائقه ، إيداعا للصنائع عند الأكفاء ، وإبداء للمواضع بأعباء الأخلاص ، الناهضين بالاستكفاء ، ولما احتويت على هذه الخلال ، وأوفيت ، وحميت منهل الطاعة من القذى ، وأصفيت ، وأعذبت في الهدى ، وأبديت وأيدت وحزت قصب السبق وانتهيت ، فوض إليك أمير المؤمنين

ذكر انفاذ الخلع الى ألب أرسلان

لما وقع الفراغ من الخلع ، سأل العميد الخليفة ، الجلوس العام ، والمشافهة بتقليد ألب أرسلان ، وتسليم الخلع إلى الرسول ، بمشهد من الخاص والعام ، فجلس يوم الخميس في دار الخلافة ، في البيت المتصل بالتاج المشرف على دجلة ، واستدعى الوزير ، والقاضي ، والعميد ، وسلم إليهم الخلع والعهد ، على ماجرت به العادة ، وشافههم بأنه قد فوض الأمور إلى عضد الدولة ، وجهز معهم الكامل نقيب العباسيين ، وأبا محمد التميمي ، وموفق الخادم الخاص ، وخرجوا بذلك ، وكان في كتاب الخليفة بعد البسملة : من عبد الله أبي جعفر ، الإمام القائم بأمر الله ، أمير المؤمنين إلى الولد المؤيد ، شاهنشاه الأعظم ، ملك العرب والعجم ، سيد ملوك الأمم ، ضياء الدين ، غياث المسلمين ، ملك الإسلام ، ظهير الإمام ، كهف الأنام ، عضد الدولة القاهرة ، وتاج الملة الباهرة ، ألب أرسلان ، أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل ، سلطان ديار المسلمين ، برهان أمير المؤمنين ، سلام الله عليك ، فان أمير المؤمنين يحمد إليك الله ، الذي لا اله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، ويسلم تسليما ، أما بعد : أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، ونعمتك ، وأحسن رعايتك وكلاءتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، ولاأخلاه منك ، ثم ذكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وماجرت به العادة ، وأنه وارثه ، وما أشبه ذلك ، ثم قال : وإن أمير المؤمنين ، بما وكله الله إليه من الأمور العامة للبلاد ، وللعباد ، وملكه من زمام الإصداد والإيراد ، وناطه به من حفظ النظام ، وفرضه عليه من السعي في الصلاح الشامل العام ، يرى استنفاذ الوسع في اختيار من يستنيبه في الأراضي ، ويلقي إليه مقاليد البسط والقبض ، ويحبوه بالمرتبة التي طالما امتدت نحوها الآمال ، فخابت ، وطمع في وفاء الأقدار في وعود المنى فخابت ، وإذا لاحت شواهد الكمال فيمن استدعى العز فأجابه ، ورمى الغرض فأصابه ، وعضد ذلك بالإخلاص في الطاعة ، وبلغ أقصى الثناء والحمد مداخلا في نظام الجماعة ، غدا التوفيق زائرا فى اختصاصه بالمنزلة التى تعجز الأماني عن ارتقاء هضابها ، ويقصر الباع عن الامتداد إلى التشبث بأهدابها ، فأهلته لما يجتنى به ثمرة سوابقه ولواحقه ، ويتجلى به العز في أنضر رياضه وحدائقه ، إيداعا للصنائع عند الأكفاء ، وإبداء للمواضع بأعباء الأخلاص ، الناهضين بالاستكفاء ، ولما احتويت على هذه الخلال ، وأوفيت ، وحميت منهل الطاعة من القذى ، وأصفيت ، وأعذبت في الهدى ، وأبديت وأيدت وحزت قصب السبق وانتهيت ، فوض إليك أمير المؤمنين

وفي شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد الزاهد ببغداد ، على أبي علي بن الوليد المعتزلي وسبوه ، وقالوا : هذا يقول : القرآن مخلوق ، ويعتقد اعتقاد الفلاسفة ، وأن الإنسان قادر على أفعاله ، وأن الله يخلد في النار على الذنوب اليسيرة ، ولا يرى يوم القيامة ، ولا يصلي في الجامع ، ويدرس مذهب المعتزلة ، فاعتقلهم النهاوندي ، وقال : تقدمون على الفتن ، وأجاب ابن الوليد عن ماقالوه عنه ، وأنهى حاله إلى الخليفة ، فخرج الجواب بالإمساك عنه ، وجلس في بيته ، وأغلق بابه .

ووردت أخبار الرسل ، أنهم نزلوا تبريز ، وأن نظام الملك انتقل إلى نخجوان (١) ، وهي آخر ثغور الإسلام ، وأن أخبار السلطان مستعجمة ، وأنه منذ دخل بلاد الأرمن ، قد مضى له شهران ، ولم يوقف له على خبر .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك ، واتصلت الحرب بين الفريقين ، ووصل ناصر الدولة ابن حمدان إلى الاسكندرية ، والتقى بالعبيد يوم الخميس ثالث ربيع الأول ، في موضع يعرف بالكوم (٢) ، فقتل من العبيد ألف رجل ، وهزم الباقين ، وترددت الرسل في إصلاح ذات البين ، فتم .

وفي رمضان ورد كتاب نظام الملك (وفيه) أن السلطان أوغل في بلاد الخزر ، وبلغ فيها مواضع لم تجر العادة ببلوغها ، وفتح بلدا عظيما ، وقتل فيه نحو ثلاثين ألفا وسبى مايوفي على خمسين ألف مملوك ، وغنم غنائم لا تحصى ، وقد عاد منصورا ، ونزل على أنار (٣) وهي أول أعمال الروم محاصرا لها ، ولن يتأخر فتحها إن شاء الله تعالى ، وأنه وصل إليه مابدا من أبي أحمد النهاوندي فيما يتعلق بالخليفة ، فأنكره ورسم له بالتذلل وأن لا يخرج عن مراسم الخليفة ، ويكون طوع أمير المؤمنين ، ولا يجرى على العوائد السالفة ، ثم بعد أيام وصل كتاب السلطان بالفتح ، فجلس الوزير في بيت النوبة ، وقرئ وخرج من الخليفة مادل على السرور ، ولم يحضر رئيس العراقين ، ثم حضر من بعد ببيت النوبة ، وخرج الوزير إليه ، فقام وخدم (٤) وزاد

---

(١) : بلد بأقصى أذربيجان . معجم البلدان .

(٢) : إسم لمواضع بمصر يضاف إلى أربابها أو إلى شيء عرفت به . ومما يؤسف له أنه لم يحدد أي كوم حدث اللقاء به انظر مادة كوم في معجم البلدان .

(٣) : في الأصل ((إلى))وهو تصحيف قوم من معجم البلدان ، وأنار بليدة كثيرة المياه والبساتين من نواحي أذربيجان فيها وبين أردبيل سبعة فراسخ معجم البلدان .

(٤) : في ب ((وخدمه)) .

في التودد لماورد من الإنكار عليه ، وأنهي خبره ، فخرج مايدل على تطييب قلبه ، فقام وقبل الأرض ، ثم واصل الخدمة ، ورفع يده عما كان اعترضه ٠

وفي كتاب الكامل نقيب النقباء ، أبي الفوارس ، وكان قد شهد هذا الفتح ، قال : شاهدت من هذا البلد المذكور منظرا هائلا ، وإنه لايخطر بالبال فتحه ، ولا يذكر أن أحدا من الملوك قصده ، فإن ثلاثة أرباعه على نهر الأرس الكبير ، وبحه الآخر على خندق ، قد استخرج من الأرس ، والماء ينزل إليه من علو بعيد ، بدوي شديد ، وله جرية قوية ، بحيث لو طرحت فيه الحجارة العظيمة لدحاها وقطعها ، والطريق إلى بابه على قنطرة بإزائه ، وأسواره من الحجر الأصم الشديد ومرامه بعيد ، وقيل : إنه يشتمل على سبعمائة ألف دار ، وألف بيعة ، ودير ، وليس عليه مجال ، ولا موضع قتال ، ولا فيه مطمع ، حتى جاء من الله ماليس له مدفع ، مما خالف المعهود ، ودل على فعل المعبود ، استحر القتل وكثر ، ومل العسكر وضجر ، فأحجموا عن القتال ، لأن الظفر لم يخطر لهم ببال ، ولم تمض إلا ساعة حتى انسلخ من السور قطعة ، من غير موجب أوجبه ، ولا فعل به أوهنه ، فدخل العسكر البلد ، فقتلوا أهله ونهبوه ، وأحرقوه وأخربوه وأسروا من سلم من السيف ، وتملكوه ، وانسدت الطرقات بالقتلى ، حتى لم يكن مسلك إلا عليهم ولم يقل عدد الأسارى عن خمسمائة ألف إنسان وأحببت أن أدخل البلد وأشاهده ، فاجتهدت أن تكون لي طريق على غير القتلى ، فلم يكن ، وحدثت أنه وجد في بعض البيع إجانة بلور ، تسع راويه من الماء ، فكسروها واقتسمها العسكر ، ووزنت قطعة منها ، فكانت ثماني عشر رطلا ٠

وفي رمضان لما هرب بدر الجمالي ، أمير الجيوش ، من دمشق ، ولي المستنصر حيدرة بن منزو ثم صرفه عنها بدري المستنصري ، ثم صرف عنها ، فعاد إلى الرملة (١)٠

وفيها جرت مراسلة بين قاورت بك ، وأخيه ألب أرسلان ، وذلك أنه لما ملك ألب أرسلان الري ، وبلاد عمه ، واستولى على الخزائن ، والأموال ، وكان قاورت بك على أصفهان ، رجع إلى كرمان ، وخطب لألب أرسلان ، ولنفسه من بعده ، بشيراز ، وكاتبه ولاطفه ، وقال : قد خلف عمنا هذه الأموال الكثيرة ، ولي فيها حصة معلومة ، ويدي خالية من المال ، وقاصرة عما أحتاج إليه ، ومن معي من الرجال ، فان أنصفتني فيما يقتضيه دينك ومروءتك ، فهو المعهود منك ، وإن لم تفعل شكرتك ووكلتك إلى

---

(١) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ص١٥٥٠

الله تعالى ، ورضيت بجميل الرأي منك ، وقد كان بينهما منافسة الأخوة ، فندب ألب أرسلان أختهما كوهر خاتون ، زوجة الأمير اريسغي ، وكان يحبها حبا شديدا ، فأراد إرسالها إليه في أمر لايظهر خبره ، فقيل له : قد مضى إلى كرمان ولما خلت فارس لبعد قاورت بك عنها ، كتب فضلويه إلى ألب أرسلان بالإنتماء إليه ، وخطب له ، وطلب منه النجدة ، وكان فضلويه مقيما بنسا (١) ، وكتب إلى هزارسب ، وهو بالأهواز يطلب منه النجدة ليستعين بها على أخذ شيراز، فأنفذ إليه النجدة من الديلم والأتراك ، فنهب أعمال شيراز فأعلم قاورت بك ببعد أخيه إلى بلاد الروم ، ومسير فضلويه إلى شيراز ، فسار نحوها ، وواقعه على بابها ، فانهزم فضلويه ، بعد أن قتل معظم أصحابه ، وعاد مفلولا ، ودخل قاورت بك إلى شيراز منصورا .

ووردت الكتب من أنار بعقد بغداد على أبي سعيد القايني مدة ثلاث سنين ، بخمسمائة ألف دينار ، وعزل رئيس العراقين عنها ، فراسل الخليفة بالتنصل مما فعله في الإقطاعات ، ومع الوزير والحاشية ، فخرج الجواب : لم تزل نعمة الله عندنا في كل من مرق عن الطاعة ، واطرح رسومها ، أن ردة الله إليها خاضعا عائذا ، وسائلا العفو لائذا ، فليسكن روعه ، وليطب قلبه ، فما تترك غاية فيما يعود عليه بصلاح شأنه ، ورضا سلطانه ، وأمر رئيس العراقين برد ضياع الوزير وإقطاعه ، وإقطاع الحاشية ، وما أخذ منها ، فرد الجميع .

وفي رابع ذي القعدة ، ورد تابوت موفق الخادم ، فخرج الخليفة ، فصلى عليه ، وحزن عليه ، وحمل إلى الرصافة ، وعمل له العزاء ثلاثة أيام ، وأعطى الأمير عدة الدين ماخلفه .

وفي ذي القعدة ورد الكامل أبو الفوارس ، والتميمي ، وأبو سعيد القايني من عند السلطان ، فتقدم الخليفة بالدخول إلى منازلهم ليلا ، استيحاشا لموفق الخادم ، وغما عليه ، وكان تألم لأجله ، لأنه كان دينا عفيفا ، ناصحا صالحا ، وأما أبو سعيد ، فرؤي أن لا يوحش ، فخرج الحجاب والخدم للقائه ، فلما وصل إلى باب النوبي نزل ، وقبل العتبة .

---

(١) : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان . معجم البلدان .

وفي سلخ ذي القعدة خلع الخليفة على الشريف أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبد الله العلوي في بيت النوبة ، العمامة والدراعة المذهبتين ، ورد إليه نقابة الطالبيين ، ورعاية الحاج ، والمظالم ، وقرئ عهده ، ولقب بالطاهر ذي المناقب.

وفي هذا الوقت عاد السلطان من بلاد أرمينية ، فلم يلقه أهلها على الوجه ، وغلقوا دكاكينهم ، ولم يبايعوا الجند ، فضاق عليهم الشيء ، وشكوا إلى السلطان، وكانوا قد استطالوا ، وقتلوا عميدها ابن الجليل (١) على ماتقدم ذكره ، فأمر السلطان العسكر بالنزول في مساكنهم وإكراههم ، فدخلوا البلد وتسلموه واستباحوه ، ونقضوا أخشابه ، وقتلوا جماعة من الأشرار ، وانهزم الباقون ، وبعث السلطان من همذان برسق الخادم الى هزارسب ، بحمل ماعليه من الضمان ، واستصحاب صدقة بن منصور المعتقل عنده ، فإن فعل وإلا قصده السلطان ، وكان مقلد أخو صدقة ، ولده ليث بن صدقة ، قد خرجا مع الخلع إلى ألب أرسلان ، وسألا شفاعته في صدقة ، فوعدهما بذلك ، فلما رجع الرسل إلى بغداد لم يرجعا ، وأقاما على باب السلطان، وسار الحاجب إلى هزارسب وهو بخوزستان ، فأجابه بالسمع والطاعة ، وأن يطلق صدقة ، وكان السلطان قد أخذ قم وقاشان (٢) من الأمير أبي علي بن الملك أبي كاليجار بن بويه ، وأقطعه في البصرة إقطاعات جملتها بخمسين ألف دينار ، وبعث به إلى البصرة ، وكانت البصرة في يد هزارسب ، فلما بلغته الرسالة في ذلك ، لم يفرج عن البصرة ، وقال : مافعلت مايوجب كسر جاهي ، ولم يبق أحد من الأطراف إلا وقد أجرى على مافي يده ، فلم أحرم من دونهم ، وأشار بأن الأمير أبا علي لا يمكنه المقام بالبصرة ، فإنها بلد أبيه وبلده من بعده ، وأهلها له محبون ، وربما تم منه مايصعب تلافيه.

وورد على السلطان بباب همذان أبو العباس فضلويه بن علويه الشوانكاري لما اتصل عليه من قاورت بك من الغارات والهزائم ، وقتل أصحابه ، وأخذ البلاد منه ، فخلع السلطان عليه الخلع السنية ، وأكرمه ، وقرر معه أنه يأخذ بلاد فارس ويثبت فضلويه فيها ، وقيل إنما ورد على السلطان في أول سنة سبع وخمسين.

---

(١) : في الأصل : عميد ابن طغرلبك " وهو تصحيف قوم على ماسبق سياقه من أخبار في ص ((١٢٣)).

(٢) : مدينة فيما وراء النهر في حدود بلاد الترك ((معجم البلدان))

وفيها قصد مسلم بن قريش همذان ، ودخل على نظام الملك ، وتعلق بذيله ، فأصلح حاله مع السلطان ؛ وأعطاه الأنبار وأماكن ، ورجع إلى بغداد فالتقاه الوزير ، وقبل عتبة باب النوبي ، وخلع عليه الخليفة ، ورضي عنه ، وسار إلى بلده .

وفيها توفي الحسن بن عبدالله بن أحمد ، أبو الفتح الحلبي ، الشاعر ابن أبي حصينة ، كان فاضلا شجاعا فصيحا ، يخاطب بالأمير ومن شعره :

أتجزع كلما خفت القطين ... وشطت بالخليط نوى شطون
وهم صرموا حبالك يوم سلع ... وخانك منهم الثقة الأمين
تسل عن الحسان وكيف تسلو ... وبين ضلوعك الداء الدفين
وفي الأظعان من جشم بن بكر ... ظباء حشو أعينها فتون
عليهن الهوادج مطبقات ... كما انطبقت على الحدق الجفون
جلبنا لنا برامة كل حين ... ألا إن الحوائن قد تحين
عشية مسن غير مصنعات ... كما ماست من الأيك الغصون
ضنينات عليك وكيف يرجى ... زوال يد وصاحبها ضنين
جننا بالحسان البيض دهرا ... وإن هوى الحسان هو الجنون
كأن أمامة حلفت يمينا لنا ... أن لا يصح لها يمين
أغي بعد ما ذهب التصابي ... وشابت بعد حلكتها القرون
وعندك لابن وثاب جميل ... فإن تشكر فمحقوق قمين
فتى أولاك مكرمة وفضلا ... وعز به حماك فلا يهون
أبا الصمصام صنت علي جاهي ... ومثلك من يذب ومن يصون
ولولا أنت لا تسعت خروقي ... على مافي يدي وجرت شجون
ولكن أنت لي وزر منيع ... وحصن أستجير به (١) حصين

وقال :

ريم برامة لا يصيد بضعفه ... إلا الرجال الصيد عند صدوده
أهوى الدجى من أجل أن هلاله ... كسواره ونجومه كعقوده (٢)

وقال :

شرطت عليهن الوفا فمذ بدا ... بياض عذاري للعذارى مضى الشرط

---

(١) : وردت في الأصلين وقد ألم بها تصحيف شديد وتم التقويم من ديوانه ١ : ٣٦٢ــ٣٦٤ حيث أثبت نص القصيدة كاملة .

(٢) : ديوانه : ١ : ٤٣

فلايبعد الله المشيب فإنـــه مطيه حكم في الخطيئة لايخطـــو (١)

وكانت وفاته بحلـــب •

عبد الواحــد بن علـي بن برهــان

أبو القاسم النحوي ، كان فاضلا عالما بعلوم شتى ، منها علم العربية، والنحو ، ولولا شراسة أخلاقه لكانت له آثار باقية ، وكتب مروية ، ولم يلبس سراويلا قـــــط ، وكان لايغطي رأسه ولم يقبل لأحد عطاء ، وهو القائل : من قال "إن" للتبعيض، فقد جاء أهل اللغة بما لا يعرفونه ، وتوفي ببغداد في جمادي الأولى ، وقد أنـاف على الثمانين ، وقد طعن فيه ابن عقيل ، وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني (٢): إنه كان يميل إلى المرد ، ويقبلهم من غير ريبة •

السنة السابعة والخمسون والأربعمائـــة

وفيها في المحرم حضر من عند ألب أرسلان من أخبر عنه أنه سار من همذان إلى أصفهان في رابع عشر ذي الحجة ، فكانت مدة إقامته بها أربعين يوما ، وأن فضلويه وصل إليه في همذان ، فأكرمه وخلع عليه الخلع الجليلة ، وعلى كل من ورد في صحبته ، وأعطاه الخيم والخركاوات والخيل بمراكب الذهب ، والصياغات وشيئا كثيرا ، وأمـــــر أن تضرب الطبول على بابه في أوقات الصلاة ، ورتب جماعة من العسكر للمسير معـــه إلى شيراز ، وصرف من بها من أصحاب أخيه قاورت بك ، إلى أن يلحق بهم السلطان •

وفي خامسة سار هزارسب مع برسق الحاجب مظهرا قصد ألب أرســــلان، وقد بلغه مسيره إلى شيراز ، واستصحب معه حملا •

وفي المحرم وصل ألب أرسلان إلى شيراز ، وكان أخوه قاورت بك بها ، فعلم فأنفذ ثقله وحرمه وأمواله نحو كرمان ، وتحصن بقلعة على جانب البحر، يقال لها البيره، فثار بعض عسكره ، واستأمنوا إلى ألب أرسلان ، فأحسن إليهم ، وبعث إلى طريـق

---

(١) : من ديوانه ١ : ١٠

(٢) : محمد بن عبد الملك الهمذاني (٤٦٣—٥٢١/١٠٧١—١١٢٧) من كبـــار المؤرخين أشهر كتبه ((عنوان السير)) وصلتنا نقول منه تدل على أن صاحبه كان مؤرخا القرن السادس، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي •

كرمان لأجل رحيل قاورت بك ، فأخذه وكان على خمسة آلاف جمل وبغل ، وحمل إلى ألب أرسلان فسر به سرورا عظيما ، وبعث خلف نظام الملك ، وكان بأصفهان ، فخرج منها مستهل صفر ، ومعه مسلم بن قريش في الخدمة .

وورد كتاب من همذان فيه أن ألب أرسلان سقط من الفرس بين أصفهان وشيراز ، فوقع في نفسه أن ذلك مقابلة فعله بأهل همذان ، فكتب إلى أبي محمد الدهستاني الناظر فيها ، برفع الضرائب والمكوس ، وأن يحسن إلى أهل البلد ويرد ما أخذه منهم ، فأخفى الكتاب ، وقال : إذا بطلت المكوس ورددت ما أخذت ، فأي ارتفاع يبقى في يدي أحمله إلى الخزانة ، وأصرفه في مصالح السلطان ، فطرقته الخوانيق في حلقه ، فمات ، ووجد الكتاب في تركته ، فقال أهل همذان : إن هذا الذي لحقه عقوبة له على سوء نيته فينا .

وورد الخبر أن عطية بن الزوقلية صاحب حلب استدعى ابن خان التركماني ومن معه من الغز ، وكانوا نحو خمسمائة غلام ، وقرر لهم كل شهر أحد عشر ألف دينار ، وأنزلهم بالحاضر ظاهر حلب ، وكانوا في الثغور مترددين ، وبما يأخذونه من الروم عن كف الأذية عن أعمالهم متقويين ، وفعل عطية ذلك لما تواتر من قصد محمود ابن أخيه ، ومظافرة بني كلاب له ، ثم ثار أحداث حلب عليهم ، وقتلوا منهم في البلد جماعة بأمر عطية ، لأنه خاف منهم ، ومضى ابن خان ومن سلم معه إلى محمود بن شبل الدولة خصم عطية .

وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الوزير ابن جهير ، فكان منه : لقد كثر تعجبنا أطال الله بقاء الوزير الخطير والبترخس (١) الأثير ، وكيف رأى استعمال الصمته وإهمال المكاتبة طول هذا الزمان ، وماتحرك لتجديد العهد بنا بالمناجاة والمخاطبة ، مع ماهو معجل به من الأدب الزائد ، والعقل الراجح الفائض ، والحجاء المستوسق الطائل ، لكنا وإن كان الوزير أدام الله كفايته ، لما قد احتفته من المهمات ونيط به من التدبرات (٢) ، لم يتمكن من ماذكرناه ، فنحن لم نتمكن من الصبر هذه المدة عن مكاتبته ، بل أصدرنا هذا الكتاب مستعملين خبره وجرى الأمور بساحته ، وذكر كلاما بمعناه ، وبعث الوزير بالكتاب ، وكتاب آخر إلى ألب أرسلان بشأن الهدية وتقريرها ، والجواب عنها .

---

(١) : أي ((النبيل))
(٢) : في ب ((تدبيرات)) .

وفي يوم الخميس لسبع بقين من رجب و حدث أبو يعلى بن الفراء (١)، في جامع المنصور بأحاديث لا أصل لها، وكان هناك قوم من المعتزلة، فأنكروا ذلك، واستبوا وخرجوا إلى الضرب بالآجر، واجتمع من الغد الحنابلة إلى دار الخليفة، وشكوا المعتزلة، فخرج جواب الخليفة بالإنكار لمذهب المعتزلة.

وفي رمضان قدمت قافلة الحاج من خراسان، وكان نظام الملك أحب أن ينفتح طريق مكة، وشاور العميد أبا سعيد لما ولاه بغداد، وفسح له في إطلاق مايحتاج إليه الخفراء، بالغا مابلغ، واجتمع العميد في بيت النوبة مع الوزير دفعات بهذا السبب، واستقر أن يسير بالحاج ابن حمزة الهاشمي، وورد مع الحاج العلوي المرتضى، وكان نقيب العلويين بالري في أيام طغرلبك، وتبعه خلق كثير وتلاه علوي آخر مما وراء النهر، ومعه عدد وافر، وأحضر ابن حمزة الهاشمي نيفا وستيم خفيرا من القبائل، فخلع عليهم العميد ثياب القطن المصبغات، فكانوا لها كارهين، وحضر جماعة من بني خفاجة، وأكروا الجمل بأربعين دينارا إلى مكة ذاهبا وراجعا، وعلم المرتضى بأن الخفراء غير راضين، فأحضر جماعة من العرب وقرر الخفارة معهم، وأن يسير وحده، وعلم العميد فخاف على الحاج، فحصل خمسة آلاف دينار، وأنفقها فيهم، واستحلفهم على حفظ الحاج، فحلفوا يمينا ظهر معها سوء نياتهم، فشهد عليهم الشهود، فكتب الطاهر أبو الغنائم الغنائم نقيب الطالبيين إلى الخليفة، بأمر أمر الحج مردود إلي، ومتى تولاه غيري، كان عزلا لي، وأمراء مكة علويون، ومتى خرج ابن حمزة لم يمكنوه من رعاية الحاج، فقال الخليفة: الأمر إليك في هذا، فندب أخاه أبا الحسين، وخرج الناس وخرج الكامل نقيب العباسيين، والسهيلية القهرمانة في دار الخليفة، وساروا فغدر الخفراء بهم وأخذوا المال والجمال، والزاد، واتفقوا على نهبهم، وكانوا قد ساروا عن الكوفة أربع مراحل، فعادوا إلى بغداد ثاني ذي القعدة، وبطل الحاج.

وفي يوم الخميس منتصف ذي الحجة، عاد المرتضى العلوي، والحاج الذين كانوا معه، من فيد، فإن الخفراء غدروا بهم، وجبوا منهم ضعف ماكان العميد أعطاهم واختلفت آراؤهم، فرجعوا، وعاد العلويون إلى بلدهم.

---

(١): محمد بن الحسين بن محمد الفراء من أصل بغداد عالم عصره في الأصول والفروع والفقه وشيخ الحنابلة في أيامه. الأعلام للزركلي.

وفيها بعث الخليفة خادمين وحاجبا إلى أصفهان ليقبروا زوجته أرسلان خاتون •

وفي شوال عاد بدر بن مهلهل من نيسابور ، وكان ألب أرسلان قد استدعاه ، ليحضر عرس ولده ملك شاه ، على ابنة ملك الترك طبغاج ، وملكه من وراء النهر ، وتزوج السلطان بهنت قدرخان ، التي كانت زوجة مسعود بن محمود ابن سبكتيكين بمرو ، وأنفذها إلى بلخ ، وكان قد تزوج عند دخوله الري زوجة طغرلبك واسمها عكة •

وفيها نزل عطية من قلعة حلب ، وسلمها إلى محمود ابن أخيه من زيادة الغلاء والحصار ، وأن ابن خان والغز تولوا الخرب ، فلم يثبت عطية ، وأهل حلب لهم ، وشرط أهل حلب على محمود أن لا يمكن الغز من الدخول إليهم ، فأجابهم ، وأعطاهم المعرة ، فنزلها ابن خان والغز ، ونزل عطية على بني كلاب ، وقيل إن ابن خان سار بعسكره إلى العراق ، إشفاقا من أحداث حلب •

ووقع بين الكلبيين ، وبين قائد دمشق الأرمني خلاف ، وأخرج معه عسكرا لدفعهم ، فاستظهر الكلبيون (وأخذوه) وقتلوا جماعة من عسكره ، وأسروا سبعة عشر أميرا وقائدا باعوهم بعد أن نكلوا بهم وعذبوهم ، وكان فيهم ابن الدولة بن منزو)(١) وقرر عليه البدوي الذي أسره عشرة آلاف دينار ، أخذ خطه بها ، فاستشار زوجته فقالت : إن أطلقته أعطاك أضعاف ماتقرر ، وفعلت الجميل وراءه ، وأن أخذت المال شاطرتك العشيرة ، ولم تظفر بطائل ، فأطلقه وأعاد الخط إليه ، وحمله إلى منزله بدمشق ، فخلع عليه ، وأكرمه وأعطاه ألفي دينار ، وقال : هذه لك على كل سنة ، فأخذها وانصرف ، وزاد تبسط الكلبيين في السواد ، وأخذوا الغلات ونهبوا ، فخرب الشام •

ودخل حصن الدولة ابن منزو ، قائد الرملة إلى طرابلس ، وملكها ، وقبض على بني أبي الفتح المتغلبين عليها ، ولما خرج إليها ، قصد إليه ابن عمار قاضيها ، وكان في جند السلطان فأشار إلى بني أبي الفتح أن يخرج أحدهم معه للقاء ابن منزو ، ففعلوا ، فأولى ابن منزو ابن أبي الفتح الجميل ليخدع بذلك أخوته ،

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من ب •

فبان له ذلك ، وأن القاضي خدعه حتى حصله عنده ، وكتب إلى أخوته بذلك، وراسل ابن منزو بني أبي الفتح بما تطيب به نفوسهم ، وسامهم الخروج إليه ، فامتنعوا، وجدوا في الحرب ، وكان ابن عمار قد أصلح جماعة من أحداث البلد ومقاتلته ، فاستأمن منهم ثمانية وعشرين نفساً، فضعف أمر بني أبي الفتح ، واختلف أهل البلد ، ففتحوا الأبواب ، ونادوا بشعار المستنصر ، فقيد ابن منزو بني أبي الفتح ، وبعث بهم إلى صور ، وعاملهم بالمكروه ، وطلب المال الكثير ، وقسط على أهل البلد مائة ألف دينار جزاء عن طاعتهم لبني أبي الفتح ، وكونهم خلعوا صاحب مصر، ومنع الذين استأمنوا إليه من سكنى البلد ، وأمرهم بالإنفساح في الشام ، فطلبوا منه العطايا والخلع ، فوعدهم بالجميل ، وقبض عليهم ليلا ، وصلبهم ، هم والذين كانوا يعاونون بني أبي الفتح ، فاستقام أمر طرابلس .

وفي هذا الوقت ورد الخبر أن المستنصر صاحب مصر ، ضرب ابن أبي كدية ، أحد الوزراء المصريين ، والقضاة المستورين ، وعاقبه وزهقه في المعصار حتى كاد يموت فمنعته والدته عنه ، وأخذته منه ، وقالت : ماتريد من هذا الرجل ؟ قال : المال ، قالت : ماهذا طريقه ، وربما هلك في تضاعيف ذلك ، وأنا أقرر لك عليه ماتريده منه ، فغضب وخرج من القصر ماشيا إلى الجامع الأنور ، وهو أول جامع بني بالقاهرة، وعرف وجوه الدولة ، فانزعجوا وجاءوا إليه ، وقالوا : ماهذا الفعل الشنيع ؟ فقال : أنا مغلوب على أمري ، ومدفوع عن أغراضي ، وقد تركت الأمر لمن غلبني عليه ، وعزمت على المقام بهذا المكان ، والإنقطاع فيه إلى الله تعالى ، فقالوا : يامولانا الله الله فينا وفيك ، ومتى لم ترجع الساعة إلى القصر نهب ، ونهب البلد جميعه ، وتفاقم الأمر تفاقما (١) لم يمكن استدراكه ، ورفقوا به حتى عاد إلى القصر .

وفي يوم الأربعاء حادي عشر ذي الحجة، اقترن زحل والمريخ في برج السنبلة حادي عشر ذي الحجة ، فحكم المنجمون بأن يكون يوم العيد فتنة عظيمة ، فغلب ذلك على العقول حتى صار كالحق الذي لا شبهة فيه ، وتأخر خلق عن صلاة العيد ، وأن الفتنة تكون في يوم العيد وحده في دار الخلافة ، فخرج الخليفة ليلا من داره إلى الحريم الطاهري على وجه (٢) ، وامتنع العميد من التصرف ، ولم يجر غير الخير ، وعاد الخليفة إلى داره في الليل .

---

(١) : في ب ((لا))
(٢) : في ب ((على وجل))

وفي ذي الحجة بدئ بعمل المدرسة النظامية ، ونقض لبنائها مافي الدور التي كانت للناس بمشرعة الزوايا ، والفرضة ، وباب الشعير ، ودرب الزعفراني .

وتوفي أبومنصور بن بكران حاجب الخليفة ، وتولى الحجابة مكانه أبو عبد الله المردوشني وفيها توفي .

سعيد بن أحمد بن محمد بن أبيكان

الصوفي ، مات بغزنة ، واتفقوا على فضله وصدقه .

محمد بن منصور أبو نصر عميد الملك الكندري

وزير السلطان طغرلبك ، وكندر (١) قرية من طرثيث ، كان فاضلا مدبرا حازما ، وكان طغرلبك قد بعثه ليخطب له امرأة ، فتزوجها هو ، فخصاه ، ثم أقره على خدمته ، فاستولى عليه ، وكان يشعرو من شعره :

الموت مر ولكنني إذا ظمئت	نفسي إلى العز مستحلي لمشربه
رياسة باض في رأسي وساوسها	تدور فيه وأخشى أن تدور به

وقال عند قتله :

إن كان بالناس ضيق عن مزاحمتي	فالموت قد وسع الدنيا على الناس
قضيت والشامت المغرور يتبعني	إن المنية كأس كلنا حامي

ذكر مقتله

قد ذكرنا أنه لما مات السلطان ، خطب لابن أخيه سليمان ، وفرق الأموال في العساكر ، وكتب إلى ألب أرسلان كتابا أرعد فيه وأبرق ، بناء على أن ألب أرسلان يقنع بخراسان ، فلم يقنع وسار من نيسابور يريد الري ، ولما رأى عميد الملك الغلبة ، خطب لألب أرسلان ، وجاء إلى الري ، وملكها ، ولم يظهر لعميد الملك مافي قلبه وكان ملازما لخدمته .

---

(١) : ذكرها ياقوت في معجمه وقال قرية من نواحي نيسابور من أعمال طريثيث .

وقال محمد بن هلال الصابي : حدثني بعض أصحاب عميد الملك يخبره منذ يوم قبض عليه ، إلى حين قتل ، وكان في خدمته ، قال : لما كان يوم السبت السابع عشر من المحرم ، أمر ألب ارسلان بإخراجه من حضرته ، وخلع على وزيره نظام الملك من ساعته ، وجاء عميد الملك إلى داره ، فسأله أبو البدر كاتبه عن حاله ، فقال : كنت جالسا عنده على عادتي في مجلس الشرب ، فخاطبه حاجب في تركماني ، ممن أسر من أصحاب قتلمش ، فقال : ومن ذاك الكلب حتى تخاطبني فيه ، امض ياغلام فأتني برأسه ، فقمت وقبلت الأرض ، وقلت : مايحسن في مقابلة الحاجب ، ذهاب نفس من خاطب لأجله ، فاغتاظ وقال : أنت قد تعودت أن يكون الملك من قبلك ، والأمر والنهي لك ، وماعندي شيء من ذلك ، فارجع عما عهدته ، وعدل عما ألفته ، وتصور أنني قصدت إيحاش الحاجب منه ، وكان قبل ذلك قد خلع على سرخاب قلنسوة ذهب ، وقباء نسيجا كانا للسلطان فقلت : أ أنت أمرك من أمر الباري سبحانه لايسأل عما يفعل ، وإلا فمن سرخاب حتى تعطيه قلنسوة السلطان وقباءه ، فازداد غيظا ، ودخل سرخاب ، وجلس وركبته على ركبتي ، فضايقني ، وقد كان من قبل يقف بين يدي ، ويقبل الأرض ، فعز علي مافعل بي ، ثم التفت السلطان إلي ، وقال : ضيعت المال علي وفرقته ، فقلت : ياسلطان لا تقل هذا ، فلولا مافعلته من بذل المال ، وإعطاء الغلمان ماحصل لك مال ، ولا قلعة ، ولا الري ، ثم إنني قد أخلفت من حاشية السلطان عوضه ، فقال : كذبت ، وما قصدت هذا ، وأنت بمنزلة البازي الذى يصيد ، وعنده أن الصيد له ، فيجيء صاحبه فيأخذه منه ، وأنت ضيعت المال طمعا في الملك أن يصبح لك ، ويجتمع الغلمان عليك ، وكيف تصورت ، وأنت تدعي الحكمة ، وفصل الخطاب وقراءة الكتب ، ودراسة الأداب ، أن يموت عمي ، وأنا بنيسابور في مائة ألف فارس ، وأخي قاورت بك بفارس ، في عساكره ، وقتلمش بإزائك في خمسين ألفا ، ويمكنك الخلاص منا ، والاستبداد بالملك دوننا ، ولكن هذا هو الجهل الصراح ، ثم غضب ، وكان ينتظر السلاح ليقتلني ، وأما أجيبه بما استوفيه ، فأمر بإخراجي وإبعادى عنه ، وأراد الفتك بي ، ثم قام فدخل حجرته ورد الأمور إلى نظام الملك ، وتأخرت إلى بعض الأماكن في الدار ، فخرج ، وقال : أين أبو نصر ؟ فقمت ، وقبلت الأرض بين يديه ، وتذللت ، وتضرعت إليه ، فقال : مالك قد جزعت ، أردت أن تكون ملكا بهذا القلب ؟ فقلت : فكيف لا أجزع من سلطان مثلك ، ولئن فزعت منك أن تعاقبني ، فكذا أرجو أن تعفو عني ، وتسامحني ، فقال : امض إلى دارك ، واعلم أنني لم أخرج إليك بما في قلبي ، وعندي ماتخافه ، فقبلت الأرض

وخرجت إلى داري، فقيل لي: باكر خدمته ولا تره انقباضا ولا أنك مستوحش منه، فباكرت إلى الخدمة، فلما وصلت إلى باب الحجرة لم يؤذن لي، فقمت إلى نظام الملك فهنيته وخدمته بخمسمائة دينار، فوعدني بما طيب به قلبي.

قال: وخرج من الدار، فتبعه أكثر العسكر، وبلغ السلطان، فقيل له: إذا كانت طاعة العسكر له هذه الطاعة، مع غضبك عليه، وإهانتك له، فكيف إذا كان في حالة الرضى، وهو معك في البلد، الذي قد ملك قلوب أهله بالمال وغيره، وفي داره ثلاثمائة غلام، وهو في دارك يشرب معك دائما وربما لاحت له فرصة فيك، فأرسل إليه يقول: هؤلاء الغلمان الذين عندك لا حاجة لك إليهم فارسلهم إلينا، فأرسلهم إلا أربعة فإنه سأل أن يبقوا عنده، ففرق الغلمان في الحجاب، ولم يشعر إلا بعميد خراسان قد هجم عليه، ومعه خمسون رجلا، فتوكل به، وبعث عميد الملك إلى نظام الملك، وسأله الإجتماع به، فجاءه نظام الملك، فسأله أن يخاطب السلطان فيه، فوعده وطيب قلبه، ثم بعث إليه السلطان يقول: أثبت جميع مالك وانفذه إلى الخزائن، فأخرج جميع ماكان في داره من الثياب والمصاغ، ولم يجد عنده سوى (١) ألف دينار، وسبعين ألف درهم، قيل: كانت في قدور المطبخ، وتقدم إليه بالمسير إلى مرو الروذ، إلى أن يمضي السلطان إلى الروم إلى الغزاة، ثم يعود فيستحضره إلى خدمته، وكان له صبي تركي، قد تبناه، ويحبه محبة شديدة، بحيث أنه لا يفارقه، فاتفق أنه مات، فانزعج، وقال: قد ولت السعادة وانقضت الدولة، وأنفذ إليه السلطان كتابه الذي دافعه فيه عن المجيء إلى الري، والمقام بنيسابور والتصريح بالمحاربة، ثم أتبعه بالكتاب الذي بخطه، وهو يرعد فيه ويبرق، وقال: أما هذه مكاتبتك إلي، وهي خلاف ما أدعيته من كونك بذلت المال في خدمتي، فقال: عفو السلطان أعظم من ذنبي.

قال صاحبه: وخرج إلى مرو الروذ في يوم الثلاثاء خامس صفر وخرجت معه، وحمل معه زوجته، وابنتيه وجواريه، وأربعة غلمان، وكتب معه كتابا إلى مرو الروذ، فيه: الشيخ الجليل عميد الملك يخدم خدمة مرضية، ويجري عليه في كل شهر مائة دينار، فخرج وهو طيب النفس بهذا الكتاب، منظور أنه يعود إلى ماكان فيه،

---

(١): في ب ((ألفي)).

ووصل إلى نيسابور، ودخل إلى خاتون زوجة ألب أرسلان أم خفجاق وعندها ولدها وخدمها ، وأخذ ولدها فأجلسه في حجره ، وتعلق بذيله وذيلها ، واستجار بها ، وسألها المكاتبة إلى السلطان في العفو عنه ، وحمل إليها خمسمائة دينار وفرسا فوعدته بالجميل ، وكتبت إلى مرو الروذ ، وهي داخلة في إقطاعها بألف دينار ، وكتبت له إلى السلطان كتابا ، وأنه قد استجار بها وبولدها ، ومضى إلى مرو الروذ ، فنزل بدار رئيسها ، ثم وصل الينا الخبر ، بأن محمود بن أبي علي المنيعي ، رئيس نيسابور ورد الى مكان بينه وبين مرو الروذ سبع فراسخ ، وجاء كتابه إلى أخيه عبد الرزاق النائب عنه في البلد ، أن السلطان كتب إليه مع غلام تركي ، يأمره بقتل عميد الملك ، وأنه أنفذ الكتاب ، والغلام إليه ، ليقف عليه ، ويمكن الغلام مما جاء فيه ، وأنه ماتأخر إلا حياء من أن يجرى ذلك على يده ، قال : فانزعج عبد الرزاق ، وكانت بين عميد الملك ، وبين المنيعي مودة مؤكدة ، وصداقة شديدة ، وحضر الغلام عند عميد الملك ، وأمره بالصعود إلى القلعة ، وأن السلطان إنما أنفذه لهذا ، فصعدوا حرمة إليها ، وكان عبد الرزاق خطيب البلد ، فتقدمه ، وكان ذلك في يوم جمعة ، فصعد المنبر ، ولم يدر مايقول ، فذكر الكلمتين ونزل ، واطلعت أنا على الخبر ، فصعدت إليه ، وعرفته ، وقلت : انظر هل من حيلة ، فأبلس ، وجف لسانه ، وقال : الحيلة أن تجمع بيني وبين عبد الرزاق ، فنزلت إليه ، وقلت له : قد علمت مابينكم وبينه ، وقد علم بالخبر ، ويسألك الإجتماع ، ليوصي إليك بأهله وحرمه ، فقال : مالي قلب أشاهده ، فلم أزل به حتى أصعدته إليه ، فتعلق بذيله ، وقال : ما أعرف خلاصي إلا منك ، فقال : أي حيلة لي ؟ قال : تكتب إلى أخيك ، أنني لاأقدم على هذا الأمر ، حتى تحضر ، فإذا حضر ، قلت له : هذا أمر عظيم ، ماينبغي أن يقدم عليه ، بأول كتاب ، ولعل السلطان كان سكرانا ، والرجل مريض ، وربما قضى نحبه ، وكفى السلطان إثمه ، وأكتب أنا ورقة أرققه فيها ، فقال : سمعا وطاعة ، ونزل من القلعة ، وكتب إلى أخيه محمود كتابا فجاء إليه ، واجتمعا وعرفه ماقال عميد الملك ، وقال : علينا الحقوق ، فقال : سمعا وطاعة ، وكتب إلى السلطان ، وكتب عميد الملك إلى السلطان يبذل له الأموال العظيمة ، ويخضع ويذل ، وبعث محمود بالكتابين ، ووهب عميد الملك الغلام الوارد مالا ، فتوقف إلى حين مجيء الجواب ، وسأل عميد الملك عبد الرزاق أن يوقفه على الكتاب ، فبعث إليه ، ومضمونه : إننا أنفذنا الشيخ أبا نصر إلى محبسه ، وأبقينا على نفسه ، تصورا منا أن فساده ينحسم ، وأذاه ينقطع ، وأنه يشغله خوفه على مهجته ، عن سوء فعله وطريقته ، وما نراه إلا ازداد عتوا وفسادا ، وأن عقاربه تدب إلينا وقد اجتمعت آراء محتشمي دار الخلافة ، وآراء دولتنا على أن الصلاح ، في

الراحة منه فليخنق بسلسلة ، ويعلق على باب القلعة سبعة أيام ، فلما قرأه يئس من الحياة ، فأقمنا مدة ، فجاء غلامان من غلمان السلطان ، ومعهما إلى محمود كتابا ينكر عليه إقدامه على المخالفة ، ويأمر بقتله ، وحمل رأسه إليه ، وصعد الغلامان إليه ، فقام إليهما وسلم عليهما ، وقال : في أي شيء جئتما ؟ فقالا : قم وصل ركعتين ، وتب إلى الله تعالى مما أسلفت ، فقال : أدخل وأودع أهلي ، فقالا : أدخل ، فدخل وارتفع الصراخ من زوجته ، وابنتيه وجواريه ، وكشفن رؤوسهن ، وحثين التراب عليها ، فدخلا إليه ، وقالا : أخرج ، فقال : خذا بيدي ، فقد منعني هؤلاء النساء من الخروج ، فأخرجاه ، وأغلقا الباب وخرج إلى مسجد هناك ، ومشى حافيا ، وخلع فرجية سمور كانت عليه فأعطاهما إياها ، ومزق قميصه ، وأخذوا عمامته ، وجاءوا بسلسلة قطعت من سرادق ، فقال : ماأنا بعيار ولا لص ، فأخنق ، والسيف أروح لي ، وهو أمحى للذنوب ، ومن قتل به فهو شهيد ، فشدوا عينيه بخرقة من طرف كمه ، وضربوا رأسه ، فطار ، وأخذوا رأسه ، فتركوه في مخلاة ، وحملوه إلى السلطان ، وسألت أخته أن يسلم إليها جثته ، فسلمت إليها ، فحملتها إلى كندر فدفنها عند أهله ، وابنه ، وأبوه مات مقتولا ، وكان ألب أرسلان بكرمان ، فحمل إليه الرأس ، وبعثت أخته تستقصي عن الرأس ، فقيل لها : ألقي في بئر ، ولما قتل صعد عبد الرزاق ليلا فغسله وكفنه بقميص دبيقي ، كان القائم أعطاه إياه ، من ملابسه ، مع قطعة من بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولفه فيها ، وأنزله إلى مقبرة البلد ، فدفنه فيها ، وكان سنه نيفا وأربعين سنة ، وكان الذي دفع الحاشية على أن يشيروا بقتله ، نظام الملك ، والعجب بأن ألب أرسلان ، ونظام الملك ، ماتا مقتولين .

السنة الثامنة والخمسون والأربعمائة

في (١) يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم ، وعلقوا المسوح على ماكانت عادتهم جارية به في القديم ، فثار أهل تلك المحال ، وجاءوا إلى دار الخليفة ، واستطالوا فخرج الأمر إلى المعمر نقيب النقباء بإنكار ذلك ، فقال : ماعلمت ، وحبس جماعة أياما ثم أطلقهم ، وقال القائم : هذا شيء قد كان ، فلاتعاودوا عليه (٢).

---

(١) : في ب ((فيها))
(٢) : في ب ((إليه))

وفيه ورد الخبر أن السلطان انفصل عن مرو إلى خوارزم ، ومعه تاج الملوك أبو كاليجار هزارسب ، عامل الأهواز ، وأنه طولب بالأموال التي عليه من ضمان البصرة ، وخوزستان ، وأرجان منذ وفاة طغرلبك مدة ثلاث سنين ، وهي ألف ألف دينار، فطلب العود إلى بلاده ليجمع المال ، فقيل له : لو أسرعت في حمل المال ، لأسرعنا إلى إطلاقك ، فلابد من المقام على الباب ، حتى يحمل المال ، وكان السلطان مبطنا سوء الرأي فيه مظهرا الجميل له ، وحضر ليلة عنده ، والسلطان سكران ، فسمع صوت طبول بعد طبوله ، فقال : ماهذه ؟ قيل : طبول تاج الملوك ، فقال : ومن هو هزارسب حتى يفعل هذا من غير إذن ، فانكسر هزارسب ، ثم أصبح السلطان فخلع عليه ، واعتذر إليه ، وبعث السلطان إلى العراق من يقبض على كتابه ، فهرب أبو يعلى كاتبه إلى حلة لأبي الأغر دبيس، ونهبت الديلم دوره ، ودور المتعلقين به بالأهواز ، وكان السلطان قدم خوارزم ، واستقبله الخدم بخدم في جملتها شقة دبيقي فيها دنانير، قدمها نظام الملك فأخذ السلطان منها كفا ، ومد يده إلى ولده الأكبر إياز ، فسعى على ركبتيه ،وقبل الأرض بين يديه ، فأخذها وعاد إلى موضعه على ركبتيه وكان هزارسب حاضرا فأومى إليه السلطان بكف آخر ، فقام قائما وقبل الأرض، ومشى إليه وأخذها منه ، وعاد فثقل على السلطان حيث أنه لم يسع على ركبتيه ، وقال له : أنت قد طار في رأسك الملك ، ومكاتبة الخليفة تطلبه ، وبذل المال ، والاشتغال بنيسلبور على الأهواز ، للتحصن ، فانزعج واعتذر ، وقال : والله ماأخللت بذلك، إلا أنها عادة لا نعرفها ، والقيام على أرجلنا هو أقصى نهاية الخدمة ، واندرج المجلس على هذا ، وركب السلطان من الغد ، والتقاه إيتكين الحاجب ، حاجب أخيه سليمان ، فلما رآه قال : خسئت يا مؤاجر، تأخرت عني ، ولم تتبعني ، طلبا للسلامة، وتوقعا لسوء المنقلب ، وأمر له فنكس من فرسه ، ونزل إليه فضربه ، فقده نصفين، وقال : هاتوا هزارسب ليبصره ، فارتاع هزارسب ، ومضى إلى نظام الملك ، وطرح عليه نفسه ، وقال : ما أعرف إصلاح حالي ، إلا منك ، وحمل إليه مالا ، وإلى خاتون زوجة السلطان ، فحمله نظام الملك إلى السلطان، فلما دخل عليه ، قال : ماأعرف لي ذنبا استوجب به هذا ، وأما السور الذي أدرته على الأهواز فركن الدين أمرني به ، ومات وقد بقيت منه بقية ، فما رأيت قطع ما أمرني به ، وأما ما حكي عني من طلب الملك، فإنما هو زورا خرصه أعدائي حتى أفسدوا جميل رأي السلطان في ، فقال السلطان لنظام الملك : قل له : يقعد ، ويزيل روعه ، ويطيب نفسه ، ثم قال : ماأقول لك قولا إلا هو دليل على صفاء النية لك، ولو كان عن سوء رأي لما أوحشتك وداهنتك ، ثم وعده بإطلاقه إلى بلاده .

---

(١) : في الأصل ((بطلبه)) وهو تصحيف قوم من ((ب)) .

وفي ربيع الأول ولدت امرأة بباب الأزج ، صبية لها رأسان ، ووجهان ، ورقبتان مفرقتان وأربع أيدي على بدن كامل ، وماتت البنت .

وفيه حصب الأمر عدة الدين أبو القاسم ، ابن الذخيرة ، وتعدى ذاك (١) ، على جده القائم فانزعج الناس، ولحقهم أمر عظيم لأنه لم يبق من بني العباس من يصلح للخلافة غيرهما ، ثم من الله تعالى عليهما بالعافية ، فسر الناس .

وفي ربيع الآخر ، وصل خيل باشي ، من خوارزم إلى نظام الملك، بكتاب من السلطان ، يخبره بما فعل فيما وراء النهر وخوارزم من الفتوح وقمع المفسدين، وتهديد تلك البلاد ، قال : وكان التركمان قد اختلطوا بالكفار ، وكان ينهبون التجار وكانوا على طرف البحر عند القفجاق (٢)، ولما سمعوا بنا ، عبروا إلى جزيرة في البحر ، وتركوا أموالهم ونساءهم ، ومواشيهم ، وهي لا يقدر على إحصائها ، فاستولينا على الجميع . وعاد إلى خراسان ، فخرج الجماعة الذين تخلفوا عنه للقائه ، مع نظام الملك وقيل إنما كانوا تأخروا عنه بخوارزم .

وفي ربيع الآخر لأربع بقين منه ، حدثت فتنة بين الشافعية والحنابلة واقتتلوا .

وفي العشر الأول من جمادي الأولى — في نيسان ، ظهر في أواخر برج الحوت كوكب كبير ، له في المشرق ذؤابة ، عرضها نحو ثلاثة أذرع ، وطولها أذرع كثيرة إلى حد المجرة ، من وسط السماء مادة إلى المغرب ، ولبث إلى ليلة الأحد لستبقين منه ، وكانت الشمس في برج الثور ، ثم ظهر في برج السرطان عشية يوم الثلاثاء عند غروب الشمس من المغرب ، قد استدار نوره عليه كالقمر ، فارتاع الناس ، وانزعجوا . ولما أعتم الليل رمى ذؤابة نحو الجنوب ، وكان مسيره بسرعة مسير القمر ، إلى أن انتهى إلى برج الأسد ، ومقارنة زحل مارا نحو القبلة في مدة عشرة أيام ، وثبت مكانه إلى أن اضمحل ، وذهب في أيام مضت من رجب ، وورد من بعض التجار كتب من عمان ، بأن ستة عشر موكبا خطفت من سواحل البحر ، وكانت طالبة لعمان ، وأنها غرقت ليلة طلوع هذا الكوكب الأخير ، وهلك فيها ثمانية عشر ألف طبلة كافور .

---

(١) : في ب ((إلي))
(٢) : إحدى قبائل المجموعات التركية .

وكانت زلازل بخراسان في هذه السنة ، تصدعت منها الجبال ، ورمت القلاع الشاهقة ، وأخربت البلدان ، وخسفت بعدة قرى ، وأهلكت خلقا عظيما ، ولم يسلم إلا من خرج إلى البرية .

وغار ماء البحر أياما ، ثم عاد ، ووقع حريق ببغداد أتى على معظمها . وورد الخبر بأنه قد ملكت جزيرة أوالي — المسماة بالبحرين ، وهي من أعمال القرامطة ، غلبطيها أهلها ، وأمروا عليهم أبا البهلول ، عوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج ، فخطب بها للقائم ، وكان يخطب بها لصاحب مصر ، وبعث إليهم القرامطة جيشا فهزموه .

وكان أبو البهلول ، وأخوه أبو الوليد من أهل الدين ، أنفوا من القرامطة واجتمع أهل الجزيرة عليهما ، وبذلوا للقرامطة ثلاثة آلاف دينار حتى يمكنوهم من بناء جامع يأوي إليه المسافرون ، والغرباء ، ويصلون فيه الجمعة ، فأجابوهم ، فلما تكامل الجامع ، صعد أبو الوليد المنبر ، فخطب للخليفة القائم ، فقال من يهوى القرامطة هذه بدعة ، ويجب أن نمنع بني الزجاج من الخطبة ، ويصلون بغير خطبة ، وتقدموا إليهم بذلك ، فقالوا : مابذلنا مابذلنا إلا ليجلب إلينا التجار ، والعجم ، والمسافرين ، فإن كرهتم ذلك ، فادفعوا إلينا مابذلناه ، فمعيشتنا من هذا الباب ، وكوتب القرامطة بذلك ، فجاء الجواب بأن لا يعترض عليهم ، فمال إليهم أهل تلك النواحي ، فلما أخرج الخليفة من بغداد نوبة البساسيري ، قال المخالفون لهم : الخليفة الذي كنتم تخطبون له زالت أيامه ، والخطبة لصاحب مصر ، فلم يمتنعوا من الخطبة للقائم ، وبعثوا إلى القرامطة هدية ، وسألوهم أن لا يعترضوا عليهم ، فجاء جوابهم أن يجروا على عادتهم في الخطبة لمن أراد ، وقوي أمر أبي البهلول ، ثم كتب القرامطة إلى نائبهم بأن يصادر أهل البلد ، وكان عاقلا ، فامتنع ، وعلم بنو الزجاج بذلك ، فولوا عليهم أبا البهلول ، وكانوا ثلاثين ألفا ، وقدم وال جديد ، فعزم على القبض على أبي البهلول ، ومن وافقه ، فبادروه بالقتال ، وكان بالجزيرة رجل يقال له ابن أبي العريان ، كبير القدر ، فوافقهم ، وانحاز إلى أبي البهلول ، وزحفوا إلى الوالي الجديد فقتلوا من أصحابه جماعة ، وهرب ، وكان الوالي العتيق الذي لم يصادرهم يقال له ابن عزهم ، فكتبوا إلى القرامطة إننا لا نعود إلى الطاعة إلا بعود ابن عزهم (١) فجاء الجواب بأن لا نرده والعساكر واصلة ، وبعث أبو عبد الله بن سنبر ، وزير

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من (ب).

القرامطة ، أحد أولاده إلى عمان ، لحمل مال وسلاح منها ، وعرف أبو البهلول وابن أبي العريان ذلك ، فكتماه ، وكمنا له في الطريق عند عوده ، فقتلاه وأربعين رجلا معه صبرا ، وأخذ ماكان معه ، وهو خمسة آلاف دينار ، وثلاثة آلاف رمح ففرقا المال والسلاح على أصحابهما ، وبلغ ابن سنبر ، فمال إلى ابن أبي العريان وكاتبه سرا ، وبذل له الأموال ، وأن يوليه الجزيرة ، فمال إلى قوله ، وأجابه إلى الفتك بأبي البهلول ، وأنه إذا بعث عسكرا في البحر إلى الجزيرة ، وقرب منها ، وثب على أبي البهلول ، فقتله ، وقتل أصحابه ، ثم قال لأهله وعشيرته : هذا الذي نحن فيه أمر لا يتم ، ومالنا بالقرامطة قدرة ، ويجب أن ندبر أمرنا معهم فقالوا : افعل ماتراه فنحن نتبعك ، وبدأ في نقض ما اتفقوا عليه .

وعرف أبو البهلول ذلك ، فانزعج وجمع أهله وعشيرته ، وأطلعهم على الحال ، وقال : مالنا قدرة بابن أبي العريان ، هو أقوى ، وأكثر رجالا ومالا ، فاطلبوا قتله غيلة بوجه لطيف ، وإلا يتقرب بنا إلى القرامطة ، فرصدوه بل قتله أحد بني أعمامه ، وجاء أصحابه فرأوه قتيلا ، فجاءوا إلى أبي البهلول واتهموه بقتله فحلف لهم أنه ماقتله ، فصدقوه .

وجاء ابن سنبر ، وزير القرامطة بالعسكر ، على ماكان استقر بينه وبين أبي العريان ، في مائة وثمانين شداة (١) ، من عامر وربيعة وغيرهم ، فخرج إليهم أبو البلهول في مائة شداد ، وجاء على فرسه ، فوقع فانكسرت ساقه ، فأقسم عليه أخوه أبو الوليد ، أن يرجع ، فأبى ونزل على حاله في شداة ، وأمر بضرب الدبادب والبوقات ونشر الأعلام ، واتفق لابن سنبر من النسوء أنه كان معه في الشداة خمسمائة غلام وفرس ، لعامر وربيعة ، تصورا منه أنه يدخل البلد من غير حرب ، ولم يشعر بقتل ابن أبي العريان ، فلما ضربت البوقات والطبول ، وسمعتها الخيل ، ورأت المطارد نفرت وغرق بعض الشداة ، و وقع العرب في البحر ، وهرب ابن سنبر إلى الساحل ، واستولى أبو البهلول على باقي الشداة ، فأخذ منها نحو مائتي فرس وسلاحا كثيرا ، واستأمن إليه من كان فيها من أهل السواد ، وحلفوا أن ابن سنبر أخذهم قهرا ، وظفر بأربعين رجلا من القرامطة ، فقتلهم صبرا ، وعاد وقد برئت ركبته ، وقوى أمره ، وانتظم حاله ، واستوزر أخاه أبا الوليد ، وكتب إلى بغداد بالفتح وشرح الحال إلى أبي منصور بن يوسف .

---

(١) : من الواضح من سياق الخبر أن الشداة نوع من أنواع القوارب هذا ولم أجد هذه العبارة في أي من معاجم اللغة ولا من كتب الأسماء مثل المخصص لابن سيدا كما أنها لم ترد عند دوزي في معجمه .

وقال محمد بن هلال الصابئ : حدثني أبو حفص الريحاني أحد المتفقهة حديث القرامطة ، وكان قد اجتاز بهم ، قال : إن جزيرة أوالي ثلاثة عشر فرسخا ضياعا ومزارعا ونخيلا وأشجارا ، ونفس البلد لطيف وعدد قراه مائة وثلاثون قرية ، منها قرية تشتمل على مائة وثلاثين مسجدا ، تسمى تستر ، وهم يخطبون قديما لبني العباس .

والقرامطة من بعدهم في بلد يعرف بالقطيف ، على ساحل البحر ، وجميع السواد إلى الأحساء (وهذه الثلاث مواضع وسوادها لهم فقط ، فأما الأحساء)(١) فلايخطب فيها لأحد ، ولا يصلى فيها جمعة ولا جماعة ، إلا صلاة التراويح تعظيما لأبي سعيد الجنابي المدفون بها ، وفيها قوم يعرفون بالسادة ، من أولاد القرامطة من ظهر أبي سعيد كلما نقص من عددهم واحد ، أقاموا واحدا مكانه ، وهم على سنن من العدل يقيمون الحدود ، ويحافظون على الصلوات ، ويبطلون المذاهب الفاسدة ، ولهم ستة وزراء من سنبر ، لا يستبدلون بهم ، لأن أبا سعيد لما ظهر عاضدوه ، وشرطوا عليه أن تكون الوزارة فيهم ، والرئاسة فيه .

ومن مذهبهم اسقاط الجزية عن أهل الذمة ، ويصلون على أبي سعيد ، ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن صلى أحد عليه صفعوه ، وقالوا : لا تأكل رزقنا ورزق أبي سعيد ، وتصلي على أبي القاسم ، واعتقادهم أن أبا سعيد يعود إليهم ويخرج من قبره عليهم إذا طار طائر من حصن معمول في رأس قبة على ضريحه من دارهم بالأحساء ، وعند القبر فرس مشدود ، وخلعة ثياب ودست سلاح معد لخروجه .

وفي جمادي الآخرة حدثت زلزلة بسابور ، لبثت أياما ، أهلكت خلقا عظيما وخسفت عدة نواح ، وخرج الناس إلى الصحراء هربا من البنيان .

وورد كتاب من خراسان ، بعود ألب أرسلان من خوارزم إلى نيسابور ، وأنه أذن لهزارسب في العود إلى خوزستان ، ويحمل مابقي عليه من المال (٢) إلى الخزانة ، بعد أن أدى مائة ألف دينار .

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من (ب) .
(٢) : في ب ((الأموال)) .

وفي شعبان ورد أمير الجيوش بدر إلى دمشق واليا ، وهذه ولايته الثالثة فنزل في مرج باب الحديد أياما ، وبلغه قتل ولده بعسقلان ، فدخل إلى القصر، وأقام فيه ، فوقعت الفتنة بين أهل دمشق وعسكره ، سنة ستين وأربعمائة ، فخرج من القصر (فنزل عند مشهد القدم وأحرق أحداث دمشق القصر)(١) .

وفيها خلع الخليفة على وزيره ابن جهير خلعة نفيسة فطاب قلبه ، وكان الخليفة هو المباشر بنفسه الأمور ، فأحب ابن جهير أن يستبد بالأمور على جاري عادة الوزراء .

وفي ربيع ذي القعدة ، خرج خادم من عند الخليفة ، رسولا إلى السلطان، يهنيه بسلامته ، ومعه خلع للسلطان، وأضيف إليه أبو محمد التميمي الحنبلي ، وأصحبهما تذكرة بعود خاتون زوجة الخليفة إليه ، وشكاية من النواب وما يتعرضون له في إقطاعه ، وإقطاع حاشيته .

ولما وصل هزارسب إلى الأهواز ، استأصل الديلم ، وأخذ أموالهم وإقطاعاتهم وحصل له منهم مالا عظيما .

وفي رمضان كسي جامع المنصور بالبواري ، فدخل فيه أربعة آلاف ذراع بواري وثلاثمائة من (٢) الخيوط وأخذ الصناع أجرتهم عشرين دينار)(٣).

أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله البيهقي

الحافظ ، أبو بكر ، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وكان أوحد زمانه (٤) في علم الحديث ، والفقه ، والأصول ، وله التصانيف الكثيرة ، وجمع نصوص الإمام الشافعي رضي الله عنه — في عشر مجلدات ، وتوفي بنيسابور في جمادى الآخرة ، ونقل تابوته إلى بيهق (٥) ، وكان متعففا ، زاهدا ، ورعا ، صدوقا ، ثقة .

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من (ب).
(٢) : من المكايل الإسلامية أنظر من أجله مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٤٤ — ٤٥
(٣) : زيد مابين الحاصرتين من (ب).
(٤) : في الأصل ((واحد))والتقويم من (ب).
(٥) : ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور معجم البلدان .

محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء

أبو يعلى القاضي الحنبلي ، ولد في المحرم سنة ثمانين وثلاثمائة ، سمع الحديث الكثير ، وتفقه على أبي فلان ، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ، وصنف الكتب ، وشهد عند (١) قاضي القضاة أبي عبد الله بن ماكولا ، وغير ابن ماكولا (٢) فقبلوا شهادته وتولى الحكم بحريم دار الخلافة ، وتوفي ليلة الإثنين ، ودفن يوم الاثنين العشرين من رمضان ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وغسله الشريف أبو جعفر ، بوصية منه ، وأوصى أن لا يدخل معه القبر غير ما غزله لنفسه من الأكفان ، وعطلت الأسواق لجنازته ، ومشى فيها الأعيان : القاضي الدامغاني ، ونقيب الهاشميين أبو الفوارس طراد الزينبي وأبو منصور بن يوسف ، وأبو عبد الله بن جردة ، والفقهاء ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم عبيد الله ، وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة ، ودفن بباب حرب .

وكان إماما في الفقه ، وأفتى سنين ، وانتهى إليه المذهب ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع بين الإمامة والصدق ، وحسن الخلق والصمت ، والتعبد ، والتقشف والخشوع ، والصمت عن مالا يعني ، واتباع السلف .

وخلف من الولد ثلاثة : عبيد الله ، وأبا حازم ، وأبا الحسين .

وقال أبو يعلى البرداني (٣) : رأيته في المنام ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال وهو يعد بأصابعه : غفر لي ورحمني ، ورفع منزلتي ، فقلت : بالعلم ؟ فقال لي : بالصدق ، وأفطر يوم جنازته خلق كثير ، لأن الحر كان شديدا .

ولما غلب البساسيري على بغداد ، ولاه القضاء ، فاستأذن أبا عبد الله الدامغاني : دخل عليه وأخبره ، واستأذنه ، فأذن له ، وكان في اعتقال البساسيري ، وكان فيمن بايع المستنصر صاحب مصر .

قال الحافظ ابن عساكر : سمعت أبا غالب بن أبي علي بن البناء الحنبلي ، يقول : لما مات أبو يعلى ، ذهبت مع أبي إلى داره بباب المراتب ، فلقينا أبو محمد التميمي ، الفقيه الحنبلي ، فقال إلى أين ؟ فقال أبي : مات القاضي أبو يعلى ، فقال أبو محمد التميمي : لا رحمه الله ، فقد بال على الحنابلة — يعني البولة الكثيرة — لا يغسل إلى يوم القيامة — يعني المقالة في التشبيه .

---

(١) : في الأصل ((عليه)) وهو تصحيف قوم من (ب).
(٢) : في ب ((وعند ابن الدامغاني فقبلا شهادته))
(٣) : نسبة إلى بردان وهي قرية من قرى بغداد انظر اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير.

السنة التاسعة والخمسون والأربعمائة

وفيها في المحرم ورد ألب أرسلان إلى الري من نيسابور .

وفيه بعث صاحب مصر إلى محمود بن الزوقلية ، المتغلب على حلب ، يطالبه بحمل مال إلى خزانته ، ويغزو الروم الذين هم في مجاورته ، وصرف ابن خان ومن معه من الغز ، إن كان على طاعته ، فأجاب بأنني قد ألزمت على أخذ حلب من عمي أموالا ، اقترضها وأنا مطالب بها ، وليس في يدي ما أقضيها ، فضلا عما أصرفه في غيره ، فإذا قضيت ديوني ، واستقام أمري ، حملت وخدمت ، وأما الروم فقد هادنتهم مدة ، وأعطيتهم ولدي رهينة على مال اقترضه منهم ، فلا سبيل إلى محاربتهم ، حتى أوفيهم المال ، وأخلص ولدي ، وتنقضي الهدنة ، وأما ابن خان والغز الذين معه ، فيدهم فوق يدي ، ولربما استخدمتهم مصانعة لهم ، وكفا لفسادهم ، فإن روئي صرفهم ، فينفذ إليهم من هو أقوى عليهم مني ، وأنا أساعده .

فلما وصل الجواب ، كوتب بدر الجمالي أمير الجيوش المقيم بدمشق ، بأن ابن الزوقلية ، قد خلع الطاعة ، وأنه مال إلى الجهة العراقية ، فتسير إليه وتقاتله ، فكتب بدر إلى عطية ، وهو بالرحبة ، أن يسير الى حلب ، ووعده المساعدة ، فسار ومعه من بني كلاب عدة قوية ، إلى حماة ، وعلم محمود فخرج من حلب ، واستصحب معه ابن خان ، والغز إلى بني كلاب فنزل عليهم ، لئلا يذهب الباقون إلى عطية ، ويحسب بهم ، ولم يبق إلا الحرب ، فدخل القاضي ابن عمار ، المقيم بطرابلس بينهم ، وأصلح الحال ، واستحلف محمود وعطية لصاحب مصر ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه ، على أن الرحبة وبالس والرقة ، والبلاد الفراتية ، لعطية ، وحلب لمحمود ، وسار عطية إلى دمشق ، فأقام في خدمة صاحب مصر ، وبلغ مسلم بن قريش ، فسار إلى الرحبة ، فملكها بمواطأة من أهلها ، لقبح ما عاملهم به عطية ، وأقام مسلم الخطبة بها للخليفة ، ثم للسلطان ، ثم لنفسه .

وتوفي ابن البساسيري يوم الأحد بدمشق ، واتهم به مغنية كانت له ، وأولدها ولدا ، وأنها وافقت فراشه وطباخه على سمه ، فسموه ، فصلبهم أمير الجيوش ، ورماهم بالنشاب ، واتفق موت أخيه في هذا الشهر ، وكان مقيما بمصر ، فتنمر عليه ناصر الدولة ابن حمدان ، فهرب منه قاصدا دمشق ، فواصل السير خوفا من إتباعه ، فلحقه من المشقة ماكان سببا لموته بعد وصوله إلى دمشق بستة أيام .

وفي يوم الإثنين ثامن عشر صفر ، ورد العميد أبو سعد المستوفي ، من باب السلطان ، ومعه هدية للخليفة ، خيل وثياب ومصحف وجوهر ، وكتاب ، ففرح أهل بغداد بقدومه ، لأنه كان عفيفا عن المال والحريم ، فأقام السياسة ، وأمن الناس .

وفي صفر قصد أبو عبد الله بن أبي هاشم مكة ، وقتل من بني سليمان جماعة ، وهرب حمزة ابن أبي هواش أميرها (١) وخطب ابن أبي هاشم لصاحب مصر والصليحي .

وفي ربيع الآخر ، ورد الخبر بمسير أرسلان خاتون ، زوجة الخليفة إلى بغداد ، ومعها تواقيع بجميع ما التمسه القائم ، من الإقطاعات ، وغيرها ، وأن ألب أرسلان توجه إلى أصفهان بنية المضي إلى كرمان .

وفي غرة جمادي الأولى دخلت السيدة أرسلان خاتون ، إلى بغداد مع الخادم ، وخرج الناس لتلقيها ، ومعهم الوزير ابن جهير ، على فرسخ من بغداد ، ودعا لها ، وهو على ظهر فرسه ، ودخلت دارها ، وحضر العميد بيت النوبة ، وقرئت الكتب التي كانت معها ، وتشتمل على الطاعة ، والتصرف على قوانين الخدمة ، والإجابة إلى جميع ما التمس الخليفة . وكان فيها كتاب إلى ابن جهيز عنوانه :
الوزير الأجل ، شرف الوزراء ، فخر الدولة ، وقبل هذا كان يكتب إليه ، الرئيس الأجل .

وعزم العميد على العود إلى باب السلطان ، فسار يوم الإثنين السابع والعشرين من جمادي الآخرة ، وبنى في هذه المدة التي أقام بها ببغداد ، على قبر أبي حنيفة رضي الله عنه ، قبة عالية عظيمة ، وأنفق عليها أموالا كثيرة ، وعمل لها ملبنا وعلاه على مثال قبور آل أبي طالب في المشاهد ، وعمل بين يديه رواقا وصحنا ، وجعله مشهداً كبيرا ، وعمل بإزائه مدرسة لأصحاب أبي حنيفة ، ورتب لهم مدرسا ، وأوقف عليهم ضيعة ، يصرف مغلها إليهم ، وفعل في ذلك فعلة حسنة ، ولقب العميد شرف الملك ، ولما انتهت دخل ابن البياضي (٢) الشاعر لزيارة المشهد ، فقال ارتجالا :

ألم تر أن العلم كان مبددا	فجمعه هذا الموسد في المهد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة	فأنشرها جود العميد أبي سعد

وفي شعبان وردت الأخبار أن ألب أرسلان ، لما توسط بلاد كرمان ، طلب أخاه الأمير قاورت بك ، وكان قد تحصن ببلد حصين ، وعليه سور مكين ، ويحيط به خندق عميق ، ويسمى البلد بردسير (٣) ، فبعث إليه ألب أرسلان مقدمته ، وسار خلفها وخرج قاورت من البلد فلقي المقدمة وفيها الحاجبان الطنتاش وجاولي والتقوا فقتل بينهم عدد كبير .

---

(١) : أضفت كلمة ((أميرها)) من ب .
(٢) : انظر المنتظم لابن الجوزي ٨/٢٤٥ البداية والنهاية لابن كثير ص ١٢-٩٥ .
(٣) : أعظم مدينة بكرمان مما يلي المفازه التي بين كرمان وخراسان معجم البلدان .

وجاءت رايات صاحب مصر على والدته وأخيه فضمهما إلى قصره ، وكان في العسكر أمير تركي يقال له سلطان الجيوش، فاستمالوه بولاية تنيس ودمياط وأعمالها وولي سنان الدولة أماكن ، وفرقوا البلاد في المقدمين ، خوفا من ابن حمدان، وحصل الشام في يد بدر الجمالي ، والصعيد في يد المغاربة ، والاسكندرية في يد ابن حمدان ، ودمياط وماوالاها في يد سلطان الجيوش ، ولم يبق لصاحب مصر إلا ماحول القاهرة وقرب منها ٠

وفي ذي القعدة، لبس الوزير ابن جهير ، خلعة السلطان ألب أرسلان ، بعث بها إليه ، وكانت فرجية طميم ، وعمامة مذهبة ، ومركب ذهب على فرس، وكتب إليه كتابا ، يتضمن الشكر ، وحقد القائم عليه حيث لبسها في داره ٠

وجلس الوزير ابن جهير في بيت النوبة للهناء ، وخرج إليه توقيع الخليفة ومضمونه : لما اتضح للسلطان الأعظم — وذكر ألقابه — لطف محلك يافخر الدولة ، أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ، وتأثل مكانك ، وتخصيصك بشريف آراء امير المؤمنين فيك ، بما تجاوزت به مراتب من تقدمك من أمثالك وأكفائك ، رأي أن يحبوك بما تقصد به التقرب إلى الخدمة الشريفة ، ومضاعفة الآراء في اعتمادك بالآلاء الجسيمة ، ومقابل مواقفك في الخدمة ، التي وضحت دلائلها ، وراقت من الأقذاء مناهلها ، ومقاصدك الرضية ، التي أبنت عن حميد الخلال ، وقطعت أطماع من يروم إدراك شأوك من النظراء والأمثال ، مع ما في ضمن ذلك ، مما يدل على جميل آرائه فيك ، واعتداده بمساعيك ، وقد أذن أمير المؤمنين في إدراع مايحصل لك الشرف به ، والبروز فيه ، وتلقى ذلك بما يلائم الصواب ويضاهيه ويبدي للكافة مالا تزال الأيام تظهره ، من تضاعف خطوتك بحضرة الخلافة المعظمة ، ووجاهة منزلك من الإمامة المكرمة ، والله تعالى يمتع أمير المؤمنين بعضد دولته ، التي تفرد بها في الزمان ، وطال بها مناكب الأقران ٠

وفي يوم السبت ، عاشر ذي القعدة ، جمع أبو سعيد الصوفي الناس على طبقاتهم ، إلى المدرسة النظامية ، وكان نظام الملك بناها برسم أبي اسحق الشيرازي فلما تكاملوا فيها ، تأخر مجيء أبي اسحق ، وطلب فلم يظهر ، فوقع العدول الى أبي نصر بن الصباغ الشاهد ، وضمن له أبو منصور بن يوسف ، أن لايعدل عنه ، فركن إلى قوله ، وذكر الدرس ، وتفرق الناس ، وخجل ابن الصباغ لتأخر أبي اسحق ، وأجرى للمتفقهة لكل واحد منهم أربعة أرطال خبز ، في كل يوم ، وظهر أبو اسحق في مسجده ، بباب المراتب ، فدرس على عادته فيه ، واجتمع إليه العوام

ودعوا له ، وأثنوا عليه ، وكان قد بلغهم عنه ، أنه قال : إنني لم أطب نفسا بالجلوس في هذه المدرسة ، لما بلغني عن آلتها ، وأن أبا سعيد القايني غصب أكثرهـــا ، ونقض قطعة من البلد لأجلها ، ولحق أصحاب أبي إسحق نفور ، وبان فيهم فتـــور ، وراسلوه بما عرضوا فيه بالإنصراف عنه والمضي إلى ابن الصباغ إن لم يجب ، ويرجـــع عن الأخلاق الشرسة ، فأجابهم تطييبا لقلوبهم ، وتسكينا لنفورهم ، وغيظا من ابن الصباغ ، حيث جلس في موضعه ، وسعى هو وهم حتى صرف ابن الصباغ ، وكان نظام الملك لما بلغه امتناعه عن التدريس فيها ، أقام القيامة على العميد القايني ، وكتب إليه يلومـه ، ويوبخه ، ويتهدده ، ويقول : مابنيت هذه المدرسة إلا لأبي اسحق ، فجاء إليـــه أبو سعيد ، وأراه الكتاب ، فلم يجب ، فمضى إلى بيت النوبة ، وراسل الخليفة ، فبعث إلى أبي اسحق ، يقول : عرفت حالنا مع الأعاجم ، وأخاف أن ينسب ذلك إلي ، فجاء أبو اسحق ، وبيده آجرة كبيرة ، كان يجلس عليها إذا قعد في المدرسة ، وجلس بها يـــوم السبت غرة ذي الحجة ، وكان إذا حضر وقت صلاة ، خرج منها ، وصلى في بعـــض المساجد ، فكانت مدة مقام ابن الصباغ فيها ، عشرين يوما ، وقال أبو علي المقدســي : رأيت أبا اسحق الشيرازي بعد موته في المنام ، فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال : طولبت بهذه البنية — يعني المدرسة النظامية — ولولا أني ما أديت فيها الغرض(١) لكنت من الهالكين .

وفي ذي القعدة قتل الصليحي ، أمير اليمن ، بالمهجم ، قتله سعيد ولـــد نجاح (٢) ، أحد أمرائها المتقدمين ، وأقيمت الدعوة العباسية باليمن ، وقطعـــت الخطبة المصرية .

وورد بذلك كتاب ، بذبحه في نصف ذي الحجة من مكة حرسها الله تعالـــى ، معلما لحضرة الوزارة ، ومهنيا بالدولة الإمامية القائمية ، بما فتح الله من إقامة الدعـوة ، على منابر اليمن ، فيما قرب ومابعد ، وخبر ذلك أنه لما كان في رابع عشر ذي القعدة ورد إلى مكة من أخبر ، أن سعيد بن نجاح ، وكان أبوه واليا على اليمن قبله ، خـــرج هذا الزمان في عصابة من الخيزرانية بزبيد ، فاستولى عليها ، وأنـه سار إلـــى الصليحـــي في عدد يسيـــر .

---

(١) : في ب ((الفرض))
(٢) : لمزيد من التفاصيل انظر غاية الأماني في أخبار القطر اليماني : ٢٥٦–٢٥٧ .

وكان الصليحي قد عزم على الحج ، فبلغه ذلك وهو بالمهجم ، فبعث بنعيم الضهري (١) في عسكر كثير ، فحذرهم قتال الصليحي ، وخوفهم بأسه ، فخرجوا إليه في سبعمائة راجل ، وخمسة عشر فارسا ، وسار بعدهم الصليحي ، والتقوا فكبا به فرسه ، فوقع ، وقتل رجاله ، وأخذت أمواله وحرمه ، وأصبح عظة للمعتبرين .

وفيها توفي :

سعيد بن محمد بن الحسن

أبو القاسم ، إمام جامع صور ، رواياته عن الحسن البصري أنه قال : لا تشتروا مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد .

علي بن الخضر بن أبي الحسن العثماني

الدمشقي الحاسب، له تصانيف في علم الحساب ، وكانت وفاته بدمشق ، في شوال ، وكان أخوه قد مات بتنيس (٢) ، فقال يرثيه :

قرة العين لم تدع لي قرارا ... كنت جاري فصرت للترب جارا
كنت لي مؤنسا فأوحشتني ... منك زمان مسترجع ما استعارا
في دمشق بعضي وبعضي بتنيس ... بنوا فوقه من الترب دارا
يابعيد المزار ليت خيالا منك ... في النوم لو ألم قرارا
إن تك ذقت من غصة الموت ... فقد ذقتها عليك مرارا
جعل الله ظلمة القبر نورا ... لك والجنة الفسيحة دارا (٣)

---

(١) : في ب ((الضميرى))

(٢) : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر مابين الفرماني ودمياط والفرماني شرقيها معجم البلدان .

(٣) : لم أقف له على ترجمة في المصادر الأدبية والتاريخية المتيسرة .

السنة الستون والأربعمائة

فيها : في ربيع الأول ، وردت الأخبار بنزول السلطان على جنزة (١) ودخول نظام الملك إلى فضلون بن أبي الأسوار صاحبها ، وإخراجه حتى داس بساط السلطان ، وخلع عليه ، وعاد إلى بلده ، وخدم السلطان بألف جمل ، وخمسين فرسا ، وخمسمائة ثوبه من أجناس ، وسرر من ذهب وفضة ملبسين بها ، وبستان أشجاره من ذهب ، وثماره اليواقيت والجواهر ، وزنه مائة ألف مثقال .

وقصد ألب أرسلان دخول اللان (٢) ، فوقع ثلج عظيم ، فأتلف العساكر والدواب والخيام، وغيرها ، فعزم على العود إلى جنزه ، وجاء ابن جعفر ، أمير تفليس ، إلى الخدمة ، بمال وخيل ، وبذل فضلون في تفليس مالا ، فسلمها إليه السلطان، وبقي أميرها على باب السلطان مقيما ، وكان السلطان قد تزوج ابنة أخت بقراط ملك الأبخاز ودخل بها في هذه المرة بهمذان ، وحملها معه ، وطلقها وزوجها فضلون، ونقلها إليه .

وفي ربيع الآخر ، ورد كتب مسلم بن قريش ، بأنه كسر بني كلاب ، ونهبهم ودفعهم عن الرحبة ، ومعها قصبة فضة مصرية ، عليها علم عليه اسم صاحب مصر، مكسورة منكسة فطيف بها في بغداد ، وبعث الخليفة إلى مسلم بالخلع والتشريفات .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر جمادي الأولى ، على ساعتين ونصف ، كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، وبلغ حسها إلى الرحبة ، والكوفة (٣) ، ولم يسلم من الرملة إلا دربان فقط ، وهلك فيها خمسة عشر ألف نسمة ، وكان في مكتب الرملة نحو مائتي صبي ، فوقع المكتب عليهم ، فما سأل أحد عنهم لموت أهاليهم ، وانشقت صخرة ببيت المقدس ، ثم عادت ، وقيل ما انشقت بل زالت من موضعها ثم عادت ، وغار البحر مسيرة يوم، ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم ، فأهلك خلقا عظيما ، وخربت بانياس، وسمع من السماء رعود وأصوات هائلة ، غشي على الناس منها ، وشقت هذه الزلزلة الفرات ، ورفعت الماء إلى جوانبه .

---

(١) : أعظم مدينة بأيران وهي بين شروان وأذربيجان وهي التي تسميها العامة كندة بينها وبين برذعة ستة عشر فرسخا . معجم البلدان .

(٢) : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب — معجم البلدان .

(٣) : أضيفت كلمة ((والكوفه)) من ب .

وقال علوي من الحجاز : كانت زلزلة عندنا في الوقت المذكور ، فرمت شرافتين من منارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فانزعج أهل المدينة ، وقالوا : هذا نذير بنائبة تصيبنا ، فتابوا وأقلعوا وأراقوا الخمور ، ونفوا الخواطي من البلاد ولحقت الزلزلة وادي الصفراء ، وينبع ، وبدرا ، وخيبرا ، ووادي القرى ، وعمت الحجاز ، وانشقت الأرض عن كنوز وجدوا فيها الذهب والفضة والمصاغ ، وزن الدينار مثقال ونصف ، ونبعت فيها عين تستغل كل سنة ألف دينار ، وظهر بتبوك ثلاث عيون غير العين التي كانت بها وأخذت الزلزلة في شرقي الحجاز جميعه ، وأهلكت إيلة (١) ومن فيهما إلا إثنا عشر رجلا ، اتفق أنهم كانوا خرجوا إلى ساحل البحر يصيدون السمك .

وورد من بعض التجار كتاب في رجب يقول : وصلنا إلى دمشق ، وليس فيها سلطان ، ولا بيع ولا شراء ، وقد غلب أهلها عليها ، ولا يمكن أحد الخروج منها ، ولا الدخول إليها ، وانهزم أمير الجيوش ، صاحب دمشق ، إلى عسقلان ، ونقض العامة قصره الذي كان ينزله (٢) ، وجميع الشام والساحل مخبط .(٣)

والعجب أنهم اعتبروا حال هذه الزلزلة ، فوجدوا السواحل والقدس والشام والمدينة وتبوك ، وتيماء ، والحجاز كله ، والبلاد الفراتية ، الجميع زلزلت في ليلة واحدة

وفي نصف جمادي الأولى ، اجتمع الفقهاء و والمحدثون ، والفضلاء بديوان الخليفة ، وسألوا إخراج الاعتقاد القادري ، وقراءته ، فأجيبوا ، وقرئ هناك بمحضر من الجميع ، وسببه أن أبا منصور ابن يوسف ، توفي في هذه السنة فاجتمعت المعتزلة إلى ابن الوليد ، وقالوا : مابقي من ينصرهم ، اجلس ودرس ، وعبر الشريف أبو جعفر إلى جامع المنصور ، وقرأه ، فضج الناس بالدعاء للخليفة وانقطع رجاء ابن الوليد عن التدريس ، لأنه قيل ، من لا يقبر بهذا الإعتقاد فليس بمسلم .

وفي يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة ، وليلة المهرجان ، خرج توقيع الخليفة إلى ابن جهير ، بعزله ، بمحضر من قاضي القضاة الدامغاني ، ويشتمل التوقيع على سبعة فصول .

---

(١) : هي العقبة الحالية .
(٢) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٥٧ .
(٣) : في الأصلين ((محيط)) وهو تصحيف لعل ما أثبتناه هو الصواب ، ذلك أن بلاد الشام كانت تتخبط بالفتن .

أولها : إنك عند رغبتك في الخدمة ، كاتبت وساولت (١) ، وبذلت المال ، وأشياء وثق بك فيها ، فوفيت بالبعض ، ودافعت بالبعض .

والثاني : إنك لما مات طغرلبك ، كتبت إلى مسلم بن قريش ، واستدعيته إلى الحضرة ، فجرى من ذلك مالا خفاء به من الخطر بالمهجة ، وخروج المال الكثير بسببه .

والثالث : إنك تسيء الأدب ، فيما يخرج إليك من الأوامر الشريفة ، وفيما يعرض عليك من التوقيعات الكريمة ، حتى ترمي بعضها من يدك ، وتخرق بعضها بحردك ، وهذا لم يقدم عليه أحد قبلك من أهل الخدمة .

والرابع : إنك تحضر باب الحجرة من غير استيذان ولا استدعاء ، وتقول : ماأحب أن يدخل هذا المكان غيري ، ورسمه أن يصرف من جرت عادته في هذا الموضع ، ومن تقرب منه .

الخامس : إنك كتبت إلى عضد الدولة ألب أرسلان ، تطلب خلعة ، من غير استيذان ، ولا اطلاع لنا عليها ، وسألت لبسها في الدار العزيزة والتجمل بها ، فقيل لك : مايجوز الأذن فيه ، لأنه انما يتجمل بما يلبس مما يخرج من الدار لابما يجيء إليها ، فلم تفعل ، وعزمت على مكاتبة ألب أرسلان ، وسؤاله أن يشفع فيك ، في هذا المعنى مخفيا أن يحدث ذلك وحشة له ، لأنه لايعلم الغرض الذي قصدناه ، فأذنا لك على مضض ، وجمعت الناس في بيت النوبة ولبستها وهنئت بها .

السادس : الكتاب المكتتب عن عفيف الخادم ، أجل خادم في الدار ، وأخصهم بالخدمة الشريفة إلى المصريين ، عليهم لعائن الله ، والملائكة ، والناس أجمعين ، في الإنحياز إليهم ، والإلتحاق بهم ، وإن كان من الهوس الذي لا التفات إليه ، والهذيان الذي لا اعتماد عليه ، وأجرى الله تعالى على جميع عوائدة في الوقوع على هذه الفعلة الردية ، والفكرة المشتملة على كل بلية ورزية .

والسابع : إخراجك وولدك ألب أرسلان للتقوي والتعزز ، والإستظهار على الخدمة الشريفة ، بالإلتجاء ، وراسلناك فلم تفعل ، ونهيناك فلم تقبل ، والآن فانظر إلى أي جهة تحب أن تقصدها ، لتوصل إليها على أجمل حال ، وأكمل احتياط .

فبكى الوزير ، وانزعج وقلق وأجاب :

---

(١) : في ب ((وسألت)) .

وأما مابذلته وقلته ، فلو طولبت به ، وألزمته ، لسمعت ، وأطعت ، وسارعت وامتثلت ، ولما أهملت ، وأغفلت وظننت أني قد سوهلت فيه ، وسمحت.

فأما مسلم بن قريش فأنا أحلف بالأيمان المغلظة ، أنني ما استدعيته إلا خوفا على الباب العزيز ، أن يطمع به طامع ، ويقدم بغداد في جمع لايسمع ولا يطيع ، فإن طغرلبك كان قد مات ، واختلفت الآراء ، فلما ظهر ماكان في نفس مسلم كامنا ، ولم أعلم به ، رددته صاغرا ، وأبعدته كارها ، ثم أعدته إلى الديوان من بعد خادما مستجيرا ، ولائذا بالعفو مستعيذا.

وأما التوقيعات فما قصدت إلا التخفيف عن الخاطر الشريف ، والإشفاق على الخزانة ، لقلة المال ، وحيث جهلت في فعلي ، فقد كان يجب أن أنبه على غلطي وأرشد إلى صلاحي ، ولا أترك على حالي ، وانتهي فيه إلى مايؤول إلى السخط والصرف ، ويتجمر ذلك في القلب والنفس.

وأما قصدي باب الحجرة المعمورة ، وماقلته وسألته ، واقترحته ، فلم يكن لأمر يعود علي ، وإنما الأمر زاد ممن يحضر من أدوان الحواشي والأتباع ، ويخرج فيتحدث بما يجري ، ويصل إلى العامة ، فيتم القباحة التامة ، فأشرت بما أشرته حمية للخدمة الشريفة ، لا لشيء آخر.

وأما حديث الخلعة ، فما ظننت أن ذلك القدر اليسير ، يصدر عن هذا الباطن الكثير.

وأما مايتعلق بالكتب ، فأنا أحلف بكل مايحلف به المسلم ، أنني ماشعرت بها ، ولا تقدمت فيها بشيء ، وإن كان أقدم على ذلك من تعلق بي ، فالأمر السامي نافذ فيه ، ومايبنغي أن أوآخذ أنا به ، وإن كان لابد من تسييري ، فإلى حلة نور الدولة بن مزيد فخرج الجواب عن الفصل الأخير ، المتعلق بالمسير إلى حلة نور الدولة ، وأطراح جميع الأجوبة عن الفصول ، وعين الوزير على خروجه باليوم العاشر من الشهر ، وخرج إليه من الخليفة توقيع نسخته :

معلوم يامحمد بن جهير ، أنه لم يظهر لك خيانة في دولة ولا مال ، ولكن لكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (١) ثم أذن له في بيع غلاته ، والتصرف في ماله على إيثاره وإيثار أصحابه ، فباعوا ماأرادوا

---

(١) : سورة الرعد الآية ٣٩.

من الرحل والقماش ، والدور والعقار ، وطلقوا النساء ، وأيتموا الأولاد ، وظهر من الاغتمام عليهم ، من جميعهن شملته الدار ، من خدم ، وأتباع ، وخواص ، ورعاع ، شـــيء كثير ، منهم العدد الكثير ليلا ، نساءا أورجالا ، باكين لمفارقته ، محزونين لبعده ، وهو يبكي معهم ، ويجزيهم خيرا ، وخرج غلمانه وأصحابه يوم الخميس المذكـــور ، وقد اجتمع العوام يدعون بهم ، ويبكون عليهم ، وقدم له وقت العشاء عند باب الرقـــة جلكولية (١) عالية من فراش ، وجاء أولاده معه ، حتى وقف عند باب بيت النوبة ، وشباك المدورة ، وظن أن الخليفة في الشباك ، فقبل الأرض عدة دفعات ، وبكى بكاءا شديدا ، وقال : الله بيني وبين من غير قلبك علي ياأمير المؤمنين ، فارحم شيبتي وأولادي وذلي وموقفي ، وارع حرمتي وخدمتي ، ولا ترتكب في مثلي هذا الفعل ، فلما يئس نزل إلى دجلة معضدا بين اثنين ، وهو يبكي ، والعامة تبكي لبكائه ، وتدعو له فيرد عليهم ، ويدعـو لهم ، ويودعهم ، وجلس في الجنكولية ، وعبر إلى النجمي وقد سبقه إليه صافي ومسعود من الخدام الخواص ، وجماعة من الصغار ، وحاجبان وفيروز الكرماني خادم أرسـلان خاتون وجماعة من الغلمان الدارية للمسير في صحبته ، فساروا إلى حلة نور الدولـــة ابن مزيد بالفلوجة ، فنزل فيها ، وأقام بها ، ثم أعيد إلى الوزارة بعد ذلك في السنة الآتية ، وسنذكـره إن شاء الله تعالى .

وفيها : ولي المستنصر دمشق الأمير بارزطغان ، قطب الدولة ، ووصـــل معه السيد الشريف أبو طاهر حيدرة بن مستخص الدولة ، ونزل بدار العقيقي ، وانهزم بدر أمير الجيوش من دمشق ، فنهب أهلها خزائنه ودوابه ، لأنه كـــان مسيئا إليهم ، وأقام قطب الدولة إلى سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وخرج ومعـــه الشريف حيدرة ، وكان بدر أمير الجيوش رصده ، فظفر بالشريف فسلخه ، وسنذكره بموضعه إنشاء الله تعالـى .

وفيها : جاء ناصر الدولة بالأتراك إلى باب المستنصر بالساحل ، وزحف المذكورون إلى باب وزيره ابن كدينة (٢) ، فطالبوه بالمال ، فقال : وأي مال بقي بعد أخذكـــم الأموال ، واقتسامكم الإقطاع ، فقالوا : لابد وأن تكتب إلى المستنصر رقعة ، فكتب إليه يذكر ماجرى ، فكتب على الرقعة بخطه :

---

(١) : واضح من سياق الحديث إنها نوع من أنواع القوارب التي كانت تستخدم في عبور دجلة .
(٢) : هو المحمد الحسن بن أسد بن أبي كدينة ولي الوزارة أكثر من مرة ، أنظـــر : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ٢٦٢ـ٢٦٨ .

أصبحت لا أرجو ولا أتقـــي ... إلا إلهي وله الفضـــل
جدي نبي وإمامي أبـــي ... وقولي التوحيد والعـدل (١)

المال مال الله ، والعبد عبد الله ، والإعطاء خير من المنع ، وسيعلم الذين ظلمـوا أي منقلب ينقلبون " (٢).

وفيهـا توفي :

أحمد بن محمد بن عقيل الشهرزوري

بالبيت المقدس ، كان فاضلا ، شاعرا ، ومن شعره :

واحسرتا مات حظي من قلوبكـم ... وللحظوظ كما للناس آجـــال

الحسن بن أبي طاهر بن الحسن ـ أبو علي الحنبلي

سكن دمشق ، وتوفي بها ، ومن رواياته : عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إن أحسن الحسن الخلق الحسن ، فالحسن الأول ابن حسان التميمي ، والثاني ابن دينار ، والثالث البصري ، والرابع ابن علي عليهما السلام .

خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله

الواعظة الشاهجانية ، وكانت عظيمة ، مشهورة بالصدق ، والزهد ، والورع ، والعفاف ، ولدت سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، وكانت تسكن قطيعة الربيع ، وصحبت ابن شمعون الواعظ ، ولما ماتت دفنت إلى جانبه

عبد الملك بن محمد بن يوسف

أبو منصور البغدادي ، لم يكن في زمانه من يخاطب بالشيخ الأجل سواه ، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وكان أوحد زمانه ، في فعل المعروف ، والقيام بأمور العلماء وأهل الصلاح ، وقمع أهل البدع ، وافتقاد المستورين ، ودوام الصدقات ، وكان يتصدق سرا ، ويكره أن يظهر عنه ، فإذا ظهر قال : إنما أنا واسطة ، وليس مني ، وكان محترما عند الخلفاء والملوك والأمراء .

---

(١) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ص١٦٠
(٢) : سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

وقال ابن عقيل في الفنون (١) : كان عين زماننا ، ماقهر على رأي ، ولاكسر له عرض ، وكان يتجرد وينفق على أشياخ الحنابلة الذين ليس لهم بالسلطان وصلة، واختص بأصحاب عبد الصمد الزاهد ، وهم أئمة المساجد ، والزهاد ، واستبعد الوعاظ ، وأكرم بني هاشم والأشراف بالعطاء الجزيل ، وأنعم على العرب ، والعجم، والتركمان ، والغلمان ، واحتاج إلى جاهه الخلفاء والملوك ، وماكان يسمع منه كلمة تدل على فعل فعله ، ولا إنعام أسداه ، وصمد لحوائج الناس، وكان يعظم من يقصده في حاجة أكثر من تعظيم من يقصده في غير حاجة .

ولما استولى البساسيري على بغداد ، وانحدر إلى واسط ، أخذ معه ، فنزل على طحان ، فلما رحل عنه أعطاه شيئا ، وانقضت مدة ، وإذا بالطحان قد قدم بغداد ، هاربا من ديون لزمته ، فدخل عليه فأكرمه وأنزله في حجرة وكساه ، وأمر بعض أصحابه أن يسأله عن سبب مقدمه ، فقال : هربت من ديون الناس علي ، وليس لي قدرة على وفائها ، فأرسل عبد الملك سفينة ، وحمل فيها من الفاكهة والكسوة والتحف شيئا كثيرا ، وأعطى لمن سفره بها مائتي دينار ، وقال : سل عن بيت فلان الطحان ، وأوصل مافي هذه السفينة إلى أهله ، وسل عن غرمائه ، وصالحهم بهذه المائتي دينار، وخذ منهم الوثائق ، فمضى الرجل ، وفعل ما أمره ، وعاد ، وظن الطحان أنه قد نسيه ، فأحضره وقال : ماسبب قدومك ؟ فأخبره ، فقال : خذ هذه الوثائق ، وأعطاه مائة دينار.

وكان الخليفة يحبه ، ويصدر عن رأيه ، ويعتقد فيه اعتقادا جميلا ، وماتت له ابنة وكانت زوجة أبي عبد الله بن جردة ، فتبعها الأكابر والقضاة والأشراف ، ومشوا في جنازتها ، وجاءت صلف القهرمانة بطعام ولا شراب .

وكان مارستان العضدي قد خرب ، ودثر ، فأحياه ، واستخدم فيه الأطباء ، وأوقف عليه . وتوفي يوم الثلاثاء بداره بباب المراتب ، ودفن يوم الأربعاء رابع عشر محرم عند أبيه وجده ، مجاورا لقبر الإمام أحمد رحمه الله ، وغسله القاضي أبو الحسين بن المهتدي ، وصلى عليه ابنه ابو محمد الحسن داخل مقصورة جامع الخليفة ، وتبعه مائة ألف رجل ، أو يزيدون ، سوى النساء ، وغلقت أسواق بغداد ، وضج الناس بالبكاء عليه ، لأنه كان يحسن إليهم ، فكم كسا يتيما ، وزوج أرملة ، وكم بنى مسجدا وقنطرة .

وتولى المارستان وليس فيه طبيب ، ولا شراب ، والمرضى ينامون على البواري (٢) فرتب فيه ثمانية وعشرين(٣) طبيبا ، وطبقه بخمس وعشرين ألف طابقة ، ونقل إليه الأشربة والأدوية والعقاقير ، والفرش واللحف.

---

(١) : لم أعلم بوجود نسخة منه حتى أقوم بالتخريج عليها .
(٢) : البواري جمع بارية وهي الحصير.
(٣) : ((زيدت وعشرين من ب.

ولما اجتازوا بجنازته جامع المنصور ، أرادوا الصلاة بالجامع عليه ، فلم يسع الناس ، ولا قدروا على أن[1] يدخلوا تابوته إلى الجامع من الزحام .

سمع أبا عمرو بن مهدي وغيره ، وروى عنه الخطيب وغيره ، وأجمعوا على فضله ودينه ، وصدقه ، وثقته .

وقال محمد بن الفضل : حدثني رجل من أهل النهروانات أنه كان يعطيه بكل سنة عشرة دنانير ، فأتى بعد وفاته إلى وكيله ابن رضوان ، فأذكره بها ، فأعرض عنه ابن رضوان ، فألح عليه ، فقال له : مر واطلب ممن كان يعطيك ، فمضى إلى قبره ، وجلس عنده ، وترحم عليه ، وقرأ القرآن ، فوجد عند قبره قرطاسا فيه عشرة دنانير ، فأخذه وجاء إلى ابن رضوان وعرفه الحال ، فتعجب وتفكر ، فذكر أنه زار القبر ، ومعه كواغد فيها دنانير ، قد أعدها للصدقة ، وإذا بالكاغد قد سقط منها ، فقال له ابن رضوان : خذه ولن أقطعها عنك كل سنة ما دمت حيا .

أبو جعفر الطوسي

فقيه الإمامية ، صاحب التفسير الكبير ، وهو عشرون مجلدة ، وله تصانيف أخر ، توفي يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم ، بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان مجاورا عند ضريحه .

محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد

القاضي الأندلسي ، كان قد استولى على اشبيلية ، وأكثر مدن الأندلس ، وكان شجاعا ، جوادا ، يحب العلماء والفضلاء[2] ويجاهد بنفسه في سبيل الله ، ويعدل في رعيته ويحسن إليهم ، وكان مهيبا .

ولما مات قام بعده ولده أبو عمرو عباد ، ولقب بالمعتمد وله ثلاثون سنة ، وكان أديبا متواضعا ، جوادا سمحا ، وكان يحيى بن محمود بن هود ، وزير الدولة الأموية ، قد سلم طليطلة إلى الفنش ملك الفرنج ، وكان يوسف بن تاشفين ، أمير المرابطين الملثمين قد

---

(١) : زيدت ((على أن)) من ب .
(٢) : زيدت ((والفضلاء)) من ب .

بنى مراكش ، وأقام فيها ، وشن (١) الفنش منها الغارات على جزيرة الأندلس، فكتب عباد بن محمد بن اسماعيل إلى يوسف بن تاشفين يستنجد على الفنش، فعبر زقاق سبتة إلى الأندلس، ومعه عساكره ، واتفق مع ابن عباد ، وسار نحو الفنش إلى موضع يقال له زلاقة ، والتقوا ، وكانت الدبرة على الفرنج ، فحصدوهم حصدا ، ووقعة الزلاقة مشهورة ، وكانت في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأقام ابن عباد بن محمد بالأندلس، فلم يزل بها حتى قوي عليه يوسف بن تاشفين ، وأخرجه منها •

السنة الحادية والستون والأربعمائة

فيها : في المحرم وردت الأخبار ، بأن ناصر الدولة ابن حمدان ، خرج يوما من عند الوزير أبي عبد الله الماسكي ، وزير مصر ، فوثب عليه رجل صيرفي ، وضربه بسكين ، فسبق وقتل في الحال ، وحمل ابن حمدان إلى داره ، وقد جرح ثديه ، ويشرمنه ، وعولج فبري بعد مدة ، وأشار أن صاحب مصر ووالدته دسا الصيرفي عليه وبذلا له أموالا ، وحمل المشارقة على خلع الطاعة ، وإن صاحب مصر قد نحف (٣) أمره واضمحل ، وتشاغل باللهو والطرب والشرب ، وسار ابن حمدون مع متقدمي المشارقة : سنان الدولة ، وسلطان الجيوش ، وغيرهما ، فحصروا القاهرة ، فتوصل صاحب مصر ووالدته وأخيه ، إلى أن أرسلوا إلى مصر من استنفر لهم العامة ، واستصرخهم، وذكرهم حقوقهم عليهم ، ووعدهم الإحسان إليهم ، فثاروا إلى دور ابن حمدان فنهبوها وأحرقوها وإلى دور المتعلقين عليه ، ففعلوا بهم كذلك ، ونقضوها ، وأعلنوا بدعوة صاحب مصر ، وعرف المشارقة ذلك ، فخافوا على منازلهم وأهلهم وأموالهم ، فعادوا إلى الطاعة، ورجعوا إلى مصر ، وأظهر متقدموا المشارقة إنكار مافعله ابن حمدان ، وقالوا : أكرهنا عليه ، وخفنا منه ، وكانوا لكثرة أموالهم يخافون من صاحب مصر ، فأطاعوا ابن حمدان •

وفي المحرم ، وصل ملك الروم (٤) إلى بلد حلب ، في مائتي ألف ، فخرج إليه محمود بن الزوقلية ، وابن خان ، والعز ، وبنو كلاب وواقعوه دفعتين ، وانهزم المسلمون وفتحت الروم حصني عم وأرتاح ، وكان الغز وبنو كلاب قد فتحوهما قبل ذلك، وانبسط الروم إلى منبج ، وكان أكثر أهلها قد هربوا منها، وبلغ

---

(١) : في ب ((وثب))
(٢) : في فحص بطليوس في منطقة الحدود الإسبانية البرتغالية حاليا •
(٣) : في ب ((سخف))
(٤) : هو الأمبراطور رومانوس دايجينس وسيرد خبر هزيمته وأسره في معركة منازكرد •

كراء الراحلة منها إلى حلب ثمانين دينارا ، وحصرها الروم ، فاستأمن إليهم عدد ممن تخلف فيها ، وفتحوها لهم ، فقتلوا من لم يستأمن إليهم من المسلمين ، ونقضوا من سورها مابنوا بحجارته حصنا ، كان قديما فيها ، ورتبوا أصحابهم في الحصن ، وجعلوه معقلا لهم ، وفرقوا في المستأمنة مالا كثيرا ، عوضا عما ذهب منهم ، وأحسنوا إليهم وأفاضوا العدل فيهم ، تقويا بهم على حفظ البلد ، ووقع الغلاء في عسكر الروم لكثرتهم ، وقلة ميرتهم ، لما توالى عليهم من إخراب التركمان بلادهم ونهبها ، وزاد الغلاء حتى بيع رطل خبز بدينار ، وستة إلى فوق سبعة بدينار .

وبلغ صاحب الروم أن الأفشين فتح عمورية ، ونهبها ، فعاد إلى القسطنطينية بعساكره ، وبقيت منبج في يد أصحابه في الحصن ، والبلد على حالها ، واسم هذا الملك دوجاني ، أقام ملكا ثلاث سنوات .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر ، عاد الوزير فخر الدولة أبو نصر إلى بغداد وسببه :

أنه لما فارقها ، زادت الرغبات في خدمة الخليفة ، واختلفت الآراء والأهواء ، فوقع العزم على ابن عبد الرحيم ، وكتب الخليفة إليه بالقدوم من مستقره في مطير أباد إلى الفلوجة حلة دبيس ، فقدمها على إضامة شديدة ، وبذل من أشار عشرة آلاف دينار ، ولم يكن لها وجه .

وورد أبو المعالي ، أخو الوزير أبو العلاء ، النازل على هزارسب بكتاب من ألب أرسلان ، شفاعة بأن يستوزر أبا العلاء ، فأظهر الخليفة أن أمر ابن عبد الرحيم قد تقرر ، ولو سبق هذا لوقعت الإجابة إليه ، وفي ليلة رد الخليفة هذه الشفاعة رأي نجاح الخادم الخاص في منامه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يدق عليه بابه ، فقال الخادم : من أنت ؟ فقال : رسول الله تعالى ، فقال له ، وقد ذعر : هل من حاجة ؟ فقال : جئت أبشرك بعود ابن جهيز إلى الوزارة ، فلما أصبح ذكر للخليفة ذلك ، فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلاتشعرن أحدا بما رأيت ، فلما ظهر ابن عبد الرحيم ، ثار العوام ، وألقوا في الجامع الرقاع ، فيها اللعنة على من أشار به ، ومن سعى له ، لأنه كان مع البساسيري ، ونهب الدار والحريم ، وأقام الدعوة للمصريين ، مضافا إلى قديم فعله في المصادرات ، وقالت أرسلان خاتون ، زوجة الخليفة : هذا ممن نهبني ، وأخذ مالي ، وسعى في قتل عساكر عمي ، ومتى ورد قبضت عليه ، فتوقف أمره ، وكان فخر الدولة يواصل المكاتبة ، ويسأل

في إعادته ، وقامت بأمره صلف القهرمانة ، وجماعة من الخواص ، وقالوا للخليفة : إذا استخدمت وزيرا جديدا ، غضب ألب أرسلان حيث ردت شفاعته في أبي العلاء ، فإذا أعيد الوزير القديم انقطع الخطاب ، وسقط العتاب ، وبذل عشرة آلاف دينار ، وخمسة عشر ألف دينار ، فأجاب وكوتب بالرجوع ، وأعفي من المال ، وبرز توقيع الخليفة : قد أعفيناه من المال ، ورأينا إعادته ، لعلمنا أن من عرض علينا لا يقاربه ولا يوازيه ولا يشبهه ولا يضاهيه ، وبعث إليه من خواص خدمه مسعود وصافي وبحاجب الحجاب أبي عبد الله المردوشي ، فمضوا إلى حلة ابن مزيد ، وعاد يوم الثلاثاء حادي عشر صفر ، ونزل بالنجمي واستأذن في العبور ، فأذن له ، ولم يبق ببغداد أحد ، وجاءوا إليه ، وأظهر الخاص ، والعام من السرور بعوده شيئا مفرطا ، وعبر في الزبزب إلى مشرعة دار دينار ، وركب في الجمع العظيم إلى الحلبة ، ولما وصل إلى المنظرة ، نزل تحتها ، وقبل الأرض ، ودعا ، ثم ركب ، ودخل إلى الديوان ، وتصدق قوم بعدة قدور فيها طعام من أهل السوق ، وصام آخرون ، وذبح رجل سقاء بقرة كان يعمل عليها ، ويتقوت منها ، وتصدق بلحمها ، وقال الوزير : واجتهدت بكل من فعل ذلك ، بأن يقبل جزاء فلم يفعل ، ولما جلس في الديوان ، أنهي حضوره ، فخرج توقيع الخليفة بما طيب قلبه ، فلما كان يوم الإربعاء ثالث ربيع الأول ، جلس الخليفة في التاج ، وأوصل إليه الوزير وولديه : عميد الدولة ، وزعيم الرؤساء ، فلما وقعت عين الوزير على الخليفة ، خدم وقال : الحمد لله جامع الشمل بعد شتاته ، وواصل الجميل بعد تباته ، ثم خاطب الخليفة الوزير ، بما شرح به صدره ، وأمر بافاضة الخلع عليهم ، فخلع على الوزير الفرجية والعمامة المذهبة ، وكذا على ولديه ، وأعطى بغلة من مراكب الخليفة ، وأعطى ولديه فرسان ، وأخرجوا بين يدي الوزير دواة مفضضة ، والخلائق بين يديه ، وكتب له توقيع يشعر بالرضا عنه ، ودخل عليه ابن الفضل الشاعر ، وأنشده هذه الأبيات :

قد رجع الحق إلى نصابه ... وأنت من دون الورى أولى به
ماكنت إلا السيف هزته يد ... ثم أعادته إلى قرابه
هزته حتى أبصرته صارما ... رونقه يغنيك عن ضرابه
أكرم بها وزارة ما سلمت ... واستودعت إلا إلى أربابه
مشوقة إليك مذ فارقتها ... شوق أخي الشيب إلى شبابه

يدمى أبو الأشبال من زاحمه ... في حيسه بظفره ونابه
إن الهلال يرتجي طلوعه ... بعد السرار ليلة احتجابه
والشمس لا تيئس من طولعها ... وإن طواها الليل في جلبابه
ما أطيب الأوطان إلا أنها ... للمرء أحلى إثر اغترابه
لو قرب الدر على طالبه ... ما لجج الغائص في طلابه
ولو أقام لازم أصدافه ... لم تكن التيجان في حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه ... إلا وراء الهول من عبابه
من يعشق العلياء يلقى عندها ... ما لقي المحب من أحبابه
طورا صدودا ووصالا مرة ... ولذة الوامق في عتابه
ذل لفخر الدولة الصعب الذرى ... وعلم الأنام من آدابه

فلما كان يوم الجمعة ، سادس ربيع الأول ، ركب الوزير في موكب عظيم ، وعبر ليصلي في جامع المنصور، وضج الناس بالدعاء للخليفة سرورا به ، واجتاز بالكرخ ، فنثر عليه أهله فيه الدنانير والدراهم ، والآس، وشجر العود ، ورشوا الطريق بماء الورد ، وخلقوا دوابه ، ودواب أصحابه .

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي : وفي ربيع الآخر ، جرت فتنة لأجل أبي الوفاء ابن عقيل ، وكان أصحابنا (١) ينقمون عليه ، لأجل تردده إلى أبي علي بن الوليد المعتزلي ، وفي أشياء كان يقولها ، وكان فيه فطنة وذكاء ، فأحب الإطلاع على كل مذهب ، فقصد ابن الوليد ، وقرأ عليه شيئا من الكلام في السر ، وكان ربما تأول بعض أخبار الصفات ، واتفق أنه مرض، فأعطى رجلا يلوذ به يقال له معالي الحايك ، بعض كتبه ، وقال : أن مت أحرقها ، فنظر فيها ما دل على تعظيم المعتزلة ، والترحم على الحلاج ، وكان قد صنف في مدح الحلاج جزوا في زمان شبابه ، وتأول فيه أقواله ، وفسر أشعاره ، واعتذر له ، فمضى ذلك الحائك إلى الشريف أبي جعفر وغيره ، فأطلعهم عليهم ، فاشتد ذلك عليهم ، وراموا الإيقاع به ، فاختفى ، ثم التجأ إلى باب المراتب ، ولم يزل الأمر في تخبيط خمس سنين حتى زال سنة خمس وستين وأربعمائة (٢).

(١) : أي الحنابلة .
(٢) : المنتظم ٨ : ٢٥٤

وفي شعبان ورد الخبر ، بأن نظام الملك أسر فضلويه بن علوية الشوانكاري
ذكر السبب :

كان فضلويه قد عصى على السلطان ، وصالح قاورت بك عليه ، واتفقا وتحصن فضلويه بقلاعه ، وكانت حصينة ، واحتمى بقلعة يقال لها خرشة (١) وكان ألب أرسلان قد سار من أصفهان في أول المحرم ، قاصدا فضلويه ، وإذا فرغ منه سار إلى كرمان لقتال أخيه قاورت بك ، ووصل إلى شيراز ، وولي فيها العمال ، وجاء حسنويه أخو فضلويه مستأمنا ، وأظهرآنه قد انفصل عن أخيه ، لما عصى على السلطان ، وضمن فتح قلاعه ، وأثارة أمواله ، فقبل ظاهر قوله ، ووعد الإحسان ، وسار السلطان من شيراز طالبا كرمان ، ونظام الملك بفتح قلعة ، تارة بالتدبير بالقتال ، ونزل على خرشة ، وضرب خيمة بإزائها ، وعلم السلطان أن أخا فضلويه عين عليه فاستحضره على سكر وقال له : أين ماوعدتنا ، لا مالا إثرت ، ولا قلعت فتحت ؟ فقال : طمعت في فتح القلاع ، وأخذ مال أخي منها ، فتولاها غيري ، فقال : كذبت ، بل أنت عين علي لأخيك ، ثم قال للأمير أبي علي بن كاليجار بن بويه : خذه : فاقتله فانه وأخاه قتلا أخاك أبا منصور ، فقال له : ولد أخي هاهنا ، هو أحق بأخذ الثأر مني ، فسلمه إلى ابن أخيه ، فذبحه بسكين أعطاه السلطان إياها ، وسار ألب أرسلان نحو بردسير التي فيها قاورت بك ، وأقام نظام الملك محاصرا لخرشه ، فأقام عليها مدة طويلة ، وفضلويه يبعث إليه الفواكه والرياحين ، كالمتنخص له ، وأيس نظام الملك منه ، وعزم على الرحيل عنه ، فاتفق أن فضلويه أراد الخروج من القلعة ، ويمضي إلى قلعة أخرى ليجمع أصحابه وعشيرته ويلزم المضايق على نظام الملك ، فخرج في الليل في ثلاثين رجلا من أصحابه ، ورآهم أكثر من كان بحصار القلعة ، فتبعوهم ، فجاء فضلويه فاختبأ في مغارة ، وأخذ الترك صاحبا له فهددوه بالقتل ، وظنوهم قد نزلوا يأخذون ماء ، فقال : لا تقتلوني أنا من أصحاب فضلويه ، وقضيتنا كذا وكذا ، وهو في مغارة وجاء بهم إليها ، فدخلوا عليه فأخذوه ، وحملوه إلى نظام الملك ، فخاطبه بالجميل ، ووعده أن يخاطب السلطان في حقه ، بعد أن يبذل مالا تتشوق النفس إلى مثله ، فبذل خمسمائة ألف دينار ، وراسل من في القلعة ففتحت وسلمت بعد أن أشترط حراسة حرمه الذين فيها ، وقيده نظام الملك ، وسار به إلى ألب أرسلان وهو على

(١) : ليست في معجم البلدان ولا في غيره من المصادر الجغرافية .

حصار بردسير ، فأحضر فضلويه ، وعدد عليه مافعله من الجميل معه ، وماعامله به من العصيان والغدر ، وأمر بقتله ، فقال له : ياسلطان ماأخرجني من القلعة إلا خلافي ، لأنني لما خدمتك كان الإقبال معي ، والسعادة تخدمني ، فلما خالفتك وملت إلى أخيك صارت النحوس مرافقي ، فحين سمع ذكر أخيه ضحك ، وتقدم بفك قيوده ، ثم أدناه إليه ، وأعطاه قلنسوة أمانا ، وقال : قد عفوت عنك ، وعن ذنوبك فسلم المال الذي بذلته لأطلقك ، وأستخدمك ، فقال : سمعا وطاعة ، ثم وصل من قاورت بك كتاب إلى أخيه ، يستعطفه ، ويرققه ، ويناشده الله والرحم ، فرق له ، وبينما السلطان على هذا ، جاءه بعض أصحابه ، وأخبره أن قاورت قد كتب إلى جماعة ووعدهم واتفقوا على الفتك به ، وأوضح له الأحوال ، فقتل أولئك الجماعة ، وعلم إن هذا ليفعل معهم وإنما فعل مع الأكثر من عسكره فرحل عائدا إلى شيراز ورتب فيها ولده ملك شاه في قطعة من العسكر ، وجعل معه العميد أبا سعد المستوفي ، وسار إلى اصفهان فدخلها في العشر الاخر من ذي الحجة وعزمه قصد الري .

وفي شعبان ورد الخبر من اليمن بأن عبد المستنصر الصليحي ، بعد قتل سعيد[1] بن نجاح الصليحي وأسره لزوجته والدة عبد المستنصر ، جمع إليه عساكر أبيه وقصد سعيد إلى زبيد ، وحاربه ، فقتله وانتزع والدته الحرة ، وكان سعيدا منذ أخذها ، وإلى أن قتل جعلها في قصر ، وقطع درجه ، وجعل السلم الذي يرتقى إليها عليه عندها لئلا يتهم معها ، وقتل عبد المستنصر بزبيد مقتلة كثيرة ، ونهبها لأن أهلها عاونوا سعيدا على أبيه وسروا بقتله ، وعاد عبد المستنصر إلى صنعاء ، وخطب باليمن للمستنصر ، وقام غياث أخوسعيد مقام أخيه ، وجمع الرجال والعبيد ، وانضاف إليه ابن عراف ، وابن عم الصليحي ، واتفقا على عبد المستنصر ، وخطبا للقائم ، وكان ابن عراف هذا قد قدم بغداد ، وحضر ديوان الخليفة وأقام على الباب ، إلى أن قتل الصليحي ، وعاد إلى اليمن .

وفيها ورد الخبر ، أن الأفشين التركي ، ومن معه من الغز ، وكان من أصحاب السلطان ، مقيما بأطراف الروم من ناحية الخزر ، وأنهم وصلوا إلى عمورية ، واتفق أن ملك الروم قبض على بطريق كبير ، فهرب أخوه لما علم ، وصادف الأفشين في طريقه وعرفه مافعل الملك بأخيه ، ووعده أن يحتال على عمورية ، ويسلمها إلية ، وبعث

---

(١) : أضيفت سعيد من ب

البطريق إلى عمورية ، يخبرهم بأن الملك أرسله إليهم ليعاونهم ، ويشد منهم على الغز ، وتقدم البطريق ، ومعه الأعلام عليها الصلبان ، والأفشين خلفه ، فلما ملك البطريق الباب ، لحقه الأفشين ، ودخل البلد ، فقتل وسبى ، ونهب وعاد ، ومعه من الاموال ماعظم قدره ، وأسرى إلى خليج القسطنطينية ، وأغار على جشار(١) الملك ، فأخذ منه نحو من ستة آلاف فرس، وعلم ملك الروم ، وكان على منبج ، فسار إلى القسطنطنية ، وجاء الأفشين إلى أنطاكية ، فأخرب بلدها وحصرها ، وقرر عليها عشرين ألف دينار. وفيها توفي :

عبد الرحيم بن أحمد بن نصر أبو زكريا البخاري

التميمي الحافظ ، طاف الدنيا في طلب الحديث ، فسمع بما وراء النهر ، وخراسان ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والمغرب ، وأثنى عليه الأئمة ، وكانت وفاته بالمحرم ، واتفقوا على صدقه ، وثقته ، وفضله ، إلا محمد بن طاهر فإنه ضعفه .

السنة الثانية والستون والأربعمائة

أختل أمر مصر ، واستولى عليها ابن حمدان ، وزاد في عطاء الجند والعصيان ، حتى نفذت الخزائن ، وقلت الارتفاعات ، وغلت الأقوات ، واتفق ابن حمدان مع الشريف أبي طاهر حيدرة بن الحسن ابن العباس بن الحسن بن العباس بن أبي الحسن الحسيني ، وكان قد نفاه بدر الجمالي من دمشق ، وكان حسن الطريقة ، كثير النعمة ويلقبه العوام بأمير المؤمنين ، لما يأخذ به نفسه من العفة والنزاهة والوفاء ، والصيانة وكان وصل إلى مصر شاكيا إلى ابن حمدان من بدر الجمالي ، فاتفق ابن حمدان والشريف وحازم وحميد ابن جراح ، وهما من أمراء عرب الشام ، وكان لهما في جيش صاحب مصر نيف وعشرون سنة ، فأخرجهما ابن حمدان ، واتفقوا على الفتك ببدر الجمالي ، وأعطاهم ابن حمدان أربعين ألف دينار ينفقونها في هذا الوجه ، وتحدث بأن يرتب الشريف ابن أبي الحسن ، إذا عاد من هذا الوجه ، في مكان صاحب مصر ، لأن آلات الخلافة مجتمعة فيه ، من نسب صحيح ، وحسب صريح ، وطريقة مستقيمة ، وأفعال جميلة، وانقسم عسكرمصر قسمين : قسم مع ابن حمدان ، وقسم عليه ، وزادت مطالبته بالأموال حتى

---

(١) : الجشار: القطيع في المرعى ، انظر النهاية لابن الاثير.

استوعبها وأنفدها ، وأخرج جميع مافي القصر من ثياب وأثاث ، حتى المحقرات والمستعملات ، وثمنها على العسكر بالثمن النزر ، وحالف أمراء الأتراك سرا على صاحب مصر ، وعرف صاحب مصر ذاك ، مضافا إلى ماسمع عنه من حديث الشريف ابن أبي الحسن ، فقلق ، وراسل ابن حمدان : إنك قدمت علينا زائرا ، وجئتنا ضيفا ، وأكرمناك وقابلتنا بما لا نستحقه منك ، ونحن عليك صابرون ، وعنك مغضون ، وقد انتهت بك الحال إلى مخالفة العسكر علينا ، والسعي في تلافنا ، وماذاك مما يهمك ، ويصبر عليك ، ويجب أن تنصرف عنا موفورا في نفسك ومالك ، وإلا قابلناك على قبيح أفعالك فأغلظ ابن حمدان في الجواب ، واستهزأ بالرسول .

فبعث صاحب مصر إلى يلد كوز ، الملقب بأسد الدولة ، وهو شيخ الأتراك ، والمتقدم عليهم ، وكان من المخالفين على ابن حمدان ، فاستحضره واستحلفه وتوثق منه ، ومن جماعة ممن يجرى مجراه ، وجمع الأتراك الذين معه والمغاربة وكتامة إلى باب القصر ، وعرف ابن حمدان ، فبرز خيمه إلى بركة الحبش (١) ، وأخرج صاحب مصر الخيمة الحمراء ، وتسمى خيمة الدم ، فضربها بين القصرين ، واجتمع الناس ، وسار إلى حرب ابن حمدان ، والتقوا بمكان يعرف بالباب الحديد ، وورد أكثر من كان مع ابن حمدان في الأمان ، وكان في جملتهم الأمير أبو علي بن الملك أبي طاهر بن بويه ، ثم قتل بعد ذلك ، وانهزم ابن حمدان إلى الاسكندرية بنفسه ونهبت دوره وأمواله ودور أصحابه ، ومضى إلى حي من العرب ، فنزل عليهم ، وتزوج منهم ، وصار يشن الغارات على أعمال مصر ، وبعث إليه المستنصر جيوشا ، وهو يهزمها ، وجمع خلقا كثيرا ، ونزل بالصالحية (٢) واجتمع إليه من كان يهواه من المشارقة ، وامتد عسكره نحو عشرة فراسخ ، وحاصر مصر من الظهر ، وفي الماء فبلغت الرواية ثلاثة عشر قيراطا ، وكل ثلاثة عشر رطلا من الخبز دينار ، وعدمت الأقوات ، فضج العوام ، وخاف صاحب مصر أن يسلموه إليه ، فراسله وصالحه ، واقترح عليه إبعاد يلد كوز ، ومن يعاديه من المشارقة ، وأن ينفرد ابن حمدان بالبلاد ، وتدبير الأمور والعساكر ، ورفع الحصار عن مصر وعادت الأمور إلى ماكانت عليه .

---

(١) : هي أرض في وهدة من الأرض واسعة مشرفة على نيل مصر خلف القرافة . معجم البلدان .

(٢) : الصالحية هنا صالحية القاهرة خارجها : أنظر كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية للبمن ابن الجيعان ط. القاهرة ١٩٧٤ ص ٥٠ .

وأما أخبار الشام ، فإن بدر الجمالي كان قد ورد دمشق واليا على الشام سنة ثمان وخمسين ووصل عسقلان ، وغزا بني سنبس (١) ، ونكا فيهم ، وعاد إلى الأقحوانة ، وجاءه أميران أخوان من سنبس ، فقتلهما لأجل غارات كانت لهما بالشام قبل وصوله إليه ، ثم سار يشق حلل العرب : كلب وطيء وغيرهما شقا ، وفعل فعلا لم يسبقه أحد إليه ، حتى وصل دمشق ، فنزل قصر السلطنة بظاهرها ، وأقام سنة ، فأمن من الناس لهيبته ، ثم قبض على ابن أبي الرضا ، خليفة الشريف القاضي ، المكنى بأبي الفضل اسماعيل بن أبي الجن العلوي ، وعلى جماعته وأخذ منهم عشرة آلاف دينار (٢) ووهبها لحازم بن جراح ، المفرج عنه من مصر ، وكان قد هرب إليه ، فأعطاه المال استكفافا له عن معاونة الشريف أبي طاهر بن أبي الجن ، المنفذ معه حازم لإفساد أمر بدر الشام ، وإثارة أهل دمشق عليه ، ولما فعل بدر بالمذكورين مافعل ، ثار أهل دمشق عليه ، وأغلقوا أبوابها ، وحاربوه ، وساعدهم حصن الدولة ابن منزو ، وراسلهم مسمار بن سنان الكلبي ، وراسلوه ، وحالفوه ، وجاءت عرب مسمار فأغارت على قصر السلطنة بدمشق بظاهرها ، وعادوا لبدر الجمالي وراوحوه ، فأنفذ ثقله وأهله إلى صيدا ، ومضى خلفهم إليها ، وجمع ابن منزو عسكره وعسكر دمشق لقصد بدر ، فلما عرف ذلك رحل إلى صور وحاصرها ، ومتوليها القاضي الناصح ، ثقة الثقات ، عين الدولة ، أبو الحسن محمد بن عبدالله بن أبي عقيل ، فحاصرها أياما ، وقرب منه ابن منزو ، فسار إلى عكا ، وأقام أياما ، دخل فيها بزوجته بنت رقطاش التركي ، ومضى إلى عسقلان (ثم عاد الى دمشق).

وجاء الشريف ابن أبي الجن من مصر إلى دمشق ، وكان أهلها هدموا قصر السلطنة ودرسوه ، وكان عظيما يسع ألوفا من الناس ، وأقام (بدر) على دمشق سبعة وعشرين يوما ، ومعه حازم وحميد بن جراح اللذان اتفقا مع الشريف على الفتك ببدر ، وكان حميد قد طمع من بدر في مثل مافعله مع حازم ، ولما عجز بدر عن دمشق ، عاد إلى عكا لأن الشريف والعساكر ، والعوام دفعوا عنها ، ولما رحل عن دمشق ، اختلف العسكر وأحداث البلاد ، فنهب العسكر بعض البلد ، ونادوا

---

(١) : من فروع قبائل طيء — انظر جمهرة أنساب العرب — لابن حزم ط. القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٠٢.

(٢) : أضيفت ((دينار)) من ب .

بشعار بدر الجمالي ، واستدعوا منه صاحبا (يكون عندهم فأنفذوا إليهم رجلا)(١) يعرف بالقطيان في جماعة من أصحابه ، فدخل دمشق ، وهرب الشريف ابن أبي الجن ، وولد ابن منزو ، وكان أبوهما قد مات على صور في هذه السنة ، فنزل ابن منزو على الكلبيين وسار الشريف طالبا مصر ، فاجتاز بعمان البلقاء ، وبها بدر بن حازم صاحبها ، فقبض على الشريف وباعه من بدر الجمالي باثني عشر ألف دينار ، فقتله أمير الجيوش بعكا خنقا .

وبعث بدر الجمالي إلى دمشق علويا ، يعرف بابن أبي شوية ، من أهل قيسارية، وأمره بمصادرة الشريف أبي الفضل بن أبي الجن أخي المقتول ، وجماعة من مقدمي دمشق ، وعلم أهل دمشق ، فثاروا على ابن شوية ، وأخرجوه ، ولعنوا أمير الجيوش ، ووافقهم العسكر ، وبعثوا إلى مسمار بن سنان، وحازم بن نبهان بن القرمطي (٢)أميرا بني كلب ، وبذلوا لهما تسليم البلد ، فبعث إليهم مسمار يقول : لا يمكنني الدخول إلى البلد وتملكه ، والعسكر جميعه فيه ، والمغاربة والمشارقة ، ويجب أن تخالفوا بينهم، وتخرجوا المشارقة ، ففعلوا ، وصاروا أحزابا ، وكان القتال في غربي الجامع ، ورمى المشارقة وأهل البلد بالنشاب من دار قريبة من الجامع ، فضربت الدار بالنار ، فاحترقت ، وثارت النار منها إلى الجامع ، فأحرقته ليلة نصف شعبان هذه السنة ، ولما رأى العوام ذلك ، تركوا القتال وقصدوا الجامع طمعا في تلافيه ليتداركوا ماحدث فيه ففات الأمر ، فرموا سلاحهم ، ولطموا ، واستغاثوا إلى الله تعالى ، وتضرعوا ، وقالوا : كم نحلف ونكذب ، ونعد (٣)ونحنث ، ونعاهد وننكث ، والنار تعمل إلى الصباح ، فأصبح الجامع ، ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة ، وصاروا أيام الجمعات يصلون فيه على التلال ، وهم يبكون، وانهزموا بعد ذلك، ونهبت دورهم وأموالهم ، وأنفذ مسمار واليا إلى دمشق من قبله ، يعرف بفتيان ، وراسل مسمار أهل البلد ثانيا ، بأن ينهبوا ويثبوا على المغاربة ، فيخرجوهم واتفق هو وأهل البلد ، فثاروا عليهم ، وتأخر مسمار عليهم، واقتتلوا ، فظهر عليهم المغاربة ، وأحرقوا قطعة من البلد ، ونهبوا أكثره ، ونادوا بشعار بدر أمير الجيوش، ووصل مسمار بعد ذلك إلى باب البلد ، وقد فات الأمر الذي ورد له ، فراسله المغاربة على أن يمكنهم من المقام في البلد ، ويعطونه مائة ألف دينار ، فرضي وأقام أياما في المكان

---

(١) : أضيف مابين الحاصرتين من (ب).

(٢) : كان بنو القرمطي من أسر الزعامة في قبيلة كلب هناك علاقة واضحة بين هذه التسمية وجماعات القرامطة .

(٣) : في ب ((ونغدر))

وطالبهم بالمال، فلم يعطوه شيئاً ولم يكن له قدرة عليهم فسار إلى السواد (١)، وكان مانهب المغاربة من دمشق يساوي خمسمائة ألف دينار، ووتبعوا أحداث دمشق، فقتلوا منهم سبعين حدثا .

ومضى سنان الدولة ولد ابن منزو إلى أمير الجيوش، وصالحه وصاهره على أخته وعاد إلى دمشق واليا عليها من قبل أمير الجيوش، وأطاعته المغاربة، وسلموها إليه، فدخلها .

وقال أبو رافع مياس بن مهدي القشيري، أحد أمراء بني قشير : كان سبب الفتنة بين العبيد والترك، أن عادة صاحب مصر أن يخرج في كل سنة على سبيل التنزه إلى مسجد التبن، ظاهر القاهرة، فخرج سنة ست وخمسين وأربعمائة وكان طرائف العبيد يمشون بالسلاح بين يديه ومن خلفه لا يخالطهم غيرهم، فجاء تركي بيده سيف مشهور، فجرحوه، فوقعت الفتن بين العبيد والأتراك، واتصلت إلى هذه السنة وبعدها .

وفي هذا الوقت، وقع بين ناصر الدولة ابن حمدان، وبين الأتراك شر، فتفرقوا عنه إلا اليسير، وأجفل ناصر الدولة، فلما أبعد إلى الريف، جاء أبو علي (٢) إلى باب الذهب، من قصر صاحب مصر، فقال له الوزير ابن الموفق (٣): أي وجه لك عند السلطان، وأنت من أصحاب ابن حمدان، فقال : ماجئت إلا مستأمنا، فزبره وأمره بالإنصراف، فانصرف، وأمر بعض المصامدة فتبعه فقتله، ثم أغلق القاهرة وكان بها تاج الملوك شاذي، فرآه الوزير، فقال : قد أمر السلطان أن يقتل كل من كان هاهنا من أصحاب ابن حمدان، وكان شاذي من أصحاب ابن حمدان، فجرد سيفه وضرب الوزير على وجهه ضربة صرعه، وقال : حزوا رأسه، فحزوه، فبعث به إلى ناصر الدولة، وخرج شاذي على حمية، ولما وصل الرأس إلى ابن حمدان، رجع إلى مصر، وانحاز إليه شاذي وغيره، وانحاز إلى المستنصر أعيان الأتراك أسد الدولة يلدكوز وغيره، والمصامدة والكتاميون، ووقع القتال بين مصر والقاهرة.

---

(١) : أي إلى حوران .

(٢) : هو أبو علي بن الملك بن أبي طاهر بن بويه — انظر ماسبق ص١٨٧.

(٣) : هو أبو غالب عبد الظاهر بن العجمي كانت هذه وزارته الثالثة أنظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص٢٧٠.

وقال رجل للمستنصر : ماقعودك ، قم واركب ، وإلا نهب القصر ، فركب وعلى رأسه البنود والأعلام ، وخلفه الكوسات تخفق ، والمصامدة والكتاميون ، ووقع القتال ، (بين مصر والقاهرة والقتال)بين يديه ، (يحمل)(١)فجاء إلى موضع القتال ، فلما رآه ناصر الدولة ، ترجل وقبل الأرض، وقال : إنما كنت أقاتل عسكرا مثلي ، فأما السلطان فلا ، ثم ركب ، وولى فيمن بقي من أصحابه ، وانهزم الباقون ، وسار إلى الاسكندرية وكانت معقله ، وفيها أمواله ، وذخائره وأخوته وأهله ، وجمع العرب والقبائل ، وعاد إلى حصار مصر ، وقطع الميرة عنها ، واشتد الحصار عليها ، فراسل صاحب مصر ابن حمدان في الموادعة ، فقال : لا أفعل حتى ينفذ حكمي في كل من عاداني من الأتراك وغيرهم ، فأجيب إلى ذلك ، وانهزمت طائفة من الترك إلى بدر الجمالي ، فدخل ابن حمدان إلى مصرفملكها ، وأقر صاحبها في قصره ، ولا حكم له ، وسير أخاه فخر العرب إلى الرملة ، فأطاعته العرب التي حولها من سنبس وغيرها ، وملكها ، وسار إليه حازم بن الجراح في طيء كلها ، ومضى بدر بن حازم مخالفا لأبيه إلى بدر الجمالي ، لما فعله مع الشريف ابن أبي الجن .

وفيها استولى القاضي مختص الدولة ابن أبي الجن ، أخو حيدرة المقتول على دمشق ، وطرد نواب أمير الجيوش، واستولى على صور ابن أبي عقيل ، وعلى طرابلس قاضيها ابن عمار ، وعلى الرملة والساحل ابن حمدان ، ولم يبق لأمير الجيوش غير عكا وصيدا .

وفي ذي القعدة جلد من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد ، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا ، فإنه مات أكثر أهلها ، وأكل بعضهم بعضا ، وظهروا على أحد الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء ، وأكل لحومهم بعد أن طبخها ، وباعها للناس أيضا ، وأكلت الدواب بأسرها فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاث أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف مابين فرس وجمل ، ودابة وبيع الكلب بخمسة دنانير ، والسنور بثلاثة ، ونزل أبو المكارم ، وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته ، وليس معه إلا غلام واحد فجاء ثلاثة وأخذوا بغلة الوزير ، ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه ، فذبحوها وأكلوها ، فأخذوا وصلبوا ، فأصبح الناس، فلم يروا إلا عظامهم ، أكل الناس لحومهم .

---

(١) : أضيف مابين الحاصرتين من (ب) .

ودخل رجل إلى الحمام ، فقال له الحمامي : من تريد أن يخدمك ، سعد الدولة ، أو عز الدولة ، أو فخر الدولة ، فقال الرجل : أتستهزئ بي ؟ فقال : لا والله ، انظر إليهم ، فنظر فإذا أعيان الدولة قد صاروا يخدمون الناس في الحمام ، وباع المستنصر جميع مافي قصره ، حتى أخرج ثيابا كانت في القصر من زمن الطائع ، لما نهب معز الدولة داره ، في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وأشياء أخذت في نوبة البساسيري ، وأخرج طشت وإبريق بلور ، يسع الإبريق رطلين ماء ، والطشت أربعة أرطال ، فبيعا بإثني عشر درهما ، وبيع من هذا الجنس ثمانون ألف قطعة ، وأما الجواهر ، واليواقيت ، والخسرواني فشيء لا يحصى ، وأحصى من الثياب التي بيعت ثمانون ألف ثوب ، وعشرون ألف درهم ، وعشرون ألف سيف محلى ، وباع المستنصر ثياب جواريه وسجوف (١) المهود ، وكان الجند يأخذون ذلك بأقل ثمن .

وباع رجل دارا بالقاهرة ، كان اشتراها بسبعمائة دينار ، بعشرين رطل دقيق وبيعت البيضة بدينار ، والأردب القمح بمائة دينار في أول الأمر ، ثم عدم أصلا .

وكان السودان يقفون في الأزقة يشقون النساء بالكلاليب ، يشرحون لحومهن ويأكلونها ، واجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر ، وكانت سمينة ، فعلقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة ، وقعدوا يأكلونها ، وغفلوا عنها ، فخرجت من الدار ، واستغاثت وجاء الوالي ، وكبس الدار ، فأخرج منها ألوفا من القتلى ، وقتل السودان .

واحتاج المستنصر ، فأرسل فأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وخرجت امرأة من القاهرة ، ومعها مد جوهر ، فقالت : من يأخذ هذا ويعطيني عوضه مدين ، فلم يلتفت إليها أحد ، فألقته في الطريق ، وقالت : ما نفعني وقت حاجتي ، ما أريده ، فلم يلتفت إليها أحد ، وكل هذه الأشياء كان ابن حمدان سببها ، ووافق انقطاع النيل .

وضاقت يد أبي هاشم ، أمير مكة ، بانقطاع ما كان يأتيه من مصر ، فأخذ قناديل الكعبة ، وستورها وصفائح الباب ، والميزاب ، وصادر أهلها ، فهربوا ، وكذا فعل أمير المدينة .

---

(١) : السجف : الستر . القاموس

وفيها : أوقف نظام الملك الأوقاف على النظامية ، وحضر الوزير ، والقضاة ، والعدول في بيت النوبة ، وكتبوا الكتب ، وأثبتت ، ومما وقف سوق المدرسة ، وضياعا ، وأماكن ، وشرط الشروط المعروفة ·

وفيها قتل أصحاب السلطان فضلويه بن علوية الشوانكاري ، قد ذكرنا أن نظام الملك اصطنعه ، وأخذه من خرشه ، وأنه ضمن على نفسه مالا للسلطان ، فمالت نفسه إليه ، وعزم على إطلاقه ، إذا وافاه ، ولما رجع السلطان من كرمان ، أشار عليه نظام الملك باعتقاله في قلعة أصفهان ، فقال فضلويه : أحتاج أن أكون قريبا من أعمالي ، فاعتقل باصطخر ، وحفروا له فيها بئرا واسعة ، وحط فيها ، ووكل به ، وأثبت نحو ستين نفسا من أصحابه وثقاته ، زعم أن عندهم أمواله ، وكانوا على مذهبه في المكر ، ووافقهم على مال ، جحدوا بعضه ، وأقروا بالبعض ، وسبوه ولعنوه ، وذكروا أنه يكذب عليهم في أكثر ما يدعيه ، وأظهروا التبري منه ، كل ذلك بمواطأة منه ، ولم يقع في ذلك شك ولا ارتياب ، وأمرهم بالمطاولة فيما يحضرونه من المال ، إلى أن وقع من السكون إليهم ، ثم اتفق معهم على قتل صاحب القلعة ، في بعض الليالي ، وإخراجه من البئر ، فوثبوا على صاحب القلعة فقتلوه ، وسمع الموكلون بفضلويه الصياح ، فنزلوا فذبحوه ، وجاء أصحابه إلى رأس البئر ، فصاحوا به ، فرمى الموكلون به رأسه إليهم ، وقالوا : هذا فضلويه فخذوه ، فخذلوا ولحقهم من في القلعة من الجند فقتلوهم ، وكان نظام الملك قد أوصى الموكلين به : متى سمعتم صياحا ، فاقتلوه ولا تنتظروا مايسفر الحال عليه ، فلسنا نأمن هؤلاء الشوانكار أن يخرجوا علينا من بعض هذه الأودية ، فيأخذوه ، فلما سمعوا هذا القول ، وتخمر في نفوسهم وسمعوا الصياح في القلعة ، قتلوه ·

وفيها خرج عميد الدولة أبو منصور بن فخر الدولة الوزير ، إلى الري قاصدا ألب أرسلان ، ليتعرف خبره ، ويستوحش له عن الخليفة ، وأخذ معه هدايا كثيرة للسلطان ولنظام الملك فيها : مهد أسود مغشى بالديباج للسلطان ·

وفيها كتب ألب أرسلان إلى الخليفة ، يخطب للأمير عدة الدين ، أن يزوجه بابنته من خاتون السفرية ، وكانت الرقعة بخط السلطان ، فأجابه إلى ذلك ·

وفى هذا الوقت سار نور الدولة بن مزيد إلى خدمة السلطان إلى أصفهان فخرج نظام الملك ليلقيه ، وأرباب الدولة ، ودخل على السلطان فأكرمه وقربه ، وكان قد هيأ لهزارسب خلعا سلطانية ، فتوفي ، فخلعها على نور الدولة ، وكان فى الخلع الجبة ، والفرجية ، والعمامة ، والخيل بمراكب الذهب ، والأعلام ، والكوسات ، وكان هزارسب وعد فيه نور الدولة يؤذيه ويقصده ، وقد ملأ قلب السلطان عليه ، فرضي عنه ألب أرسلان ، وعلم مقاصد هزارسب فيه ، وضمنه واسط التي قصد هزارسب إهلاكه لأجلها ، ولما عاد إلى بغداد ، خرج الوزير لتلقيه ، وخلع عليه ببيت النوبة الفرجية ، والعمامة ، وحمل على فرس بمركب فضة ، فقال : قد أعطى هزارسب فرسا بمركب ذهب ، فلم قصربي ، ورد الفرس ، فثقل على الخليفة ، وخرج جوابه : قال الشافعي : ما أعطيت أحدا فوق ما يستحقه إلا نقض مما استحقه ، ثم أن مسلم بن عقيل اقتدى به ، وقصد باب السلطان ، فأكرمه ، ودعا السلطان إلى خيمته ، فجاءه ونادمه ، وطلب من السلطان أن يزوجه أخته ، التي (كان (١)) زوجها لهزارسب ، وأمر نظام الملك بعقد العقد ، وكان السلطان بهمذان ، وأقطعه إقطاعا في العراق ، منه المدائن .

وفي هذا الوقت ، كتب اسحق ، الملقب بسلطان شاه بن الأمير قاورت بك ، إلى السلطان يطلب المسير إلى بابه ، وأن يطأ بساطه ، وكان ألب أرسلان يكتب إلى قاورت بك : مايفسد بيني وبينك ، ويضرب إلا هذا الولد ، فسلمه إلي ، وقد زال مابيننا ، وقاورت بك يقول : لا ، لا أسلمه ، وأخذ منه ألب أرسلان بلاد فارس وشيراز ، ومعظم كرمان بسببه ، وكان آخر أمره أن خرج على أبيه ، ولما وصل إلى ألب أرسلان أكرمه إكراما زائدا ، وأعطاه من الخيل والثياب وغيرها مايساوي عشرة آلاف دينار ، وقال : أنا أذهب فأقاتل أبي ، وآخذ منه كرمان ، وسار إلى قتال أبيه ، وبعث معه السلطان ألوفا من الأتراك والتركمان ، ووصل إلى كرمان فخرج إليه (٢) قاورت بك ، واقتتلوا ، فانهزم اسحق .

---

(١) : أضيفت ((كان)) من ب .
(٢) : أضيفت ((إليه)) من ب .

وفيها سار السلطان من همذان قاصدا بلاد الروم ، وكان أهل منبج في عسكره مستصرخين ، مما جرى عليهم من ملك الروم .

وفي ذي الحجة ورد رسول محمود بن الزوقلية ، صاحب حلب ، بكتب تتضمن الإعلام بإقامة الخطبة بها ، للخليفة وللسلطان وتلقاه الخدم والحجاب وقرئت الكتب في دار الخلافة ، وضربت البشائر على باب بيت النوبة .

ووردت الكتب بأن بني كلب خطبوا أيضا بسواد دمشق للخليفة وللسلطان ، وكان الوزير ابن جهير قد كتب إلى ابن الزوقلية ، ومقدمي دمشق ، والعرب ، يدعوهم إلى إقامة الدعوة ، ويعدهم بالجميل والأمان من التركمان ، وعساكر السلطان ، فأجابوا .

ولما عزم محمود بن الزوقلية على ذلك ، جمع الأكابر ، وقال : قد علمتم أن الدولة التي كنا طائعين لها ، قد ذهبت ، وهذه دولة جديدة ، وعساكر عظيمة ونحن قد ضعفنا ، ونخاف إن يجيئنا من لا طاقة لنا به ، وربما ألم بنا سلطانها ، ونحن على مانحن عليه من الوهن ، والنسبة إلى دولة غيرها ، مع ماتعرفون به من الإعتقاد ، والمذهب ، مايستحلون به دماءكم وأموالكم ، والرأي أن نقيم الخطبة لهم ، قبل أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول ، ولا بذل ، فأجابوه وصوبوا رأيه ، فلما كان من الغد ، وهو يوم الجمعة خرج الخطيب والمؤذنون بالسواد ، فلم رآهم الناس ارتاعوا ، فلما ذكر الخليفة والسلطان ، نفروا وخرجوا من الجامع ، فلما كان الجمعة الأخرى رتب محمود ابن خان والغز معه على باب الجامع ، وقال : من خرج ولم يصل اقتلوه ، وعرف مشايخ البلد وأحداثه ، فخافوا من النهب ، فاجتمعوا بمحمود ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى الغز ، نحن نفعل هذا ، ووقفوا على باب الجامع ، حتى خطب الخطيب ، وصلى الناس ، وأخذت العامة الحصر من الجامع ، وقالوا : هذه حصر علي بن أبي طالب ، فيجب أن يحضر أبو بكر حصرا يصلي عليها ، وأقام الناس مدة يصلون على الأرض .

وفيها توفى ابن خان أمير الغز ، كان شجاعا فاتكا ، قد انضاف إليه قطعة من الغز ، فكان يغيرون على الشام ، فأضافه محمود إليه حذرا من شره ، وعامل غير مامرة على حلب ، وأراد قتل محمود وعطية ، فلم يتمكن من ذلك ، فجاء إلى ابن أبي عقيل إلى صور ، وأقام عنده ، فأحسن إليه ووصله ، وأعطى أصحابه ، وجاء بدر الجمالي ، فحاصر صور ، فنافق ابن خان ، وخرج إلى بدر فعسكر عنده ، فدس ابن أبي عقيل إلى غلمان ابن خان ، وقال لهم : قد عرفتم مافعلت مع صاحبكم من الجميل ، وما أنفقت عليه من الأموال ، وماصلح لي ولا جازاني على إحساني إليه ، ولكم علي إن قتلتموه كذا ، وكذا من المال ، فوثب عليه منهم اثنان فقتلاه ، وحملا رأسه إلى ابن أبي عقيل ، فطيف به في صور وكان عند ابن أبي عقيل جماعة من الغز ، ففارقوه إلى بدر ، فقوي بهم .

وفيها توفـــى :

الحسن بن علي بن محمد بن أبي الجوائز الواسطي الكاتب

ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وسكن بغداد دهرا طويلا ، ومن شعره :

واحزنــا من قولهـــا خان عهودي لهـــا
وحق من صيرنــــي وقفا عليها ولهـــا
ماخطـرت بخاطـــري إلا كستني ولهـــا

وقـــال :

رويت ومن رويت من الروايـــة وكيف وما انتهيت إلى النهايـــة
وللأعمار غايات تناهـــت وإن طالت وما للعلـم غايـــة

وقال في كاتـب :

كاتب كتبه كتافب تستـري وسيار شعره كالسرايـــا
وافر العلم ظاهر السلم وافـي الحلم عذب الخلال حسن السجايـا

وقـــال :

لا هجعت أجفان أجفانـــا ولا رقـى إنسان إنسانـــا
يا جافيا يزعم أني لــــه جاف أما تغفـر ماكانـــا
والله ما أضمـرت غــدرا كما قلت ولا أضمرت سلوانـــا
لكن سعى الواشون مابيننا فغيروا ألوان ألوانـــا

حيدرة بن ابراهيم أبو طاهر بن أبي الجن الشريـــف

كان عالما فاضلا ، دينا ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، ولما دخل عسكر بدر الجمالي دمشق ، هرب منها إلى عمان ، فغدر به بدر بن حازم ، وكان الشريف قد أطلـــق أباه حازم من خزانة البنود (١) ، وقد ذكرناه .

---

(١) : كانت من أبنية الفاطمين آستخد مت كسجن .

وقال محمد بن هلال الصابئ : لما خرج الشريف وبارز طغان من دمشق يريد ان مصر ، أشار عليه بارز طغان بأن لا يظهر بعمان البلقاء ، لأن بها بدر بن حازم، وأن يسير في الليل ، فلم يقبل ، وسار بارز طغان إلى حلة بدر بن حازم ، وقال : جئناك لتذم لنا ولمن معنا ، فقال : ومن معكم ؟ قالوا : الشريف ابن أبي الجن فقال : ذم الله لكم ، إلا الشريف ، فإنه لابد من حمله إلى أمير الجيوش ، وسار إليه ، وقبض عليه ، ومضى به على عكا ، فباعه بذهب وخلع وإقطاع ، فأركبه أمير الجيوش ، وقتله أقبح قتلة ، ثم سلخ جلده ، وقيل سلخه حيا ، وصلبه ، ولعن أهل الشام بدر بن حازم والعرب ، وقالوا: ماهذه عادتهم ، ولقد كان الشريف من أهل الديانة والصيانة والعفة ، والأمانة ، محبا لأهل العلم ، واصطناع المعروف .

محمد بن أحمد بن سهل أبو غالب بن بشران

النحوي ، الواسطي ، الحنفي ، ويعرف بابن الخالة ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وكان عالما فاضلا ، عارفا بالأدب ، والنحو ، واللغة ، والحديث ، وكان شيخ العراق ، يرحل إليه الناس ، وابن بشران جده لأمه ، وكانت وفاته بواسط يوم الخميس منتصف رجب ، ومن شعره :

ياشائدا للقصور مهلا أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر إلا وقصاراهم الشتات
وإنما العيش مثل ظل منتقل ماله ثبات

وقال :

ولما رأى عشاقه ووشاته وقد حاولوه من جميع جهاته
رمى كل قلب من هواه بلوعة فغودر مطويا على زفراته

وقال :

يامحب الدنيا الغرور اغترارا راكبا في طلابها الأخطارا
يبغي وصلها فتأبى عليه وترى أنسه فتبدى نفارا
خان من يبتغى الوصال لديها جارة لم تزل تسيء الجوارا
كم محبا أرته آنسا فلما حاول الوصل صيرته زرارا

---

(١) : في الأصل ((المؤمنين))وهو تصحيف قوم من ب ومن سياق الخبر.

شيب حلو اللذات بالمر منها | إن حلت مرة أمرت مرارا
في اكتساب الحلال منها حساب | واجتناب الحرام يصلى النارا
ولباغي الأوطار منها عناء | وسيقضى وماقضى الأوطارا
كل لذاتها منغصة الغب | وأرباحها تعود قصارا
وليالي الهموم فيها طوال | وليالي السرور تمضي قصارا (١)
وكفى أنها تفتن فإن جادت | ببزل أفنت به الأعمارا
وإذا ماسقت حمور الأماني | صيرت بعدها المنايا خمارا
كم ملك (٢) مسلط ذللته بعد عز | فما أطاق انتصارا
وغنى ممول أعدمته بعد وجد | فحالف الأقتارا
ونعيم قد أعقبته ببؤس | ومغان قد غادرتها قفارا
أيها المستعير منها متاعا | عن قليل تسترجع المستعارا
عد عن وصل من يعيرك مايفنى | ويبقى إثما ويكسب عارا
قد أرتك الأمثال في سالف الدهر | وها قد أرتك فيك اعتبارا
وجدير بالعذر من قدم الأعذار | فيما جناه والإنذارا
فتعوض منها بخلة صدق | والتمس غير هذه الدار دارا
ولك الخيار فاختر إذا شئت | وإياك أن تسيء اختيارا
والبدار البدار بالعمل الصالح | مادمت تستطيع البدارا
فسيلقى جميع ماقدم المرء | عيانا إذا إلى الله صارا
قرعينا من قرفي جنة الخلد | فلا تبغ في سواها قرارا

وقال :

لولا تعرض ذكر من سكن الغضا | ماكان قلبي للضنا متعرضا
لكن جفا جفني الكرى بجفائهم | وحشا حشاي فراقهم جمر الغضا
لو أن مابى بالرياح لما جرت | والبرق لو يمنى به ما أومضا
ما اعتضت من عوض فأسلو عنهم | هيهات لم ألق بهم متعوضا
ياراكبا تطوى المهامة عيسه | فتريه رضراض الحمى مترضرضا
بلغ رعاك الله سكان الحمى مني | التحية إن عرضت معرضا

---

(١) : زيد هذا البيت من ب .
(٢) : في ب ((مليك)) .

وقــل انقضى زمن الوصال ووجدنــا ... باق على مدد الليالي ما انقضــا
لو أنني أفضي أسرار الهوى يومــا ... إلى أحد لضاق بــه الفضـــا
فلئن يجري قدر لنا بإيابكــــم ... دوايتم منى غليلا محرضــــا
أو كان قد حتم القضا فراقكــــم ... صبرا وتسليما لمحتوم القضـــا
لهفي على غفلات أيام مضــــت ... عني ومالهفي يراجــع مامضـــا
أيام أركض فى ميادين الصبـــا ... أي اتجهت أصيب فيه مركضــا
حتى سقاني البين كاسات الجـــوا ... ملأى وأشرقني بهن وأحرضـــا
ونضى (١) الشباب قناعة لمـــا رأى ... سيف المشيب على المفارق منتضـــا
قد كنت ألقى الدهر أبيض ناظـــرا ... فاسود لما صار رأسي أبيضـــا
لولا اعترافي بالزمان وريبــــه ... ماكنت ممن يرتضي غيــر الرضـــا
لكن بلوت الدهــر فى حــالاتــه ... فوجدته مثل السراب تعرضـــا
وأراه يقرضنا وليس بلا بـــث ... حتى يعود فيقتضي ماأقرضـــا
عيش الفتى بينا يراه روضـــه ... حتى يصوح منه ماقــد روضـــا
لا البؤس دام ولا النعيـــم ... وإنما يحيا الفتى بالترهات معرضـــا
من كان يتهــم القضا فإنـــي ... أرضى بما صنع المليك وماقضـــى

وقـــال :

يقول الحبيب غــداة الوداع ... كأن قد رحلنا فما تصنــــع
فقلت أ واصل سح الدموع ... وأهجر نــومـي فما أهجـــع

وقـــال :

يامن تناصف في الملاحة خلقه ... لكنه فى الحكم ليس بمنصـــف
قف حيث أنت من الصــدود (٢) ... فانني أخس عليك يوم الموقـــف
أخلفت فيك ظنون صب لم يكــن ... أبدا يظن الخل ليس بمخلـــف
سمعا لسمع الدهر فيك وطاعــة ... إذا كان حتى ماله من مصـــرف
فلأصرفن النفس إما طائعـــا ... أو كارها وأقول لا تتأســـف
لوكان يوجد من وفى لمحبــه ... لوفى ولكن أين يوجد من يـــف

---

(١) : نض : هزل النهاية لابن الاثيــر.
(٢) : فى ب ((القصاص)) .

وقـــال :

طلبت صديقاً في البريــة كلهــا فأعيا طلابي أن أصيب صديقـــا

بلى من يسمى بالصديق عبــارة ولم يكن في معنى الوداد صديقـا

وطلقت ود العالمين صريمـــة وأصبحت من أسر الحفاظ طليقـــا

مازلت أسمع بالصديق ولا أرى معناه يوجد لأسمه تصديقـــــا

فكأنه العنقاء تعرف اسمهــــا والجسم لست ترى له تحقيقـــــا

وقـــال :

وسائل كيف حالي قلت غيرهـــا حول عليه ، لم يدم حـــــال

وحال أهلـــوه عن حين يظن بهم فما أظن بهم خيراء وقد حالوا

واستوطن الناس قلبي من رجاهـم وللمطامع بعد الناس ترحـــال

وقـــال :

يامن يروم صديق صـــدق بعدما فســـد الأنـــام

ذهب الصديق فصــار حلما بعدما ذهـــب الكـــلام

فتعز (١) لما فات منـــــه فليس يوجـــد والســــلام

وقـــال :

عليك بصون النفس في كل حالـة فلن يعدم الذكر الجميل مصون

ولا تستكت للحادثات إذا عـرت فبعد حراك الحادثات سكـون

فكل الذي قد قدر الله كائـن ومالم يقدره فليس يكـــون

وقـــال :

يامن طلاب الرزق أعيـــاه ففيه مغـداه ومســـــراه

عد عن الحرص وكن واثقـــا أن الذي يرزقك اللـــــه

لا تخشى تضييعك من منعـم عم جميع الخلـق نعمـــاه

لو لم يكن رزق الفتى جاريا ماشق ذو العرش لـه فـــاه

لكنه والعمر قـد قـــدرا كلاهما (٢) لم يتعـــداه

وقـــال :

لما رأيت سلوى غير متجـــه وأن عزم اصطباري عاد مغلولا

دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم ليقضي الله أمرا كان مفعـولا

---

(١) : في ب ((عمن))

(٢) : في ب ((لا)) .

هزارسب بن بنكير بن عياض أبو كاليجار

تاج الملوك الكردي ، قد ذكرنا بعض أحواله ، وقال محمد بن الصابي : في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من رمضان ، توفي في منصرفه عن الباب ، باب السلطان ، من أصبهان إلى خوزستان ، بموضع يعرف بفرندة (١) ، وكان قد تجبر وتكبر ، وتسلط ، وتفرعن ، وتزوج بأخت السلطان ، وأخذها في وقته هذا ، واستصحبها معه ، ووقفت على كتاب منه في هذا المعنى ، إلى الوزير أبي العلاء يقول : كتابي هذا ، أطال الله بقاء سيدنا الوزير الأجل ، فلك الدين ، ولي الدولة ، من العسكر المنصور ، من أعمال الري ، يوم الثلاثاء سادس رجب ، وقد تيسر من الوصول إلى الخدمة السلطانية ما استقامت به الأحوال ، وتضاعف لي به زيادة الإقبال ، وبلغني أقصى البغية والآمال ، وكل ذلك من بركات مشاركته ، معدود في ميامن صحبته ومخالصته ، ولعمري إنه ، أدام الله علوه ، الصديق الأصدق ، والشفيق الأشفق الأوفق ، يتشوق إلى معرفة أخبارنا ، ويتشوق إلى علم أحوالنا وإيثارنا ، وقد أ وعزت في هذه المكاتبة بحالي كأنه مشاهد ، والحاضر يرى مالايراه الغائب لأنه شاهد ، وذكر كلاما طويلا (٢) يدل على الكبر والجبروت ، وأن أخت السلطان عادت إلى الري ، وأنه مرض بعلة الزرب ، وقام في الليلة التي مات فيها ألفين وأربعمائة مجلس ـ قال المصنف : وهذا بعيد ، وإن كان في مدة مرضه قام هذه المجالس يحتمل .

السنة الثالثة والستون والأربعمائة

فيها كانت الوقعة العظيمة بين ألب أرسلان ، وملك الروم ، كان ألب أرسلان قد سار من همدان في ذي القعدة سنة اثنتين وستين ، فلما قارب أرجيش (٣) ومنازكرد (٤) من بلد أخلاط (٥) ، فتحهما ، وقتل وسبى ، وبعث بين يديه الأفشين في سرية ، وكان أريسغي زوج أخت السلطان معه جماعة من الناوكية (٦) ، وكان السلطان يطلبهم ،

(١) : لم يذكرها ياقوت بهذه الصيغة ، أنظر مادة ((فرندأباذ)) في معجم البلدان .
(٢) : زيدت طويلا من ((ب)) .
(٣) : مدينة من نواحي أرمينيا الكبرى قرب أخلاط . معجم البلدان .
(٤) : بلد قريب من أخلاط يعد من أرمينيا . معجم البلدان .
(٥) : مازالت تحمل هذا الأسم قريبة من بحيرة وان في تركيا من منطقة الحدود الايرانية التركية
(٦) : مجموعة من الغز الذين دخلوا الشام ونشطوا في المناطق الجنوبية وكانوا لا يدينون بالطاعة للسلطان السلجوقي ، أنظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ، ١٥٢ ـ ١٥٧ ، ١٧٨ ـ ١٧٩ .

فساروا متحازين إلى البلاد التى للروم ، خائفين من السلطان ، ورحل السلطان إلى بلد ميافارقين ، فخرج إلى خدمته نصر بن مروان ، وهو خائف منه ، وكان الوزير نظام الملك قد مضى اليه ، وخرج به إلى السلطان ، فقربه وخلع عليه ، وقسط عليه مائة ألف دينار للجند ، وأخرج للسلطان من الإقامات شيئا كثيرا أخذه من الرعية فرده عليه ، وقال : مالنا إلى أموال الفلاحين حاجة ، فحمل الإقامات من خاصته وفتح حصن السويداء (١) ، وحصونا كثيرة ، وكان الغز يبقرون بطون النساء، ويقتلون من الأسارى من يضعف عن المشي معهم ، وتسرع جماعة من الغلمان إلى حران (٢) ونواحيها ، فنهبوها وهرب الناس إلى حصن الرافقة (٣) ، ونزل السلطان الرها (٤) وقاتله أهلها ، وطم الخندق بالأشجار وغيرها ، وكانوا قد بذلوا أول مانزل خمسين ألف دينار ، وينصرف عنهم ، فرضي وفتر المال عنهم ، فقالوا : لا نعطيك المال حتى تعدم آلات الحرب وتحرقها ، فأمر بكسرها وحريقها ، فلما فعل ذلك رجعوا ، وكان عنده رسول من الملك ، وهو الواسطة بينهم ، فاغتاظ السلطان ، وتقدم بمسك الرسول وقتله ، فقال نظام الملك : هذا لم تجر به عادة ، ولا أحب أن تسن سنة لا يعرف باطنها ، ويقبح ظاهرها ، ولطف به حتى أفرج عن الرسول ، وأعطاه جواب كتبه ، وصرفه ، ورحل في الحادي عشر من ربيع الآخر طالبا للفرات ، لحالين : أحدهما : تأخر خبر الأفشين والثاني : تقاعد من بقي معه من العراقيين من عسكر طغرلبك عن القتال ، وخبث نفوسهم لتأخر أرزاقهم ، ولما انصرف عن الرها استخرج أهلها القتلى ، وقطعوا رؤوسهم ليحملوها إلى ملك الروم ، وأحرقوا جثثهم ، وصالح أهل حران على مال ، ونزل السلطان على الفرات رابع عشر ربيع الآخر ، ولم يخرج إليه محمود صاحب حلب ، فغاظه ذلك ، وعبر الفرات ، وأخربت العساكر بلد حلب ، ونهبوه ، ووصلوا إلى القريتين من أعمال حمص ، ونهبوا بني كلاب ، وعادوا بغنائم عظيمة ، وهرب العرب إلى البرية ، وراسل محمودا وطلب منه الحضور ، فامتنع وحمل إليه الأموال التى قسطها على بلاده ، فقال : ما أعرف لامتناعك من قصد خدمتي مع إقامتك للخطبة لي ، واتصال مكاتبتك وجها وقد علمت إحساني إلى كل من حضر عندي من ملوك الأطراف ، فأرسل محمود والدته وولده بخدمة قليلة ، فزاد غيظ السلطان ، واتفق أن الخليفة بعث لمحمود الخلع التى

---

(١) : بلدة مشهور في ديار مضر قرب حران . معجم البلدان .

(٢) : من أشهر مدن الحضارة في سورية القديمة هي داخل تركيا الآن ليس بعيدا عن الحسكة .

(٣) : خارج الرقة نسب بناؤه إلى هارون الرشيد ، معجم البلدان .

(٤) : هي أورفا حاليا داخل الأراضي التركية .

طلبها لما خطب للقائم ، مع نقيب النقباء ، منها الفرجية ، والعمامة ، وفرسا بمركب ثقيل ، ولواء ، ولوالدته فرسين وثياباً ، ولبدي عمه خيلا وثيابا ، وخرج محمود ، والتقى النقيب ، فسلم عليه عن الخليفة ، فنزل وقبل الأرض ، ولبس الخلع ، وركب الفرس ، ودخل إلى حلب ، وأقام النقيب يومين لم ير من محمود فيهما ما ظن ، فركب إليه ، قال محمود : أنا أطيعكم ، وهذا السلطان على بعد ، وطلبت جرايتي وجراية بلادي ، فأما البلاد فقد شاهدت خرابها ونهبها ، وأنا مطالب بالخروج إليه والأموال التي تفقرني ، ومهدد بالحصار والبوار ، وهذا كتاب السلطان عندي بالاعفاء من دوس البساط ، فقال النقيب : هات الكتاب لأمضي إليه ، فأعطاه إياه ، فخرج إليه ، وكان نازلا على الفندق (١) ، فلما وصل بعث إليه السلطان بفرس النوبة ، وأكرمه ، واستدعاه ، وبلغه عن الخليفة ما حمله إليه ، فقام وقبل الأرض ، وشكر ودعا ، وقال له : ما الذي أخرجك ؟ فقال : جئت لأخرج محمود إلى خدمتك ، فأخرج إلى هذا الكتاب ، فقال : صحيح أنا كتبته تطييبا لقلبه ، مع بعدي عنه ، فأما إذ قربت منه ، فما أقنع بهذا ، وأي عذر لنا إذا كان منتميا إلينا ، وقد عصى علينا ، ونصب المجانيق ليستعد للحصار ، وأي حرمة تبقى لنا عند الملوك ، ويجب أن ترجع إليه ، وتضمن له على كلما يريد ، قال النقيب: فقلت : سمعا وطاعة ، وثقل عليه مابعث له الخليفة ، فقال بعض الحجاب : مافعل هذا إلا بأمرك ، فسكن واجتمعت بنظام الملك ، وقلت : محمود يخدم بعشرين ألف دينار للسلطان ، وخمسة آلاف دينار لك ، ويدفع باللقاء إلى حين عود السلطان من دمشق ، وعدت إلى حلب ، وأخبرت محمودا ، فقال : أما المال فماعندي حبة ، وأما الخروج فلاسبيل إليه ، ونزل السلطان على حلب يوم الأحد لليلتبقيت من جمادي الآخرة فقاتلهم فذلوا ، فأرسل إليه محمود يطلب الموادعة ، وخرج إليه في الليل ، ومعه والدته ، فأخذت بيده ، ودفعته إلى السلطان ، وقالت : هذا ولدي وقد سلمته إليك فاحكم فيه بما ترى فتلقاه بما أحب وأكرمه ، وقال : عد إلى قلعتك ، وترجع إلينا في غد ، ليظهر من إكرامنا ما تستحقه ، فرجع إلى القلعة ، وعاد من الغد ، فتلقاه نظام الملك والحجاب والخواص ، ولم يتخلف غير السلطان ، ودخل على السلطان ، فخلع عليه الخلع الجليلة ، وأعطاه الخيل بمراكب الذهب والفضة ، والكوسات والأعلام ، وعتبه فقال محمود : والله ماكنت إلا على نية تلقيك حتى خيفت منك ، فعلم السلطان من فعل ذلك ، فكاسر وأشار إلى ابن خان ، الذي قتل أخاه على صور ، وعلم فهرب إلى دمشق ثم عاد إلى السلطان ، فرضي عنه .

---

(١) : قرية من حلب حتى الآن اسمها الفندق انظرها في معجم البلدان .

وتقدم السلطان إلى محمود وليتكين السليماني بالمضي إلى دمشق ، وإقامة الخطبة للقائم ، وبينما هم على ذلك وردت رسل ملك الروم ، برد منبج وأرجيش ، ومنازكرد إليه ، ويحمل إليه الهدية ، وجاءه خبر الأفشين ، وعوده سالما ، وضجر السلطان من المقام بحلب ، فكر راجعا فقطع الفرات ، وهلك أكثر الدواب والجمال ، وكان عبوره شبه الهارب ، ولم يلتفت إلى ما ذهب من الأرواح والدواب ، وعاد رسول الروم مستبشرا إلى صاحبه فقوى ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحربه .

وأما حديث الأفشين فان إريسغي هرب من السلطان، ومعه طائفة من الناوكية يريد القسطنطينية ، وجاء إلى دربند (١) وعليه قلعة ، فيها امرأة ، يقال لها مريم ، فسألها أن تمكنه من العبور ، فلم تفعل ذلك ، وكان الملك لما بلغه خبر إريسغي بعث ميخائيل لقتاله ظنا منه أنه عدو، فلما قرب منه ميخائيل ، أرسل إليه : ماجئت لأحاربكم ، وإنما جئت ملتجئا إليك من السلطان ، فقال : كذبت ، فقال : لوكان هذا صحيحا لما أخربت بلادنا ، ونهبت وقتلت ، فحلف له ، فلم يصدقه ، واقتتلوا فنصر إريسغي على الروم ، فقتل منهم خلقا عظيما وأسر ميخائيل ، وقطع عليه سبعين قنطارا ذهبا ، وقرب الأفشين منهم ، فقال (٢) لميخائيل : القصة كذا وكذا وأنا أطلقك ، ولا آخذ منك شيئا ، وتجيروني من الأفشين ، وعلم سره ، فأمنه وسارا جميعا إلى القسطنطينية ، وجاء الأفشين إلى خليجها ، فأقام به أياما ، وراسل الملك، وقال : بيننا وبينك هدنة ولما دخلت بلادك ماتعرضت لأحد ، وهؤلاء الناوكية أعداء السلطان وقد نهبوا بلادك وأخربوها ، ويجب أن تسلمهم إلينا ، وإلا أخربت بلادك ، ولا هدنة بيننا ، فقال الملك : كلما ذكرته صحيح ، لكن عادتنا من لجأ إلينا أن لا نسلمه ، فرجع الأفشين فدرس الروم كأن لم تكن ، فلم يسلم منه إلا حصن منيع ، وبلد كبير ، ووصل إلى درب مريم ، ووقع الثلج ، فأقام حتى ارتفع ، وسار إلى خلاط ، ومعه من الغنائم مالم يغنمه أحد ، وكتب إلى السلطان بذلك ، وسار السلطان إلى الجزيرة فجاءه خبر ملك الروم ، أنه تجهز في العساكر الكثيرة ، وأنه قاصد بلاد الاسلام وكان السلطان في قليل من العسكر ، لأنهم عادوا جافلين من الشام، وتلك الجفلة استهلكت أموالهم ودوابهم ، فطلبوا مراكزهم ، وبقي السلطان في أربعة آلاف غلام ، ولم ير الرجوع لجمع العساكر ، فتكون هزيمة ، فأنفذ بخاتون السفرية مع نظام الملك والأثقال إلى همدان ، وأمره بجمع العساكر ، وإنفاذها إليه ، وقال لوجوه عسكره ،

---

(١) : أي ممر ضيق .

(٢) : أضيفت ((أرسيغي))من ب .

الذين بقوا معه : أنا صابر صبر المحتسبين ، وصائر في هذه الغزاة مصير المخاطرين فإن نصرني الله ، فذاك ظني في الله تعالى ، وإن تكن الأخرى ، فأنا أعهد إليكم أن تسمعوا لولدي ملك شاه ، وتطيعوه ، وتقيموه مقامي ، فقالوا : سمعا وطاعة وبقي جريدة مع العسكر الذي ذكرنا ، ومع كل غلام فرس يركبه ، وآخر يجنبه ، وسار قاصدا ملك الروم ، وأرسل أحد الحجاب الذين كانوا معه ، في جماعة من الغلمان مقدمة له ، فصادف عند خلاط صليبا (١) تحته مقدم للروم ، في عشرة آلاف ، فحاربهم فنصر عليهم ، وأسر المقدم وكان من الروس ، وأخذ الصليب وبعث إلى السلطان بذلك ، فاستبشر ، وقال : هذه أمارة النصر ، وأرسل بالصليب إلى همذان ، وجدع أنف المقدم ، ثم أمر بأن يحمل إلى الخليفة ، ووصل ملك الروم إلى منازكرد ، فأخذها بالأمان ، وقصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالرهوة بين خلاط ومنازكرد ، لخمس بقين من ذي القعدة ، فبعث إليه السلطان بأن يرجع إلى بلاده ، ويتم الصلح الذي توسطه الخليفة ، فقال : لا أرجع حتى أفعل ببلاد الإسلام مثل ما فعل ببلاد الروم ، وقد أنفقت الأموال العظيمة ، فكيف أرجع ؟ وكان اليوم الأربعاء ، وأقام السلطان إلى نهار الجمعة ، وجمع وقت الصلاة أصحابه ، وقال : إلى متى نحن في نقص ، وهم في زيادة ، أريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة ، التي جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر ، فإن نصرنا عليهم وإلا مضينا شهداء إلى الجنة ، فمن أحب أن يتبعني فليتبع ، ومن أحب أن ينصرف فلينصرف مصاحبا ، فما هاهنا اليوم سلطان ، وإنما أنا واحد منكم ، وقد فتحنا على المسلمين ما كانوا عنه في غناء ، فقالوا : أيها السلطان نحن عبيدك ، ومهما فعلت تبعناك ، وكان قد اجتمع إليه عشرة آلاف من الأكراد ، وإنما اعتماده بعد الله تعالى على أربعة الآلاف الذين كانوا معه ، وملك الروم في مائة ألف مقاتل ، ومائة ألف نقاب ، ومائة ألف جرجي ، ومائة ألف صانع وأربعمائة عجلة تجرها ثمانمائة جاموس ، عليها نعال ومسامير ، وألفا عجلة عليها السلاح ، والمجانيق ، وآلة الزحف ، وكان في عسكره خمسة وثلاثون ألف بطريق ، ومعه منجنيق يمده ألف رجل ومائتا رجل ، ووزن حجره عشر قناطير ، وكل حلقة منه مائتا رطل بالشامي ، وكان في خزانته ألف ألف دينار ، ومائة ألف ثوب أبريسيم ، ومن السروج الذهب ، والمناطق والمصاغات بمثل ذلك ، وكان قد أقطع البطارقة البلاد : مصر ، الشام ، وخراسان ، والري ، والعراق ، واستثنى بغداد ، وقال : لا تتعرضوا لذلك الشيخ

---

(١) : الصليب هنا الراية ، انظر تاج عروس للزبيدي .

الصالح فإنه صديقنا ـ يعني الخليفة ـ وكان عزمه (أن) يشتي بالعراق ، ويصيف بالعجم ، واستناب في القسطنطينية من يقوم مقام ، وعزم على خراب بلاد الإسلام، فلما كان يوم الجمعة ، وقت الصلاة وقد شاور السلطان أصحابه ، قام قائما ، ورمى القوس والنشاب من يده ، وشد ذنب فرسه بيده ، وأخذ الدبوس ، وفعل أصحابه كذلك ، وبغتوا الروم ، وصاحوا صيحة واحدة ، ارتجت لها الجبال ، وكبروا وصاروا في وسط الروم ، فقاتلوهم ولما لحق الملك (بأن) يركب فرسه ، وما ظن أنهم يقدمون عليه ، فنصرالله المسلمين عليهم ، فانهزموا ، وتبعهم السلطان بقية نهار الجمعة وليلة السبت ، يقتل ويأسر ، فلم ينج منهم إلا القليل ، وغنموا جميع ماكان معهم ، ورجع السلطان إلى مكانه ، فدخل عليه الكوهرائين ، فقال : إن أحد غلماني قد أسر ملك الروم، وكان غلامي هذا قد عرض على نظام الملك ، فاحتقره وأسقطه ، فكلمته فيه ، فقال مستهزئا به : لعله يجيئنا بملك الروم أسيرا ، فأجرى الله تعالى أسر ملك الروم على يده ، واستبعد السلطان ذلك ، وأرسل خادما يقال له شاذي ، كان قد راسله به ، فلما رآه عرفه ، فرجع وأخبر السلطان، فأمر بانزاله في خيمة ، ووكل به ، واستدعى الغلام ، وسأله : كيف أسرته ؟ فقال : رأيت فارسا ، وعلى رأسه صلبان، وحوله جماعة من الخدم الصقالبة ، فحملت عليه لأطعنه فقال لي واحد منهم : لا تفعل فهذا الملك ، فأحسن السلطان إليه ، وخلع عليه ، وجعله من خواصة، فقال : أريد بشارة غزنة (١) فأعطاه أياها ثم إن السلطان أحضر الملك ، واسمه أرمانوس، وضربه ثلاث مقارع ، ورفسه برجله ووبخه ، وقال : ألم أرسل إليك رسل الخليفة أطال الله بقاءه في إمضاء الهدنة، فأبيت، ألم أرسل إليك مع الأفشين أطلب أعدائي فمنعتهم ، ألم تغر بي ، وقد حلفت لي ، ألم أبعث إليك بالأمس أسألك الرجوع فقلت : قد أنفقت الأموال ، وجمعت العساكر الكثيرة ، حتى وصلت إلى هاهنا وظفرت بما طلبت ، فكيف أرجع إلا أن أفعل ببلاد المسلمين مثل مافعلوا ببلادي ، فكيف رأيت أثر البغي ؟ وكان قد جعل في رجليه قيدين ، وفي عنقه غلا ، فقال أيها السلطان ، قد جمعت العساكر من سائر الأجناس، وأنفقت الأموال لأخذ بلادك ، ولم يكن النصر إلا لك وبلائي ووقوفي على هذه الحال بين يديك بعد هذا ، فدعني من التوبيخ ، والتعنيف ، وافعل ماتريد ، فقال له السلطان : فلو كان الظفر لك ماكنت تفعل معي ؟ قال : آه والله صدق ، ولو قال غيرا هذا لكذب ، هذا رجل عاقل ، جلد ، لا يجوز أن يقتل ، ثم قال له : وما تظن الآن أن أفعل بك ؟ قال : أحد

---

(١) : في إفغانستان الحالية جنوب كابل .

ثلاثة أقسام : أما الأول : فقتلي ، والثاني : إشهاري في بلادك التي تحدثت بقصدها ، وأما الثالث : فلا فائدة في ذكره ، فإنك لا تفعله ، قال : وما هو ؟ قال : العفو عني وقبول الأموال والهدية ، واصطناعي ، وردي إلى ملكي مملوكا لك ، وبعض إسفهسلاريتك ونائبك في الروم ، فإن قتلك لي لا يفيدك ، هم يقيمون غيري ، فقال السلطان : مانويت إلا العفو عنك ، فاشتر نفسك ، فقال : يقول السلطان مايشاء ، فقال : عشرة آلاف ألف دينار ، فقال : والله إنك تستحق ملك الروم ، إذ وهبت لي نفسي ، ولكن قد أنفقت أموال الروم ، واستهلكتها مذ وليت عليهم ، في تجريد العساكر والحروب ، وأفقرت القوم ، ولم يزل الخطاب يتردد إلى أن استقر الأمر على ألف ألف ، وخمسمائة ألف دينار ، وفي الهدنة على ثلاثمائة ألف دينار ، وستين ألف دينار ، في كل سنة ، وأن ينفذ من العساكر الروم ماتدعو الحاجة إليه ، وذكر أشياء ، فقال : إذا مننت علي عجل سراحي ، قبل أن تنصب الروم ملكا غيري ، فيفوت المقصود ، ولا أقدر على الوصول إليهم ، فلا يحصل شيء مما شرطته علي ، فقال السلطان : أريد أن تعيد أنطاكية ، والرها ، ومنبج ، ومنازكرد ، فإنها أخذت من المسلمين عن قرب ، وتفرج عن أسارى المسلمين فقال : أما البلاد فإن وصلت سالما إلى بلادي ، أنفذت إليهم بالعساكر وحاصرتهم ، وأخذتها منهم ، وسلمتها إليك ، فإن القوم لا يسمعون مني ، وأما أسارى المسلمين ، فالسمع والطاعة ، إذا وصلت سرحتهم ، وفعلت معهم الجميل ، فأمر السلطان بفك قيوده ، وغله ، ثم قال : أعطوه قدحا ليسقينيه ، فظنه له ، فأراد أن يشربه ، فمنع ، وأمر بأن يخدم السلطان ، ويناوله القدح ، فأومأ إلى تقبيل الأرض ، وناول السلطان القدح فشربه ، وجز شعره ، وجعل وجهه على الأرض وقال : إذا خدمت الملوك ، فافعل كذا ، وإنما فعل السلطان ذلك لسبب اقتضاه وهو : أن السلطان لما كان بالري ، وعزم على غزو الروم ، قال لفرامرز بن كاكويه : ها أنذا أمضي إلى قتال ملك الروم ، وآخذه أسيرا ، وأوقفه على رأسي ساقيا فحقق الله قوله واشترى جماعة من البطارقة ، واستوهب آخرين ، فلما كان من الغد ، أحضره السلطان ، وقد نصب له سريره ، ودسته الذي أخذ منه ، فأجلسه عليه ، وخلع عليه قباء وقلنسوته ، وألبسه إياهما بيده ، وقال له : قد اصطنعتك ، وقنعت بأمانتك وأنا أسيرك إلى بلادك ، وأردك إلى ملكك ، فقبل الأرض ، وكان لما بعث الخليفة ابن المحلبان إليه ، أمر بكشف رأسه ، وشد وسطه ، وأن يقبل الأرض بين يديه ، فقال له السلطان : ألست الفاعل بابن المحلبان ، رسول الخليفة كذا وكذا ؟ فقم الآن واكشف رأسك ، وشد وسطك ، وأومئ إلى ناحية الخليفة ، وقبل الأرض ، ففعل فقال السلطان : إذا كنت أنا ، وأنا أقل الملوك الذين في طاعته ، فعلت بك مافعلته

وأنا فى شرذمة من جندى ، وقد حشدت دين النصرانية ، فكيف لو كتب الخليفة إلى ملوك الأرض، يأمرهم فيك بأمر ؟ وعقد له السلطان راية ، فيها مكتوب ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وأنفذ معه حاجبين ، ومائة غلام ، فوصلوا به إلى القسطنطينية ، وركب معه ، وشيعه قدر فرسخ ، فأراد أن يترجل ، فمنعه السلطان، وحلف عليه ، وضمه إليه وتعانقا ، وعاد السلطان عنه (١) .

ثم حكى ملك الروم ، قال : العادة جارية أن الملك الخارج من القسطنطينية إذا أراد الخروج إلى حرب ، دخل البيعة الكبرى ، واستشفع بصليب ذهب بها مرصع باليواقيت ، قال : فدخلت البيعة لما عزمت على هذه السفرة ، واستشفعت إليه ، وإذا بالصليب قد زال عن موضعه إلى القبلة الإسلامية ، فعجبت من ذلك ، وسويته إلى المشرق ، وأتيته من الغد وإذا به قد مال إلى القبلة ، فأمرت بشده بالسلاسل، ثم دخلت إليه فى اليوم الثالث وإذا به قد مال إلى القبلة ، فتطيرت وعلمت أنى مغلوب ، ثم غلبنى الهوى والطمع فسرت إلى بلاد الإسلام ، فكان منى ماكان .

وقال أبو يعلى بن القلانسى : إن عسكر صاحب الروم كان ستمائة ألف من الروم وسائر الطوائف ، وإن عسكر السلطان كان أربعمائة ألف مقاتل من الأتراك وجميع الطوائف (٢) ، والذي ذكر من أنه كان مع السلطان أربعة آلاف مملوك هو الأصح لما ذكرنا من أن العساكر تفرقت عنه .

ثم كتب السلطان إلى الخليفة بشرح ماجرى ، وبعث بعمامة ملك الروم والصليب ، وما أخذ من الروم ، وذلك في ثالث وعشرين من ذي الحجة، فقرئت الكتب في بيت النوبة ، وسر الخليفة والمسلمون ، وزينت بغداد تزيينا لم تزين مثله ، وعملت القباب ، وكان فتحا عظيما لم يكن في الإسلام مثله ، وعاد السلطان إلى الري وهمذان .

---

(١) : تعتبر معركة منازكرد من أهم المعارك فى التاريخ ، انظر : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ١٤٤ ، ١٥١ .

(٢) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسى ص١٦٧ .

وفيها : ملكت الفرنج جزيرة صقلية ، وسببه أنه كان بها وال يقال له ابن البعباع (١) ، فبعث إليه صاحب مصر ، يطلب منه المال ، وكان عاجزا عما طلب منه ، المال ، فبعث إلى الفرنج ، ففتح لهم باب البلد ، فدخلوا فقتلوا وملكوا الجزيرة .

وفي هذه السنة ظهر أتسز بن أوق ، مقدم الأتراك الغز ، وفتح الرملة ، والبيت المقدس ، وضايق دمشق ، وواصل الغارات عليها ، وخرب الشام .

وفيها توفى أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى ، أبو بكر الخطيب البغدادي ، ولد يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وقيل سنة اثنتين وتسعين بدرريحان ، قرية أسفل بغداد ، كان أبوه خطيبها ، ونشأ ببغداد ، وأول ما سمع الحديث سنة ثلاث وأربعمائة ، وله إحدى عشرة سنة ، وقرأ القرآن ، وتفقه على أبي الطيب الطبري ، وأكثر من سماع الحديث ببغداد ، ورحل إلى البصرة ، ثم إلى نيسابور ، وأصبهان ، وهمذان والجبال ، ثم عاد إلى بغداد ، وخرج إلى الشام ، فسمع بدمشق ، وصور ، ووصل إلى مكة ، فسمع بها من القاضي القضاعي ، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزية فى خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد ، وتقرب إلى الوزير رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وكان قد أظهر بعض اليهود كتابا ، وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة رضى الله عنهم ، منهم معاوية بن أبى سفيان ، وسعد بن معاذ وادعى أنه بخط على بن أبى طالب رضي الله وأرضاه ، فقال الخطيب : هذا الكتاب مزور ، فقال له الوزير : من أين هذا ؟ قال : فيه شهادة سعد بن معاذ ومعاوية ، وسعد مات يوم الخندق قبل خيبر ، ومعاوية أسلم يوم الفتح سنة ثمان ، وخيبر كانت سنة سبع ، فأعجب الوزير ذلك .

ولما دخل البساسيري بغداد استتر الخطيب ، وخرج إلى الشام ، وأقام بدمشق وصور ، وحلب ، وطرابلس ، ثم عاد إلى بغداد سنة اثنتين وستين ، فأقام بها سنة ، ثم توفى . وقيل أنه صنف (الكتب فى فنون)(٢) ستة وخمسين كتابا ليس فيها أكبر من التاريخ فمن مصنفاته : التاريخ مائة وستة أجزاء ، وشرف أصحاب الحديث ، والجامع لاختلاق

---

(١) : كذا فى الأصل ولعل ابن البعباع تصحيف البغائى وزير صقلية ولم تسقط صقلية هكذا كما روى مؤرخنا بل اختلفت الأمور انظر : المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا لأحمد توفيق المدني ط• الجزائر سنة ١٣٦٥هـ ص: ١٥٣ـ١٦٤ وانظر أيضا تاريخ صقلية الإسلامية لعزيز أحمد تونس ١٩٨٠ ص ٤٠ : ٤٨ .

(٢) : زيد مابين الحاصرتين من (ب) .

الراوي والسامع ، والكفاية في معرفة أصول الرواية ، والمتفق المفترق ، والسابق واللاحق وتلخيص المتشابه في الرسم ، وتالي التلخيص ، والفصل والوصل ، والمكمل في بيان المهمل والفقيه والمتفقه ، وعينة المقتبس ، والأسماء المبهمة ، والصواب في التسمية بفاتحة الكتاب ، والجهر بالبسملة ورفع الارتياب ، والفنون ، والتبيين ، وتمييز المزيد ، ومن وافق اسمه اسم أبيه ، ومن حدث فنسي ، ورواية الآباء عن الأبناء ، والعلم بالكتابة ، والحيل ، والرحلة ، والرواة عن مالك ، والاحتجاج للشافعي ، والتفصيل لمبهم المراسيل ، واقتضاء العلم والعمل ، والقول في علوم النجوم ، وروايات الصحابة عن التابعين ، وصلاة التسبيح ، وروايات الستة من التابعين ، ومسند نعيم بن هشام ، والنهي عن صوم يوم الشك ، والإجادة للمعدوم والمجهول ، والبخلاء ، والأسماء المتواطئة ، والنكاح بغير ولي ، والوضوء من مس الذكر ، والرواة عن شعبة ، والجمع والتفريق ، وأخبار الطفليين ، والدلائل والشواهد ، والقضاء باليمين والشاهد ، والموضح ، والقنوت.

واتفقوا على أنه توفي يوم الإثنين سابع ذي الحجة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة ، جوار النظامية ، وحمل تابوته أبو اسحق الشيرازي من المدرسة النظامية إلى الجسر ، وعبر به إلى الجانب الغربي ، واجتاز به في الكرخ ، وحمل إلى جامع المنصور ، وحضر الأماثل والفقهاء ، والخلق الكثير ، وصل عليه أبو الحسين ابن المهتدي ، ودفن إلى جانب بشر الحافي ، وكان أحمد بن علي الطرثيثي قد حفر هناك قبرا لنفسه ، وكان يمضي إليه كل يوم ، ويختم فيه القرآن عدة سنين ، فلما مات الخطيب أرادوا دفنه فيه ، فمنعهم ، وقال : هذا قبر أنا حفرته ، وختمت فيه القرآن عدة ختمات ، وكان أبو سعد الصوفي حاضرا ، فقال له : ياشيخ لوكان بشر في الحياة ، ودخلت أنت والخطيب عليه ، أيكما كان يقعد إلى جانبه ؟ فقال : الخطيب، قال : فكذا ينبغي أن يكون في حالة الموت ، فسكت ، وقيل أن الطرثيثي كان غائبا ، فلما حضر أراد نبشه ، فقيل له : لايحسن ، فتركه .

وكان الخطيب يقول : شربت من ماء زمزم على نية أن أدخل بغداد ، وأروي فيها التاريخ ، وأدفن إلى جانب بشر الحافي ، وقد رزقني الله دخولها ، ورواية التاريخ بها ، وأنا أرجو الثالثة ، فدفن إلى جانب بشر ، وأوصى أن يتصدق بجميع ماكان عليه من الثياب، سمع خلقا كثيرا، وروى عنه جم غفير ، وذكره أرباب السير (١) فقال ابن السمعاني في الذيل : هو إمام هذه الصنعة ، وعالمها ، ومن به ظهرت معالمها ، وأحيا رسومها ، ونشر علومها (٢).

---

(١) : درس أكرم ضياء العمري الخطيب البغدادي في أطروحة دكتوراة بعنوان موارد الخطيب البغدادي ط. دمشق ١٩٧٥ ينصح بالعودة إليه .

(٢) [illegible]

وقال ابن عساكر : هو أحد الائمة المشهورين ، والمصنفين المذكورين ، والحفاظ المبرزين ، ومن به ختم ديوان المحدثين (١) ، وكان يذهب مذهب الأشعري ، ولما عاد من دمشق إلى بغداد ، وقعه له جزء فيه سماع القائم بأمر الله ، فحمل الجزء ، ومضى إلى باب الحجرة ، وسأل أن يؤذن له في قراءته ، فقال الخليفة : هذا رجل كبير السن في الحديث ، وليس له إلى السماع حاجة ، ولعل له حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك ، فسألوه ، فقال : حاجتي أن أملي بجامع المنصور ، وكانت الحنابلة قد منعته ، فأذن له ، وحضر النقيب الكامل مجلسه ، وأملى بالجامع .

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله : من نظر في مصنفاته عرف قدر الرجل ، وما هيء له مما لا يتهيأ لمن كان أحفظ منه ، كالدارقطني ، وغيره ، وقد روى عن أبي الحسين بن الطيوري ، أنه قال : أكثر كتب الخطيب مستفادة من كتب الصوري ابتدأ بها ؟ قال الشيخ أبو الفرج : وقد يصنع الإنسان طريقا فيسلك ، وما قصر الخطيب على كل حال .

وكان حريصا على علم الحديث ، كان يمشي في الطريق ، وفي يده جزء يطالعه ، وكان حسن القراءة ، فصيح اللهجة ، عارفا بالأدب ، يقول الشعر الحسن .

وكان قديما على مذهب الإمام أحمد رحمة الله علية ، فمال عليه أصحابه ، لما رأوا ميله إلى المبتدعة وآذوه ، فانتقل إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وتعصب في تصانيفه عليهم ، ورمز إلى ذمهم وصرح بقدر ماأمكنه ، فقال في ترجمة الإمام أحمد رحمة الله عليه : إمام المحدثين ، ولم يذكره بالفقه ، ونسبه إلى الصبوة ، فقال في ترجمة حسين الكرابيسي : إيش تعمل بهذا الصبي ، إن قلنا : لفظنا بالقرآن مخلوق ، قال : بدعه ، وإن قلنا : غير مخلوق ، قال : بدعة ، ثم قدح في أصحابه مهما أمكن ، ودس في ذمهم دسائس عجيبة ، من ذلك أنه ذكر مهنا بن يحيى ، وكان من كبار أصحاب الإمام ، أحمد رضي الله عنه ، فقال : قال الدارقطني : مهنا ثقة نبيل ثم حكى عن أبي الفتح الأزدي أنه قال : مهنا منكر الحديث ، وهو يعلم أن الأزدي مطعون فيه عند الكل ، وأول من ضعفه هو ، قال : حدثني أبو النجيب عبد الغفار

---

(١) : انظر المجلدة الأولى من تاريخ ابن عساكر للشيخ بدران ط . بيروت ١٩٧٩ .

الأرموي ، قال : رأيت أهل الموصل يوهنون أبا الفتح الأزدي ، ولا يعدونه شيئا ، قال الخطيب : وحدثني محمد بن صدقة الموصلي ، قال : قدم أبو الفتح الأزدي بغداد على ابن بويه ، فوضع له حديثا أن جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في صورنا ، فأعطاه دراهم.

قال الشيخ أبو الفرج : أفلا يستحي الخطيب أن يقابل قول الدارقطني في مهنا بهذا ، ثم لا يبين ضعف الأزدي ، فما الذي وثقه في الطعن في مهنا ، وضعفه في غيره ، وهذا ينبئ عن عصبيته وقلة دين.

ومال الخطيب على الحسن بن علي التميمي ، وأبي عبد الله بن بطة ، وأبي علي ابن المذهب ، وكان في الخطيب شيئان : أحدهما الجري على عادة عوام المحدثين في الجرح والتعديل ، فإنهم يجرحون بما ليس ، لقلة فهمهم ، والثاني تعصب على الإمام أحمد رضي الله عنه ، وعلى أصحابه ، وذكر في كتاب الجهر بالبسملة أحاديث يعلم أنها لا تصح ، وكذا في كتاب القنوت ، وذكر في مسألة صوم يوم الغيم ، وتحريمه ، حديث يعلم أنه موضوع ، واحتج به ، ولم يذكر عليه ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من روى حديثا علي ، وهو يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين.

وقال اسماعيل بن أبي الفضل القوسي ، وكان من كبار الحفاظ ، صدوقا ، له معرفة حسنة بالرجال والمتون ، غزير الديانة : ثلاثة من الحفاظ لا أحبهم لشدة تعصبهم ، وقلة إنصافهم : الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، وأبو نعيم الأصفهاني ، وأبو بكر الخطيب ، ولقد صدق اسماعيل ، فان الحاكم متشيع ، والآخران أشعريان متعصبان للأشاعرة والمتكلمين ، وما يليق هذا بأصحاب الحديث ، لأن الحديث جاء في ذم الكلام ، وقد أكد الإمام الشافعي رضي الله عنه عليهم في هذا حين قال : رأيي في أصحاب الكلام أن يركبوا على البغال ، ويطاف بهم في القبائل (١).

وقد صنف الشيخ جمال الدين بن الجوزي — رحمة الله ، كتابا سماه " السهم المصيب في بيان تعصب أبي بكر الخطيب " بين فيه أغراضه ودقائقه وتعصبه ، وأنه صرح بذم الإمام أحمد رحمة الله عليه ، فقال : وهم أحمد في مواضع ، وذكر ما يدل على أن الخطيب هو الواهم ، وقد بسط الخطيب القول

---

(١) : انظر المنتظم : ٨/٢٦٥ ، ٢٧٠.

فى ذم أصحاب الإمام أحمد رحمة الله عليه ، وقد أجيب عن جميع ماذكره ، ورد عليه .

وقال محمد بن طاهر المقدسي : لما هرب الخطيب من بغداد ، عند دخول البساسيري إليها ، قدم دمشق ، فصحبه حدث صبيح الوجه ، فكان يختلف إليه ، فتكلم الناس فيه ، وأكثروا ، وبلغ والي المدينة ، وكان من قبل المصريين شيعيا ، فأمر صاحب الشرطة بالقبض على الخطيب وقتله ، وكان صاحب الشرطة سنيا ، فهجم عليه ، فرأى الصبي عنده ، وهما فى خلوة ، فقال للخطيب : قد أمر الوالي بقتلك، وقد رحمتك ، ومالي فيك حيلة ، إلا أنني إذا خرجت بك ، أمر على دار الشريف ابن أبى الجن العلوي ، فادخل داره ، فإني لا أقدر على الدخول خلفك ، وخرج به ، فمر على دار الشريف فوثب الخطيب ، فصار فى الدهليز ، وعلم الوالى ، فأرسل إلى الشريف يطلبه منه ، فقال الشريف : قد علمت اعتقادي فيه وفي أمثاله ، وليس هو من أهل مذهبي ، وقد استجار بى ، ومافي قتله مصلحة، فإن له بالعراق صيتا وذكرا ، فإن قتلته قتلوا من أصحابنا عدة ، وأخربوا مشاهدها (١) ، قال : فيخرج من البلد ، فأخرجوه فمضى إلى صور ، واشتد غرامه بذلك الصبي ، فقال فيه الأشعار ، فمن شعره .:

يغيب الناس عن عيني سوى قمر ... حسبي من الناس طرا ذلك القمر
محله في فؤادي قد تملكه ... وحاز روحي فمالي عنه مصطبر
أردت تقبيله يوما مخالسة ... فصار في خاطري من خده أثر
وكم حليما رآه ظنه ملكا ... وراجع الفكر فيه أنه بشر

وقال :

بان الحبيب وكم له من ليلة ... فيها أقام إلى الصباح معا نقي
ثم الصباح أتى ففرق بيننا ... ولقل مايصفو سرورا لعاشق

وقال :

الخمر والورد حق ليس أجحده ... إذ نا سبا من بدا منه بلايساي
فالخمر من طيب ريح الحب قد سرقت ... والورد أضحى يحاكي خد مولاي

---

(١) : فى ب ((مشاهدنا))

وقـــال :

بالله أقسم أيمانا مغلظـــــة مامثل حبي مشى في سائر الناس
إذا بدا يتثنى خلته قمـــــرا من فوق غصن مديد الفرع مياس
شربت من لحظه خمراً أسكرت بهما زادت على نعت خمر الكاس والطاس
فأورثت مهجتي من حبة دنـــف وعظمت أفكار حالي ووسواســـى

ومن هذا قوله وأخباره عن نفسه ، فكيف يقبل جرحه وتعديله ، وإنما العصبيـة ذهبت بالدين (١) ومن شعره :

لعمرك ماشجاني رســـم دار وقفت بها ولا ذكر المغانـــي
ولا أثر الخيام أراق دمعـــي لأجل تذكري عهد الغوانـــي
ولا ملك الهوى يوما قيـــادي ولا غاضبتـــه فيما عنانـــى
عرفت فعاله بذوي التصافـــى ومايلقون من ذل الهـــوان
فلم أطعمه في وكم قتيل لـــه في الناس مايحصى رعـــان
طلبت أخا صحيح الود محضـا سليم العيب مأمون اللســـان
فلم أعرف من الإخـوان إلا نفاقا في التباعد والتدانـــى
وعالم دهرنا لا خير فيـــه ترى صورا تـروق بلامعـــان
ووصف جميعهم هـذا فمــا أن أقول سوى فلان أوفـــلان
ولما لم أجد حرا يواتي علـى ماناب مـن نوب الزمـــان
صبرت تكرما لقـراع دهـــري ولم أجزع لما منـه دهـــان
ولم أك في الشدائد مستكينـا أقول لها ألاكفي كفـــان
ولكني صليب العـود عـــود ربيط الجأش مجتمع الجنـان
أبي النفس لاأختار رزقـــا يجيء بغير سيف أوسنـــان
لعز في لظى باغيـه يثـوى ألذ من المذلـة في الجنـــان
ومن طلب المعالي وابتغاها أدار لها رحى الحرب العوان

---

(١) : كان المقدسي من حنابلة دمشق ، ولا تعرف اسم الكتاب الذي نقل عنه .

وكان للخطيب شيء من المال ، فكتب إلى القائم بالله : إذا مت كان مالي لبيت المال ، وأنا أستأذن أن أفرقه على من شئت ، فأذن له ، وكان مائتي دينار ، ففرقه في أصحاب الحديث ، ووقف كتبه على المسلمين ، وسلمها إلى أبي الفضل ابن خيرون ، فكان يعيرها ، ثم صارت إلى ابنه الفضل ، فاحترقت في داره •

وقال ابن طاهر : جاء جماعة من الحنابلة يوم الجمعة إلى حلقة الخطيب ، بجامع المنصور ، فنا ولوا حدثا صبيح الوجه دينارا ، وقالوا له : قف بإزائه ساعة ، وناوله هذه الرقعة ، فناوله الصبي إياها ، وإذا فيها : بحق الذي أعز المعتزلة بابن أبي دؤاد والجهمية بجهم بن أبي صفوان ، والكرامية بابن كرام ، وأعز بك الأشاعرة ، قل لنا إيش مذهبك ؟ •

وكان الخطيب في أول أمره يتنسك ، ويتبع السنة ، ولا يتعرض لغير حديث ، وكانت الحنابلة تعتقد فيه ، فلما خالط المتكلمين ، وأهل البدع مالوا عليه ، وكانوا يعطون السقاء قطعة ، يوم الجمعة ، فكان يقف من بعيد بإزائه ويميل رأس القربة ، وبين يديه أجزاء ، فيبل الجميع فتتلف ، وكانوا يطينون عليه باب داره في الليل ، فربما احتاج إلى الغسل ، لصلاة الفجر فتفوته •

وقد قدح في جماعة من الأئمة ، فقال : كان مالك قليل الحفظ ، والحسن البصري وابن سيرين يقولان بالقدر ، ومالك بن دينار ضعيف ، ولم يثبت من لسانه إلا القليل •

حسان بن سعيد بن حسان

ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد المخزومي ، أبو علي ، من أهل مرو الروذ ، كان في أول عمره يتشاغل بخدمة الملوك ، ثم عزل ، فانقطع إلى الله تعالى والعبادة وسماع الحديث ، والتقلل من الدنيا ، فكان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويبني المساجد ، والقناطر ، والجوامع وكانت الملوك تزوره وتتبرك به ، ووقع في بلاده غلاء ، فكان ينصب القدور ، فلا يمنع من طعامه أحد ، ويتصدق في السر ، ويكسوا كل سنة خلقا عظيما ، ويزوج الأرامل واليتامى ، ويمشي من بيته إلى المسجد ، وكان بعيدا عن بيته ، ويلبس الغليظ من الثياب ، ويصلي على قطعة لبد ، ويقعد على التراب ، وأغنى فقراء مرو ونيسابور ، وبلده ، وأنفق أمواله في أبواب البر ، ومازال به التقلل والمجاهدة حتى مرض بنيسابور مرضا شديدا ، فحمل إلى مرو الروذ ، فتوفي بها •

علي بن عبدالله أبو الحسن الجويني

ويعرف بشيخ الحجاز ، كان عابدا زاهدا عالما وهو عم أبي المعالي المتكلم

كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروذية

من أهل كشميهين[1] ، قرية من قرى مرو ، كانت عالمة ، فضيلة ، صالحة ، زاهدة عابدة ، قدمت مكة ، فأقامت بها حتى ماتت .

محمد بن علي بن محمد بن جناب أبو عبدالله الصوري

الشاعر ، كان فصيحا ، توفي بطرابلس ، وقد نيف على السبعين ، ومن شعره :

صب جفاه حبيبه فحلا له تعذيبه
فالنار تضرم في الجوا نح والسقام يذيبه
حتى بكاه لما دهاه قريبه وبعيده .
وتآمروا في طبه كيما يجف لهيبه
فأتى الطبيب وما دروا أن الحبيب طبيبه

محمد بن علي بن الحسن بن الدجاجي أبو الغنائم القاضي

سمع الكثير ، وكان له مال ، فافتقر ، فجمع له المحدثون شيئا ، وأتوا إليه ، فقال : وافضيحتاه آخذ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة ، لا والله ، وبكى ولم يقدر ، وتوفي في سلخ شعبان ، ودفن بمقابر الخيزران يوم الجمعة غرة رمضان وكان صحيح السماع صدوقا .

---

(١) : في الأصل ((كشمعين)) وفي ب ((كشمهين)) وهو تصحيف قوم من معجم البلدان الذي عرفها بأنها قرية كبيرة من قرى مرو .

محمد بن وشاح بن عبدالله أبو طي

ولد سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، وكان كاتبا لنقيب النقباء الكامل ، وكان فاضلا توفي في رجب ، عن أربع وثمانين سنة ، ودفن عند جامع المنصور ، ومن شعره :

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها ... علي ولا أني تحنيت من كبر

ولكنني ألزمت نفسي بحملها ... لأعلمها أن المقيم على سفر

انتهى تاريخ الخطيب أبي بكر ، في هذه السنة ، ومن السنة الرابعة والستين وأربعمائة ذيل عليه أبو سعيد عبد الكريم بن منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن السمعاني .

السنة الرابعة والستون والأربعمائة

فيها استولى الناوكية ، الذين هربوا من ألب أرسلان على الشام، وكان أمير الجيوش بدر قد استمالهم ، فجاءوا فنزلوا الشام، وطردوا العرب الذين كانوا قد استولوا على بدر ، ونهبوا الشام ، وطلبوا من بدر المال ، وهو مقيم بعكا فقال : ماعندي مال ، وما سلطتكم على العرب إلا أنكم تقنعوا بنهبهم ، وما أقطعتكم من الشام ، فقالوا : نحن أخذنا البلاد بسيوفنا ، ثم جاءوا فنزلوا طبرية ، واقتسموا البلاد ، وأخذوا غلالها ، فراسل بدر العرب بالرجوع إلى الشام ، وأنه معهم بنفسه وماله ، فاجتمع من العرب خلق عظيم ، وقربوا من طبرية ، وعرف الناوكية كثرتهم فكرهوا لقائهم ، فأسروا إليهم، وكبسوهم فأسروا وقتلوا ماشاءوا ، وعادوا إلى طبرية ، ونزلوا من بعد طرابلس، فراسلهم محمد بن الزوقلية بأن يعودوا إليه ، وبذل لهم العطاء ، فجاءوه ، وكان عمه عطية قد استنجد بطريق انطاكية ، وبني كلاب على محمود ، فقصد حلبا فنهب ظاهرها ، وجاء الخبر بأسر ملك الروم فعاد عسكر انطاكية ، وارتبط محمود من التركمان نحو ألف غلام ، وسار الباقون إلى الشام ، فنزلوا على حصن لعمان بالبلقاء ، وفيه ذخائر العرب وأموالهم ، وهو معقلهم ، ولم يكن عليه لأحد طاقة ، وهو عز العرب ، فاحتالوا عليه وملكوه ، وملك التركمان الشام بأسره ، وجاءوا إلى الرملة وهي خراب ليس بها أحد ، ولا لسوقها أبواب ، فجلبوا إليها الفلاحين ، وعمروها ، وضمنوا جزء السلطان عن الزيتون الموجود بثلاثين ألف دينار وقرروا قسمة البلاد على النصف ، فقيل إنهم باعوا من الزيتون في هذه الدفعة بثلاثمائة ألف دينار ، وأعطوا التركمان منها ثلاثين ألف دينار ، وأخذوا الباقي .

ذكر ما يتعلق بمصر

اجتمع من بقي من المشارقة ، إلى القاهرة ، وتولى ابن المغربي مكاتبة الأمير والأصحاب ، وإفسادهم على ابن حمدان ، وجمع الجموع ، وتفلت من ابن حمدان كل من كان يستعين به ، وقوى أمر المستنصر ، وضعف أمر ابن حمدان ، وكان مقدم المشارقة يلدكوز ، ومضى ابن حمدان إلى الاسكندرية ، وأخذ أهله وأمواله ، ومضى هاربا إلى العرب ، فنزل عليهم ، ثم أخذ ذؤابة وسنبس وغيرهم من العرب ، وقصد العسكر المصري ، وطرح نفسه عليهم ، وقاتلهم ، فهزموه ، وقتلوا من كان معه ألوفا ، وقيل كان ذلك سنة ثلاث وستين في شوال ، فلما أيقن بالهلاك ، نشر شعر أخته وزوجته بين أيدي العرب ، فعادوا على المشارقة ، فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا .

ذكر ماجرى لملك الروم أرمانوس

لما جرى عليه ماجرى ، سبق خبره إلى القسطنطينية ، فوثب ميخائيل على المملكة ، وقبض على والدته زوجة أرمانوس ، ولها منه ابن وبنت ، فحلق رأسها ، وألبسها الصوف ، وأدخلها الدير ، ووصل أرمانوس إلى دوقية (١) وحصل في قلعتها ، وعرف الخبر ، فلبس الصوف ، وأظهر الزهد في الملك ، وراسل ميخائيل يقول : قد فعلت في جمع العساكر ، وإنفاق الأموال ، وإعزاز دين النصرانية مافعلت ، ولم آل جهدا ، ولا غلبت من قلة ، ولا من ضعف الرأي ، وقد كان من قضاء الله تعالى ، وقدره في نصر الإسلام وأهله ، مالا قدرة لأحد فيه ، ولا في رده ودفعه ، ولما حصلت في يد هذا الرجل ، تكرم الكرم الذي لم أظنه ، وقرر علي مال الهدنة ، ومن علي وأطلقني ، وصعدت إلى الحصن زاهدا في الملك ، ولبست الصوف ، وحمدت الله تعالى إذ حصلت في المكان الذي أنت أحق به من غيرك ، ويجب على أن أعرفك حال هذا السلطان ، ومافيه من الفضل والإحسان ، فإن قبلت قولي كنت الواسطة بينكما في حفظ دين النصرانية ، وإن خالفت فأنت أعلم ، وتؤدي المال الذي قرر علي ، وتخلص رقبتي من أمانة فيها .

فأجابه باستصواب رأيه ، واعتذر بأن الحروب أنفذت الأموال وهو يحمل ماقرر عليه من مال فكاكه ، مع مال الهدنة ، أولا إلى أن يوفيه ، فأنفذ أرمانوس إلى السلطان بذلك ، وأنفذ أموالا كانت في حصن دوقية ، نحو مائتي ألف دينار ، من جملتها طشت وإبريق وطبق من ذهب مرصع بالجواهر ، تبلغ قيمته سبعين ألف دينار ، وحلف بالإنجيل ماأمكنه حمل أكثر من هذا ، ولا امتدت يده إلى غيره ، وأعطى الحاجبين

---

(١) : كذا بالأصل والذي ذكره ميخائيل بزللوس وهو المؤرخ البيزنطي الذي عاصر الأحداث هو أن داينيس وصل إلى مدينة المصيصة انظر

الذين سارا فى خدمته والغلمان ماجازاهم به ، واعتذر إليهم ، ووصل ذلك إلى السلطان ، وأجابه بما سأل ورضى بتأخير المال ، مع مال الهدنة ، ثم بعث ميخائيل بعد انفصال الغلمان عن أرمانوس إليه ، يقول : إن كنت قد ترهبت حقيقة ، فيجب أن تنتقل إلى بعض البيع ، وتخلى عن الحصن لأرتب فيه من يحفظه ، فتنكر أرمانوس ، وقال : كأنه ماقنع لي بزوال الملك وحصولي فى الحصن ، حتى ينافسني فيه ، فرمى بالصوف ، واقترض أموالا من التجار الذين كانوا فى الحصن ، وجمع إليه عسكرا من الأرمن ، وقصد سنحاريب ملك الأرمن ، فبعث إليه يقول : إن كنت جئتنى ضيفا خدمتك ، أما محاربة ميخائيل فلاقدرة لي عليها ، فقال : ماجئتك إلا ضيفا ، فخرج إليه ، وتلقاه وقبض عليه ، وأخذ أمواله ، وكانت ثمانين قنطارا وتقدم بسمله وحبسه ، وكان مع أرمانوس ألوفا من الروم والأرمن ، فاستخدمهم سنحاريب ، وسار إلى قونية والبلاد ، فملكها ، واستولى على معظم الروم ، وسار إلى ملطية ، فنزل عليها وصادر أهلها ، وأخذ أموالهم ، وراسل السلطان ، فوعده أن ينجده بنفسه .

وفى صفر ، ورد رسول صاحب مكة بإقامة الدعوة العباسية بمكة والمدينة .

وفيها بعث الخليفة إلى السلطان الخلع والهدايا ، وكان السلطان قد سأل الخليفة أن يزوج الأمير عدة الدين ابنته (١) من خاتون السفرية فأجابه الخليفة وكتب وكالة لعميد الدولة عن الأمير عدة الدين .

وفى ربيع الأول ورد الوزير أبو العلاء من عند السلطان ، وعليه خلع سلطانية ، ولقب وزير الوزراء ، ومعه توقيع بنصف إقطاع الوزير ابن جهير ، تنكرا من السلطان عليه ، وأن يكون أبو العلاء نائبا ببغداد عن السلطان ، وكان ذلك بتدبير نظام الملك ، وبلغ الخليفة ، فثقل عليه ، ولم يأمر بتلقيه ، فدخل وحده ، وقبل عتبة باب النوبى ، وانصرف ، و وصل بعده بثلاثة أيام سعد الدولة الكوهرائيين برسالة من السلطان فى معنى فخر الدولة ، والعتب عليه ، ويسأل الميل إلى أبي العلاء الوزير ، فالتقاه حاشية الخليفة ، والوزير ، ونزل باب النوبى ، وقبل وسأل الحضور ، فأذن له ، ودخل معه الوزير ابن جهير ، وكان معه رسالة لايحضرها ابن جهير ، فلم يفعل الخليفة ، ودفع كتاب السلطان إلى الخليفة ،

---

(١) : أي ابنة السلطان — أنظر مايلي .

ولم يؤد الرسالة ، وكتبها في ورقة ، وأعطاها الخليفة ، فوقف الخليفة على اللطف ، وقال : كذب كاتبه ، لعنه الله ، وقيل إنه تضمن أن الوزير ذكر السلطان بقبيح ، ثم انصرف سعد الدولة ، وخرج توقيع الخليفة إليه : قد عرفنا ضيق صدر عضد الدولة، بتأخير رسلنا إليه ، وانتظارهم بالري الانتظار الذي ثقل عليه ، ونسب ذلك إلى الوزير بقول الأعداء والحساد ، والله العظيم إن الأمر لم يجر على ذلك ، ولا كان التأخر إلا بسبب ثوب نسيج يصلح للتشريف ، أبطأ الصناع في عمله ، ويجب أن تكتب إليه وتعلمه حقيقة الحال ، ليزول من خاطره ما خامر نفسه ، مما أوقعه فيه أعداء الوزير قبحهم الله تعالى .

وفي جمادى الآخرة خرج ابن أبي عمامة الواعظ يوما ، فرأى مغنية خارجة من دور بعض الأتراك ، ومعها عود ، فقطع أوتاره ، فعادت إلى التركي ، وشكته ، فأرسل غلمانه إلى داره ، فهرب إلى الحريم ، ودخل على ابن أبي موسى الهاشمي ، (متقدم الحنابلة) (١) وشكا إليه ، فقام ابن أبي موسى ، وجمع الحنابلة، وأدخلوا معهم أبا اسحق الشيرازي وأصحابه ، ودخلوا جامع القصر ، واستغاثوا وطالبوا بإزالة المنكرات ، وخراب المواخير ، فتقدم الخليفة بتتبع الفواسد ، وإراقة الأنبذة ونحو ذلك ، وطلبوا صرف سعد العجمي عن الحسبة ، فصرف ، وطلبوا ضرب دراهم يتعامل بها الناس، فأرسل الخليفة لهم يقول : ارجعوا إلى منازلكم ، ونحن نكاتب عضد الدولة بما سألتم ، فلطم ابن أبي موسى على رأسه ، وصاح : لبيك على الإسلام من كان باكيا ، زالت البيعة ، وبطلت طاعتنا لهذا الإمام ، وقام قاض يعرف بابن أبي عفانة ، فقال : يامعشر المسلمين ، هذا الشريف يلطم وينوح على الإسلام ، فبادروا إليه ، واجتمعوا عليه ، فمن قائل : ليس هذا الإمام بخير من عثمان بن عفان، وآخر يقول : هذه الأموال التي في يده لنا ، وآخر يقول : ماله في رقابنا بيعة ، وأكثر من ذلك ، وأمروا المكدين والغوغاء أن يتحدثوا على الطرق بذلك ، فشاع، وانخرقت هيبة الثلاثة ، وكان الوزير يرى قمعهم بالهيبة ، والخليفة يجري في ذلك على عادته في الصبر والرفق ، ثم استدعى أبا اسحق الشيرازي إلى باب الغربة ، وعتبه ، فانصرف إلى داره ، وطرق جمعه ، وأما ابن أبي موسى وأصحابه ، فأقاموا بالجامع ، وقالوا : مانبرح حتى يتم الفعل ، وإلا فهذا دفع ، فغاظ الوزير ذلك ، وأرسل إلى سعد الدولة الكوهرائين ، وقال : اقبض على هؤلاء المفتنين (٢) ، فقبض على بعضهم ، ونكل بهم

---

(١) : زيد مابين الحاصرتين من ب .

(٢) : في ب ((المفتتنين)) .

وتفرق الباقون ، وبعث الوزير إلى الجامع ، فضرب من فيه بالدبابيس ، وأخرجهم وأغلق أبواب الجامع ، ورفع كراسي القصاص ، فهربوا ، وهدد أبو اسحق ، فخاف ، وعزم على الخروج إلى باب السلطان بخراسان ، فأعاده الوزير إلى داره ، وسكنه الخليفة ، وأقام ابن أبي موسى في منزله لايخرج منه ، فلما طال عليه الأمر عاد إلى عادته في التدريس وقامت الهيبة .

وفي هذا الوقت وقع الموت في الدواب والغنم ، فلم يبق منها شيء ، ونام راع في طريق خراسان عند القطيع ، ثم انتبه فوجد الغنم موتى بأسرها ، وكانت خمسمائة رأس .

وأخذ سعد الدولة الكوهرائين رجلا ممن كان في الفتنة ، فصلبه بدجلة ، وأضرم فيه النار ، وهو حي ، فاحترق ، فسمي سعد الدولة الشواء ، وقامت له هيبة لم تقم لغيره .

وفي هذا الوقت قدمت فاخرة بنت نور الدولة ابن مزيد بغداد ، فطرحت نفسها في دار الخلافة مستجيرة من مسلم بن قريش ، فإنه كان قبض على أخيه إبراهيم زوجها ، فبعث الخليفة إليه رسولا في معناه ، فقال : هذا الغلام سعى في دمي ، وفعل مايقتضي الاستظهار عليه ، وأنا نازل إلى الباب العزيز ، وذاكرا أفعاله معي ، فإذا أمرت بعد ذلك بأمر امتثلته .

ومطر العراق مطرا فيه برد وبندق طين مثل بيض العصفور ، وله رائحة طيبة .

وفي شعبان أخذ أصحاب السلطان الأنبار من مسلم بن قريش ، لأن السلطان تنكر له ، وأخذ منه حربي (١) فأعطاها لخاتون زوجة الخليفة ، وكتب بإدخال اليد في هيت (٢) وعانات (٣) ، والسن (٤) ، والبوازيج (٥) ، وأعمال الموصل ، مما كان في يد مسلم وأن يبق في يده ، ماكان في زمن أبيه ، أيام ركن الدين طغرلبك .

وفيها عقد الأمير عدة الدين على ابنة السلطان ألب أرسلان بنيسابور ، وجلس السلطان على سرير الملك ، ونظام الملك بين يديه قائم ، وحضر عميد الدولة

---

(١) : حربا بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت معجم البلدان .
(٢) : بلد على الفرات فوق الأنبار معجم البلدان .
(٣) : بلد مشهور بين الرقة وهيت معجم البلدان .
(٤) : مدينة على دجلة فوق تكريت معجم البلدان .
(٥) : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل معجم البلدان .

وكيلا عن عدة الدين ، ووضع له كرسي فضة ، فجلس عليه ، وحضر الملوك والأمراء والرسل على اختلاف طبقاتهم ، وكان نظام الملك وكيلا عن السلطان ، وقال السلطان للقضاة والعدول : اشهدوا أني قد وكلت الحسن الطوسي في هذه الوصلة .

قال عميد الدولة : وأعلموني بذلك ، فقلت الآن قد قبلت هذا النكاح ، ورضيت به عن الأمير عدة الدين موكلي ، لما تواصلت رغبات السلطان إلى أمير المؤمنين في هذا الأمر ، فرأى أن يشرفه بإيصال حبل النبوة بحبله ، وأخذ السلطان من جانبه طبقا فيه حب منظوم ، ومن جانبه الآخر كذلك ، فنثرهما على الناس ، ثم أخرج من بند قبائه ثلاثة سبائح فيها جواهر ، فرمى بها إلى عميد الدولة ، وقال : هذه برسمك لم يمد يده إلى الحب ، فقام عميد الدولة وقبله (١) وقال : قد قبلته وأحببت أن أضيفه إلى هذا النثار ، فنثر .

فقال عميد الدولة : وقمنا ويدي في يد نظام الملك فلما بعدنا عن عين السلطان قبل رأسي ، وقال : لوجاز أن تستحيي يوما من الأيام لاستحييت مني اليوم يا هذا ، ألم أسألك أن تتجمل وتجعل الرغبة منك إلى السلطان في ابنته ، فلم تقبل ، وكان قد قرر معي هذا ، فقلت : أنت الذي رغبت وطلبت ، قال : ثم أحضرني السلطان وهو في حجرة وحده ، ودخل معي نظام الملك ، وإذا بين يديه أطباق ذهب فيها سكر وعلى كل طبق قرطاس كبير فيه جوهر ، على عادتهم ، ودنانير ، فقال : احملوها معه ، فما أمكن مخالفته ، فلما خرجت ، وقفت على باب الحجرة وفرقتها على الحاضرين، ونثرت من عندي ذهبا وثيابا تبلغ قيمتها ألف دينار وسبعمائة دينار .

وفي هذا الوقت عاد التركمان الناوكية من الرملة إلى دمشق ، وحصروها وأخربوا الضياع ، وكان بها ابن منزو الكتامي ضامنها ، فصالحهم على خمسين ألف دينار ، وأعطاهم ثلاثة وعشرين ألف درهم ، وسلم أخاه رهينة على باقيها ، ورحلوا إلى عكا ، وبها بدر الجمالي ، فحصروه وكان متقدمهم يقال له قزلي ، فسكن إليه جماعة من بني كلب وأمراؤهم من بني القرمطي ، وخالطوه وقاربوه واتفق أن قزلي مات على حصار عكا ، فنهب التركمان من قرب منهم من العرب ، وأجفل الباقون ، وسار قريب لقزلي من الرملة إلى عكا وحصرها ، وأخرب سوادها وسواد صور وغيرها ، وكان بدر الجمالي تأتية الميرة في

---

(١) : أي الجوهر .

المراكب في البحر ، فما كان يبالي في الحصار ، فلما يأسوا منه ساروا إلى مصر ، ووصلوا إلى بلبيس (١) وشنوا الغارات على أعمال مصر ، فلم يجدوا ما يأكلون ولا ما تأكل خيلهم ، فعادوا ، وقيل إن جماعة منهم وصلوا إلى وادي القرى وتيماء ووصل منهم سبعة عشر غلاما إلى المدينة ، وزاروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي ذي الحجة ورد رجل من مصر ، ذكر أنه خرج منها في شعبان ، وصاحبها قد قنع بالقاهرة ، ومعه يلدكوز في نحو خمسمائة غلام من المشارقة ، وألفي رجل من السودان ، وهو منهمك على الشرب ، فإذا قيل له : ذهبت البلاد والدولة والأموال يقول : أمسكوا عن هذا ، فإن عندي كتبا وملاحم بجميع ما يجري ، وأن كل ما خرج عن يدي يرجع إليها ، وقصد ابن حمدان مصر ، واستقر أن يكون هو الناظر في البلاد من غير تعرض للدولة ولا معارضة ، فأقام أياما على ذلك ، ثم ارتاب بأسد الدولة يلدكوز وحذره ، فخرج من القاهرة كالمجفل ، ومضى عسكره إلى مصر ، فنهبوها .

وفيها بعث الخليفة أبا طالب الحسن بن محمد ، أخا طراد الزينبي إلى محمد بن أبي هاشم أمير مكة بمال وخلع ، وقال له : غير في الأذان حي على خير العمل " فامتنع فناظره مناظرة طويلة ، فقال له ابن أبي هاشم : قد أذن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب بهذا ، فقال أخو النقيب : ما صح عنه ، وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب ، روي عنه أنه أذن به في بعض أسفاره ، وما أنت وابن عمر ، فأسقط من الأذان .

وفيها توفي سعيد بن نصر الدولة بن مروان ، كان بآمد ولما اجتاز نظام الملك بها خرج إليه ، فقيده ، وبعث به إلى الهتاخ (٢) وكان أخوه نظام الدين قد أعطى نظام الملك مالا حتى نصره عليه ، فكتب سعيد إلى أخيه يستعطفه ويرققه ويحلف له فاستدعاه إلى ميافارقين ، وأحسن اليه ، وأطلقه ، وكان ينادمه ويشربان وينامان ، فجاء خادم له في بعض الليالي ، فقال : قد أمكنتك الفرصة من أخيك نظام الدين ، هو نائم سكران ، قم فاقتله وخذ البلاد بواسم الخادم فروخ ، فقال له : ويلك يكون أخي ابن عجب ، وأنا ابن الفضلونية ، وأغدر به ، لا والله لاكان ذلك ابدا ، والفضلونية بنت فضلون بن منوجهر صاحب الران وأرمينية ، وعجب جارية ، ثم انتبه نظام الدين وتحادثا فأقطعه آمد ، فخرج إليها وأقام بها ، وندم نظام الدين على تسليم آمد إليه ، فاستدعى جارية وواعدها على قتله لما نذكر إن شاء الله تعالى .

---

(١) : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام ، معجم البلدان .
(٢) : قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميافارقين . معجم البلدان .

وذكر في تاريخ ميافارقين : أن السلطان لما اجتاز بديار بكر يريد منازكرد ، لقتال ملك الروم ، خرج إليه أبو الحسن سعيد بن مروان وخدمه ، وكان مستوحشا من أخيه نظام الدين ، فلما وصل السلطان إلى ميافارقين خاف منه نظام الدين، فدخل إليه نظام الملك إلى القصر ، فسأله عن أخيه سعيد ، فأخبره أنه قد التجأ إلى السلطان ، وفي نفس السلطان أن ينصره وقدم لنظام الملك من الجواهر والأموال والتحف شيئا كثيرا ، وخرجت أخوات نظام الدين وبناته وزوجته فمسكوا بذيل نظام الملك ، وقالوا : قد استجرنا بالله وبك فقال : والله لأخرجنه من عندكم أميرا ولأعيدنه سلطانا ، ثم خرج نظام الدين مع نظام الملك إلى السلطان ، وقدم له من الأموال والجواهر ماملأ عينه ، فقال له نظام الملك : إن الحريم قد تمسكن بي في عوده إليهم كما يريد ، فقال السلطان : قد حلفت لأخيه سعيد ، فقال : دعني وإياه ، وركب السلطان إلى الصيد ، وبعث نظام الملك إلى سعيد ، فقيده وحمله على بغل إلى الهتاخ ، فاعتقل فيه ، وعاد السلطان من الصيد فخلع على نظام الدين خلع السلطنة ، ورده إلى ميافارقين ، وقال له نظام الملك : ضمنت لأهلك إني أعيدك إليهم سلطانا ، ومالنا غير سلطان واحد ، ولكن أنت سلطان الأمراء ، ولقبه بذلك ، وعاد إلى ميافارقين ، ومضى السلطان ، وطالت مدة سعيد في الحبس، فكتب إلى أخيه نظام الدين يستعطفه ، فأطلقه كما ذكرنا ، وأعطاه آمد ، ثم ندم فاستدعى جارية حسناء، ودفع إليها منديلا ، وقال : اذا كان أخي معك في ذلك الوقت فادفعي اليه هذا المنديل، ووعدها ان يتزوجها ، وبعث بها إلى سعيد ، فشغف بها شغفا عظيما ، فلما كان معها في بعض الليالي ناولته المنديل ، فمسح به مذاكيره فسقطت، ومات ، وعادت آمد إلى نظام الدين ، ولم يبق له منازع، وحصل أخوته وبنو عمه تحت حكمه (١).

وفيها توفي :

عبد الله بن محمد بن عثمان بن الحسين بن أدريس

أبو طالب ، القاضي أمين الدولة ، الحاكم على طرابلس، والمتولي عليها ، كان عظيم الصدقة، كثير المراعاة للعلويين ، تفرد بذلك في زمانه ، ولم يدانيه أحد من أقرانه ، توفي في النصف من رجب وتولى مكانه أبو الحسن بن أحمد ، الملقب بجلال الملك، ورم البلد

---

(١) : انظر تاريخ ميافارقين ١٨٩ ـ ١٩١ والخبر فيه مختصر جدا .

أحسن رم ، وبلغه عن قوم من العلويين ، وابن الماشلي (١) ، أحد وزراء المصريين ، وكان قد هرب إلى طرابلس ، أنهم قد حالفوا أبا الفتح عمه عليه ، فنفاهم ، ونفى عمه ، وقد مدح أبو الفتيان القاضي ابن عثمان ، ورثاه ، وعزى جلال الملك ، فقال :

ذد بالعزاء السهم عن طلباته	لا تسخطن الله في مرضاته
لك من سدادك مخبر بل مذكر	أن الزمان جرى على عاداته
صدع القلوب بما أتى مستيقنا	أن لا يذم وأنت من حسناته
فبكاه ثغر كان عصمة أهله	ومعاذ قاصده وعز ولاته
أخباه رب العرش غرس فعاله	وقضى له بالخلد في جناته
صبرا جلال الملك تحمد غب ما	خولته فالصبر من آلاته
لا تشعرن الدهر أنك جازع	من فعله فيلج في غداراته
فلأنت مجد ملوك دهرك	فليصدعن قوله من قال مجد قضاته
ولقد علمنا أن بينكم الذي	لا ترحل العلياء عن حجراته
وأفاك عني ذا الكلام معزيا	بل راغبا في الصفح عن زلاته
قول أتى عن علة وفجيعة	فاقبله مستورا على علاته (٢)

من أبيات ، وكان أمين الدولة سخيا شجاعا ، مدبرا ، حكيما ، حليما .

ميمون بن علي بن داود

أبو بكر الصقلي الزاهد ، صنف كتابا في الزهد ، سماه " دليل القاصدين " في اثنتي عشرة مجلدة ، وكان سيدا فاضلا ، ثقة .

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله

أبو الحسين الهاشمي ، خطيب جامع المنصور ببغداد ، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وقرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير ، وشهد عند القضاة ، فقبلوا شهادته ، وكان يلبس القلانس الطوال ، وتسمى الدنيات ، وتوفي يوم الثلاثاء رابع عشر جمادي الأولى ، وصلى عليه النقيب أبو الفوارس في جامع المنصور ، ودفن قريبا من بشر الحافي ، وكان صالحا ، صدوقا ، ثقة .

---

(١) : هو ابو علي الحسن بن سديد الدولة أقام في الوزارة أياما ثم صرف انظر: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي : ٢٦٥.

(٢) : ديوان بن حيوس ط١، دمشق ١٩٥١ : ١/١٣٢-١٣٤.

السنة الخامسة والستون والأربعمائة

في المحرم قتل مسلم بن قريش أبا جابر بن صقلاب كاتبه خنقا بين يديه ، وشروين الحاجب ، ورمى بهما في بئر ، وكان قد اطلع لهما على مكاتبات إلى السلطان في حقه ، وأنه يقبض عليه ، ويقيم شروين وشحنه (١) من أصحاب السلطان مقامه ، يجمع المال ، ويطرد العرب عن العراق ، وقيل إنما كتبا إلى السلطان بجهل مسلم ، وحمقه ، وفساد عقله ، وسوء تدبيره ، وإيحاشه العشيرة والحواشي ، وإبعادهم ، ولما قبض مسلم على أخيه ابراهيم ، واعتقله في قلعة سنجار ، وأراد التوجه إلى باب السلطان ، استحضر المستحفظ بإبراهيم ووصاه ، فترك ابن صقلاب يده على فخذ مسلم ، وقال للمستحفظ: إن جاءك رأس هذا الأمير ، فلا تفرج عن ابراهيم حتى تراني ، ولما انقضى المجلس دخل المستحفظ على مسلم ، وقال : أيها الأمير قد سمعت ماقال فلان ، فأي شيء ترسم أنت ؟ فقال : هذا رجل أحمق جاهل ، ولا يلتفت إلى قوله ، واحفظ ابراهيم إلى أن أعود من خراسان ، فان هلكت أو اعتقلت ، فالأمير بعدي ابراهيم تطلقه ، ولا تنتظر به شيئا .

وفيها كانت توبة أبي الوفاء ابن عقيل ، وكان قد قرأ على ابن الفراء ، وبرع ، وكان فيه ذكاء وحدة ، وجرأة ، فقصد ابن الوليد المعتزلي سرا ، وقرأ عليه الكلام ، ومذهب الاعتزال ، ومذهب الأوائل ، واعتل فأودع كتبه ، وقال ((للمودع)): إن أنا مت فاحرقها بعدي ، فوقف المودع عليها ، فرأى فيها تعظيم المعتزلة ، والترحم على الحلاّج ، وأشياء تخالف الدين ، وأنه يجوز أن يكون لله ولد على وجه التجمل ، والتعطف ، والشفقة ، والتربية ، وما أشبه ذلك ، فحمل الكتب إلى ابن أبي موسى ، إمام الحنابلة ، فطلبوه ليقتلوه فهرب إلى الحريم الخليفي ، وشرع في استسلال سخائم الحنابلة ، فاستتب له ذلك واستتيب ، وأخذ خطه ، وأشهد عليه ، وأقر في الديوان بما كتبه على نفسه ، وانصلحت الحال ، ولم يحضر ابن أبي موسى الديوان ، لأجل النكير عليه ، للأمر الذي جرى منه لأجل المواخير ، وانصرف ابن عقيل من الديوان ، إلى ابن أبي موسى بدرب الدواب فصالحه ، وتقدم ابن أبي موسى إلى معالي (٢) الذي أودعه ابن عقيل كتبه ، بأن يسلمها إليه ، فسلمها إليه فغسلها ، وقيل إنه لم يغسلها ، وظهرت بعد موته ، وكان الوزير ابن جهير يتعصب له ، ولولا ذلك لقتل .

ونسخة ماكتب به خطه :

---

(١) : أي حامية عسكرية .

(٢) : أي معالي الحايك . انظر الحاشية رقم (١) في الصفحة الثانية) .

بسم اللـه الرحمن الرحيـم .

يقول علي بن عقيل بن محمد : إنني أبرأ إلى الله من مذهب المبتدعة : الاعتزال وغيره ، ومن صحبة أربابه ، وتعظيم أصحابه ، والترحم على أسلافهم ، والتكثر بأخلاقهم، وماكنت علقته ووجد بخطي من مذاهبهم وضلالاتهم ، فأنا بريءٌ منه ، تائب إلى اللـه تعالى من كتابته ، وأنه لايحل كتابته ولا قراءته ، ولا اعتقاده .

وإني علقت مسألة الليل في جملة ذلك ، وأن قوما قالوا : هو أجسام سـود ، وقلت : الصحيح ماسمعته من الشيخ أبي علي بن الوليـد ، وأنه قال : هو عـدم ولا يسمى جسما ، ولا شيئا أصلا ، واعتقدت أنا ذلك ، وأنا تائب إلى اللـه سبحانـه وتعالى منه .

واعتقدت في الحلاج أنه من أهل الدين، والزهد ،والكرامات ، وصنفت في ذلك جزوا ، نصرته فيه ، وأنا تائب إلى الله منه ، وأنه قتل بإجماع فقهاء عصره ، وأصابـوا في ذلك ، وأخطأ هو ، ومع ذلك فإنني استغفر الله تعالى منه ، وأتوب إليه مـن مخالطة المبتدعة ومكاثرتهم والتعظيم لهم ، فان ذلك كله حرام ، ولا يحل لمسلم فعلـه ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من عظم صاحب بدعة ، فقـد أعان علـى هـدم الإسلام)) (١).

وقد كان الشريف أبو جعفر ، ومن معه من الشيوخ ، والأتباع ، سادتي ، وإخواني حرسهم الله تعالى مصيبين في الإنكار علـي لما شاهدوه في الكتب التي أبرأ إلـى الله تعالى منها ، وهي بخطي ، وإنني مخطيءٌ غيـر مصيب ، ومتى حفظ علي ماينافي هذا الخط ، وهذا الإقرار ، فلإمام المسلمين مكافاتـي على ذلك ، بما يوجبه الشـرع من ردع ونكال ، وإبعاد ، وغير ذلك وأشهدت الله تعالى ، وملائكته ، وأولي العلـم على ذلك ، غير مجبر ولا مكـره ، وباطنـي وظاهري في ذلك سواء ، قال اللـه تعالى : ((ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)) (٢).

وكتب في يوم الأربعـاء عاشـر المحـرم سنـة خمس وستين وأربعمائة (٣).

---

(١) : لم أقف عليه بهذه الصيغة في كتب الصحاح ولا في كتب الموضوعات.
(٢) : سورة المائدة الاية : ٩٥.
(٣) : سبق الاشارة إلى مرضه واعتقاله في أخبار سنة ٤٦١.

وفيها قتل السلطان ألب أرسلان ، وأقيم ولده ملك شاه مقامه ، وكانت وفاته في ربيع الأول ، واشتغل ولده بما طرأ عليه من الحوادث ، فلما كان يوم الخميس ثامن رجب ، وردت كتبه إلى الخليفة في إقامة الخطبة له ، فأقيمت على المنابر.

وفي سلخ رجب خرجت خاتون زوجة الخليفة إلى الري وشيعها عميد الدولة ابن الوزير ، والخدم ، إلى النهروان.

وفي شعبان ورد كتاب نظام الملك إلى الوزير ابن جهير بوقعة كانت بين السلطان ملك شاه وعمه أبي الحارث قاورت بك ، بأعمال همذان يوم الأربعاء سادس شعبان وأسر قاورت بك وأولاده سلطان شاه وغيره.

ذكر السبب : لما توفي السلطان كان أخوه قاورت بك بكرمان و سار إليها من عمان ، فحمل على نفسه ، وخاطر بها ، وركب في البحر في الشتاء ، وخاف من سبقه إلى الري ، وظن أن العسكر يستأمن إليه ، وعزم على نزوله على التركمان ، وكانوا بين الري وهمذان وكان معه عسكر يسيره : ألفا فارس ، وأربعة آلاف راجل ، وبلغ السلطان ، ونظام الملك ، فأخذا من قلعة الري خمسمائة ألف دينار ، وخمسة آلاف ثوب ، وسلاحا ، وخرجا من الري ، فسبقاه إلى التركمان ، وفرقا الأموال فيهم ، ووصل قاورت بك بعدهما ، بيومين ، وقد فاته ما حسبه في التركمان ، وكان مع ملك شاه عسكر كثير من التركمان ، والعرب ، والأتراك ، واقتتلوا فحمل قاورت بك على الميمنة ، فطحنها واستأمن أكثر أهلها إليه ، ثم حمل على الميسرة فكسرها والسلطان ونظام الملك في القلب ، فحملا عليه فاندق هاربا ، وأسر سلطان شاه اسحق وأخواه أولاد قاورت بك ، فلما كان من الغد جاء سوادي ، فقال للسلطان : عمك في القرية الفلانية ، مع ولد له ، فابعث معي من يأخذه ، فسار السلطان بنفسه وقدم بين يديه جماعة من خواصه ، فأخذه ساوتكين وحمل إلى خيمة وقيد ، وقيل إنهم لما جاءوا به ركب السلطان ووقف وجيء به إليه ماشيا ، فأومى إلى الأرض وقبل يد السلطان ، فقال له : ياعم كيف أنت من تعبك أما تستحيي من هذا الفعل ؟ أنت ماقعدت لأخيك في عزاء ، ولم تنفذ إلى قبره ثوبا تطرحه عليه ، والغرباء قد حزنوا عليه ، وأنت أخوه أطرحت وصيته ، وأظهرت الشماتة به ، والسرور بموته ، لكن لقاك الله تعالى سوء فعلك ، فقال : والله ما أردت قصدك ، ولكن عسكرك كاتبوني ليلا ونهارا بالتعجيل ، فجئت لأمر قضاه الله تعالى ، وأراده فيّ ، وحمل إلى همذان مقيدا خوفا ، لا يحتم في العسكر لسببه أمر ، فلما كان يوم الأربعاء ثالث شعبان قتل ، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم ان العسكر بسطوا ألسنتهم في نظام الملك ، ومدوا أيديهم إلى الأعمال ، فقال للسلطان : قد فسد الأمر ، فإما أن تدبره أنت أو أنا ؟ فقال : لا بل أنت من غير أن أعترض عليك ، وحلف له ، وخلع عليه خلع الملك ، وأعطاه الخيل بمراكب الذهب ، ودواة فيها ألف دينار ، وعلما على رأسه طلعة فيها ألف دينار ، ووقع له ببلدة طوس (١) ، ولقبه الأتابك ، ومعناه الأمير الوالد ، فشرع في تقرير الأمور ، وظهر منه من الشجاعة والشهامة والصبر والمداراة والإحتمال مالم يظن به ، حتى أن المرأة الضعيفة ، كانت تقف له ، فيقف لها ، ويخاطبها ، وجاءت امرأة يوما إلى حاجب له برقعة ، فلم يرفعها إليه ، فقال له : انما استخدمتك لاجل الشيخ الضعيف والامرأة الضعيفة اللذين لم يصلا إلي ، فإذا كنت لا توصل إلي أمرهما فلاحاجة لي إليك ، وكان إذا خرج العسكر نادى مناديه : من أخذ علاقة تبن أو بيضة بغير ثمنها ، كان دمه في مقابلها .

وفي يوم الجمعة مستهل شعبان ، قتل أسد الدولة يلدكوز ناصر الدولة ابن حمدان ، وأخوته فخر العرب ، وتاج المعالي ، ومحمود بن ذبيان ، أمير بني سنبس والأمير شاور ابن أخي ابن المدبر كاتب ابن حمدان ، وسنذكره إن شاء الله تعالى .

وفي شعبان ، خلع السلطان على نظام الملك : فرجية طميم ، وعمامة مذهبة وأعطاه علما ، ودواة ، وعشرين ألف دينار ، ومائة ثوب ديباج أطلس ، وخيمة كبيرة ، وقلعة من قلاع خراسان ، مضافا إلى طوس .

وفيها توفي :

أحمد بن الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله

سمع الحديث ، وكان فاضلا ، صدوقا ، ثقة ، توفي ببغداد يوم الأربعاء ، رابع عشر شوال .

الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي

الأمير ناصر الدولة ، ذو المجدين ، قد ذكرنا تنقل الزمان به ، وآل أمره إلى أن اتفق مع يلدكوز التركي ، وزوجه يلدكوز ابنته ، ولقب ابن حمدان نفسه سلطان الجيوش واتفقا اتفاقا كليا ، وتحالفا ، وأمن أحدهما للآخر .

---

(١) : هي مدينة مشهد الحالية .

ودخل ناصر الدولة إلى مصر على طمأنينة ، مرتبا للمراكب والعساكر ، فركب يلدكوز يوم الجمعة مستهل رمضان في خمسين فارسا ، وكان له غلام يقال له أبو منصور كمشتكين، ويلقب حسام الدولة ، وكان يثق به ، فقال له : أريد أن أطلعك على أمر لم أر له أهلا غيرك ، قال : وماهو ؟ قال : قد علمت مافعل ابن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء ، وقد عزمت على قتله ، فهل فيك موافقة ومشاركة ، وأريح الإسلام منه ؟ قال : نعم ، ولكن أخاف أن يفلت ، فيتبرأ مني ، قال : لا ، وقصدوا ابن حمدان قبل أن يلحقه أصحابه ، واستأذنوا عليه فأذن لهم ، فدخلوا والفراشون ينفضون البسط ليقعد عليها وهو يتمشى في صحن الدار ، ومشى يلدكوز معه ، ثم تأخر عنه ، وضربه بتافروت(١) كان معه في خاصرته ، وضربه كمشتكين فقطع رجليه ، فصاح : فعلتموها ، فحزوا رأسه وكان محمود بن ذبيان ، أمير بني سنبس، في خزانة الشراب ، فدخلوا فقتلوه ، ثم عرجوا إلى دار فيها فخر العرب ابن حمدان ، وقد شرب دواء ، وعنده الأمير شاور فقتلوهما ، وخرجوا الى خيمة (٢)تاج المعالي ابن حمدان أخي ناصر الدولة ، وكان على عزم المسير الى الصعيد ، فهرب إلى خراب مقابل خيمته ، فكمن فيه ، فرآه بعض العبيد ، فأعطاه معضدة فيها مائة دينار ، وقال : اكتم علي ، فأخذها وجاء إلى يلدكوز ، فنم عليه ، فدخل فقتله ، وانهزم ابن أخي ابن المدبر ، في زي المكديين ، فأخذ ، وكان قد تزوج إحدى بنات نزار ، ولد صاحب مصر ، فقطع ذكره ، وترك في فمه ، ثم قتل .

وقطع ابن حمدان قطعا ، وأنفذ كل قطعة إلى بلد من بلاد الشام ، وغيرها ، وجاء إلى القصر ، ومعهم الرؤوس، وراسلوا الخليفة ، وقالوا : قد قتلنا عدوك وعدونا، من أخرب البلاد ، وقتل العباد ، وهدم مجدك ، ونريد الأموال ، فقال : أما المال فما ترك ابن حمدان عندي مالا ، وأما ابن حمدان، فماكان عدوي ، وإنما كانت الشحناء بينك يايلدكوز وبينه ، فهلكت الدنيا بينكما ، وإني ما اخترت مافعلت من قتله ولا رضيته وستعلم غب الغدر ، ونقض العهد ، ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر قطع مرجان ، وعروضا ، وحمل إليهم مالا ، ولم ينتطح في ذلك عنزان ، وزالت أيام ابن حمدان وانقضت كأن لم تكن ، وكان جوادا ممدحا ، مدحه أبو الفتيان محمد بن حيوس بقصائد منها :

---

(١) : واضح من سياق الخبر ان تافروت نوع من أنواع أسلحة الطعن ولم أجد من عرفه في المعاجم الإختصاصية والعامة .

(٢) : في الأصل ((جهه)) وهو تصحيف قوم من ب .

محض الإباء وسؤدد الآباء ... جعلاك منفردا عن الأكفاء
ولقد جمعت حمية وتقية ... ثنتا إليك عنان كل ثناء
الدهر في أيام عزك لا انقضت ... متعوض من ظلمة بضياء
حطت الرعية بالرعاية رأفة ... فاضت على القرباء والبعداء
وشملتها بالعدل إحسانا بها ... فجزاك الله عنها خير جزاء
واذا مررت على مكان مجدب ... نابت يداك له عن الأنواء
كم أزمة سوداء راعت إذ عرت ... جليتها بندى يد بيضاء
وكتيبة شهباء من ماذيها (١) ... لاقيتها بمليئة دهماء
تلق الفوارس منك في رهج الوغى ... زيد الفوارس أو أبا الصهباء (٢)
إن الأئمة في صطفائك أيدوا ... بمؤيد الرايات والآراء
وجدوك في منع التراث وحفظه ... أقوى الحماة وأوثق الأمناء
مازلت مذ أعطوا مكانك مازجا ... صدق الولاء لهم بحسن وفاء
لو كنت قدما سيفهم لم يستق ... أبناء هند من بني الزهراء
أو كنت ناصر حقهم فيما مضى ... ماحازه ظلما بنو الطلقاء (٣)
ولاك حمدان الفخار بأسره ... وأجله لبني أبي الهيجاء
الفائضين على العفاة نوالهم ... والناهضين بباهض الأعباء
وطوتم حتى لقال عدوكم: ... أملوك أرض أم نجوم سماء
فلتفخر بكم ربيعة بل بنو ... عدنان طرا بل بنو حواء
إن المحامد في المحافل زينة ... ماحرمت إلا على البخلاء
فتمل من وشي القريض ملابسا ... طرزتها بجلالة وعلاء
لوكان للعرب القديمة مثلها ... لم تحمد المصنوع في صنعاء
إني عقلت ركائبي ووسائلي ... في حضرة مسكونة الأفناء
مأهولة الأرجاء بالنعم التي ... ماكدرت بالمن والإرجاء
شفعت مواهبها الجسام بعزة ... كفلت بإعدائي على أعدائي (٤)

---

(١) : الكتيبة الشهباء الكثيرة السلاح والماذي كل سلاح من الحديد .

(٢) : هو زيد ابن حصين بن ضرار من فرسان العرب في الجاهلية وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني كان أيضا من فرسان العرب انظر : كتاب النقائض ١ : ١٨٨ـ١٩٢ .

(٣) : أى ابن آمية لان معاوية بن أبي سفيان كان طليق ابن طليق والطلقاء هم أهل مكة الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اذهبوا فانتم الطلقاء .

(٤) : ديوانه ١ / ١٢ـ١٩ .

عبد الصمد بن علي بن محمد بن الفضل بن المأمون

أبو الغنائم الهاشمي ، ولد ببغداد في جمادي الأولى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وتوفي في سابع عشر شوال ، ودفن بباب حرب ، وكان صالحا ثقة ٠

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد

أبو القاسم القشيري النيسابوري ، وأمه سليمة ، ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة في ربيع الأول ، ومات أبوه ، وهو طفل ، فنشأ وقرأ الأدب والعربية ، وكان يميل إلى أبناء الدنيا ، فدخل على أبي علي الدقاق ، فأعجبه حاله فصحبه ، فجذبه من ذلك ، وتفقه على بكر بن محمد الطوسي ، وأخذ علم الكلام عن ابن فورك ، وصنف التفسير الكبير والرسالة ، وكان يحب الصوفية وأهل الدين ، والطريقة ، عظيما عند أهل نيسابور ، يعظ ويتكلم بكلام الصوفية ، وخرج إلى الحج ، وقدم بغداد ، وكانت وفاته في رجب ، وقيل في ربيع الآخر بنيسابور ، ودفن بالمدرسة إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق ، وصلى عليه أكبر أولاده عبد الله ، ولم يقرب أحد من أولاده وأهله الزاوية التي كان يجلس فيها ويصنف ويتعبد بعد موته احتراما وتعظيما له ، وكان قد أهدى له بعض أصحابه فرسا ، فركبه عشرين سنة ، لم يركب غيره ، فلما مات أقام الفرس أسبوعا لا يأكل ولا يشرب حتى مات ، فكان بينه وبين وفاته ستة أيام ومن شعره :

الدهر ساومني عمري فقلت له ... لا بعت عمري بالدنيا ومافيها
ثم اشتراه تفاريقا بلاثمن ... تبت يدي صفقة قد خاب شاريها

وكان ثقة ، حسن الوعظ ، مليح الإشارة ، يعرف الأصول على مذهب الأشعري ، والفروع على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، ولما قدم بغداد عقد مجلس التذكير ، فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((السفر قطعة من العذاب)) الحديث ، فقام إليه سائل ، فقال : لم سماه النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من العذاب ، فأجاب بديها : لأنه سبب لفراق الأحباب ، فصاح الناس ، وماجوا ولم يقدر على إتمام المجلس فنزل وجلس بنيسابور ليلة نصف شعبان فقرأ القارئ : ((وعنده مفاتيح الغيب)) فقال : نعم وعندنا مفاتيح الغيب ، ومن شعره :

قالـوا تهن بيوم العيد قلت لهم : كل يوم يلقيا سيدي عيـــد
الوقت روح وعيـد إن شهـــد تهم وإن فقد تهم نوح وتعديـد

وقـال :

وإن نابك الدهـر بمكروهــة فقل بتهوبين تخاويفــه
فعن قريب ينجلـي غمــه وتنقضي كـل تصاريفــه

وكان له من الولد : عبد الله ، وعبد الواحد ، وعبد الرحمن ، وعبد الرحيم ، وعبيد الله ، وعبد المنعم أثنى عليهم ابن السمعاني ، ووصفهم بالعلم والحديث ، وصحبة المشايخ .

علي بن الحسين بن علي بن الفضل

أبو منصور الكاتب ، الشاعر ، فمن شعره :

تفيض نفوس بأوصابهـــا وتكتم عوداها مابهـــا
وما أنصفت مهجة تشتكـــي هواها إلى غير أحبابهـــا
وكم ناحل بين تلك الخيـام تحسبه بعض أطنابهـــا

وقـال :

النجا النجـا من أرض نجـــد قبل أن يعلـق الغرام بوجـد
كم خلي غدا إليها وأمســى وهو يهذى بعلوة وبهنـــد

وقـال :

أكلف القلب أن يهوى وألزمه صبرا وذلك جمعا بين أضداد ي
وأكتم الركب أوطاري واسألـه حاجات نفسي لقد أتعبت روادي
هل مدلج عنده من مبكر خبـر وكيف يعلم حال الرائح الغادي
فإن رويت أحاديث الذين مضـوا فعن نسيم الصبا والبرق اسنادي

وقـال :

إيه أحاديث نعمان وساكنــه إن الحديث عن الأحباب أسمـار
أفتش الريح عنكم كلما نفحـت من نحو أرضكم نكباء معطـــار

وقـــال :

مامر ذو شجـن يكتمــــه والا أقول متيـم مثلـــــي
وعهود هم بالرمل قد نقضــت وكذاك مابيني على الرمـل
من مطلع شرفا فينظرنـــي هل روح الرعيان بالاثـل
أم قعقعت عمد الخيـــــام أم ارتفعت خيامهم على البزل
أم غرد الحادي بناقتـــه (١) منها غراب البين يشتمـل

وكانت وفاته في صفر ، ركب دابة فتردى في بئـــر ، فمات هووالدابـة (٢) وكان عاقلا ثقـة .

قاورت بك بن داود بن ميكائيل أخو ألب أرسلان

قد ذكرنا أخباره مفرقة ، وأن ملك شاه أسره ، وحمله إلى همذان .

قال محمد بن الصابي : لما حمل إلى همذان جعل في خركاة ، ودخل عليـه الحداد وهو يصلي ، ففرغ من صلاته ، ومد رجليه فقيده ، فقال بعض الحاضريـــن : سبحان الله لقد ملك هذا الرجل ملكا عظيما : كرمان ، ثم عمان ثم فارس ، وكان يتمنـى هلاك أخيه ، ويتصور ملك الدنيا بعده ، وكان هلاكه مقرونا بهلاكه ، وكذلك قتلمـش مع عمه طغرلبك ، فإنه كان ينظر في النجوم ، ويحقق المطلع الذي مات عمه في الوقت ، ويصور أنه يملك من بعده فكان هلاكه مقرونا بهلاكه .

وركب السلطان يوم الأربعاء ثالث شعبان إلى همذان ، وتقدم إلى سعـــد الدولة الكوهرائين بالإشراف على قتله ، وتولى خنقه رجل أعور أرمني من أصاغـــر الحواشي بوتر القوس ، بعد أن بذل التوبة من النظر في ملك ، وتسليم أمواله وبلاده وقلاعـه ، والرضا بالمقام في مسجد والإعتقال ، والإبقاء على نفسه ، ثم جمع ملك شـاه أولاده وصهره ابن إبراهيم ينال ، ثم كحلوا (٣) بين يدي ملك شاه ، وقدم ولـــده سلطان شاه اسحق أولا ، وهو أكبرهم وأنجبهم ، وهو حين بقل وجهه ، فأخذ إخوتـه الصغار واحدا واحدا ، وجعل يضمهم إليه ويقبلهم ويقول : هذا قضاء الله تعالـــى فلاتجزعوا ، فإن الموت يأتــي علـى جميـع النـاس ، وكحـل وكحلـوا وملك شاه ،

(١) : في ب ((بفاقته)) .
(٢) : في الأصل ((ووالدته)) وهو تصحيف قوم من ب .
(٣) : التكحيل : هنا هو جلب ميل محمى بالنار ويمرر فوق الجفنين حتى يلتصقا وبهذه الواسطة كان الأمير المكحل لايستطيع الحكم بعد ذلك .

حاضر ومات منهم اثنان ، وبقي سلطان شاه وأميران شاه ، ثم تتبع الباقين فكحلهم، وقد ذكر في مقتله ، وجه آخر ، قيل : لما عرف ملك شاه مكان عمه قاورت بك ، سار يطلبه وبعث في طلبه من يحضره ، فلما لاح القوم نزل ملك شاه على تل ، واستدعى مأكولا وأحضر مسلم بن قريش ، وابن مزيد ، وابن ورام ، وأكلوا وركب ملك شاه ، وجاءوا بعمه فأنزل عن الفرس وأخذت قلنسوته من رأسه ، وقيل له : قبل الأرض ، فلم يفعل ، وتقدم السلطان إليه وعانقه من ظهر الفرس وقال له : ياعم قد سرت من مكان بعيد فاركب وسر معنا ، وسار ملك شاه ، وسلمه إلى ساوتكين ، وجاء به ، فأنزله في خيمته ، وبعث قاورت بك إلى ملك شاه ، يقول : لا تقلع هذا البيت بقتلي ، وتسمع من الكتاب في أمري ، يعني نظام الملك ، وافعل معي مايليق بالأتراك ، وأنا أعطيك مثل ماخرج عن يدك منذ مات أبوك ، وأنا أمضي إلى الشام أو الحجاز ، وأسلم اليك جميع بلادي ، فلم يلتفت إليه وحمل في الليل إلى همذان يوم الخميس المذكور ، على حمل تبن ، واعتقل في دار أبي هاشم الجعفري ، وبعد أيام جاء ملك شاه إلى الدار فجلس وبعث اليه أحد القفجاقية ويعرف أبن أرسلان ، فلما رآه عرف ماجاء به ، فسأله التوقف ، ثم قام فصلى أربع ركعات ، وتقدم إليه ليطرح وتر القوس في حلقه ويخنقه ، فدافعه ساعة ثم قوى عليه فخنقه ، وحمل في الليل فدفن عند إبراهيم ينال ، وكحل أولاده وكانوا خمسة ، وكل ذلك بتدبير نظام الملك وإشارته .

ولما علمت العساكر بذلك شغبوا ، ولعنوا نظام الملك في وجهه ، ولعنوا ملك شاه ، وانعزلوا عنه ناحية ، وقالوا : ماهكذا أوصى ألب أرسلان ، وكان قد أوصى لقاورت بك بكرمان وفارس وعين له مالا ، وأن يزوج بخاتون السفرية ، وكان أكثر العساكر مائلا إلى قاورت بك ، ومدوا أيديهم إلى البلاد ، ونزعوا الطاعة ، وخاف ملك شاه ، فانعزل عنهم فقال له نظام الملك : إما أن تدبر الأحوال أنت أو أنا ؟ فقال : بل أنت فاستمالهم بالمال والإقطاع ، فسكنوا وفي القلوب مافيها .

محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد

ابن عمرو بن خالد بن الرقيل ، أبو جعفر ابن المسلمة القرشي ، ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وسمع الكثير ، وكانت وفاته ليلة السبت سابع جمادي الأولى ، وصلي عليه بجامع الرصافة ، ودفن بمقابر الخيزران ، وكان يوما مشهودا ، وقال محمد بن طاهر جاءه بعض طلبة الحديث ، وهو محموم ، ومعه جزء يقرأه عليه ، قال : إذهب إذا

عوفيت فتعال واقرأ ، فقال : أيها الشيخ أخشى أن أموت ، ولا أسمعه عليك ، فقال له الشيخ : بل تخشى أن يتطاول بك المرض فإذا برأت أكون قد مت ، وكان كما قال ، وكان أسمعه الجزء ، وكان صحيح السماع ، واسع الرواية ، نبيلا ، ثقة ، صالحا .

محمد بن أحمد بن محمد

أبو البركات البغدادي ، ويعرف بابن قفرجل البزاز ، كان كثير الصدقات والعطايا ، واسع المال ، خلف عشرين ألف دينار ، وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث جمادي الآخرة ودفن قريبا من معروف الكرخي رحمه الله ، وكان ثقة .

محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

وألب أرسلان لقب له ، قد ذكرنا سيرته ، ونذكر الآن سبب قتله .
قال أرباب السير : في ربيع الأول أرجف بقتل السلطان ، فنودي في حريم دار الخلافة بالتوعد لمن يرجف بذلك ، ثم قويت الأخبار بصحته ، وكان شمس الملك تكين بن طمغاج صاحب سمرقند وبخارا وما وراء النهر ، قد تزوج أخت السلطان ، ثم قيل أنه قتلها لأنها اطمعت أخاها في البلاد ، ثم أن السلطان تزوج أخت شمس الملك ، وكان إياز وملك شاه قد عبرا الى تكين ليقاتلاه فنصر عليهما ونهبهما ، وكان من جملة النهب طشت من ذهب مرصع ، ولما عاد اياز وملك شاه ، وقطعا جيحون إلى ناحية خراسان ، قال تكين لأخت السلطان : أنت أطمعتيهما في العبور ، فيقال : إنه رفسها فماتت ، وبلغ ألب أرسلان فقصده ، فبعث وحلف أنه مافعل ثم زوجه تكين أخته ، ولما عاد من كسرة ملك الروم، دخل بها ومال إليها ، ووجد ذلك الطشت الذهب ، الذي نهب من ملك شاه ، في الجهاز ، فقال في نفسه : ما أنفذ هذا الطشت إلا تقريعا لي ، وإذا كارا بكسرة ولدي ، ثم عزم على العبور إليه ، فجمع العساكر العظيمة ، ويقال إنه عبر في مائتي ألف فارس وراجل ، وعمل جسرا عظيما من الزوارق ، وعبر في أربعة وعشرين يوما ، وذلك في صفر ، واستباح عسكره الحريم ، ونهبت مقدمته سواد بخارا ، ومرت مقدمته بقلعة يقال لها بيرون (١) وبها رجل خوارزمي اسمه يوسف فحاصروه ثم استنزلوه وحمل بين غلامين تركيين ، كل واحد منهما ، قد أخذ بيده إلى

---

(١) : انظر مادتها في اللباب لابن الاثير.

بين يدي السلطان ، فلما رآه شتمه وواقفه على أفعال قبيحة ، كانت منه وتقدم إلى أن يضرب له أربعة أوتاد ، وتشد أطرافه إليها ، قتلة يعرفونها ، فقال له يوسف : مخنث مثلي تقتل هذه القتلة ؟ فاحتد السلطان وأخذ القوس والنشاب ، وقال للغلامين : خليا عنه ، فخلياه ، ورماه بسهم ، فأخطأه ، ولم يخطيء له سهم قبله ، وعدا يوسف عليه فضربه بسكين ، كانت معه ، في خاصرته ، ووقع سعد الدولة الكوهرائين على وجهه ، وبرك يوسف عليه ، فضربه بسكين كانت معه ، وكان واقفا ، فجرحه يوسف جراحات ما أثرت فيه ، ونهض السلطان إلى خيمة أخرى ، ولحق يوسف فراش أرمني فضرب رأسه بالمزربة (١) فقتله ، وقطع قطعا ، وتقدم بإحضار قلبه ومرارته ، فأحضرا وكانا عظيمين ، وشدت الجراحة ، وعاد إلى جيحون ، فتوفي يوم السبت عاشر ربيع الأول ، بعد أن أوصى في العسكر بملك شاه ، وبنظام الملك ، وطاعته وأن يعطى إياز ولده ، ماكان لداود والده ، وخمسمائة ألف دينار ، وللأمير قاورت بك أعمال فارس وشيراز ، ومالا عينه ، وأن يزوج بخاتون السفرية زوجته ، وتكون القلعة ومافيها ، والأعمال الجبلية والفراتية ، وما كان بيد ظغرلبك عمه لملك شاه ، فمن رضي أقر على ذلك ، وإلا قوتل .

وقال ابن القلانسي : في هذه السنة وردت الأخبار باستشهاد السلطان ألب أرسلان ، بنهر جيحون ، بيد من اغتاله من الباطنية المتزيين بزي الزهاد المتصوفة (٢) وليس كما ذكر ابن القلانسي ، والمشهور ماذكرنا ، وكتمت وفاته حتى عبروا جيحون في ثلاثة أيام ، ثم جلس ملك شاه على السرير ، وعليه الخلع التي بعث بها إليه الخليفة ، مع عميد الدولة ابن جهير إلى أصفهان ، فقال له نظام الملك : أيها السلطان تكلم ، وعلى رأسه الأمراء ، فقال : الأكبر منكم أبي ، والأوسط أخي ، والأصغر ولدي ، ووعدهم الجميل ، فدعوا له وأطاعوه ، وأنفق فيهم سبعمائة ألف دينار برأي نظام الملك ، وساروا إلى مرو ، ودفن السلطان بها إلى جانب والده ، وأقام ابنه إياز ببلخ ، ولم يجتمع بهم ، وقال نظام الملك : لما قطعنا النهر رأى السلطان في المنام كأن انسانا جرحه في خاصرته ، ضربه بسكين ، فأصبح يتألم من المكان ، فكانت الجراحة فيه من الغد ، وقال سعد الدولة الكوهرائين : لما أيس السلطان من نفسه قال : مامن وجه قصدته أو عدو أردته إلا كنت مستعينا بالله تعالى عليه ، قوي النفس بنصره وعونه ، إلا هذا الوجه ، فإني شغلت بجمع العساكر ، وشاهدت منها ماقويت به نفسي ، ووقع تعويلي عليه ، ولم أتصور أن أحدا يقف بين يدي ، ولقد ركبت أول أمس ، ووقفت على تل ، فأحسست بالأرض ترتج من تحتي ، لعظم العسكر ، وقلت في نفسي : مافي الدنيا سلطان مثلي ، ولا اجتمع لأحد ما اجتمع لي ، وتخيلت أني آخذ ابن طمغاج وبلاده ، وجميع ماوراء النهر ولم يخطر لي بي ببال ، فلحقني مالحقني في الجواب .

---

(١) : أي المطرقة .
(٢) : تاريخ ابن القلانسي : ١٦٩ـ١٧٠

وقال ابن الصابيء : وكان لما عبر النهر ، وبلغ أهل بخارا عبوره ، وتقدمت سراياه فاجتاحت الأعمال ، ونهبت الأموال ، واستباحت الحريم ، وهربوا إلى سمرقند ، واجتمع الصالحون والزهاد ، والعلماء ، والوعاظ في الجامع ، وخلق كثير وصاموا وصلوا أياما ، ومنهم من لم يفطر ليلا ، وأخذوا في الإبتهال إلى الله تعالى والشكوى من السلطان ، والدعاء عليه ، والتعجيل لدفعه عنهم ، فكان في أمره ماكان .

فكان ملكه ثماني عشرة سنة ، منها بعد موت عمه طغرلبك إحدى عشرة سنة ، ولم يقدم بغداد ، وجلس الوزير فخر الدولة ابن جهيز للعزاء في صحن السلام، يوم الأحد ثامن جمادي الأول ، وخرج في يوم الثلاثاء الثالث توقيع الخليفة يتضمن الجزع على ألب أرسلان ، ويشكره على خدمته وسعيه في مصالح المسلمين ، وجهاده في سبيل الله تعالى ، وكسرة الروم ، وأمنه الطرقات ، وضبطه العساكر ، وعدد أفعاله الجميلة ، وغلقت أسواق بغداد ، وأقامت خاتون العزاء في دار الخليفة، وجزت شعور جواريها ، وأرادت جز شعرها ، فمنعها الخليفة ، وجلست على التراب ثم أقامها الخليفة من العزاء بعد سبعة أيام .

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله

أبو الحسين الهاشمي ، ويعرف بابن الغريق ، ولد يوم الثلاثاء ، غرة ذي القعدة سنة سبعين وثلاثمائة ، وسمع الحديث ، وقرأ القرآن ، وكان حسن الصوت به ، وخطب الناس ، وله من العمر ست عشرة سنة ، وولي القضاء سنة تسع وأربعمائة ، وأقام يخطب بجامعي المنصور والمهتدي ستا وسبعين سنة ، وشهد (١) ستين سنة ، وقضى ستا وخمسين سنة ، وتوفي يوم الأربعاء سلخ ذي القعدة ، ودفن يوم الخميس غرى ذي الحجة عند جامع المنصور ، ناحية القبة الخضراء ، وقد جاوز التسعين ، وشهده خلق عظيم .

وقال أبو بكر بن الحاضنة : رأيت في المنام ، كأن القيامة قد قامت ، وقد أدخلت الجنة ، وإذا ببغلة مسرجة ملجمة في يد غلام ، فقلت لمن هذه ؟ فقال : الشريف أبي الحسين بن الغريق ، فلما أصبحنا ، وإذا به مات في تلك الليلة .

---

(١) : آي عمل ما يشبه كاتب العدل في أيامنا .

ورؤي الشريف في المنام ، فقيل له : مافعل الله بك ؟فقال : غفر لي بطول تهجدي
وكان ثقة صالحا صائما ، قائما ، عابدا ، مجتهدا ، خاشعا ، كثير البكاء عند الذكر ، رقيق الذكر والقلب ، غزير العقل والفضل ، زاهدا ، وكان يسمى زاهد بني هاشم ، ورحل الناس إليه ، لعلو إسناده ، فكانوا يقصدونه من البلاد وكان قد أصابه صمم في آخر عمره ، فكان هو يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، رحمه الله تعالى .

السنة السادسة والستون والأربعمائة

فيها في المحرم ورد الخبر إلى بغداد ، بأن عساكر غزنة خرجوا ، وتعرضوا لبلاد ملك شاه ، وخرج إليهم اياز بن ألب أرسلان ، أخو ملك شاه فقاتلهم ، واستأمن إليه سبعمائة منهم ، وانهزموا إلى غزنة ، وأوغل خلفهم ، وكان سلطان غزنة إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ، وعاد اياز من الوقعة إلى بلخ ، فمات بعدها بثلاثة أيام ، وكفي ملك شاه أمر الغزنوية وسر بوفاته لأنه كان منحرفا على ملك شاه ، وفي نيته الخلاف عليه ، فقال له نظام الملك : لاتظهر الشماتة به ، واقعد في العزاء ، ففعل ، وأظهر الحزن عليه .

في ثاني صفر جلس الخليفة ، وولد ولده عدة الدين قائم على رأسه ، وله ثماني عشرة سنة ، وأوصل إليه سعد الدولة الكوهرائيين ، والجماعة الحاضرين ، وأعطاه عهد ملك شاه بالسلطنة ، وندب عميد الدولة ابن جهير إلى الخروج بالخلع إلى ملك شاه ، إلى الري ، وندب معه مسعود الخادم ، وسار يوم الثلاثاء سابع عشر صفر وتقدم سعد الدولة الكوهرائين .

وفيها سار بدر الجمالي أمير الجيوش من عكا إلى مصر (١) ، ومعه عبد الله ابن صاحب مصر ، باستدعاء المستنصر ، بعد قتل ابن حمدان ، وتغلب يلدكوز التركي ، ووصل الى دمياط وبها ابن المدبر ، وكان قد هرب منه ، فقتله وصلبه ، ودخل الى مصر بعد أن اتفق مع يلدكوز ، وتحالفا وتعاهدا ، ثم قبض على يلدكوز ، وأهانه وعذبه ، وطالبه بالمال ، فلم يظفر بسوى اثني عشر ألف دينار ، وكان له من الأموال والجواهر شيء عظيم ، إلا أنه لم يقر به ، فقتله أمير الجيوش ، وهرب ابن يلدكوز إلى الشام

---

(١) : زيدت ((إلى مصر))من ب

وانتزع أمير الجيوش الشرقية من أيدي لواته ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر أمراءهم ، وأخذ منهم أموالا جمة ، وعمر الريف ، فرخصت الأسعار ، ورجعت إلى عاداتها القديمة ، وأخذ الاسكندرية ، وسلمها إلى القاضي ابن المحترق ، وأصلح سودان الصعيد و واستدعاهم إليه ، وجاءه منهم الكثير ، وصلحت الحال ، لهلاك الأضداد ، ورفعت الفتن ، وانفرد أمير الجيوش بالأمر .

وفيها تغيرت نية نظام الملك على الخليفة ، فأقطع بعض ضياعه للغز ، وكان الأعداء قد سعوا بينه وبين الوزير ابن جهير ، فلما اجتمع ولده عميد الدولة بنظام الملك ، اعتذر إليه بما نقل عن أبيه ، وحلف له فصدقه ، وصلح الحال ، وأعطي الخليفة الغز مالا أرضاهم به ، ولم يتعرضوا لضياعه .

وتوفيت خاتون السفرية بأصفهان ، وكانت زوجة ألب أرسلان ، وخلفت أموالا لا تحصى .

وفي صفر هرب سلطان شاه ، اسحق بن قاورت بك ، وأحد أخويه المسمولين من همذان ، ومضيا إلى كرمان ، وقد سلم إليهما قطعة صالحة من نظرهما ، وكان السلطان قد سار إلى خراسان بعد موت أخيه إياز ، ليرتب أمورها ، وكانت قد خلصت له ، وكان سلطان شاه قد التمس جارية تتولى خدمته ، وأخرى لأخيه الذي تبقى معه ، واستوذن السلطان في ذلك ، فأذن فيه ، وسلمت الجاريتان إليهما فتركاهما في الحجرة التي كانا فيها ، وقصدا أن يخلو المكان ، ولا يدخل عليهما أحد من الموكلين الا باذن احتشاما للجاريتين واخذا في التدبير مع بعض الموكلين للهرب فأجابوا و بعثا الى كرمان يستدعيان خيلا فجاء تهما الخيل وكمنوا في خراب البلد ، وجاء إليهما الموكلون بهما واعلموهما بوصول الخيل في مكان عينوه فكتفا الجاريتين وجعلاهما في بيت مظلم وأغلقا عليهما الباب ، وفتح الموكلون سقفا من البيت وأسلقوه وأخاه ، ونزلا وركبا الخيل ، ولم يظهر خبرهما ، حتى تعالى النهار ولم يتبعهما أحد ، ومضيا إلى كرمان ، فحصلا في قلعة لأبيهما ، وسر الناس بهما .

وفيها وردت كتب أتسز التركماني ، مقدم الناوكية بفتح البيت المقدس في شوال سنة خمس وستين ، وأقامة الخطبة العباسية وأن أتسز أحسن إليهم ، وتبطيل المصرية ، ولم يقاتلهم ، وقال : حرم الله لا أقاتله ، وأنما أريد إقامة الدعوة الإمامية العباسية ، والسلطانية ، فأجابوه ، وكانت الغرارة (١) عندهم قد بلغت سبعين دينارا ،

---

(١) : الغرارة الجوالق واحدة الغرائر التي للتبن اللسان .

وكان به نائب مصري ، وكان تركيا ، فراسل أتسز التركماني ، وقال : أنا منكم وما أقمت على الإمتناع إلا وفاء لمن كنت خادما له وعهدا ، وقد فعلت مايجب علي ، فإن أمنتني على نفسي ومالي سلمت إليك البلد ، ونزلت إليك ، وأقمت معك ، فأمنه وحلف لـــه ، وأقطعه ضياعا اقترحها ، وفتح الباب ودخل ، ونودي في البلد بالأمان ، وكانت فيه أموال عظيمة ، فلم يتعرض لها وأقام من يحفظ الناس ، فجاءهم مالم يكونوا يظنوه وأقام الدعوة للقائم ، والسلطان ، وفتح الحصون المتعلقة به .

وفي جمادي الأولى ورد الخبر بحصول سلطان شاه بن قاورت بك وأخيه بكرمان في بردسير حصن أبيـه ، وأنه قام مقام أبيه ، واجتمعت الكلمة عليه ، وشغب الجنـد على نظام الملك ، وطالبوه بالأموال ، حتى فرغت الخزائن .

وفي جمادي الأولى قدم الحاجب ايتكين السليماني إلى بغداد ، وقد طـاب قلب الخليفة عليـه ، فأمره بالخروج إلى القروح (١) ليصلحه .

---

(١) : القرح هو البئر إذا فسد تماوه ولا يستقيم هذا مع سياق الخبر حيث يبـدو إن القروح كان سدا حمل هذا الأسم هذا ولم أقف على ذكر له في معجـم البلدان أو غيره من كتب المكتبة الجغرافية العربية .

ذكر زيادة الماء في دجلة في جمادى الأولى

زادت دجلة زيادة عظيمة لم يعهد مثلها ، وأمر الخليفة العوام بالخروج مع الحاجب إيتكين إلى عمل القروح ، فخرجوا وإذا بالماء قد أقبل مثل الجبال ، فرجع إيتكين والناس ، وجمع الزوارق ، وجعل رحله فيها ، ورحل أصحابه ، وأراد العبور إلى الجانب الغربي ليهرب ، فجاءت في الليل ريح شديدة ، وسيل عظيم ، وطفح الماء من البرية على الحريم ، وأخرب أسوار المحال ، ونبع الماء من أسفل ، وجاء من فوق ، وقلع الطوابيق من دار الخليفة ، ودور الناس ، ونبعت الآبار والبلاليع ، ووقع بعض الدور على بعض ، فصارت تلالا عالية ، وآثارا عافية ، وصبح الماء دار الخلافة ، ففعل بها مثل ذلك ، وأهلك من الأموال تحت الهدم والسكان الكثير ، وهرب الناس إلى التلال العالية ، وافتضحت النساء .

وكانت قبائل العرب نازلة بين الزابين ، فغشيهم الماء من التراب الأعلى ، فاجتمعت الجمال ، وعجت واشتبكت حتى صارت كالجبل ، وتلقت الماء بصدورها ، وصعد عليها من لحق بالرجال والنساء ، وهربت العرب على خيولها في البرية يطلبون الروابي ، وأخذ الماء الحلل ومن فيها ، وبقيت الجمال ومن عليها يوما وليلة على حالها ، فسلم البعض ، وأخذ الماء البعض ، واجتمع ماء الزابين وتامرا وانكسر القروح ، وعلا على دار الخليفة ، وصار كالبحر ، ثم جاء من ناحية الجانب الغربي من الفرات ، وورد الماء من البرية إلى سنجار فهدم سورها ، وكان من حجارة وأخذ باب البلد ، فدحابه نحو من أربعة فراسخ ، ووصل في البرية إلى تكريت ، ومطروا في سنجار والموصل ثمانين يوما ، لم يروا فيها شمسا وزاد الماء حتى بلغ ثلاثا وعشرين ذراعا ، وقيل ثلاثين ، وجاء على وجه الماء من الأبواب والأخشاب ، والحشرات شيء كثير ، وجاء تل من التراب على وجه الماء ، وعليه سبع ويحمور واقفان .

وغرق الجانب الغربي ، وخرجت الموتى من القبور في التوابيت ، على رأس الماء من عند قبر الإمام أحمد رحمة الله عليه ، والمشهد ، وباب ابرز ، و وقعت الخانات والمنازل وخرجت النساء حاسرات ، وجاء المطر من فوق ، والنبع من أسفل ، وأصبحت دار الخليفة وبغداد تلالا ، وخرج الماء من تحت سرير الخليفة ، فنهض إلى الباب فلم يجد طريقا ، فحمله الخدام على ظهورهم إلى روشن التاج ، ومعه عدة الدين ، وخرجت جواري الخليفة مبرزات ، ولم يبق عند الخليفة إلا نفر يسير وأقيمت السفن تحت التاج ، وحط فيها ما خف حمله ، والباقي تلف ، ولبس الخليفة البردة ، وأخذ بيده القضيب ،

ووقف بين يدي الله تعالى ، يبكي ويصلي ، ويتضرع ، ولم يأكل طعاما أياما ولياليا ، وأما الوزير فخر الدولة ، فدخل عليه الماء إلى داره بباب عمورية ، فركب فرسا ، وخاض الماء إلى أن وصل إلى حجرة الخليفة ، واستأذن فيما يفعل ، فقيل له : اطلب النجاة لنفسك ، قبل أن لا تقدر عليها ، فمضى إلى الطيار على باب الغرفة ، فنزل فيه ، وجاء إنسان ومعه ولد ولد الوزير ، فقال : يامولانا معي ولد ولدك ، فقال : ايش أعمل به احتفظ به إن أمكنك حفظه .

وقال الوزير : كنت صائما يوم الأثنين ، وجاء وقت الإفطار ، وأنا وحدي ، وقد هرب الغلمان والحاشية ، والأهل فبت وما أفطرت ، وأصبحت يوم الثلاثاء ، فرميت نفسي في الطيار ، فلما كان وقت المغرب ، أحضر لي بعض الملاحين ثلاثة أرغفة يابسة ، وسكرجة فيها خل ، فأكلت منها ، واستلقيت على بارية في الطيار لم تسعني ، وقعد من بقي من الناس في السفن ، ووقعت جميع الدور والمنازل التي من جانب بغداد الشرقي ، وانهدمت مائة ألف دار وأكثر ، وبقي ببغداد مائة واحدة ، وانهدم سورها .

وأقبل إنسان يخوض الماء ، وعلى كتفه ولدان له صغيران ، فلما أعيا رمى بهما ، ونجا بنفسه ، وخص الغرق أماكن الفساد والخمور ، والقمار والخواطي ، وتشققت الأرض ، ونبع منها الماء ، وكان ماء سخط وعقوبة ، ونهبت خزائن الخليفة وماكان في الخانات ، ولم يؤاخذ أحد ، وأقيمت الجمعة في الطيار دفعتين ، ودخل الماء من شبابيك المارستان العضدي ، فهدمه ، ووقعت الجوامع والمساجد ، وكان الماء في الجامع قامة .

ولما نقص الماء ضرب الوزير والناس الخيم ، وعمل الخدم أكواخا من القصب وأقاموا فيها وبلغت أجرة الروزجاري (١) في اليوم خمسة قراريط ، وأخرج الناس من تحت الهدم ، وعلا الناس ببغداد الذل والصغار ، وكانوا يمشون على التلال كالنمل ، ثم فسد الهواء ، ونتن البلد وعفنت الغلال ، فمات من بقي إلا القليل ، واستكثر الناس من زرع البطيخ والخيار والقثاء ، ففسد جميعه مدوّد ، وكان الإنسان إذا مر على القراح سد أنفه ، والعجب أن المواضع التي أسفل بغداد كانت تغرق بدون هذه الزيادة ، فلما وصل إليها الغرق ولم يتجاوز بغداد ، استدلوا على أنه ماء سخط .

---

(١) : لعل المقصود بها عامل المياومة .

وفاض جيحون حتى طفح على وجه الأرض أربعة فراسخ ، وقيل عشرة ، وتعذر الصناع ببغداد ، حتى أن النساء كنّ يضربن اللبن ، وهبت عقيب ذلك ريح سوداء، فرمت النخل ، وكان الماء قد غطى رؤوس النخل .

وفي رجب ورد مؤيد الملك ابن نظام الملك إلى بغداد ، فلم يخرج أحد لتلقيه من كثرة الطين ، فشق عليه ذلك ، فظن أنه تهاون به ، فنزل باب المراتب وكان قد تزوج بابنة أبي القاسم رضوان البيع ، فأغلق بابه ، ولم يعط أحدا طريقا ، وبلغ الخليفة ، فاستدعي إلى بيت النوبة ، وخلع عليه ، وقيل له قد علمت العذر في ترك تلقيك من كثرة الطين والخراب ، ولم تعرفنا ، واعتذر إليه الوزير ، وأصبح الوزير فقصده إلى النظامية وعاد .

وفي شوال ورد رسول نظام الدين ابن مروان من ميافارقين ، ومعه رسول ملك الروم ، ومعه كتابان إلى الخليفة والوزير مكتوبان بالذهب بالسرياني ، وتحت كل سطر تفسيره بالعربي ، تتضمن المسألة لهما في الواسطة بينه وبين ملك شاه في الهدنة .

وفيها بنى حسان بن مسمار الكلبي ، قلعة صرخد (١) وكتب على بابها : أمر بعمارة هذا الحصن المبارك ، الأمير الأجل ، مقدم أمراء العرب ، عز الدين ، فخر الدولة ، عدة أمير المؤمنين — يعني المستنصر ، لأنه كان في خدمته ، وذكر اسمه ونسبه .

قال محمد بن الصابي : ورد إلى مكة إنسان أعجمي يعرف بسلار ، من جهة السلطان جلال الدولة ملك شاه ، ودخلها وهو على بغلة بمركب ذهب وعلى رأسه عمامة سوداء ، وبين يديه الطبول والبوقات ، ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر ، عليها اسم محمود بن سبكتكين ، وهي من استعماله ، وكانت مودعة في نيسابور من ذلك العهد عند إنسان يعرف بأبي القاسم الدهقان بن البيع ، فأخذها الوزير نظام الملك ، وأنفذها مع المذكور ، وكان قد ورد قبله إنسان من فارس يعرف

---

(١) : تعرف الآن باسم صلخد معروفة في محافظة السويداء في سورية .

بأبي النضير الأسترابادي ، وصادف في المسجد الحرام مواضع قد تهدمت ، فأطلق ثلاثين ألف دينار ، أنفق بعضها فيها ، وأخذ الباقي ابن أبي هاشم ، وأجرى الماء من عرفات إلى مكة في قنى كانت عملتها زبيدة غابت وخربت ، ووجد البيت عريان منذ سنين ، فكساه ثيابا بيضا من عمل الهند ، كانت معه لذلك ، وفضض الميزاب ، وقال : لو علمت إلي عملته ذهبا وسلم لعملته ، وتصدق في الحرمين بمال جزيل ، وأعطى فقراء مكة والمدينة جراية لمدة سنة ، وقيل : كان ذلك من سلطان شاه بن قاورت بك المفلت من همذان ، نذر الله أن يفعل ذلك في مقابلة سلامة نظره ، بعد الكحل وإفلاته من الحبس ، وسلامة إخوته من الكحل ، وجعلت الكسوة التي جاءت من خراسان فوقها ، وحمل السلار إلى ابن أبي هاشم المال المقرر له ، ولأصحابه على السلطان ، وفرق في العبيد مالا وأخذ من الحاج الذي تبعوه دنانير دفعها إلى ابن أبي هاشم والعبيد تطييبا لقلوبهم ، لأن السلار أكرمهم وحطهم والتزم كلفتهم ومؤنتهم ، وورد رسولان من مصر ، فقبحا على ابن أبي هاشم خطبته للخليفة والسلطان ، فصادفاه وقد ملأ السلار عينه وقلبه ، مما حمل إليه ، فلم يلتفت إليهما .

وفيها توفي :

ابراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي

ابن الحسن بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، رضوان الله عليهم أجمعين ، أبو علي العلوي ، الكوفي ، سمع الحديث ، وقرأ اللغة والأدب ، وقدم دمشق ومعه أولاده : عدنان ، وعمار ، وعمر ، ومعد ، فأقاموا بدمشق مدة ، ثم ساروا إلى مصر ، فأقاموا بها ، وأكرمه المستنصر ، ووصله ، فلما أراد العود إلى الشام وصله بخمسة آلاف دينار ، ثم عاد إلى دمشق فمرض مدة ، ثم بكى فقيل له مايبكيك ؟ فقال أشتهي أن أموت بالكوفة ، فقيل له : الشام مبارك ، فقال : مامقصودي بموتي في الكوفة إلا حتى إذا نشرت يوم القيامة ، وأخرجت رأسي من القبر أن أرى أولاد عمي وأهلي ، ووجوها أعرفها ، فعوفي وعاد إلى الكوفة ، فتوفي بها في شوال وكان شاعرا ، فمن شعره :

أرخ لها زمامها والا سعـــا ورم بها من العلا ماشسعـــا
وارحل بها مغتربا عن العدا توطك من أرض العدا متسعـــا
ياراند الطعن بأكناف الحمى بلغ سلامي إن وصلت لعلعـــا
وحي حيا باثيلات النقـــ ' عهدت فيه قمرا مبرقعـــا
كان وقوعي في يديه ولعا وأول العشق يكون ولعـــا
من بمنى وابن جيران منـى كانت ثلاثا لا تكون أربعـــا
سلبتموني كبدا صحيحـــة أمس فردوها علي قطعـــا
ارتجعوا لي ليلة بحاجـري إذ ثم في الفائت أن يرتجعـــا
وعقله سرقتها من زمني بلعلـع سقى الغمام لعلعـــا
أيا ابن سادات قريش وابن من لم يبق في قوس الفخار منزعـا
وابن علي والحسين وهمـــا أبر من طاف ولبى وسعـــى
نحن بنو زيد ومازاحمنـــا في المجد إلا من غدا مدفعـا
طابت أصول مجدنا في هاشم وطال فيها عودنا وفرعـــا

أحمد بن محمد بن عقيل الشهرزوري ـ أبو العباس

سمع الحديث ، وكان أديبا فصيحا شاعرا ، وتوفي ببيت المقدس في ذي القعدة، ومـــن شعره :

وماثناك عن الزورات لي ملـك ولا نهابك إكثار وإقـــلال
لكن سمعت من الواشين فـــي ولم يذر الهوى والهوى أدناه قتال
سألت طيفك عن تلفيق إفكهـم فقال معتذرا لاكان ماقالـــوا
سعى الوشاة لقطع الـود بينكما وللمودات بين النـاس آجـــال

عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان ـ أبو محمد الخفاجي الشاعـر

الحلبي ، الفصيح ، الفاضل ، قرأ الأدب على أبي العلاء المعري وغيره ، وسمع الحديث وبرع في فنه ، ومدح الأكابر ، وتوفي بقلعة أعزاز ، من أعمال حلب ، ومن شعره :

أيا راكبا مالت به نشوة الكـرى كما اهتز من مر الرياح لـــواء
تحمل إلى الحـي المقيم رسالة من الغيب مافيها عليك عنـــاء

تحية من لا يطلك الصبر عنهم ولا تنقضي أنفاسه الصعداء
عهدتكم مأوى الغريب وأهله فما بهلكم لولا التقى غرباء
تؤمكم آمال قوم صواديا فما تنثني إلا وهن رواء
فمالكم لا أوحش الله منكم مواطن فيها للذمام رضاء (١)

أناخ علي الهم من كل جانب بياض عذاري في سواد المطالب
وماساءني فقد الشباب وانما بكيت على شطر من العمر ذاهب
وماراعني شيب الذوائب بعده وعندي هموم قبل شيب الذوائب
ولكنه وافى وماأطلق الصبا عناني ولا قضى الشباب مآرب
وماكنت من أصحابه غير أنه وفى لي لما خانني كل صاحب
بكى الناس أطلال الديار وليتني وجدت ديارا للدموع السواكب
أحبابنا هل تسمعون على النأي تحية عان أو شكية عاتب
وماأنا بالمشتاق إن قلت بيننا صدور العوالي أو طوال السباسب (٢)
فما لقلوب العاشقين مزية إذا نظرت أفكارها في العواقب

وقال :

سقى بانه الجرعا من بطن موضحا وللناس في سقي الديار مذاهب
نسيم كأنفاس الخزامي صقيلة بريح التعامي قبلتها السحائب

وقال :

رمت بالحما أبصارها مطمئنة فلما بدت نجد وهبت جنوبها
فجلنا عليها بالبرا تقطعت وقل لنجد أن تقر قلوبها

وقال :

ياأخوتي وإذا صدقت فأنتم من أخوة الأيام لا من أخوتي
بعدا لآمالي التي علقتها بكم فحارت بي السبيل وضلت
فأغيب عن حلب ثلاثة أشهر لم تكتبوا فيها إلي بلفظة
حتى كأني قد جنيت عليكم ما استحق به عظيم الجفوة

---

(١) : في ب ((وفاء)) .
(٢) : السباب : الفيافي .

وقـال :

ومهون للوجـد يحسب أنـه ... يوم العذيب مدامـع وخـدود
سل بانة الوادي فليس يفـو ... تها خبر يطول به الجوى ويزيد
وانشد معي ضوء الصبـاح ... وقل له : كم تستطيل بك الليالي السود
واذا هبطت الوادبين وفيهما ... د من (١) حبسن على البلى وعهـود
فاخزع فؤادي في الخليط لعله ... يهفو على آثارهـم فيعـود
أصبابة بالجزع بعد سويقـه ... شغل لعمرك يا أميم جديـد
وعلى البنية من بدا له موعـد ... عقمت به الآمال وهو ولـود
قوم تلوح لهـم على علمائهـم ... قبل اللقا دلائل وشهـود
فاللامعات أسنة وأسـره ... والمايسات ذوابل وقـدود
هبوا إلى المجد الرفيع حرزوا ... قضبانه وبنو الرهان رقـود
وإن لم تكن بيني وبينك نسبـة ... قربت فاني منكم معـدود (٢)

وقال يمدح أهل البيت الشريف عليهم الصلاة والسلام :

يا أمة ضلت وفي أفواههـا ... القرآن فيه ضلالها ورشادها
أعلى المنابر تعلنون بسنـة ... وبنصبة سبقت لكم أعوادها
تلك الضغائن بينكم بدرية ... قتل الحسين وماخبت أحقادها
ضربتهم يوم الظنون صـوارم ... يوم السقيفة كسرت أغمادها

وقـال :

أترى طيفكـم لما سـرى ... أخذ النوم وأعطى السهـرا
ياعيونا بالغضار راقـدة ... حرم الله عليكن الكـرى
لو عدلتن تساهمنا جـوى ... مثلما كنا اشتركنا نظـرا
سل فروع البان عـن قلبـي ... فقد وهم البارق فيما ذكـرا
قال في الربع وماأحسبـه ... فارق الأظعان حتى انفطـرا
ماعلى البارق من سقي الحمى ... أحرام عنده أن يمطـرا

---

(١) : بقايا .

(٢) : سقط هذا البيت من الأصل وأضيف من (ب) .

وإذا مافاته ربكـــم لا　　سقى الله الغضنا والسمـــرا
حبذا فيك حديث باطـــن　　فظن الدمع بـه فاستتـــرا
دون نيل العظيم نفس حرة　　والمطايا والفيافي والسـرا
أيها القاعد عن زهرتـــه　　مايروع السيف حتى يشهـرا
سنها فهـي على علاتهـا　　تلبس الحـر عجاجا أكـدرا
قد رجوناك فشمر جاهـدا　　إنما يدركها من شمـــرا

وقال يرثي أهلـه وأصدقاءه :

طلب الأمن في الزمان عسيـر　　وحديث المنى خداع وزور
نبذه الحازم الخطـوب فـإن　　قدر أبدت ماأغفل التقديـر
وإذا أقتـر البخيل فللأيـام　　في طـي عمره تبذيـر
لا تظـن الفقيـد أفـرده　　البين فقد أعجل المقيم المسير
سل بغمدان أين ساكنه سيف(١)　　وقل للنعمان : أين السدير (٢)
عدل الدهر فيهم قسمة الجـود　　فلا عامـر ولا معمـور
إن في جانب المقطم مهجـورا　　ومن أجله تـزار القبـور
ومقيما على المعـرة تطويـه　　الليالـي وذكره منشـور
عصبة كنت أدعـي لهـم الـود　　فصبري لوم عليهـم كبيـر
وحياتي عذر فهـل لوفاتـي　　أجل عاجـل وعمر قصيـر
أيها الظاعنـون لازال للغيـ　　ـث رواح عليكـم وبكـور
لست أرضى بالدمع فيكـم　　وهل يملك ري النحور إلا النحور
قد رأينا دياركم وعليها أثـر　　من عفائكـم مهجـور
وسألنا أطلالها فأجابـت　　ومن الصمت واعظ ونذيـر
عرصات كأنهن ليـال فـا　　رقتها عند الكمـال البـدور
بان ذل الأسى عليهـا فللـ　　ـغيث بكاء وللنسيم زفيـر
ذكرتنا عهودكم بعدما طـا　　لت ليال من بعدها وشهـور

---

(١) : غمدان مشهور في اليمن وسيف هو ابن ذي يزن .
(٢) : السدير من قصور حيرة المناذرة .

عجبا كيف نمت في مغانيها … أساما القلوب الا صخور
يا ديار الأحباب غيرك الد … هر وكانت بعد الأمور أمور
أين أيامنا بظلك والشمل … جميع والعيش غض نضير
نشوة أعقبت خمارا مـن … الهم ولكن قد يفرق المخمور
وزمان مضى فما عرف الأول … إلا بما جناه الأخير
يا نجوم العلا غرتم ومـا … لليل بعدكم نجوم تغور
وغدا الجود والكريم بخيل … في الملمات والغني فقير
وتساوى الورى فلم يبق … مشكور علي منه ولا مغدور
لا يجاوركم الصعيد بسوء … فهو للنازلين بئس المجير
وسقاكم من السحائب صاع … الكف يسدي في روضه وينير
كل عيناء تقلع الغيث عنها … ولها أعين من النور حور
عارض مغضب على المحل … لا يحظي إلا وسيفه مشهور
أشرقت فيه للشقيق خدود … وأضاءت من الأقاحي ثغور
عم معروفه ففي كل واد … من أياديه روضة وغدير
وعلى الرغم أن تجود عليكم … واهب بالنوال منكم جدير
ما أرى الشعر كافيا في مراثيكم … ولكن قد ينفث المصدور
وإذا ما أطلت فيه ولم … يشف غليلا فكله تقصير

وقال :

خليلي ثنا ما أملت عليكما … دموعي فإني ما أريد الهوى سرا
سقى الله أياما من الدهر لم … يشب بهم كأنا ما عرفنا بها الدهرا
ويا طرف قد خدرتك النظرة … التي حبست فما راعيت نهيا ولا أمرا
ويا قلب قد أرداك من قبل مرة … فويحك لم طاوعته مرة أخرى

وقال :

أما الزمان فمزجرفي وعظه … متعمدا لا شهاب في إيجازه
لا تخدعن فما حقيقة أمره … عند النهي كمثل مجازه
كم موعد منه تعلق طامع … سفها فحال الموت دون نجازه
من كان مقتنعا فقد وجد … الغنى في شامه وعراقه وحجازه

وقـــال :

أستغفر الملك القديم وعذبـــه ... من شر غاو في الحطام منافـس
واصنع جميلا لا يضيع صنيعـــه ... واسمع بقوتك للضعيف البائس
واقنع ففي عيش القناعة نعمـة ... لا تتبع كف الزمان الخالــــس
لا تركنن إلى المراء فإنـــه ... سبب لكل تنافر وتشـــاوس
ظلت بنو غطفان فيـه فقـــ ... ـتلت سادا تها غضبا للطمقد احس
الحارث البكري قام إلى الوغــى ... من بعد ما أمضى عزيمة جالـــس
ألف البخيل مكاسة في مالــه ... والعمر أنفق فيه غيـر مماكس
عاذت بنو حواء من إبليـــس ... في د نياكم فيها من فنون أبالس
د رسوا العلوم ليملكوا بجد الها ... فيها صدور مراتب ومجالـــس
وتزهد وا حتى أصابوا فرصـــة ... في أخذ مال مساجد ومدارس
ايوان كسرى صار مربع تلـــة ... ود ياره أضحت مناخ عرائـــس
والحيرة البيضاء بدل أنسهـــا ... قدر أطاعته مدائن فـــارس
ماعقل ملك في اللطائف منهج ... فإذا عثرت قلالها (١) للتاعس
أما النجوم فقد تضمن شأنهــا ... جهل اللبيب وبعد نيل اللامس
عمري لقد ذ هب الذين تفكـروا ... فيها وماظفروا بغير وشـاوس
ماقول بطليموس فيها حجقعندي ... ولا المروي عن رسطالـــــس
حالا الأنام فلا د لالـة ناظـر ... يشفي العقول ولا إعارة قابس
لا تحفلن بما حوته صحائف لهم ... وإن وجدت بخـــط دارس
قائلين ركب في طبائع أربـــع ... والصدق عد من القبيل الخامس
هيهات ما شرف الأصول بتابـع ... حتى تكون ذوائب كمغـــارس
لا تفخرن وإن فخرت فبالتقى ... ناظر وفي بذل المكارم نافـس
سبحان من نظم النجوم فلابـد ا ... في جنح داجية الظلام الدامس

---

(١) : القلال : الخشب المنصوبة للتعريش وقد تكون جمع قلة وهي الرعدة أو النهضة من علة أو فقر . القاموس .

وقــال :

يا ناق إن أثر العذيب وروضا ... فلنا ديون بالأسنة تقتضى
قد ماطل القدر الجموح بوعده ... فيها وإن لمعهد أن ينقضى
وبجانب العلمين شاك سره ... إني رعيت له النجوم وغمضا
ومريح فطن النسيم بوجده ... فروى له خبر العذيب معرضا
وسل البريق وقد أقام بحاجر (١) ... إن كان أضمر أن يمر على الغضا (٢)

وقــال :

دعوها تناضل بما لا أدرع ... فأين العواصم من لعلع
ومدوا أزمتها بالحنين فلو ... لا الصبابة لم تتبع
وياسعد هل لك في وقفة ... على الدار تسعى فيما تعي
كتمت الغرام ولكن أبيت ... بحكم الصبابة من مدعي
وأقسم أن أهواكم ... وليس اليمين على المدعي

وقــال :

في كل يوم نشطة ووثاق ... فمتى يكون لدائها إفراق
تشكو صداها والدموع مناهل ... ووجا المناسم والحدود طراق

وقــال :

قد قنعنا من وصلكم بالخيال ... ورضينا من وعدكم بالمطال
وصبرنا على ملالكم الزائد ... عن كل مذهب في الملال
ورأينا دياركم فلقينا ... كل رسم بال بجسم بال
دارسات وناحلين فما يفـ ... ـرق بين العشاق والأطلال
خبرونا عن الكرى واسمعوا ... منا حديث الغرام والبلبال
حفظ الله معشر ضيعوا ... العهد وحالوا في سائر الأحوال
ثقل الناس في الكلاب وخفف ... ـت بجهدي عليك من اثقال
وأراني في كل يوم إلى خلف ... كأني خرجت في الخيال
ما اتفقنا إلا على صحبة الد ... هر ولكن بدا لكم وبدا لي

---

(١) : موضع في شبه الجزيرة معجم البلدان.
(٢) : الغضا : واد بنجد معجم البلدان.

وقـــال :

نشدتك الله هل نسيت ليلتنا ... على الثنية دون السفح والعلـــم
لولا عقائل وجد قلت : ود هم ... كخلب البرق لم يمطر ولم يـــدم
وبانة السفح تغريني بذكرهـم ... وجدا فيا ليتها بانت كعهد هـــم
آها لقلبك من نجد وساكنـه ... لقد علقت بشعب غير ملتئـــم
ياطالب العز من خفض ومن دعة ... مايدرك المجد بين الشاء والنعـم

وقـــال :

ماعلى أحسنكم لو أحســنا ... إنما نطلب شيئـا هيّنـــا
قد شجانا الناس من بعدكم ... فعذرنا باء حديث المنـــى
لا وسحـر بين أجفانكـم ... فتن الحب به من فتنـــا
وحديـث من مواعيدكـم ... تحسد العين عليه الأذنـــا
مارحلت العيش عن أرضكـم ... فرأت عيناي شيئا حسنـــا
هل لنا نحوكم من عـودة ... ومن التعليل قولي هل لنـا
ولعمري لقد وجدنا راحـة ... من هواكم ماطلبنا شجنـــا
ياندبمي على ذكرهـم ... وحديث الشوق قد أسكرنـــا
بين عذري وضميرى عـرب ... يأمن الخائف فيهم ماجنـــا
كلما شنت عليهم غـارة ... أغمدوا البيض وسلوا الأعينـا

وقـــال :

يامنفذا ماء العيــون ... وكنت أنفقه عليــه
إن لم تكـن عيني فأنــت ... أعز من نظرك إليـــه (١)

---

(١) : ديوانه مطبوع لم نقف على نسخة ، فقد ورد ذكره في سجلات المكتبة الظاهرية لكن لم يمكن العثور عليه .

عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان ـ أبو محمد

الكتاني ، الصوفي ، الحافظ الدمشقي ، أحد الرحالين في طلب العلم ، ولد في رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وتوفي في جمادى الآخرة ، وكان من المكثرين كتابة وسماعا مع الصدق والأمانة ، والسلامة .

محمد بن ابراهيم بن علي ـ أبو بكر العطار

الحافظ الاصفهاني ، كان عظيم الشأن ببلده ، عارفا بالرجال والمتون ، وكان إماما ثقة .

محمد بن محمد بن محمد ـ أبو عبد الله الطالقاني

الصوفي ، سافر البلاد ، وسمع الكثير ، وسكن صور إلى أن مات بها في ذي القعدة عن ثمانين سنة ، ومن رواياته عن أبي عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الله الرازي عن أبي الحسين الثوري ، قال : رأيت غلاما جميلا ببغداد ، فنظرت إليه ثم أردت أن أكرر النظر إليه ، فقلت : يلبسون النعال الصرارة ، ويمشون في الطرقات ، فقال الغلام : أحسنت ، انحس (١) بالعلم ، ثم أنشأ يقول :

تأمل بعين الحق إن كنت ناظرا ... إلى صفة فيها بدائع فاطر
ولا تعط حظ النفس منها لهائها ... وكن ناظرا بالحق قدرة قادر

محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي الرعد الحنفي

قاضي عكبرا ، توفي بها يوم الجمعة ثالث ربيع الآخر ، وكان ثقة .

الماوردية النصرية

كانت زاهدة عابدة ، صالحة تجتمع إليها النساء ، فتعظهن ، وتؤدبهن ، قاربت ثمانين سنة ، فقامت منها خمسين سنة لا تفطر بالنهار ، ولا تنام بالليل ، ولا تأكل خبزا ، ولا رطبا ، ولا تمرا ، وإنما تطحن لها الباقلاء فتقوت بها ، وكانت وفاتها بالبصرة ، ولم يبق بالبلد إلا من شهد جنازتها ودفنت بظاهر البصرة ، عند قبور الصالحين .

---

(١) : أي تحمس للعلم واهتم به .

السنة السابعة والستون والأربعمائة

فيها، في صفر، مرض القائم بأمر الله مرضا شديدا، وانتفخ حلقه، وامتنع من الفصد فقصد الوزير فخر الدولة باب الحجرة ليلا، وحلف بالأيمان المغلظة أنه لا يبرح حتى يقع الفصد، فأذن في إحضار الطبيب، وافتصد، فصلح، وانزعج الناس في الدار والحريم، ونقلوا أموالهم إلى الجانب الغربي، وارتج البلد ولما تفضل الله بالعافية، فرح الناس، واطمأنوا، فقال الشريف ابن البياضي الشاعر.

إن كان أرجف من في قلبه مرض ... بما تكاد له الأرواح تنفطر
ففي السلامة مما يرجفون به حلا ... وة ثم في أفواههم صبر
ومايضر أمير المؤمنين إذا أمسى ... سليما من الاوائي(١) ماذكروا
قد أرجفوا برسول الله في أحد ... فلم يكن منهم نفع ولا ضرر
والله لو علموا مافي سلامته ... لقاسموه على الأرواح إن قدروا
لكنهم شربوا في ظل دولته خمر ... السرور فقالوا ذاك إذ سكروا
عفوا وصفحا أمير المؤمنين لهم ... في جنب عفوك أكرام له (٢) خطر
فان عفوت فأهل العفو أنت ... وان أبيت ذلك فالأقدار تنتظر

وفي صفر عاد الغرق إلى بغداد، ومطرت السماء مطرا متداركا، وأكثر البنيان لم يكن تم، فقعد الناس على التلول، والماء يأتيهم من فوق ومن تحت، ومات خلق كثير، ووقع الوباء في الدنيا، فمات بالرحبة عشرة آلاف، ومات معظم أهل خراسان، والبصرة، وواسط، وهبت ريح سوداء فرمت معظم النخل ببغداد وواسط والبصرة.

وفي ربيع الاول فتح شكلي، أمير التركمان عكا، وسببه أنه كان بها عند أمير الجيوش بدر الجمالي رجل يعرف بابن سقحاء، وكان رفيع المنزلة عند أمير الجيوش، يثق به في أموره، ولما خرج إلى مصر أخذه معه، فلما حصل لأمير الجيوش المال والجواهر، بعث بذلك مع ابن سقحاء إلى عكا في البحر، ليكون فيها مع أمواله وذخائره التي بها، فكسر بهما المركب، فغرق ماكان معه، وكان معه في المركب

---

(١) : أي من التوجع وصدور الآهات.
(٢) : في الأصل ((لها)) والتقويم من ب.

جماعة من أهل عكا ، فقال لهم : مابقي لنا وجه عند أمير الجيوش ، فهل لكم في أمر توافقوني (١) عليه يكون فيه السلامة ؟ فقالوا : نفعل ، وكان أمير الجيوش قد أخذ معه إلى مصر رهائن من عكا ، ستين نفسا من خيارهم ، فقال لهم ابن سقحاء : إن أمير الجيوش قتلهم فقابلوه على فعله ، فلطم أهلهم ، وأقاموا المآتم ، ووافقوه ، فكتب ابن سقحاء إلى شكلي ، وكان قريبا منهم ، وقد أهلك أهل البلد بالحصار ، فقال : تعال في الليل لنفتح لك الباب ، فجاء بعسكره ، وفتحوا له الباب ، فدخل فقبض على فارس الدولة النائب عن بدر ، وابن ابي الليث القاضي ، وعمال بدر فضرب رقابهم ، واستولى على أموال بدر وذخائره ، وقبض على ابنه ، وزوجته ، وابنته ، وأحضر أبا يعلى بن الأقساسي ، وقال : أليس بدر زوّجني هذه ، يعني ابنته ، وأنت شاهد عليه ؟ قال : بلى ، فأحضر القاضي والشهود ، وزوجها منه ، ودخل بها في ليلته ، وأخرج أبا يعلى بعد ذلك من عكا ، لأنه صاحب بدر ، وقوى البلد واستفحل أمره ، وبعث إليه اتسز التركي صاحب القدس والرملة ، وكان متقدما على جميع الترك والناوكية بالشام ، فقال : ابعث له زوجة بدر وابنه ونصف ما أخذت من المال ، فامتنع عليه وخاطبه بما لم يكن خاطبه به من قبل ، وصاهر ابن منزو صاحب دمشق على أخته ، وراسل بني كلب وتقوى بهم ، واستحلفهم ، وأخذ رهائنهم ، وأعطاهم رهائنه ، وكان مسمار أحد مقدميهم معه .

وفي هذا الوقت وردت الأخبار أن ملك شاه عبر جيحون ، يأخذ بثأر أبيه ، وأنه حاصر ترمذ (٢) وأخذها ، ولبس خلعة الخليفة عليها ، وأنه وقعت قطعة من السور ، وصل إليها النقّابون وأحرقوها ، ودخل العسكر ، ونهبوا البلد ، وقتلوا خلقا كثيرا ، وأسر بغاتكين أخو شمس الملك بن طمغاج خان ، صاحب بخارا وسمرقند ، وأن شمس الملك بعث إلى السلطان يلتمس الصلح ، فأجابه وصالحه ، وعاد السلطان الى مرو ، وهو على عزم الوصول إلى بغداد ، وأن شمس الملك بعث للسلطان خيلا ، وثيابا ، وطيبا ، وألطافا ، وبعث إليه السلطان أيضا عوض هديته ، ووصلت كتب السلطان إلى بغداد بذلك .

---

(١) : في ب ((توافقون)) .
(٢) : مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي ، معجم البلدان .

وتوفي بدر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي ، وكان في خدمة السلطان على ترمذ ، فمات بها ، ورتب نظام الملك ابنه نصر بن بدر مكانه .

وفي جمادى الأولى توفي محمود بن الزوقلية ، صاحب حلب ، ورتب ولده نصر مكانه .

وفي جمادى الآخرة ، ورد عميد الدولة إلى العراق ، وهو كان السبب في صلح ملك شاه ، وصلح شمس الملك صاحب ماوراء النهر ، وكان ملك شاه يقول : لولا عميد الدولة ماصالحته حتى أنزل على سمرقند ، وكان عميد الدولة عاقلا مدبرا ، ولما قدم بغداد أخرج الخليفة الخدم والخواص والحجاب لاستقباله ، وبعث إليه رسالة جميلة أنبأت عن جميل الرأي فيه ، فقويت نفسه وانشرح صدره ، وخرج معظم أهل بغداد بالخواص والعوام سرورا بوروده وسلامته ، لأنه كان محسنا إليهم .

وفي رجب توفي القائم بأمر الله ، وولي عدة الدين ابن الذخيرة ، وسنذكره .

الباب السابع والعشرون

في

خلافة المقتدي بأمر الله (١)

واسمه عبدالله بن ذخيرة الدين ، ابن أبي العباس محمد بن عبدالله الامام القائم بأمر الله ، وكان يلقب قبل الخلافة بعدة الدين ، ويكنى أبا القاسم ، ولم يكن أبوه أبو العباس يلي الخلافة (٢) ، لأنه مات في حياة أبيه القائم ، ومولد المقتدي يوم الأربعاء ثامن من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأمه أم ولد أرمنية، تسمى أرجوان ، وتدعى قرة العين ، أدركت خلافته ، وخلافة ابنه وابن ابنه ، وكان الذخيرة قد بقي من أولاد القائم ، ولم يبق له سواه ، فتوفي ، فاستشعر الناس انقراض الدولة ، لعدم ولد البيت القادري ، وأن من سواهم من الأسرة ، مخالط العوام في البلد ، وجار مجرى السوقة وأن ذلك ينفر قلوب العامة عن المتولي ، فحفظ الله هذا البيت بأن كان الذخيرة ، قد ألم بجاريته أرجوان ، ومات وهي حامل ، وتشوف الناس إلى حملها ، فولدت عدة الدين ، المقتدي ، بعد موت أبيه بخمسة أشهر وكسر ، ووقعت البشائر ، فلم يزل جده القائم ضنينا به ، حذرا عليه ، فلما كانت نوبة البساسيري كان لعدة الدين دون أربع سنين ، فستره أهله ، وحملوه إلى أبي الغنائم ابن المحلبان ، فسار به إلى الجزيرة، وتنقل به وبأمه ، وبهنت القائم ، ثم ردهم الى بغداد لما عاد القائم ، ولما كبر ذكر على المنابر ، ولما احتضر القائم كتب له كتابا بالعهد ، ولم يزل منذ حين بلوغه إلى أن ولي الخلافة على الستر والسلامة ، والعفة والصيانة ، وحفظ الله به هذا البيت ، وظهرت كراماته ، فان ملك شاه تغير عليه ، وأمره بالخروج من بغداد ، فقال : أمهلني عشرة أيام ، فمات ملك شاه سرعة .

ذكر بيعته

جلس بعد وفاة جده يوم الجمعة ثالث شعبان ، في دار الشجرة ، وعليه قميص أبيض ، وعمامة بيضاء لطيفة ، وطرحة قصب دريه ، ودخل الوزير فخر الدولة ، وعميد الدولة ومؤيد الملك ابن نظام الملك ، والنقيبان طراد العلوي ، وقاضي القضاة الدامغاني ودبيس ، وأبو طالب الزينبي وابن جرد ، ووجوه الأشراف ، والعدول والأعيان ، وأبواسحق

---

(١) : في الأصل ((بالله))والتقويم من (ب).
(٢) : كذا في الأصلين والاحسن ((ولي)) .

الشيرازي ، وابن الصباغ ، وأبو محمد التميمي ، وأول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى مقدم الحنابلة ، قال أبو جعفر : لما بايعته أنشدته :

إذا سيد منا مضى قام سيد ....

ثم ارتج ، فقال المقتدى :

قؤول بما قال الرجال فعول

وكان الشريف قد بايعه قبل هذا عند غسل القائم ، ولقب بالمقتدي بأمر الله وعمره يومئذ تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وأيام ، وكان من رجالات بني العباس له همة عالية وشجاعة ، وهيبة ، وكان حسن الهيئة والوجه ، ضخم الجسم.

وفي شعبان أمر الوزير فخر الدولة المحتسب بنفي المفسدات من حريم دار الخلافة وبيع دورهن ، ومنع الناس أن يدخلوا الحمامات بغير مئآزر ، وأخرب أبراج الحمام والجرادي ، ومنع من اللعب بالطيور ، لأجل الاطلاع على الناس ، ومنع الحمامين من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة ، وأمرهم بحفر آبار يجتمع فيها الماء ، ونهى الملاحين أن يحطوا النساء والرجال في السفن مجتمعين.

وفي شعبان ، ورد الخبر بقتل ملك شاه عمته كوهر خاتون ، وكانت زوجة أريسغي التركي ، وكانت قد انصرفت من العسكر قاصدة أذربيجان ، والناوكية المترددين إلى بلاد الروم ، وكان نظام الملك قد استقرض للسلطان منها خمسين ألف دينار ، فجاء لوداعها ، فتنمرت عليه وتهددته ، وأظهرت أنها تقصد الناوكية ، والمقابلة على ماعوملت به من القبيح ، وكانت عند قتل قاورت بك انصرفت من الري مستوحشة ، ونهبت مامرت به من أعمال نيسابور ، وعاد نظام الملك إلى ملك شاه وأخبره بما أظهرت ، وبما قد عزمت عليه ، فبعث وراءها مائتي غلام وأمرهم بقتلها ، فساروا خلفها ، وقد رحلت مرحلتين أو ثلاثا ، ولم تعلم بهم وكانت في عسكر كثير ، فجاء منهم سبعة غلمان ، فهجموا عليها السرادق ، وفتكوا بها عجلين بعد أن جرحت منهم ، ونكأت فيهم ، ووقعت عليها جارية من جواريها تفديها بنفسها ، فجرحت عدة جراحات ، وجاء باقي الغلمان وحفظوا خيمتها ومالها ، وحملوا الجميع إلى ملك شاه ، وسأل عن الجارية المجروحة ، فأخبروه خبرها ، فاصطفاها لنفسه ، لما بلغه من نصحها ، ومحافظتها على عهد سيدتها.

وفي رمضان خرج عميد الدولة ابن جهير ، إلى ملك شاه ، لأجل البيعة للمقتدي ، وحمل معه ثمانمائة ثوب متنوعة ، وخمسة عشر ألف دينار ، وقيل أبعث له عشرة آلاف أخرى.

وفي رمضان التقى اتسز التركماني ، صاحب القدس بشكلي في الساحل ، فهزمه فجاء شكلي منهزما الى رفنية (١) ونزل أتسز فحاصر دمشق .

ومن العجائب أنه في شوال وقع ببغداد حريق من الجانبين ، أكلت النار البلد في ساعة واحدة ، أول ما وقع بدكان خباز بنهر معلى ، فأتت على السوق جميعه ثم وقعت في مطبخ الخليفة ، ثم في باب الأزج ، ثم وقعت في باب البصرة والكرخ ، ونهر طابق ، والمحال الغربية ، فصارت بغداد تلولا كما جرى عليها في الغرق ، وورد الخبر من واسط بأنها احترقت في ذلك الوقت أيضا ، فكان في كتاب ابن قاضيها إلى قاضي القضاة الدامغاني ، يقول فيه : وإن النار أحرقت البزازين ، والنحاسين ، ودار القاضي الوالد وغيره (٢) ، حتى أتت على مافيها من ثياب وقماش وذهب ، وفضة ، وحنطة وشعير ، وخزانة الحكم ، والسجلات ، وخرج القاضي عريانا ، بعد أن أشرفنا على الهلاك، وافتقر الناس، وجلسوا على الطرقات .

وفي عيد الأضحى ، يوم الخميس ، أو يوم الجمعة ، قطعت الخطبة العباسية من مكة ، وأعيدت الخطبة المصرية ، وكانت مدة الخطبة بها أربع سنين ، وخمسة أشهر، لأنها أقيمت يوم الجمعة حادي عشر رجب ، سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، وقطعت يوم الجمعة في هذه السنة .

ذكر السبب في ذلك :

لما استولى بدر أمير الجيوش على الديار المصرية والصعيد ، ولم يبق له مايشغله ، راسل ابن أبي هاشم في الخطبة ، فلم يلتفت ، فعدل عنه إلى أعيان بني عمه ، وقال : أنتم أولى منه ، فلم يلتفتوا ، فراسلهم ثانيا ، وقال الحجة التي كان يحتج بها قد زالت ، وهي وفاة ألب أرسلان ، وخليفة بغداد ، ولم يبق في رقبته عهد ، وهذه الدولة التي نحن فيها لكم ومنكم ، وقد فعلتم مالا يغسل إلا بالرجوع ، فان أبيتم كاتبنا بني عمكم الأشراف وأخرجناكم من البلد ، وقويناهم بالمال والرجال ، وبعث لهم المال ، فاجتمعوا بابن أبي هاشم ، وأعادوا عليه ماقال ، وقالوا : المصلحة إعادة الخطبة للمصريين،

---

(١) : بلدة كانت واقعة على الطريق الواصل بين حماة وحمص وطرابلس شهرت في فترة الحروب الصليبية بحصانة قلعتها ويقول أبو الفداء تغير اسمها وباتت تعرف باسم بارين أو بعرين غرائب بارين ماتزال قائمة معروفة في المنطقة الغربية من محافظة حماة .
انظر : تقويم البلدان : ٢٥٨ــ ٢٥٩ .

(٢) : زيدت غيره من ب .

وإلا خرج الأمر من أيدينا وكان الغلاء قد وقع بالحجاز، وقطع عنهم الميرة ، فخاف ابن أبي هاشم فقبض المال الذي بعث به أمير الجيوش، وأعاد الخطبة كارها غير مختار ، وقلعت ألقاب القائم والسلطان من لوح كان على زمزم ، وحطت الكسوة الخراسانية ، وجعل مكانهما كسوة بيضاء دبيقية ، عليها ألقاب المستنصر صاحب مصر .

وفيها قتل أتسز أمير التركمان شكلي بطبرية ، وأوقع بولد قُطْلُمِش، وكان شكلي قد كتب إلى ابن قتلمش التركي ، وكان في أطراف الروم يحثه على قصد الشام ، لينضاف إليه وابن قتلمش هو ابن عم السلطان ألب أرسلان ، وكان في كتاب شكلي إلى ابن قتلمش : أنت من السلجوقية ، وبيت الملك ، وإذا أطمعناك ، وكنا في خدمتك ، تشرفنا بك وافتخرنا ، وأتسز ليس من بيت الملك ولا نرضى به ولا باتباعه ولا طاعته (١) وهوّن عليه أمر أتسز والشام ، قال : ((وقد جاءتنا من مصر وعود بالأموال ، إذا كسرناه ، وأبعدناه عن الشام))فجاءه ابن قتلمش فاجتمعا ، وسارا إلى طبرية ، وأظهرا طاعة صاحب مصر ، فسار إليهما أتسز من القدس وخرجا إليه ، وساعدهما أهلها واقتتلوافهزمهما أتسز ، وقتل شكلي وولده صبرا بين يديه ، وأطلق أباه لأنه كان شيخا كبيرا ، ونهب طبرية ، وقتل أهلها وأسر ابن قتلمش وأخا له صغيرا وابن عمه ، وكان لابن قتلمش سبع سراري تركيات ، فقالت له إحداهن وكانت حاملا منه : تدعنا يفضحنا الأعداء ؟ قال : فما أصنع ، قالت : أقتلنا جميعا فقتلهن ، وسلم ولد لشكلي ، وجاء إلى عكا ، فأغلق أهلها الباب في وجهه ، وكاتبوا جوهر المدني خادم صاحب مصر ، وكان مقيما بصور بالقدوم عليهم ، فجاء وسلموا إليه البلد ، وأعادوا الخطبة لصاحب مصر .

ووصل الى الشام في هذا الشهر ثلاثة آلاف من الغلمان ، من عسكر ملك شاه إلى أتسز ، كان كاتبهم ، وورد أيضا أخ لابن قتلمش كان في الروم إلى حلب ، فحصرها وكان محمود بن الزوقلية قد مات ، وملك ابنه نصر بن محمود ، فخرج إليه نصر بأحداث حلبه فقاتله ودفعه ، وقال : أنا نائب السلطان ، فإن كنت مطيعا للسلطان فارحل عنا ، وأرضاه بمال ، فرحل ونزل بأرض سلمية ، وراسل اتسز في معنى أخيه ، فقال أتسز : قد راسلت السلطان بسببه ، وأنا متوقع الجواب ، فإن رسم أنفذته إليه ، وإن رسم

---

(١) : في الأصل ((ولا نرضى باتباعه وطاعته)) والتقويم من ب .

شيئا آخر كان ، فقصد ابن قتلمش أنطاكية ، وكان في قلبه من أحداث حلب حيث قاتلوه ، ونهبوا أصحابه ، وقتلوا منهم جماعة ، وحصر أنطاكية وقرر عليهم عشرين ألف دينار في كل سنة ، ليحمي سوادها من الغارات ، واتفق أن طائفة من التركمان الذين جاءوا طالبين أتسز ، نزلوا على حلب ، وخرج إليهم عدد كثير من أهلها ، فسار ابن قتلمش من باب أنطاكية إلى حلب ، فأخذ القافلة وقطع آنافهم ، ونهبهم تشفيا بأهل حلب ، وقاتل من التركمان من قاتله ، ورجع وأقام على باب أنطاكية للخفارة والحماية .

وفي أواخر ذي الحجة ورد عميد الدولة ابن جهير ، من عند ملك شاه وقد أخذ البيعة للمقتدي ، على السلطان ، ونظام الملك ، والحاشية ، والعسكر ، عن غير صفاء من نظام الملك ، ولا تحقيق بالمغالطة ، ودفع ، لما في قلبه من الوزير فخر الدولة ابن جهير ، مما نقل إليه أعداؤه .

وفيها توفي :

الحسن بن عبد الودود بن عبد المتكبر بن المهتدي

أبو علي الهاشمي ، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقبلت شهادته عند القضاة وتوفي في ربيع الآخر ، ودفن عند جامع المنصور ، وكان سيدا صدوقا .

القائم بأمر الله أمير المؤمنين

واسمه عبدالله بن أحمد القادر ، وكنيته أبو جعفر ، وأمه قطر الندى ، أم ولد رومية ، أدركت خلافته ، وماتت في سنة إثنتين وخمسين وأربعمائة ، ولد القائم يوم الخميس سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وولي الأمر بعد أبيه ، وعمره أحدى وثلاثون سنة ، في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وكان جميلا مليح الوجه ، أبيض اللون ، مشربا حمرة ، أبيض الرأس واللحية ، متدينا ورعا ، زاهدا ، عالما ، في وجهه أثر صفار من قيام الليل ، وكان يسرد الصوم ، وكان قليل الجماع ، ولهذا قل نسله ، وكان سبب تركه الجماع ، أنه جامع ليلة جارية له ، وبين يديه شمعة ، فرأى صورته على الحائط صورة شنيعة ، فقام عنها ، وقال : لا عدت إلى مثلها ، وامتنع بعدما رجع من الحديثة عن أكل الطيبات ، واقتصر وقت إفطاره على ثرده ، فضعف ، فعمدت جارية له فصنعت له ثردة في مرقة دجاجة ، فلما رآها ، قال لها : لا تعودى إلى مثلها ، وكان يحب الصالحين ، ويبرهم ويزورهم في الليل ، وكان كثير الصدقات وافر الإحسان .

ذكــــر وفاتــــه :

في يوم الخميس الثامن وعشرين من رجب ، فصد القائم بأمر الله من ماء شراء لحقه عن أكل كماة مشوية ، وقطائف بدهن الفستق ، فأخرج مائة وخمسين درهما دما ، فسكن مابه ، وقد كان جسمه منذ ورد/ من حديث ذلك الماء الغاشم ، وفعله مافعل بالدار والحريم ، من الغرق ، ولما طرق قلبه من المصاب في ذلك ، والأمراض تتداركه ، فلما كان في يوم فصده ، نام ولم يكن عنده أحد ، إلى آخر النهار ، فانتبه وقد انفجر فصاده ، وخرج منه دم كثير ، وسقطت قوته ، وانقضت مدته ، ووقع اليأس منه ، وانتفخ وجهه وأطرافه ، وكثر الأرجاف به ، وظهرت إمارات الخوف عليه ، ولما أحس القائم بانقراض المدة ، استدعى الأمير عدة الدين ، وأجلسه بين يديه ، وقال له : قد استخدمت ابن أيوب ، وابن المسلمة ، وابن دارست ، وابن جهير ، فما رأيت أوفق (١) وأصلح للدولة من ابن جهير وولده ، الصحيح المقاصد ، المأمون على الدولة والمال ، الجيد الرأي والمقال ، فلا تعدل عنهما ، ولا تخالفهما ، وأوصاه بهما ، فقبل عدة الدين يده وبكى ، وقال : سمعا وطاعة .

وأحضر الدواة ، وكتب القائم رقعة بذلك ، وقال له : اكتب جوابها بخطك بالإجابة ، والتعويل على عميد الدولة في وزارتك ، فكتب وأحضر قاضي القضاة (والنقيبان ومن الشهود محمد بن أخت قاضي القضاة) (٢) وأبو الحسين بن السيدة مؤدب الأمير ، وأبو الحسين البيضاوى شيخ الشهود في يوم الأحد تاسع شعبان ، وأقاموا في الديوان إلى الليل ، ثم استدعوا مع الوزير إلى الحجرة ، ولم يصل غيرهم ، وكان الخليفة من وراء شباك مستندا ، والأمير عدة الدين قائم على رأسه ، والقوم يسمعون كلامه ، ولا يرون شخصه وأخرجت رقعة فقال : اشهدوا علي بما تضمنت الرقعة التي كتبت فيها سطري ، فقالوا : السمع والطاعة ، وأسبلت الستارة ، وخرجت الجماعة ، وكان مضمون الرقعة ، ولاية العهد للأمير عدة الدين ، ورد الأمر إليه ، والتعويل عليه ، وأن لايغير على الخدم وغيرهم شيئا ، وكان في الرقعة :

---

(١) : في ب (أرفق).

(٢) : زيد مابين الحاصرتين من (ب).

((بسم الله الرحمن الرحيم .

إن أمير المؤمنين بحكم ماوكله الله إليه من أمور عباده وبلاده ، وأوجبه عليه من صلة طريقه في الإحسان إليه ، رأى أن يفوض أمور المسلمين ، والنظر في مصالحهم باسباغ ظل المعاطفة على أكابرهم إلى الحد الذى يجلي مشاربهم من الكدر ، ويعري ملابسهم من ملابس الخدر ، فلذلك اقتضت عزائمه الميمونة إحضار وزير دولته محمد بن محمد بن جهير ، وولده محمد — وذكر الجماعة المنتمين ، وحين مثلوا بين يدي سدته أنعم متبوعا بمشافهة سلالته أبي القاسم عبد الله بن محمد بن أمير المؤمنين بتوليته أمر المسلمين ، وتصييره خليفته بعده في العالمين)) ، وذكر ماتقتضي الوصية، وتتضمن الإحسان إلى الناس (١) .

واتفقت وفاته يوم الخميس الثالث عشر من شعبان وجلس الوزير فخر الدولة وولده عميد الدولة في الديوان على الأرض حافيين ، وقد خرقا ثوبيهما ، ونحيا عمامتيهما وطرحا ردائين لطيفين عوضهما ، وفعل الناس مثل ذلك ، ومنع المقتدي الجواري والخدم من الصراخ واللطم ، وغلقت الأبواب .

وكان القائم قد أوصى بأن يغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي الحنبلي وأعطي ماكان عنده وعليه ، فامتنع ولم يقبل شيئا ، وقال أبو محمد التميمي : ماحسدت أحدا قط إلا الشريف أبا جعفر في ذلك اليوم ، وقد نال مرتبة التدريس والتذكرة والسفارة بين الملوك ، ورواية الأحاديث ، والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام ، فلما كان ذلك اليوم خرج علينا الشريف ، وقد غسل القائم عن وصية منه بذلك ، وأمر له بمال وبما عنده ، وأعطاه الأمير عدة الدين جميع ذلك ، فلم يأخذ منه شيئا ، وكان له قيمة ، وأخرج منديلا من كمه نشف به القائم ، وقال : هذا يكون في كفني ، ثم خرج علينا ونحن قعود على الأرض ، كل منا قد مزق ثوبه ، وغير حالته على قدر منزلته في الدولة، وهو على حاله لم يغير شيئا ، ومضى إلى مسجده ، فعلمت أن الرجل هو ذاك .

---

(١) : نص الوصية في المنتظم : ٢٩١/٨ ، أوفى مما جاء هنا وعليه تم تقويم التصحيفات.

ثم انتقل الوزير والجماعة من الديوان إلى صحن السلام بعد صلاة الظهر ، وجلس المقتدي على كرسي ، فدخل عليه الوزير عميد الدولة والقضاة والأعيان فبايعوه بالخلافة ، وبرز المقتدي من وراء السدة فصلى بالناس العصر ، وبعد ساعة حمل تابوت القائم على سكون ووقار من غير صياح ولا عويل ، وصلى عليه ، وكبر أربعا ، ونقل إلى حجرة كانت برسم جلوسه ، فدفن فيها .

وجلس الوزير عميد الدولة في صحن السلام ثلاثة أيام ، وكان أبو الأغر دبيس قد استدعي في مرض القائم ، فقدم يوم الخميس بكرة ، ومات القائم بعد حضوره ، ودخل مع الناس ، وبايع المقتدي ، وحضر العزاء مع الوزير والجماعة ، وخرج في اليوم الرابع توقيع التعزية ، والنهوض من العزاء ، وغلقت الأسواق ، وعلقت المسوح ، وفرشت بالبواري ، وناح النواح ، ولطمت الهاشميات بالحريم لئلا ينظرن .

وعاش القائم خمسا وسبعين سنة وثمانية أشهر ، وأربعة وعشرين يوما ، وقيل أربعا وسبعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وقيل ثمانين سنة ، وقيل سبعا وسبعين ، وأقام في الخلافة أربعا وأربعين ، وكان ربع القامة ، غليظ المحاسن ، في وجهه أثر جدري وصفار من أكل الطين .

وأحضر نور الدولة ابن مزيد إلى الديوان ، والجنائب بين يديه ، من عند الخليفة ، وأعطي لواءاً أبيض مكتوبا بسواد ، وقميصا من ثياب القائم التمسه ، وامتنع من الخلع التي عرضت عليه ، لأجل موت الخليفة ، وحزن عليه حزنا شديدا ، وسار من يومه إلى بلده ، وإنما استدعي إلى بغداد خوفا من فتنة ، فان العيارين واللصوص كانوا قد استدانوا على موت القائم لينهبوا دار الخلافة ، ودور الناس ، فاحترز الوزير فخر الدولة ، وأقام الغلمان على أبواب دار الخليفة ، وعلى الدروب ، وكانت النفوس خائفة وجلة ، فكان من قضاء الله تعالى من السكون والهيبة مالم يكن في الحساب ، وكأنه لم يمت سلطانا ، ولا فقد صاحب العصر والزمان رحمه الله ......

عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود

أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي الحافظ ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث ، وقرأ الفقه ، ودرس وأفتى ، ووعظ ، وصنف ، وكان له حظ من النظم والنثر وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، وقع في بلده نهب ، فامتنع من أكل اللحم سنين ودخل عليه نظام الملك ، زائرا له ، فقعد بين يديه فوعظه ، فكان من جملة ماقال له : إن الله قد سلطك على عباده ، فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم ، وإنما أنت في أضغاث أحلام ، وقد رأيت مصارع من تقدمت ، فبكى نظام الملك ، وكانت وفاة الداودي ببوشنج (١) ، سمع الحديث من أبي الحسن ابن الصلت ، وأبي عمرو بن مهدي ، وخلقا كثيرا .

وروى عنه أبو الوقت عبد الأول صحيح البخاري ، وأنشد أبو الوقت من شعره فيما رواه عنه :

كان في الاجتماع للناس نور ... فمضى النور وادلهمّ الظلام
فسد الناس والزمان جميعا ... فعلى الناس والزمان السلام (٢)

عبد السلام بن أحمد بن محمد بن عمر

أبو الغنائم نقيب الأنصار ، ولد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وسمع الكثير ، ولقي الشيوخ ، وتوفي في شعبان ، ودفن بمقبرة جامع المنصور.

---

(١) : بليدة نزهة خصبة في واد مشجر من نواحي هراة . معجم البلدان.
(٢) : انظر المنتظم : ٢٩٦/٨.

أبو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي

صنف دمية القصر في شعراء أهل العصر ، والعماد الكاتب حذا حذوه ، فكان الباخرزي فريـد عصره ، وله ديوان مشهور ، ومن شعره :

قالوا التحى ومحا الإله جمالـه وكساه ثوب مذلـه ومحـاق
كتب الزمـان على محاسن وجهـه هذا جزاء معذب العشـاق

ومن شعره :

أتوت (١) غبابيهم بشط الوادي فبقيت مقتـولا بذاك النـادي
وسكرت من خمر الفراق فرقرقت عين الدموع على غناء الحادي
قالت ـ وقد سألت عنها كل من لاقيته من حاضـر أو بـادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه ترني ، فقلت لها : وأين فؤادي

ولـه :

أرى حضـرة السلطان يفضـي عفاتها إلى روض مجد بالسماح مجود
فكم لحياة الراغبـين لديـه من مجالس سجود في مجالس جـود

ولـه :

زكاة رؤوس الناس في عيد فطرهم بقول رسول الله صاع من البـر (٢)
ورأسك أعلى قيمـة فتصدقـي بفيك علينا فهو صاع من الـدر

ولـه :

وان اغتراب المرء من غير فاقـة ولا حاجة يسمو لها لعجيـب
وحسب الفتى ذلا وإن أدرك الغنى وقد نال ملكا أن يقال غريب (٣)

---

(١) : في ب ((أقوت)).
(٢) : في ب ((التمر)).
(٣) : لم أستطع الوقوف على نسخة من ديوانـه .

ومن نثره قال يصف رجلا :

اكتحلت بغرته الزهراء . واستضاءت بزهرته الغراء .

وقال :

له همم تنطح الجوزاء بالقمم . ومحل يعصر عنقود الثريا تحت القدم .

وقال :

الكريم يرتجى (١) وإن أمسى بابه يرتجى . وسألزم حاجته حتى يقضي من حقي واجبه ، ولا أفارق حضرته ، حتى يفارق الآس خضرته .

وبلغه عن إنسان تهديد ، فقال : أما تهديد فلان وإرعاده وإبراقه ، فما أولاه بأن ينساني ، ويترك في العد لساني ، فلست بالذي يتضعضع من شأنه ، ولا يتقعقع من شنآنه ، وكيف أجرب باب السيف ، على دبادب الصيف .

قتل الباخرزي على مجلس الشراب في هذه السنة ، وذهب دمه هدرا ، سامحه الله تعالى .

وصنف أبو الحسن علي البيهقي كتابا ، وسماه " وشاح دمية القصر " وهو من جنس الذيل لكتاب الباخرزي ، وكان البيهقي فاضلا فصيحا ، وهو القائل :

تشير بأطراف لطاف كأنها | أنابيب مسك أو أشاريع مندل
تنم على ما بيننا من إشارة | نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

علي بن الحسين بن أحمد بن الحسين أبو الحسن التغلبي

ويعرف بابن صصرى ، دمشقي ، ذكره الحافظ ابن عساكر وأثنى عليه ، توفي بدمشق ، حدث عن تمام بن محمد وغيره ، وروى عنه الخطيب وغيره ، وكان ثقة وأصل بني صصرى من قرية ببلد الموصل ، وسكنه دمشق .

علي بن عبد الملك أبو الحسن المعدل

كان حسن الصوت ، عالم بالقراءات ، فاضلا ، توفي في شعبان ، ودفن بباب حرب ، وكان ثقة .

(١) : في ب ((مرتجى)) .

كوهـــر خاتـــون

عمة السلطان ملك شاه ، أخت ألب أرسلان ، كانت دينة عفيفة ، صادرها نظام الملك لما مات أخوها ألب أرسلان ، وأخذ منها أموالا وجواهر ، فخرجت إلى الـتستري لتمضي إلى الناوكيـة ، تستنجد بهم على قتال نظام الملك ، فأشار نظام الملك علـى السلطان بقتلها، وقال : اقتلها وإلا فتحت عليك بابا عظيما فقتلها ولما وصل الخبر إلى بغداد ، ذم الناس نظام الملك، وقالوا : ماكفـاه بناء هذه المدرسة النظامية ، وغصبه لأراضي الناس، وأخذ أنقاضهم حتى دخل فـي الدماء ، فأشار على ملك شاه بقتل عمه قاورت بك ، وخنقه بوتر ، وكحل أولاده ، وقتـل عمته ، وبلغ نظام الملك ، فقال : ماأقام هذه الشناعة علـي إلا فخر الدولة ابن جهير ٠

محمــد بن الحسين بن أحمد ــ أبو منصور الحميـــري

القاضي الكوفـي ، ولي القضاء بدمشق والخطابة نيابة عن الشريف أحمد الزيدي، ثم خرج إلى طرابلس، فأقام بها حتى توفي ، وكان يصحب الـوزير ابن الماسكى قبـــل وزارته ، فلما ولى الوزارة ، قصر فى حقه ، فكتب إليه :

أسيد نا الوزير نسيت عهـــدي ‎ ‎ ‎ ‎ وقد شبكت خمسك بين خمســي
وقولك إن وليت الأمـــر يومـــا ‎ ‎ ‎ ‎ لاتخذن نفسك قبل نفســـي
فلما أن وليت جعلت خطي مـــن ‎ ‎ ‎ ‎ الإنصاف بيعك لـي ببخـــس

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ــ أبو الحسن الدمشقي

يعرف بابن أبـي العجائـز الأزدي ، سمـع الحديـث ، وتوفـي بدمشـــق ، وكان ثقـة ٠

محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر ــ أبو بكر الخياط البغدادي المقري(١)

ولد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، توفي في جمادى الآخـرة ، ودفن بمقبرة جامع المنصور وكان قد توحـد فى زمانه بعلم القراءات ، وسمع الحديث ، وكان فاضلا ثقة ٠

---

(١) : زيدت ((المقرى)) من ب ٠

محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب

ويعرف بابن الزوقلية ، وكان عمه عطية قد أخذها منه ، فحصره مدة حتى أخذها وقد مدحه أبو الفتيان محمد بن حيوس ، فقال لما أخذ حلب :

أبى الله إلا أن يكون لك السعد — فليس لما تبغيه منع ولا رد
قضت حلب ميعادها بعد مطلها — وأطيب وصل ما مضى قبله صد
يهز لواء النصر حولك عصبة إذا — طلبوا نالوا وإن عقدوا شدوا
وخطية سمر وبيض صوارم — وصافية عرف وصافنة جرد (١)

وله فيه قصائد ، وكان محمود ذا فضل ومروءة ، وسماحة ، وسخاء ، جوادا ، ممدحا ، كريم الأخلاق ، ولما أخرج عمه عطية من حلب ، مضى إلى بالس ، فأرسل إليه مناشير بإقطاعات ومال ، فلم يرض ، ومضى إلى القسطنطينية مستصرخا بملك الروم ، فمات عنده في ذي الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة ، وكانت وفاة محمود ليلة الخميس ثالث عشر شعبان ، الليلة التي مات فيها القائم بأمر الله ، وسبب موته أنه عشق جارية لزوجته ، وكانت تمنعه منها ، فماتت الجارية ، فحزن عليها ، ومات بعد يومين (٢).

ولما مات وقع بين العسكر الخلاف ، وكان محمود قد أوصى إلى ولده أبي المعالي شبل بن محمود ، وأسكنه القلعة ، والخزائن عنده ، وأسكن ولده نصر بن محمود البلد ، وكان كارها له ، وكانت العساكر مائلة إلى نصر ، وكان شبل بن محمود صغيرا قد استولى عليه النساء والخدم ، فبزل نصر العطاء ، ونشر العدل ، فمال الناس إليه ، وملكوه وكان نصر ممدحا ، وقد مدحه ابن حيوس بقصائد منها :

كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر — فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر
ثمانية لم تفترق مذ جمعتها — فلا افترقت ما افتر عن ناظر ثغر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى — ولطفك والمعنى وعزك والنصر
وقد جاد محموداً بألف تصرمت — وغالب ظني أن سيخلفها نصر (٣)

فأعطاه ألف دينار ، وقال : والله لو قال : سيضعفها نصر ، لأضعفتها له ، وكان على بابه جماعة من الشعراء ، فكتبوا إليه :

---

(١) : هذه الابيات غير موجودة بالديوان المطبوع .
(٢) : سيورد المؤلف فيما بعد سببا آخر للوفاة.
(٣) : ديوانه ٢٤٢ ــ ٢٤٩.

على بابك المعمور منا عصابة مفاليس فانظر في أمور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها بعشر الذي أعطيته لابن حيوس
ومابيننا هذا التفاوت كله ولكن سعيد لايقاس بمنحوس

فقال : ولم بعشر ، وهلا قالوا : بمثل ، ثم وصلهم ، وأحسن إليهم ، وقتل نصر في السنة الآتية .

أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست

وزير القائم بأمر الله ، كان له مال عظيم ، فقيل للقائم : هذا أمين ، وهو غني النفس فاستوزره فلم يكن له دربة بالوزارة ، وكان سيء التدبير .

السنة الثامنة والستون والأربعمائة

في يوم الثلاثاء ، ثالث المحرم ، خرج مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد يريد والده ، وكان أبوه قد مرض ، وخرج معه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الشاهد ، رسولا من الديوان إلى إبراهيم بن مسعود ، صاحب غزنة ، يخبره بوفاة القائم وإقامة المقتدي .

وفي يوم الإثنين سابع صفر ، فتحت قلعة منبج ، وارتجعت من يد الروم بعد حصار طويل ، سلمها الحافظ لها بأمان إلى نصر بن محمود صاحب حلب ، وأعطاه إقطاعا ومالا ، وكانت مدة بقائها في يد الروم سبع سنين وشهرا ، فإنها أخذت في المحرم سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وفي صفر ، ورد العميد أبو نصر إلى بغداد مطالبا للديوان بمائة ألف دينار ، من إقطاعه وإقطاع حواشيه ، وقال : العساكر كثيرة وما عند السلطان مال ، فلم يجبه الخليفة ، وأخرج عميد الدولة ، وظفر الخادم ، إلى السلطان بهذا السبب ، ولم يلتفت العميد إلى مجيء الجواب ، بل أدخل يده في الإقطاع وصرف نواب الخليفة ، وولاها الأعاجم .

وورد سعد الدولة الكوهرائين إلى بغداد ، بسبب الوزير ابن جهير ، وعزله لأجل نظام الملك ، فخرج الوزير إليه فتلقاه ، فلم يلتفت إليه ، ونزل أصحابه فى دور الناس، وفعلوا كل قبيح ، وجاء الخيلباشية إلى الديوان ، وقالوا وجالوا وخاف الوزير، وقال : أنا أخرج إلى السلطان، وأبين له كذب ماقيل عني ، وأذكر سابق خدمتي ، وبالأمس بعث قاورت بك إلى القائم يبذل له (١) ثلاثمائة آلف دينار ليوليه الأمر ، فأشرت بأن لا يوليه خدمة السلطان ، ويكون جزائي هذا التهديد ، وكان مع سعد الدولة كتاب مختوم إلى الخليفة ، وأظهر أن عزل الوزير فيه ، فلما فتح الكتاب ، لم يكن فيه عزله ، وإنما كان فيه فى بعض الفصول : أيها الوزير إن أصحابنا العائدين من بغداد يذكرون إنفاقك لحوائجهم وأغراضهم ، ويجب أن تزول عن هذه الطريق ، وتحول عن هذه الخلائق ، وإلا كاتبنا الحضرة الإمامية بالكراهية لك ، التي تقتضي الاستبدال بك، والتعويل على من يكون أصحابنا له شاكرين ، ولأفعاله حامدين ، فندم الوزير على مابدر منه في معنى قاورت بك ، وقال لسعد الدولة : لو أعلمتني أن الكتاب يشتمل على مايتعلق بك ، لكنت جمعت من الناس أكثر مما جمعت ، لكنك أسأت التدبير، وفعلت ضد الصواب ، وطاب قلب الوزير ، وبعث بالكتاب إلى الخليفة فطابت نفسه ، ونفوس الحاشية ، ثم جاءت كتب السلطان ، بعد ذلك بالإفراج عن إقطاع الخليفة والحاشية.

وفى جمادى الأولى ، ورد رسول أتسز التركمانى ، صاحب الشام ، ومعه ولد قتلمش المأسور ، وأخ له صغير ، فتسلمهما سعد الدولة الكوهرائين ، وبعث بهما إلى السلطان .

وفى هذا الوقت أخذ أتسز رفنية ، ونهب أعمالها ، وراسل نصر بن محمود صاحب حلب ، وقد طمع في شيء من أموال أبيه التي خلفها ، وطالبه بتزويج أخته ، وتسليم البلاد ، واستقر الأمر على أن يبعث له خمسة عشر ألف دينار ، وعاد إلى حصار دمشق ، فانه مازال مضايقا لها ، ونازل طرابلس وصور وأخذ صور خفارة ، فكانت الخطبة المصرية بها لم تتغير ، والغز يدخلون إلى صور فيبيعون ويشترون ، ولا يقيمون فيها وعلى هذا كانت الهدنة.

وفيها قتل نصر بن محمود صاحب حلب وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) : زيدت ((له)) من ب .

وفيها وردت الأخبار بأن بدر أمير الجيوش بمصر، لبس الدراعة التي برسم الوزارة، حتى لا يترتب في الوزارة من يفسد عليه الأمور، وخرج إلى الصعيد لقتال السودان، واستنقاذه منهم، فإنهم كانوا قد استولوا عليه.

وفيها ظفر القاضي جلال الملك ابن عمار، بكتب من بدر الجمالي، إلى جماعة (١) من وجوه طرابلس، تنبي عن موافقة تجري بينهما في القبض على جلال الملك، وتسليم البلد الى من ينتدبه للقبض عليه، فقبض عليهم، وصادرهم، وقتل منهم، ونفى الباقين.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال، خلع الخليفة على عميد الدولة ابن فخر الدولة الخلع السنية وفوض إليه الأمور، وكتب له التوقيع، وكانت الجبة سقلاطون، وفرجية، ديباج نسيج بالذهب، وحمل على فرس بمركب ذهب، بعد أن استدعاه ووالده، وخاطبهما بما طيب به نفوسهما، وفوض إلى عميد الدولة أزمة التدبير، وخرج معهما توقيع الخليفة إلى بيت النوبة، وقرئ بحضرة الأعيان، وكان من إنشاء أبي سعد بن الموصلايا النصراني، وفيه بعد البسملة:

إن أمير المؤمنين إذ تصفح مواقف خلصاء دولته، وأصفيائها المبرزين في المقاصد، التي عهد الجمال في مطاويها وأبنائها، وجد أوفاها في الكمال رفدا، وأكسبها في الزمان ثناء وحمدا، ما اختص به مؤيد الدين ابن فخر الدولة، شرف الوزراء أبو نصر، صفي أمير المؤمنين، من المقامات التي عبر فيها على من مضى وأحرز أو في ماينتافس فيه من كرم الرضى، وأحلته من أمير المؤمنين بالمنزلة التي لا يدانيه نضير في جلالها، ولا طمع أحد قبله في أمثالها، وحين تفردت بالآثار التي أضحت غررا في الدهر لامعة، وأحلاما لأقسام الفخار حاوية جامعة، والمساعي التي أوجبت بها على الدولة الحق الذي لا ينكر، وأوجدت منها الطرق إلى اعتمادك بالمكرمات التي يبقى شرفها على الأنام ويذكر، فأدناك من مقر سدته، وناجاك من مزايا الإكرام بما يبلغ مداك من خدمته، وذكر كلاما طويلا.

وفيها عزم السلطان على أن ينفذ أخاه تاج الدولة تتش إلى الشام، وكان نظام الملك لا يؤثر ذلك، وبلغ أتسز الخوارزمي صاحب الشام، فكتب إلى السلطان: أنا الخادم الطائع، النائب في هذه الأعمال، التي افتتحتها بنفسي، من غير أن أكلفه فيها مؤونة، ولا طلبت معونة، وأقمت له الدعوة، وما أجلته بما أقدر عليه من حمل

---

(١) : زيدت ((إلى جماعة)) من ب .

الأموال ، وقد بلغني ماعليه العزم من إنفاذ الأمير تاج الدولة تتش ، وماهاهنا مايقتضي استعمال ذلك ، وإبعادي عن الخدمة ، وتصييري في جملة الأعداء والأضداد ، وذكر كلاما طويلا هذا معناه ، وقال : وأنا بإزاء من بمصر ، من خليفة ، وجند ، ورجال ، ودولة ، وأموال ، لابد لمن يقاومها ، أن يجعل بنفسه في عدادها ، ويتجمل كجمالها ولما وقف نظام الملك على كتابه ، بعث إليه بقباء السلطان ، وقلنسوته ، وفرسه وسيفه ، وترسه ، تشريفا له ، وإكراما ، وطيب قلبه .

وفيها قبض بدر الجمالي على قاضي الاسكندرية ابن المحترق وجماعة من صالحيها (١) وفقائها ، وأخذ منهم أموالا عظيمة .

وفي ذي الحجة وردت كتب أتسز على الخليفة ، بفتح دمشق صلحا ، وتسليمها إليه ، وسببه : اتصال الحصار ، وغلو الأسعار ، وموت أهلها ، وإن الكارة للطعام بلغت نيفا وثمانين دينار مغربية ، وبقيت على ذلك أربع سنين ، والكارتين ونصف : غرارة بالشامي وهذا شيء كثير ، والغرارة بمائتي دينار ، عنها ثلاثة آلاف درهم .

وفي ذي الحجة أعيدت الخطبة (بمكة) وسببه أن السلار الخراساني قرر مع الشريف أبي هاشم أمير مكة أن يزوجه أخت السلطان ملك شاه ، فتعلق طمعه بذلك ، ومنته نفسه الأماني ، فقال لبني عمه : إنما كنا نخطب للدولة المصرية لمال يرجى ، أو خوف يخشى ، والآن فلم يبق هناك ماتخافه ، وليس من الصواب خروجنا عن دولة السلطان خوفا على نفوسنا ، وينبغي أن نبعث إلى هناك رسولا يخبرنا بشرح الحال ، فان كانت الأمور على السداد ، فبتنا على مانحن فيه ، وكان بنو عمنا أحب الينا ، وأكرم علينا ، وإن كان بخلاف ذلك ، دبرنا أحوالنا ، فأنفذوا إلى مصر اثنين من ثقاتهم ، وأمروهما أن يظهرا أنهما وردا للإفادة والتماس الصلات ، واستدعاء المال المحمول كل سنة مع الكسوة ، واستجاب بدر الجمالي لهما ، فذهبا وعادا ، ومعهما رسول من مصر بعشرة آلاف دينار ، وقيد من ذهب أيضا مع المال ، وزنه ثلاثة آلاف مثقال ، ليحلف أبو هاشم لصاحب مصر ، ويقيد نفسه على عادتهم ، وكسوة للبيت دبيقية ، وخلع لأمير مكة والعلويين وتفقد برسوم كانت لهم ، وخلا ابن أبي هاشم بالرسولين ، وسألهما عما شاهدا فقالا : مابقي هناك مانستند إليه ، ولا نعول عليه ، والأحوال قد فسدت ، والأموال قد ذهبت والرجال قد قتلوا ، وخلت البلاد ، فقال ابن أبي هاشم لبني عمه : قد علمتم الحال

---

(١) : في الأصل ((مصاليحها)) وهو تصحيف قوم من ب .

وورد عليه كتاب سلار الحاج الخراساني ، أنه قد فصل الأمر مع السلطان ، والمهر عشرة آلاف دينار ، فقال لرسول مصر : السلطان قاصد العراق ، وأخاف منه ، فأخروا الخطبة لكم حتى نبصر مايكون ، ودفع به ، وأخذ المال والخلع ، وأبطل خطبة المصريين ، وخطب للمقتدي ولملك شاه .

وفيها خطب أتسز للمقتدي على منبر دمشق ، وكان بها الأمير رزين الدولة لما هرب معلى بن حيدرة بن منزو ، فاجتمعت المصامدة على رزين الدولة انتصار بن يحيى ، فاختاروه لحسن سيرته ، فغلت الأسعار بدمشق ، وأكل الناس الميتات ، ووقع بين المصامدة والأحداث ، وكان أتسز قد أخرب ظاهرها خرابا كليا ، وضيق على أهلها فراسلهم في الصلح ، فاستوثقوا منه بالأيمان ، ودخل في ذي القعدة ، واستولى عليها وحل بأهلها منه قوارع البلاء ، ونزل أصحابه في دورهم ، وأخذوا حريمهم ، وصادرهم بحيث لم يبق مع أحد منهم درهما ، فاتصلت دعوات الناس عليه ، وعلى أصحابه في المساجد ، ثم إنه نظر في عمارة البلاد ، لا في عمارة دمشق ، فأطلق الغلال للفلاحين وألزمهم الزراعات فرخصت الأسعار وطابت نفوس الرعية (١) .

وفيها توفي :

أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبدالله بن الحسن

ابن علي بن أبي طالب ، عليهم الصلاة والسلام ، أبو الحسين جلال الدولة قاضي دمشق في أيام المستنصر ، وهو آخر قضاة المصريين بدمشق ، قال يوما ، وعنده أبو الفتيان ابن حيوس : وددت أبي في الشجاعة مثل جدي علي ، وفي السخاء مثل حاتم فقال له ابن حيوس : وفي الصدق مثل أبي ذر ، فخجل الشريف لأنه كان يتزيد في كلامه .

توفي بدمشق ، في ذي القعدة ، ودفن بداره ، ثم نقل إلى الباب الصغير وأنشد لغيره :

أعتقني سوء ماصنعت من الـ ... ـرق فيا بردها على كبدي
فصرت عبدا للسوء منك ... وماأحسن سوء قبلي إلى أحد

---

(١) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٧٤ ـ ١٧٦ .

اسماعيل بن علي — أبو محمد العين زربي الشاعر

سكن دمشق ، ومات بها ، ومن شعره :

وحقكم لا زرتكم في دجنة ... من الليل تخفيني كأني سارق
ولا زرت إلا والسيوف شوا ... هر علي وأطراف الرماح لواحق

وقال :

أحن إلى ساكنات الحجاز ... وقد تحجزتني أمور ثقال
بكيت فغاضت بحور الدمو ... ع كان لها من جفوني انتبال
وظن العواذل أني سلوت ... بفقد البكا وجاروا وقالوا :
حقيق حقيق وجدت السـ ... ـلو؟ فقلت : محال ، محال ، محال

وقال :

ألا ياحمام الأيك عيشك أهل ... وغصنك مياس وإلفك حاضر
أتبكي وما امتدت إليك يد النوى ... بمين ولم يذعر جناحك ذاعر (١)

محمد بن علي بن محمد بن أحمد — أبو علي الهاشمي

ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الحنبلي ، سمع الكثير ، وتوفي في ربيع الأول ، ودفن بباب حرب ، وكان سيدا ثقة .

مسعود بن المحسّن بن الحسن بن عبد الرزاق

أبو جعفر البياضي ، الشاعر البغدادي ، برع في الأدب ، وتوفي ببغداد في ذي القعدة ودفن بباب أبرز ، ومن شعره :

حبذا مسجدا بباب معلى ... ضخت (٢) فيه أعين القراء
كان للدرس والصلاة محلا ... فهو اليوم مجمع الأهواء

---

(١) : لم أقف على اسمه في الخريدة ولا أعرف له ديوان مطبوع .
(٢) : في ب ((ضحيت)) .

كم قتيل فيه بسهم لحاظ صرعته من رقله حوراء
وترانى إذا دخلت إليه أتخطى مصارع الشهداء

وقال :

إذا هبت له نسمات وجد يعيش بمرها ميت البعادي
إذا غنى به الحادي ركابا ترنحت الغوارب والهوادي
وطاب السير وانقضت القوافي وعادت بعد جدب كالنجاد
أحب القرب من سكان نجد وإن طابوا نفوسا بالبعاد
وأخلص في مودتهم ضميري وإن لم يعرفوا حتى الوداد
وقد أغلقت باب السمع عن من يبازله بألسنة حداد
اذا ركبوا ملامهم لعذلي ركبت هواي فى ذاك الجهاد
وعز علي أنهم صديق ألا قيهم ملاقاة الأعادي
ولكن الهوى فرس جموح يجاذبني العنان إلى الطراد

وقال :

يا من لبست بهجره ثوب الضنا حتى خفيت به عن العوادي
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت أجفان عيني كيف كان رقادي
إن كان يوسف بالجمال مقطع الأيدي فأنت مفتت الأكبادي

وقال :

قلت للعاذل لما جاءني من طريق العذل يبدي ويعيد
أيها العاذل لي في زعمه لا تزد نصحا لمن ليس يريد
فالذى أنت له مستقبح ما على إحسانه عندي مزيد
فإذا نحن تشاكينا الهوى فاستماع العذل شيء لا يفيد
حبذا الليل الذي أسهره فى هوى من هو عن ليلي رقود
وانعم أهلا بسربال ضنى جسدى يبلى به وهو جديد
وهنيئا لفؤادي إنه فى جهاد الأعين النجل شهيد

وقــال :

لئن كان ذاك الود كدر شربه … فحاشى لذاك القلب أن يتكــدرا
فلاتحسبنّ الود صار مهونــا … ولا أن معروف الهوى صار منكــرا
فوالله إني ذلك المخلص الذي … عزيز على الأيـام أن يتغيــرا
وإن تسعى رجلي نحو غيرك عن رضى … فلا برحت طول الزمان تعثــرا
وإن نظرت عيني إليــه بلــذة … فلاصافحت أجفانها لذه الكــرى

وكتب إلى القائم بأمر الله ، وكان قد استكتب أهل الذمة ، وضمن ابن فضلان اليهودي ضياعه ففتك في المسلمين :

يابن الخلائف من قريش والــذي … طهرت أصولهم من الأدنـاس
قلدت أمر المسلمين عدوهــم … ماهكذا فعلت بنو العباس (١)
حاشاك من قول الرعية : إنــه … ناس لقاء الله أو متناســي
ما العذر إن قالوا غدا : هذا الذى … ولى اليهود على رقاب الناس
أتقول : كانوا وفروا أموالنــا … فبيوتها قفر بلا إينــاس
لا تذكرن إحصاءهــم ماوفــروا … ظلما وتنسى محصي الأنفاس
وخف الجزاء غدا إذا وافيــت … ماكسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف مافيه إلا شاخــص … أو مهطع أو مقنع بالــراس
اعظامهم فيه الشهــود وسجنهم … نار وحاكمهم شديد البــاس
إن تمطل اليوم الديــون مــع … الغنى فغدا توفيها مع الافلاس
لا تعتذر عن صرفهــم بتعــذ … ر المتصرفين الحذق الأكيــاس
ماكنت تفعل بعدهم إن هلكــوا … فافعل وغدا القوم فى الأرماس

وقــال :

قل للذين هجوني إذ لهجت بهم … وصار ذكرهم يجري مع النفــس
صدوا وارضوا مجيبكــم إذا درست … أثار قبري جديداً غير مندرس
ماذا يضركــم أنــي أحبكــم … مع البراءة من عيب ومن دنس
إن كنت أذكر شيئا غير حبكـــم … ياسادتي فرماني الله بالخرس

---

(١) : زيد هذا البيت من ب .

وقــــال :

إن كنت بعدكم ألفت هجوعــا فحرمت سولي في اللقا سريعــا
أو ذقت حلوا غيــر ذكركم فــلا صدقت مناي أن نعــود جميعــا
لله ماصنع الفراق بقلــب من لا يستفيق صبابــة وولوعــا
اني ندمت على الفراق ندامــة ما انفك سني بعدها مقروعــا
لو قلت سل صارت جميع جوارحي في الحال ألسنة تقول رجوعــا

وقــــال :

لولا الخدود ولولا الأعين النجل ماتم قول لإبليــس ولا عمــل
إن العيون إذا استمكن من رجل فعلن فى القلب مالا تفعل الأسـل
ليس الهمام الذي يحمي مطيتــه يوم النزال ونار الحرب تشتعــل
لكنَّ من غضَّ طرفا أو ثنى بصرا عن الحرام فذاك الفارس البطــل

وقــال :

ياليلتي بذات الشيـح والضال ومنبت البان من نعمان عود الـي
ومرابع أترابـي بذي سلــم لهفي على ما مضى من عصرك الخالي
قد كان قلبي مأوى الســرور فمذ نأيتم صار مأوى كل بلبــال
فلو شريت بعمــري ساعــة سلفت من عيشى معكم ماكان بالغالي
مالي أعلل نفســي بالوقــوف على منازل أقفرت منكم وأطــلال
قد بدلت صامتا من ناطــق لشظ ونافر عاطرا من انسكم خالــي
أميت من حر أنفاسي خمائدهــا طورا وأبكى فأجيبها بتهمالــي
وابتغي من رسوم قد درسن بهــا رجع الكلام ومايفهم تسآلــي
أرتجى البرمنها وهي باليــة هيهات كيف يداوي باليا بالــي
من لي بكتمان ماألقاه من ألــم وظاهري معرب عن باطن الحــال
قالوا تشاغل عنا واصطفى بــدلا منا وذلك فعل الخائن السالــي
وكيف أشغل قلبي عن محبتكــم وغير ذكركم ياكل أشغالــي
ليهن قوما أطاعوا في أعاذلهــم أني على العهد فى عصيان عذالي

وقـــال :

قد حان من سفر الصدود قـدوم فإلى متى هذا الصدود يـــدوم

لم يبق منـي مايبين لناظـــــر إلا ثيـاب تحتهـن رســـــوم

لو أنها ظهرت لأقصـر عاذلـــي ولقال كيف يخاطب المعـــدوم

إن الذي يهوى ظلوم وينتهـــي عنها بقول عذوله لظلـــــوم

مالام فيها عادل فبدت لـــــه عمدا فأبصرها فكاد (١) يلـــوم

وقـــال :

أبثهم وجدي وهم بي أعلـــم وأرجو شفائـــي منهم وهم هـــم

وكم عذلوني فيهم غيـر مـــرة فقلت لهم والله بالصدق أعلـم

وجدتم ولكني وجدت عليكـــم لأنكم ماجدتم إذ وجدتـــــم

إذا كان قلبي موثقا في حبالكـم وجسمي لديكم كيف أفهم عنكـــم

فإن شئتم أن تعذلوا فترفقــوا إليّ أن يعود القلب ثم تكلـــم

وكتب إلى القائـم :

أمير المؤمنين نداء عبد يراك لصرف صرف الدهر أهــــــلا

فلي في الأرض متســع وقـوم ألاقي عندهم أهلا وسهـــــلا

ولست بضارع إلا إليكـــــم فأما غيركـم حاشا وكـــــلا

وهذا شرح حالــي فاستمعه فقد أنهيته والأمـر أعلـــى

وقـــال :

ألفت الضنا من بعدكم فلــو أنه تغيب عن جسمي حننت إليــه

وصار البكاء لي مؤنسا فلـــو أنه تباعد عن عيني بكيت عليـــه

وقـــال :

ليس لي صاحب معين ســـوى الليل إذا طال بالصدود عليـــا

أنا أشكوهم الحبيـب إليـــه وهو يشكو بعد الصباح إليـــا (٢)

---

(١) : في ب ((فكيــف))

(٢) : لم يذكره العماد في فريدته ولم أقف له على ديوان .

ناصر بن محمد بن علي — أبو منصور التركي والد محمد بن ناصر (١)

ولد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ الأدب واللغة ، وتوفي ببغداد في ذي القعدة ، شابا لم يبلغ ثلاثين سنة ، وكان صالحا ثقة ، ورثاه أبو عبدالله الحسين بن محمد البارع ، بقصيدة طويلة أولها :

سلام وأنى يرد السلاما ‏ ‏ ‏ معاشر في الترب أمسوار ماما
لدى البيض صرعى كأن الحمام ‏ ‏ ‏ سقاهم بكاس المنايا مداما
أأحبابنا في بطون الثرى مقيل ‏ ‏ ‏ لكم وإن أردتم مقاما
تبدلتم بالقصور القبور فـ ‏ ‏ ‏ بلين تلك الوجوه الوساما
ألا هل أرى لكم أوبـة ‏ ‏ ‏ وللشمل بعد الفراق التئاما
أرى كل يوم مطايا المنون ‏ ‏ ‏ تحث بكم موجدا أو بياما
تخبرني ضرائحكم أنها تضمن ‏ ‏ ‏ قوم عليها كراما
سلام على جدث بالعراق ‏ ‏ ‏ تغيب بالأمس فيه حساما
دفنت العلا والتقى والعفا ‏ ‏ ‏ ف والعلم فيه جهاما (٢)
أنا مُرُيفديكَ (٣) من لو أطاق ‏ ‏ ‏ دافع عنك المنايا وحامى
أنا مرلو أن لي ناصرا ‏ ‏ ‏ شننت على الموت موتا زؤاما
هو الدهر لا يتقى ضيمه ‏ ‏ ‏ بشيء فأجدر (٤) بأن لا يضاما
أنا ديك إذ لا تجيب الدعاء ‏ ‏ ‏ بمسمعه لو أطقت الكلاما
لقد خصني ياقريب (٥) الشبا ‏ ‏ ‏ ب فيك المصاب وعم الأناما
وأوجدني منك ريب المنون ‏ ‏ ‏ ضمان لم أشف منك الأواما
وكيف يطير قصيص (٦) الجنا ‏ ‏ ‏ ح خانته عند النهوض القداما

---

(١) : زيدة عبارة ((والد محمد بن ناصر)) من ب •
(٢) : في ب ((حماما))
(٣) : في ب ((أفديك))
(٤) : في ب ((فأحذر)) •
(٥) : في ب ((قرين))
(٦) : في ب ((قصاص)) •

وأطفي بالدمع نار الحشى ... ويأبى لها الوجد إن لا ضراما (١)
وكنت ألام على أدمعي ... فأيقنت بعدك أن لا ألاما
فلا استشعر القلب عنك ... السلو ولا ازداد بعدك إلا هياما
وإذا رام صبرا تمثلتُ فيه ... فأقصى خيالك ذاك المراما
وما أنا من بعد علم اليقين ... أحسب يومك إلا مناما
لقد كنت غرة وجه الزمان ... فقد عاد من بعد بشر جهاما
وكنت على تاجه درة ... تضيء الدجى وتزين النظاما
فأضحى بك الدهر (٢) مستأثرا ... وحللنا بعد نور ظلاما
وضن بك الدهر عن أهله ... فمت حميدا ولم تلق ذاما
وأيقنت أن الدنيا للفنا ... فأعظمت (٣) في الخلد عيشا دواما
لتبك عليك فنون العلوم ... فقد كنت في كل فن إماما
وما كنت الا قريع الزمان ... والناس بعدك إلا سواما
ألا لا أرى مشكلات الأمور ... يزددن بعدك إلا انعجاما
فمن ذا يفرج عنا الهموم إذا ... ازدحمت في الصدور ازدحاما
ومن للمجالس صدر سواك ... وإذا اضطربت أبحر العلم عاما
ومن للمحاريب أهل سواك ... وقد ما تقدمت فيه غلاما
تجاوزت في العلم حد ... الشيوخ وكل (٤) سنيك ثلاثين عاما
ولم أر كاليوم بدرا سواك ... عاجل فيه السوار التماما
فحاشى لسانا تلا ماتلوت ... يصبح للسدود (٥) يوما طعاما
وهون وجدي أني غدا ... كما قد لقيت ألاقي حماما
وأن سوف يجمعنا موقف (٦) ... ترى الخلق في حافتيه قياما
عليك السلام فإني امرؤ ... على القرب والبعد أهدي السلاما (٧)

---

(١) : في ب ((أو لا ما)) ·
(٢) : في ب ((الله)) ·
(٣) : في ب ((فأعطفت)) ·
(٤) : في الأصل : وكان سبيل ، وهو تصحيف قوم من ب ·
(٥) : في الاصل ((للصدود)) وهو تصحيف قوم من ب ·
(٦) : في الأصل ((وقوف)) وهو تصحيف قوم من ب ·
(٧) : لم أقف له على ديوان ولم أجده لا في دمية القصر ولا في الخريدة ·

السنة التاسعة والستون والأربعمائة

فيها في صفر غلب على المدينة محيط العلوي ، وأعاد خطبة المصريين ، وطرد منها الحسين بن مهنا أميرها ، فقصد خراسان إلى ملك شاه ، ونظام الملك ، وكان قد أساء السيرة ، ووضع على الواردين لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إتاوة ، فقامت الشناعة عليه ، واجتمعت القبائل مع محيط بهذا السبب .

وفي ربيع الأول توفي رئيس العراقين ، أبو أحمد بن عبد الواحد بن الخضر النهاوندي ، على باب ملك شاه بأصفهان .

وفيه سار ملك شاه إلى خوزستان ، ودخل البصرة ، فأقام يوما واحدا ، لمشاهدة المد والجزر .

وفي ربيع الآخر تزوج الأمير فرامرز بن كاكويه الديلمي ، بأرسلان خاتون عمة السلطان ، وزوجة القائم ، وحمل إليها مائتي ثوب أصنافا ، وعشرة آلاف دينار ، ودخل بها .

وفيه ورد كتاب أتسز الخوارزمي ، وتاريخه سلخ صفر ، من أول الجفار ، بأنه قد سار إلى مصر .

وفيه زادت دجلة زيادة عظيمة ، ونقل تابوت القائم من الدار إلى الرصافة في الليل ، خوفا عليه من الماء ولم يعلم به أحد .

وفيه سار أرتقُ بك التركماني وأبوه أكُسك سلار فقطع حلوان إلى القطيف ، ومر على البصرة ، فنهب أصحابه مامروا به ، فأغلقت أسواقها ، وسدت أبواب دروبها ، وعدم الناس الماء ثلاثة أيام ، وخرج إليه أعيان أهلها ، وقبحوا عليه مافعل ، وطلب منهم الجمال والروايا والزاد ، والمال ، ليذهب إلى الأحساء ، فأعطوه بعض ماطلب ، وسار منها في رجب الى القطيف ، فوجد يحيى بن العباس الخفاجي صاحبها ، قد أخلاها ، ومضى إلى جزيرة أوال ، وتجشم أرتق إلى الأحساء فنهبها ، وكان بقلعتها جماعة من القرامطة ، فراسلوه وخدعوه ، وقالوا : نحن نعطيك عشرة آلاف دينار ، ونخطب للخليفة والسلطان ، فأجابهم ، فقالوا : أبعد عنا مدة قريبة ، ليتراجع الناس ، ونجمع المال ، وأعطوه رهائن ، فرحل عنهم ، فخرجوا إلى آبار غامضة في بساتينهم مطوّة طعاما فنقلوها إلى البلد ، وعلم أرتق أنهم خدعوه ، فعاد إليهم ، وقتل من الرهائن عدة ، واحتبس منهم من رأى عنده رأيا ، وأخرب السواد ونهب القرى ، وامتلأت أيدي من معه من النهب ، وقاسوا من شدة الحر ماحطهم على طلب نفورهم ، وكان هناك رجل يقال

لـه عبد الله بن علي الغنوي عدوا للقرامطة فأخذ أرتق ولده معه رهينة ، ورتب معه مائتي فارس من التركمان ، وأقام على حصار الأحساء ، وكان للغنوي في تلك الأرض حصن يعرف بالمحصنة ، وهو من بني أبي البهلول المتغلب على جزيرة أوال ، والحصن قريب من الجرعاء ، وقلت الغلال بها ، ولا يعرف أهلها القوت ألا من التمر والسمك ، ويطعمون بهائمهم ذلك ، والحنطة متعذرة عندهم ، فاشتد الغلاء ، وبلغ رطل السمك الجرعائي مائتي درهم رصاصا ، ومعاملتهم بالرصاص ، يبلغ الدينار إلى ثمانية عشر ألف درهم ، وإلى عشرين ألف بدينار ، وعاد باقي التركمان الى البلاد .

وفي رجب ، أغار خطلج على بني خفاجة ، وكانوا على وادي الشباك (١) بالحجاز ومعه غزية وزبيد ، فخرج خطلج من الكوفة ، وصحبه جماعة من التركمان طمعا في النهب فقال لهم : المال لكم ، والنساء لي ، فلاتتعرضوا للحريم ، فقالوا : نعم ، وساروا في البرية ثلاثة أيام ، فصبحهم وقت السحر ، ودق الطبول ، وضربت البوقات ، فركبوا خيولهم ، وانهزموا ، وجاء هو إلى الحلل ، فأسبل أبواب البيوت ، وحمى من فيها من النساء ، وماعندهن من الأموال ، ونهب التركمان الجمال والغنم ، ولم يمكن أحدا من رفع سجاف على امرأة ، وكان عدد الجمال خمسة آلاف جمل ، وأما الغنم فلاتحصى ، غير أنها لم تتبعهم لضعفها ، ورجع يطلب الكوفة ، فرأى مع أصحابه من الإماء ثلاثا ، فأنكر عليهم ، فقالوا : هؤلاء سألننا أن نأخذهن لنخلصهن من خدمة (٢) العرب ، فقلن نعم ، فقال : لا ، وردهن إلى العرب .

وفي رجب عاد أتسز الخوارزمي إلى دمشق منهزما من القاهرة في خمسة عشر فارسا ، وقد نهبت أمواله ، وقتلت رجاله ، وكان لما تسلم دمشق تصور في عزمه قصد مصر ، فجمع من التركمان ، والأكراد ، والعرب ، عشرين ألفا ، ووصل إلى الريف ، وأقام نيفا وخمسين يوما ، يجمع الأموال ، ويسبي الحريم ، ويذبح الأطفال ، وهو يراسل بدر الجمالي ، ويطلب المال ، وقد انزعج الناس ، وكان عسكر مصر بالصعيد ، يحارب العبيد ، فضمن له بدر مائة وخمسين ألف دينار ، واستدعى من كان بالصعيد من العساكر والسودان ، وكان مع أتسز بدر بن حازم الكلبي ، في ألفي فارس ، فاستماله بدر فانتقل إلى القاهرة ، وورد القاهرة ثلاثة آلاف رجل في المراكب لنية الحج ، فقال لهم بدر : دفع هذا العدو أفضل

---

(١) : الشباك موضع في الحجاز بعيدا عن المدينة وهو ايضا طريق الحاج من البصرة على أميال منها ، معجم البلدان .

(٢) : في ب ((أيدي)) .

من الحج ، وأعطاهم المال والسلاح ، وقال لوالد شكلي التركماني الهارب من أتسز ، كاتب التركمان ، فكاتبهم ، وأفسد منهم نحوا من سبعمائة غلام ، وكانوا كارهين لأتسز من شحه وعسفه ، واتفقوا أن الحرب متى قامت استأمنوا إلى بدر ، وسار أتسز إلى القاهرة في أواخر جمادى الآخرة ، فأرسل بدر ألفي فارس يصدمونه ، حتى يستأمن من أفسد هم أبو شكلي ، فلم يستأمن أحد وكسرهم أتسز ، فرجعوا مفلولين إلى القاهرة ، وكان قد التجأ إليها أهل الضياع والأصقاع ، ومصر ، والتجار ، فوقفوا على باب القصر باكين صارخين ، فخرج من المستنصر خادم ، فقال : يقول لكم أمير المؤمنين : انما أنا واحد منكم ، وعوض ماتتضرعون على بابي ، وتبكون ، فارجعوا إلى الله تعالى ، وتضرعوا له ، ولازموا المساجد ، والجوامع ، وصوموا ، وصلوا ، وأزيلوا الخمور والمنكرات فلعل الله أن يرحمني وإياكم ، ويكشف عنا ماقد نزل بنا ، فعاد الناس إلى المساجد والجوامع ، وخرجت النساء كاشفات الوجوه ، منشرات الشعور ، يبكين ويستغثن ، والرجال يقرأون القرآن ، وكان بدر الجمالي قد هيأ المراكب ، والسفن ، إن رأى غلبة نزل منها إلى الاسكندرية ، وكذا صاحب مصر ، فضج الناس ، وقصدوا باب القصر ، وقالوا : تمضي أنت وبدر في السفن ، ونهلك نحن ؟ فخرج الجواب : إني معكم مقيم ، فإن مضى أمير الجيوش إلى حيث يطلب السلامة ، فها هنا من السفن مايحملكم ، مع أنني واثق من الله بالنصر ، وعندنا في الكتب السالفة أن هذه الأرض لاتؤتى من الشرق ، ومن قصدها هلك ، فلما كان وقت السحر خرج بدر إلى ظاهر القاهرة ، والعسكر معه ، وأقبل أتسز في جحافله ، والدبادب والبوقات بين يديه ، فرأى بدر مالم يظن له به طاقة ، وكان بدر قد أقام بدر بن حازم من وراء أتسز كمينا في ألفي فارس ، فخرج من ورائهم ، فأخذ البغال المحملة ، وضرب النار في الخيم والخركاوات ، واستأمن إلى والد شكلي السبعمائة الغلام وكانوا في الميسرة ، وحمل بدر على الميمنة فهزمها ، وحمل السودان على القلب ، وفيه أتسز ، فانهزم وقتل من كان حوله ، وتبعهم السودان والعرب أسرا ، وقتلا إلى الرمل وغنموا منهم غنائم لم يغنمها أحد قبل ذلك ، وكان فيما أخذ : ثلاثة آلاف حصان ، وعشرة آلاف صبي وجارية ، وأما من الأموال والثياب فما لايحصى ، وأقاموا مدة شهر رجب يحوزون الأموال ، والخيل والأمتعة ، والأسارى ، وجاء العسكر وأهل البلاد إلى باب القصر ، فضجوا بالأدعية ، فخرج إليهم جواب المستنصر : قد علمتم ماأشرف عليكم من الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، الذى لم يخطر في نفوسنا القدرة على دفعه ورده ، حتى كشفه الله تعالى ومايجب أن يكون في مقابلته إلا الشكر لله تعالى ، على نعمته ومتى وجد إنسان على فاحشة ، كان دمه وماله في مقابلة ذلك ، ثم وجد بعد ذلك ستة سكارى ، فأخذوا

وخنقوا ، وزال ماكان بمصر من الفساد ، ولازموا الصلوات ، وقراءة القرآن .

ومضى أتسز في نفر يسير ، فلما وصل غـزة ثار أهلها به ، وقتلوا جماعة ممن كـان معه ، فهرب إلى الرملة ، فخرج إليه أهلها فقاتلوه ، وقتلوا بعض من كان معـه ، فهرب إلى دمشق في بعض عشرة نفسا ، فخرج إليه ولده وسمار أحد أمراء الكلبيين ، وكان قـد استخلفهما بدمشق في مائتي فارس من العرب ، وكان وصوله في عاشر رجب ، فنزل بظاهرها في مضارب ضربها له مسمار ، وخرج إليه أهل البلد فخدموه ، وهنوه بالسلامة ، وشكـوه ، فشكرهم وأطلق لهم خراج تلك السنة ، وأحسن أليهم ، ووعدهم بالجميل فقام واحد مـن الأعيان فقال : أيها الملك العادل (١) - وبه كان يخاطب ، ويخطب له - قـد حلفت لنا ، وحلفنا لك ، وتوثقت منا ، وأنا والله أصدقك وأنصحك ، قال : قل ، قـال : قد عرفت أنه لم يبق في هذا البلد عشر العشر ، من الجوع ، والفاقة ، والفقر ، والضعـف ، ولم يبق لنا قوة ، ومتى غلقت أبواب هذا البلد من عدو قصده ، ورمت منا منعه أو حفظـا فان كنت مقيما بيننا ، فنحن بين يديك مجتهدون ولك ناصحون ، وإن بعدت عنا ، فـلا طاقة لنا بالقتال ، مع الفقـر والضعف ، فلا تجعل للعدو سببا لهلاكنا ومؤاخذتنـا فقال : صدقت ونصحت ، وما أبعد عنكم ، ولا أخليكم من عسكر يكون عندكم ، ثم أقام بدمشـق وجاءه التركمان من الروم ولم يستخدم غيرهم ، وعصى عليه أهل الشاك ، وأعادوا خطبـة صاحب مصر في جميع الشام ، وقاتل المصامدة والسـودان ، وكان أتسز وأصحابه قد تركـوا أموالهم وأولادهم بالقدس ، فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على أموالهـم ونسائهم فنهبوها ، وقسموا التركيات بينهم ، واستعبدوا الأحرار من الأولاد واسترقوهـم فخرج من دمشق فيمن ضوى إليه من التركمان ، ووصل إلى قريب القدس ، وراسلهـم وبذل لهم الأمان ، فأجابـوه بالقبيح ، وتوعدوه بالقتال ، فجاء بنفسه إلى تحت السـور ، وخاطبهم ، فسبوه فقاتلهم يوما وليلة ، وكان ماله وحرمه في برج داود (٢) ورام السودان والمصامدة الوصول إليهم فلم يقدروا ، وكان في البرج رتق إلى ظاهر البلـد فخرج أهله منه أليه ، ودلوه عليه ، فدخل منه ، ومعه جماعة من العسكر وخرجـوا من المحراب ، وفتحوا الباب ، ودخل العسكر فقتلوا ثلاثة آلاف إنسان ، واحتمى قوم بالصخرة والجامع ، فقرر عليهم الأموال ، حيث لم يقتلهم لأجل المكان ، وأخذ من الأموال شيئـا

(١) : المشهور أنه كان يلقب نفسه بالملك المعظم ولعله حين خوطب بالعادل هنا من باب إطلاق صفة العدل عليه وليس لقبه الذي شهر به انظر : ترجمته مـن كتاب المقفى للمقريزي في ملاحق مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص : ٢٦٥ـ ٢٦٨ .

(٢) : أصل قلعة القدس فيما بعـد .

لا يبلغه الحصر ، بحيث بيعت الفضة بدمشق كل خمسين درهما بدينار ، مما كان يساوي ثلاثة عشر درهما بدينار ، وقتل القاضي والشهود صبرا بين يديه ، وقرر أمور البلد ، وسار إلى الرملة ، فلم ير فيها من أهلها أحدا ، فجاء إلى غزة ، فقتل كل من فيها ، فلم يدع بها عينا تطرف ، وجاء إلى العريش فأقام فيه ، وبعث سرية ، فنهبت الريف ، وعادت ، ثم مضى الى يافا فحصرها ، وكان بها رزين الدولة فهرب هو ومن كان فيها إلى صور ، فهدم أتسز سورها ، وجاء كتابه إلى بغداد ، بأنه على نية العود إلى مصر ، وأنه يجمع العساكر ، ثم عاد الى دمشق ، ولم يبق بها من أهلها سوى ثلاثة آلاف إنسان ، بعد خمسمائة ألف أفناهم الفقر والغلاء ، والجلاء ، وكان بها مائتان وأربعون خبازا ، والأسواق خالية ، والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار ، ينادى عليها عشرة دنانير ، فلا يشتريها أحد ، والدكان الذي يساوي ألف دينار مايشترى بدينار ، وكان الضعفاء يأتون إلى الدار الجليلة ذات الأثمان الثقيلة ، فيضربون فيها النار فتحترق ، ويجعلون أخشابها فحما يصطلون به ، وأكلت الكلاب والسنانير ، وكان الناس يقفون في الازقة الضيقة ، فيأخذون المجتازين فيذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم وكان لامرأة دارات ، قد أعطيت قديما في كل دار ثلاثمائة دينار ، أو أربعمائة ، ولما ارتفعت الشدة عن الناس ، ظهر الفار فاحتاجت إلى سنور ، فباعت احدى الدارين بأربعة عشر قيراطا ، واشترت بها سنورا .

وفي شوال وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة ، وسببها أنه ورد إنسان يعرف بأبي نصر بن عبد الكريم القشيرى النيسابوري الواعظ المتكلم على مذهب الأشعري فجلس في المدرسة النظامية ، وخلط وعظه بالكلام ، وذم الحنابلة ، وتكلم في القرآن فأنكرت الحنابلة ذلك ، وعن لأبي إسحق الشيرازي إمام الشافعية وأصحابه ، معونته على الحنابلة ، وتتبع بعضهم بعضا في الطرقات ضربا وسبا ، فالشافعية لقلة عددهم اعتضدوا بنظام الملك ، وأما الحنابلة مع كثرة عددهم فتقووا بسواد البلد ، وكان في يوم مجلس ابن القشيري يحضر قوم من اليهود والنصارى ويرغون بما يعطون ، فيسلمون ويخلع عليهم ، ويحملون على الخيل ، ويطاف بهم ، فتقول العوام : هذا إسلام المغايظة والرشى ، لا إسلام الدين والتقى ، وزاد الأمر فيما بينهم ، وحبس جماعة ، وكتب أبو اسحق الى نظام الملك يشكو من الحنابلة ، ويستدعي منه معونة ، وبعث جماعة بكتبه ، وكان أبو جعفر عبد الخالق بن أبي موسى الهاشمي متقدم الحنابلة في الرصافة ، فبان له من شحنة بغداد ، ويعرف بالسلار الفاروقي تعصب عليه ، خدمة لنظام

الملك ، وبلغه أن ابن القشيري على عزم قصد جامع الرصافة يوم الجمعة ، ومعه الشحنة، فخاف وجاء إلى دار الخليفة شاكيا ، وأقام بباب المراتب أياما ، ثم مضى إلى مسجده بباب النوبى ، فأقام به على عادته ، وجلس ابن القشيري يوم الأربعاء سادس ذي القعدة بالنظامية على عادته ، وحمل إليه يهودي فأسلم ، وخرجوا معه ، وقصدوا باب النوبى ، وعزموا على الهجوم على ابن أبي موسى في مسجده ، فرتب ابن أبي موسى أصحابه على سطح المسجد ، وبابه وجوانبه ، فلما وصلوا رماهم الحنابلة بالاجر من سطح المسجد ، فقتل واحد من الشافعية خياط من سوق الثلاثاء ، وجرح آخرون ووقع في صاحب الباب آجرة ، وانهزم الشافعية ، وغلقوا ابواب النظامية ، ونهبت عمائم الناس ، وصاحت الشافعية على باب النوبى : المستنصر يامنصور ، تهمة للمقتدي أنه يميل إلى الحنابلة ، وأدخل ابن أبي موسى إلى دار الخليفة وأسكن في موضع حراسة له وحجرا عليه ، وكفا للفتنة ، وغضب أبو اسحق الشيرازي وجمع أصحابه ، وعزم على الخروج من البلد ، فبعث الخليفة من رده وأحضر ابن القشيرى ، وأبا سعيد الصوفي وأبا اسحق ، وابن أبي موسى إلى الديوان ، وأصلحت الحال ، ووقع التراضي بأن ابن القشيرى يجلس بجامع القصر ، مجلسين أو ثلاثة ، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذى القعدة ، جلس بالجامع ، وبعث الخليفة جماعة من الرجالة بالسلاح يحفظونه من العوام ، وشرع في الوعظ وخلط بكلام الأشعري ، فقام رجل أعمى ووقف بإزائه ، وانتزع آيات من القرآن مثل : ((وكلم الله موسى تكليما)) (١) ((يوم يكشف عن ساق)) (٢) ((ويبقى وجه ربك)) (٣) وما أشبه ذلك فشكا ابن القشيري إلى ابن جهير ، فحبس الأعمى ، والفتن قائمة في الأسواق ، ووردت رسل أبي اسحق الشيرازي ، في المحرم سنة سبعين ، ومعهم كتابان إلى فخر الدولة ابن جهير ، وابنه عميد الدولة أبي منصور، فمضمون كتاب فخر الدولة : كتابي أطال الله بقاء سيدنا الوزير ، الأجل ، المنيد مؤيد الدين ، فخر الدولة ، شرف الوزراء ، أدام الله رفعته ، وتمكينه ، وبسطته ـ وذكر ماجرت به العادة من الدعاء ، قال : بلغنا ماتجدد ببغداد من القضايا المتعلقة بالدين التي تظهر في ابنائها على الصدفة ، واعتقاد المداهنين ، يشعر بأن الضمائر المنطوية على النفاق ، أبت إلا ماتكنه ، والسرائر المعقودة على الخلاف والغل لم تصبر على استحفاظ ماتجنه ، حتى ورد إثر ذلك ، عدة من الفقهاء ، ونفر من العلماء ،

---

(١) : سورة النساء الاية : ١٦٤.
(٢) : سورة القلم الآية : ٤٢
(٣) : سورة الرحمن الاية : ٢٧.

فأوضحوا ما يجرى هناك • مما كانت تخفي حقيقته وحيلته ، ومـ ظهرت بذلك صورته ولعمري ان هذه الطائفة = يعني الشافعية = اذا قلت أعوانهم ولم يجدوا فيما دهمهم من ينصرهم ، ويظافرهم ، ولم يقم معهم فيما حزبهم من يوازرهم، فانهم كانوا لم يزالوا مقدمين معززين مكرمين فلم يصبحوا أغراضا لسهام النوائب ، يطعن فيهم كل مخالف

ومجانب ، لا يرعى لهم حرمة ، ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة ، غير اعتقاد المذهب الذي هم به موسومون ، ومن علومه يتعلمون وقد بنينا لهم مدرسة ، تصير مأواهم ، يتخذونها في السراء والضراء مثواهم ، وان هؤلاء الذين ينتحلون مذهب أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ وان كان هو بريئا من سوء دخلهم ، وأفعالهم منتفيا من ذميم طرائقهم وأقوالهم مع كثرة عددهم في تلك البقعة ، واشتداد شوكتهم ، واتفاق أقاويلهم في الضلال ، وكلمتهم ، لم يتجاسروا في زمن من الأزمنة ، على ما جعلوه الان بينهم ، سورة يتدارسونها وصيغة يمارسونها ، من سب الأئمة ، والوقيعة في علماء الأمة ، من غير منع ، ولا معاقبة ولا تخوف ، ولا مراقبة ، والعجب من إقدامهم في تلك البقعة الحرجة ، على أهل السنة ، والقائهم اياهم في كل محنة ، وعندنا بخراسان ، وبلاد الترك ، مع تباعد أقطارها ، واتساع أكوارها ، لا يعرف فيها سوى مذهب الإمامين الشافعي وأبي حنيفة، ومن سمع منه كلمة عوراء ، في سائر كورها ، تخالف المذهبين ، وتباين اجتماع الفريقين، نرى دمه حلالا ، ونوسعه ضربا وإذلالا ، وليس إلا غضاء عما يبدو منهم من البدع ، ويضاف إليهم من شر مجتمع ، إلا ترفقا أن يجري في جوار الخليفة ، وسدة الإمامة المكرمة مايحل بلوازم الهيبة ، ويثل جوانب التعظيم ، والرتبة ، وأما مايخصني أنا في ذلك البلد ، فما أجد أصلح من حسم القول فيما يتعلق بتلك المدرسة ، لئلا يجري على من يتفيأ ظل عنايتي ، ويلحظ بعين رعايتي ، مايجري ، وذكر عتابا طويلا ممزوجا بتهديد ، وكذا كتاب عميد الدولة•

وحكى أبو الفتح الحلواني ، وكان قد حضر هذه القضية : أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه ، عند نظام الملك ، أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما يحسم به الفتنة ، فاستدعى ابن جردة ، وأمره بإحضار الشريف أبي جعفر ، وأبي اسحق الشيرازي وابن القشيري ، وأبي سعيد الصوفي على وجه التلطف ، فأحضرهم ، فعظم الوزير أبا جعفر بن أبي موسى ، ورفعه ، وقال : إن أمير المؤمنين قد ساءه ماجرى وهؤلاء يصالحونك على ماتريد ، وأمرهم بالدنو من الشريف ، فقام أبو اسحق الشيرازي إليه ، وقد كان يتردد إلى مسجده أيام المناظرة بدرب المطائح فقال له : أنا الذي تعرف ، وهذه كتبي في أصول الفقه ، أقول فيها خلافا للأشعرية ، ثم قبل رأسه ، فقال له الشريف : قد كان ماتقول ، الا أنك لما كنت فقيرا لم تظهر لنا مافي نفسك

فلما جاء الأعوان ، والسلطان ، وخواجا برزك أبديت ماكان مخفيا ، ثم قام أبو سعيد الصوفي ، وقبل يد الشريف ، وتلطف به ، فالتفت الشريف إليه ، وقال : أيها الشيخ ، أما الفقهاء إذا تكلموا في الأصول فلهم في مسائلها مدخل ، أما أنت فصاحب لهو وسماع وتعبير ، فمن زاحمك على ذلك حتى أقمت الفتن ، وسوق التعصب ، وقام ابن القشيرى وكان أقلهم احتراما للشريف ، فقال الشريف : من هذا ؟ فقيل : أبو نصر بن القشيرى فقال : لو جاز أن يشكر أحد على بدعته ، لكان هذا الشاب ، لأنه باد هنا بما في نفسه ولم ينافقنا ، كما فعل هذان ، ثم التفت إلى الوزير ، وقال : أي صلح بيننا ؟ انما يكون الصلح بين خصمين على ولاية ، أو دين ، أو قسمة ميراث أو تنازع في ملك ، فأما هؤلاء القوم فيزعمون أننا كفار ، ونحن نعتقد أن من لا يعتقد مانعتقده ، فهو كافر ، وهذا الامام مفزع المسلمين ، وقد كان جده القادر ، وأبوه القائم ، أخرجا اعتقادا للناس ، وقرئ عليهم في دواوينهم ، وحمله عنهما الخراسانيون والحجيج إلى أطراف خراسان ، ونحن على اعتقادهم ، فأنهى الوزير إلى الخليفة ماجرى ، فخرج الجواب ، عرف ماأنهيته من حضور ابن العم ، كثر الله في الأولياء مثله ، وحضور من حضر من أهل العلم ، والحمد لله على جمع الكلمة ، وضم الألفة ، فليؤذن للجماعة في الانصراف ، وليقل للشريف : إنه قد أفرد له موضع قريب من الخدمة ليراجع في كثير من الأمور الدينية ، وليتبرك بمكانه ، فلما سمع الشريف هذا ، قال : أفعلتموها ؟ فحمل إلى موضع أفرد له ، فكان الناس يدخلون عليه مديدة ، فقيل له : قد كثر استطراق الناس لدار الخلافة ، فاقتصر على (١) من تعين دخوله ، فقال : مالي غرض في دخول أحد عليّ ، فامتنع الناس عنه ، ثم مرض مرضا أثر في رجليه ، فانتفختا فيقال : ان بعض المتفقهة من الأعداء ترك له في مداسه سما ، وسنذكره إن شاء الله تعالى .

وخرج ابن القشيري إلى الحج ، وسكنت الفتنة ، وكتب ابن أبي الصقر إلى نظام الملك يقول :

يانظام الملك قد حل ببغداد النظام ... عظم الخطب وللحرب اتصال ودوام
وابنك قاطن فيها مستهان مستضام ... وبها أودى له قبل غلام وغلام
والذي تبقى منهم سالما فيه سهام ... ياقوام الدين لم يبق ببغداد مقام
فمتى لم تحسم الداء يكفيك الحسام ... وتكف القوم في بغداد فتك وانتقام

فعلى مدرسة فيها ومن فيها السلام

(١) بداية سقط من ب .

فلما وقف نظام الملك على الرقعة ، حنق على ابن جهير ، وقد كان النظام يعلم ميل الخليفة إلى الحنابلة ، وبغضه للأشاعرة ، ولكنه كان يساتر الأمور، ولا يمكنه ان يصرح بذلك ، وكان في الباطن يحرض ملك شاه على الخليفة والوزير.

وفيها أزال الخليفة المواخير ، ونفى المفسدات ، وكانت مغلة للشحنة ، فأعطاه من عنده ألف دينار.

وفي ذي القعدة خرج أبو طالب بن أبي تمام الزينبي إلى مكة، لأخذ البيعة للخليفة والسلطان ، وخرج معه خطلخ أدراز ، أمير الكوفة ، وكان ذلك مخالسة، وماعلم به من أصحابه إلا رجلان ، أو ثلاثة ، فتبعوه ، وحج وعاد مع الزينبي ، وخلعا على أمير مكة .

وفي ذى القعدة بعث سابق بن محمود ابن الزوقلية ، صاحب حلب إلى أنطاكية ، بأحمد شاه والتركمان ، الذين معه ، وعدد كثير من بني كلاب ، وأحداث حلب ، فحصروها ، فبلغ الخبز بها رطلين بدينار ، وقرروا عليها مائة وخمسين ألف دينار وقبضوها وعادوا عنها .

وفيها توفي :

اسفهدوست بن محمد بن الحسن

أبو منصور الديلمي ، الشاعر ، كان يهجو الصحابة — رضي الله عنهم ، والناس، ثم تاب ، وحسنت توبته ، فقال :

لاح الهدى فجلا عن الأبصار ... كالليل يجلوه ضياء نهار
ورأت سبيل الرشد عيني بعد ما ... غطى عليها الجهل بالأستار
لابد فاعلم للفتى من توبة ... قبل الرحيل إلى ديار بوار
يمحو بها ماقد مضى من ذنبه ... وينال عفو إلهه الغفار
وعلمت أنهم هداة قادة ... وأئمة مثل النجوم دراري
وعدلت عما كنت معتقدا له ... في الصحب صحب نبيك المختار
السيد الصديق والعدل الرضى ... عمر وعثمان شهيد الدار
وعلي الطهر المفضل بعدهم ... سيف الإله وقاتل الفجار
صحب النبي الغر بل خلفاؤه ... فينا بأمر الواحد القهار
رحماء بينهم فتلك صفاتهم ... وردت أشداء على الكفار

وتراهم من راكعين وسجدا يستغفرون الله بالأسحار
أيقنت حقا أن من والاهم سيفوز بالحسنى بدار قرار
فعدلت نحوهم مقرا بالولا ، ومخالفا للعصبة الأشرار
مترجيا عفو الإله ومحوه ماقدمته يدي من الأوزار
وإذا سئلت عن اعتقادي قلت : ماكانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعد محمد صديقه وأنيسه في الغار
ثم الثلاثة بعده خير الورى أكرم بهم من سادة أطهار
هذا اعتقادي والذي أرجو به فوزي وعتقي من عذاب النار (١)

وكانت وفاته في ربيع الأول ، ودفن بباب أبرز .

حمزة بن علي — أبو يعلى العين زربي الشاعر

كان فصيحا ، فاضلا ، دينا ، ولما فتح أتسز بن أوق القدس ، وقتل بها ذاك العالم العظيم ، كان حمزة بالقدس ، فقتل بالحرم في شوال ، رحمة الله تعالى ومن شعره :

ياراكبا يقطع عرض الفلا بلغ أحبائي الذي تسمع
قل لهم ماجف لي مدمع ولا هنا لي بعدكم مضجع
ولا لقيت الطيف مذ غبتم وإنما يلقاه من يهجع

وقال :

تناسيتم عهد الورى بعد تذكار فأجرى حديثي عندكم دمعي الجاري
وأنكرتم بعد اعتراف مودتي فهيجتم وجدي وأضرمتم ناري
وهل دام في الأيام وصل لهاجر وود لخوان وعهد لغدار
أما حاكم لي في هواكم بقتلي أما واحد لي بعد سفل دمي ثاري
وإني لصبار على ماينوبني ولكن على هجرانكم غير صبار

طاهر بن أحمد بن باب شاد — أبو الحسن النحوي المصري

صاحب المقدمة المشهورة ، كان عالما فاضلا ، وله تصانيف في النحو ، وسمع الحديث ، ورواه وقرئ عليه الأدب بجامع مصر سنين ، صعد يوما إلى سطح جامع مصر ، فوقع فمات من ساعته ، في رجب .

---

(١) : لم أقف له على ديوان وليس بين شعراء دمية القصر ولا الخريدة .

السنة السبعون والأربعمائة

في ثالث المحرم قتل السلطان جلال الدولة ملك شاه أغو ابن أتابك صاحب الجيش، وقد كان عصى عليه ·

وفي يوم الخميس النصف من صفر، قدم مؤيد الملك ، أبو بكر بن نظام الملك إلى بغداد ، وخرج إلى لقائه الوزير فخر الدولة بن جهير ، وولده عميد الدولة ، وجميع الخدم والحجاب ، إلى الحلبة ، وجاء الى بيت النوبة ، فخدم وانصرف ·

وفي يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول ، توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد ابن البيضاوي الشافعي العائد من غزنة ·

وفي ربيع الأول ظهر في السماء حمرة مستديرة كنصف دائرة كبيرة ، ثم عقبها ريح شديدة ورعد وبرق شديد ، ووقعت منه صاعقة في محلة التوثة ، غربي بغداد ، على نخلتين في مسجد ، فأحرقتهما ، واشتعلت سعفهما وكرمهما ، وليفهما ، وأخذ الصبيان من السعف والنار تشتعل فيها ، وهي تقد كالشمع وأطفئت النار·

وفيه جاء خطلج أدراز ، أمير الكوفة إلى الديوان ، يطلب تشريفا وكان قد ظلم أهل الكوفة ، وأخذ أموالهم ، فقيل له في الجواب : ماتقدم منك مايوجب ذلك ، ولا مايقتضيه فخرج مغضبا ، وعاد الى الكوفة ، واجتاز بدهر الملك فقبض على نائب الخليفة في ضياعه ، وأخذه معه إلى الكوفة ، ثم أطلقه ، فكتب الوزير إلى نظام الملك بما جرى وما أقدم عليه خطلج من خرق الهيبة·

فكتب نظام الملك من ديوان ملك شاه كتابا إلى خطلج ، يوبخه ويلومه ، ويقول : أيها السلار سيف الدولة ، وفقك الله للرشد ، إن قوام الدين والدنيا ، ومصالح البلاد ، والعباد ، وسكون الدهماء ، ونظام الأحوال كلها ، معقودة بأبهة المواقف الشريفة ، المقدسة النبوية ، الإمامية المقتدية ، ظاهر الله مجدها ، وقمع ضدها ، التي هي الظل الظليل في أرضه ، ورحمته على خلقه ، وجميع مايشطنا ، ويصفو لنا ، ويضفوا علينا من عوارف الله ومواهبه ، ونعمه وعوائده ، فمن أيامها الزاهرة ، ودولتها القاهرة ، وبركات توفرنا على عوديتها ، وقيامنا بفروض طاعتها ، وانتسابنا أين كنا ، وحيث حللنا ، إلى خدمتها ، ومن نبع في خلافها ، ومد عنقه عن ربقه تباعها ، فلاهم لنا الا شدخ هامته ، وإقامة قيامته ، كيف وأنى ، ومن أين لك أن تلج على السدة العزيزة ، بما لو ورد إلى فهمك لهتمه (١) ، ولو حمل على ظهرك لقصمه ، ثم تلقى في منصرفك عنها ، بعض

---

(١) : هتم : قصم أو كسر·

المنتمين إليها ، وترجله عن دابته ، وتمد يدك إلى أذيته ، ولقد عظم علينا سماع ما تأدى منك إليه ، ومابدأ من فعلك المستنكر عليه ، ولو رأت المواقف الجلالية تقويمك، بأن تجعلك عبرة لغيرك ، لأمرت به ، ولكنها أبت ، عواطفها الكريمة ، ورحمتها الواسعة العميمة ، إلا إعراضا عن جريمتك وإغضاءً عن عقوبتك ، ولعلمنا بأن المواقف المقدسة الامامية ، لاتستخير عقوبتك ، ولا ترى مقابلتك ، فمرغ خدودك على تراب تلك العتبة الشريفة ، وتضرع إلى مكارم تلك المراتب المنيفة ، وتعلق بأذيال تلك المكارم الفائضة، واشتد بظلال الرحمة الواسعة ، وذكر كلاما هذا معناه .

وفيها ورد كتاب أرتق بك من الأحساء ، باستظهاره على القرامطة ، وأخذ بلادهم وغنيمتهم ، فحضر أبو أرتق بك للديوان وقرأه ، وخرج توقيع الخليفة يشكره ، وخلع عليه ، وأعطى الفرس بمركب ذهب والمنجوق ، وثيابا .

وفي شعبان توفيت بنت الوزير نظام الملك ، زوجة عميد الملك ، وجلس الوزير ، وولده للعزاء ، ودفنت بدار الوزير بباب عمورية ، ولم تكن العادة جارية بالدفن فيما يدور عليه السور .

وفي رمضان حمل إلى مكة منبر كبير ، مذهب ، تولى عمله فخر الدولة بن جهير في داره ، وكتب عليه اسم الخليفة وألقابه ، والآيات المتعلقة بالحاج ومكة ، فاتفق وصوله الى مكة ، وقد أعيدت الخطبة المصرية ، فآل أمره إلى أن أحرق .

وفيها ورد كتاب نظام الملك إلى أبي اسحق الشيرازي ، جوابا عن كتابه المتقدم يشكو فيه الحنابلة ، نسخته : ورد كتابك أيها الشيخ ، بشرح أطلت فيه الخطاب وتدبينا إلى استدعاء الجواب ، وليس من الواجب أن نتحيز في المذاهب إلى جهة دون جهة ، وليس ذلك مقتضى السياسة ، والمعدلة في الرعية ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة إلا لصيانة العلم ، والمصلحة، لا للاختلاف وتفريق الكلمة ، ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه ، من هذه الأسباب ، فليس إلا التقدم بسد هذا الباب ، وليس في المكنة الإيثاب على بغداد ونواحيها ، ونقلهم عما جرت عليه عاداتهم فيها ، فإن الغالب هناك هو مذهب الإمام أبي عبدالله أحمد ابن حنبل رحمه الله ، ومحله بين الأئمة وقدره معلوم في السنة ، وكان ما انتهى الينا ، أن السبب في تجديد ماتجدد ، مسألة سأل عنها أبو نصر بن القشيري من الأصول ، فأجاب عنها بخلاف ماعرفوه من معتقداتهم ، وألفوه من عاداتهم ، فنقموا ذلك عليه ، وليس في العادة أن يجبر الإنسان على الإنتقال من مذهبه ، ولا على الإنحراف عن معتقده ، ومعلوم أن آهل قاشان كانوا على مذهب أبي حنيفة فلم يكن

يلزمهم أصحاب الشافعي الدخول في معتقدهم ، وكذا أصحاب الظاهر ، واعتقدوا مذهب الشافعي ، فلم يلزمهم أصحاب الرأي الخروج عن مذهبهم ، وقد منع الله عن ذلك من تقدم ، فقال : ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم(١)

وقد كان هذا المذهب بأصفهان وغيرها من البلاد ، أكثر انتشارا منه ببغداد ، فلم يتقدم إليهم في ذلك بما يشق به عليهم ، والشيخ أبو اسحق رجل سليم الصدر ، سلس الانقياد ، يصغي إلى كل ماينقل إليه ، ويقع تعويله عليه ، وعندنا من تضاد كتبه مايدل على ماوصفناه من سهولة مجتذبة ، والسلام.

وبلغ الحنابلة ، فسروا واطمأنوا ، وانبسطوا ، واستطالوا ، فلما كان في اليوم الثامن من شوال ، ومجتمع الناس للبطالة والفرجة ، خرج من المدرسة النظامية فقيه يعرف بالإسكندراني ، وكان معروفا بإثارة الفتن ، ومعه جماعة من أبناء جنسه ، إلى سوق الثلاثاء ، فتكلم بتكفير الحنابلة ، فثاروا عليه. فضربوه ، ونهب السوق وقتل بينهم رجل من الشافعية ، وثارت الفتنة ، وتراموا بالنشاب وبعث الخليفة أصحابه وخدمه الخواص ففرقوا بينهم وحمل القتيل إلى الديوان ، وكتب إلى نظام الملك ، بشرح الحال ، فجاءت منه مكاتبات بضد الأول وأن يدخل العميد يده في بعض إقطاع الخدمة ، الذين نسبت إليهم الفتنة.

وفي يوم التاسع عشر من شوال ولد للخليفة مولود ، سماه أحمد ، وكناه أبا العباس ، وجلس الوزير فخر الدولة في باب الفردوس للهناء ، وغلقت بغداد من الجانبين سبعة أيام ، وهذا المولود ، ولي الخلافة ، وهو المستظهر بالله ، وولد له في ذي القعدة آخر ، سماه هرون ، وتوفي في العشر الثاني من رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

ووصل تاج الدولة تتش أخو ملك شاه إلى الشام.

---

(١) : سورة الانعام الآية : ١٠١.

وفيهـا توفـي :

أحمد بن عبد الملك بن علي ـ أبو صالح النيسابوري المؤذن

ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وحفظ القرآن ، وهو ابن تسع سنين ، وسمع الحديث الكثير ، وصنف الأبواب والشيوخ ، وكان يؤذن ، ويعظ ، وكانت وفاته بنيسابور في رمضان ، وكان قد سأل الله أن لايميته إلا فيه ، فاستجاب دعاءه ، وخرج عن ألف شيخ له ألف حديث ، كل حديث عن شيخ ، وكان شيخ الصوفية في وقته ، علما وعملا ، وصدقا ، وثقة ، وأمانة ، وصلاحا ، وكان حافظا ، صدوقا ، أنشد لغيره :

يارب ساع في سعيه أمل بغـنـى ولم يقض من تأميلـه وطـرا
ماذاق طعم الغنى من لاقنوع لـه ولن يرى قانعا ماعاش مفتقـرا
العرب من يأته تحمـد مغبتـه ماضاع عرف ولو أوليته حجـرا

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمـد

ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن معبد بن العباس ، أبو جعفر بن أبي موسى ، الشريف الهاشمي ، إمام الحنابلة ، ومقدمهم في زمانه ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وكان إماما ورعا ، قوالا بالحـق ، لاتأخذه في الله لومة لائـم ، تفقـه على القاضي أبي يعلى ، وكان يشهد ، ثم ترك الشهادة قبل وفاته ، ولم يـزل يدرس بمسجده في سكـة الجونـي بباب البصرة ، وجامع المنصور مدة ، ثم انتقـل الى الجانب الشرقي ، فكان يدرس بمسجـد مقابل دار الخلافة ، ودرس بجامـع الرصافة وغيره ، ولما غسـل القائم ، أوصـى لـه بأشياء كثيرة ، فلم يأخذ منهـا شيئا ، فلما فرغ من غسلـه استدعاه المقتدي ، فبايعـه في مكانه منفردا ، وأسكنـه المقتدي في داره ، خوفا عليـه ، ولما اشتد مرضه ، قال : احملوني الى باب حجـرة الخليفة ، فحملوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قرب الوقت ، وما أحب أن أمـوت الا بين أهلي ، فأذن له ، فمضى إلى بيت أخته بالحريم الطاهري ، ولم يخلف شيئـا من الدنيا سوى الحبل والدلو الذي كان يستقي به الماء وكتابا يطالع فيه وكانـت وفاته ليلة الخميس النصف من صفر ، وصلي عليه يوم الجمعة بجامع المنصور ، وكان يوما مشهودا ، وكان يقال في جنازته : ترحموا على الشهيد المسموم القتيل ، فيقال إنه

بعض المخالفين في مداسه ، ودفن إلى جانب الإمام أحمد رحمة الله عليه ، وكان الناس يبيتون هناك كل ليلة أربعاء ، ويبيعون المأكول ، والفواكه ، فختم عنده في تلك المدة عشرة آلاف ختمة ، ثم جاء الشتاء ، فانقطعوا ، وكان صدوقا ، ثقة ، زاهدا ، عابدا ، وصنف التصانيف في مذهب الإمام أحمد ، رحمة الله عليه .

عبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن ابراهيم

أبو القاسم الأصفهاني ، ويعرف بابن مندة ، ومندة لقب إبراهيم جدة ، إمام ابن إمام ، ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وسمع خلقا كثيرا ، وكان عظيم الشأن ، كثير السماع ، سافر البلاد ، وصنف التصانيف وخرج التاريخ ، وكان له سمت ووقار وأتباع فيهم كثرة وكان متمسكا بالسنة ، معرضا عن أهل البدع ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، وكانت وفاته بأصبهان ، وصلى عليه أخوه عبد الوهاب ، وكان في جنازته خلق لم يحصوا كثرة .

السنة الحادية والسبعون والأربعمائة

فيها : في يوم الإثنين عاشر المحرم ، ورد سعد الدولة الكوهرائين من أصفهان ، وضرب على بابه بباب الطاق الطبل في أوقات الصلوات الثلاث : الفجر ، والمغرب ، والعشاء الآخرة ، فأنكر عليه ، فقال : معي توقيع السلطان بذلك ، وحضر باب الفردوس وأخرج كتابا معه من السلطان إلى الخليفة ، وقال : لا أجتمع مع الوزير فخر الدولة ، وقد أمرت بذلك ، وظهرت لوائح الشكوى من الوزير ، وكراهيته ، وكان في الكتاب رسالة لا يسمعها الوزير ، فلم يجبه الخليفة ، وتردد إلى باب الفردوس أياما ، وجرى منه من سوء الأدب ، وخرق الهيبة ، ورفع الحشمة ، بما لا يذكر ، ثم مضى إلى دار المملكة ، وجمع القضاة والشهود ، وقال : اشهدوا أني سألت الوصول إلى الخليفة لأؤدي رسالة حملني اياها السلطان ، فمنعت وأريد خطوطكم بهذا ، لأعود إلى السلطان ، وأعرفه فيزول العتب عنه ، فأشاروا عليه بالتوقف والمعاودة ، ووقع الخوف في ذلك ، إلى أن أجيب إلى الوصول ، فجلس الخليفة يوم الثلاثاء ثاني صفر ، والوزير حاضر ، فلما حضر سعد الدولة دفع رقعة كانت معه ، إلى بعض الخدم ، فناولها للخليفة من وراء الشباك الحديد ، فقرأها ، وتقدم بإسبال الستارة بينه وبين الجماعة ، وانصرفوا ، وكانت مشتملة على كراهية الوزير ، والمطالبة بصرفه ، وإلا ينفذ من بغداد رسول إلى

خراسان من دار الخلافة ، وأن لا يكون فيها غلمان أتراك للخاص ، ولا للخدم والأتباع، ثم أنفذ الكوهرائين أصحابه إلى باب الفردوس، للمطالبة بعزل الوزير ، فامتنع الخليفة وقيل في الجواب : إن فخر الدولة ماهو وزيرنا ، وإنما الوزير ولده ، وقد أنفذناه إليكم، ووالده نائب عنه ، ثم أنفذ سعد الدولة إلى رجل معين يقال له أبو الحسن ابن دبة ، وكان يسكن بحريم دار الخلافة ، وهو الذي تولى حريق مشهد موسى ابن جعفر رضي الله عنهما ، فقبض عليه فثار الناس مع ابن دبة ، فقال الكوهرائين لأصحابه : احرقوا حريم دار الخلافة ، وانهبوه ، واقتلوا من فيه ، ثم صلب ابن دبة في السماكين ، قريبا من الكرخ ، وفي يوم الأثنين النصف من صفر ، جاء الكوهرائين وهو سكران إلى باب الفردوس، وقال : أن سلم الوزير إليَّ ، والا دخلت وأخذته وإن كلمني إنسان قتلته وجاء الليل وغلقت الأبواب ، وأقام على حاله إلى أن مضت قطعة من الليل ، ثم وعد بما يريد ، وعاد من الغد ، وشد خيله على باب الفردوس فراثت هناك ، وجاء الظهر والعصر ، والمغرب ، وضربت الطبول على باب الفردوس، وخاف الناس ونقلوا أموالهم ، فخاف الوزير على الخليفة ، فكتب إليه يستعفي ، ومضى إلى داره ، وبرز توقيع إلى الكوهرائين معناه : لم علم محمد بن محمد بن جهير ، وماعليه جلال الدولة، ونظام الملك من المطالبة بصرفه ، سأل الإذن في ملازمة داره ، فأذنا له في ذلك، فقام الكوهرائين ، ومضى ، وأما عميد الدولة فانه وصل إلى أصفهان في يوم الإثنين عاشر محرم ، فوجد نظام الملك على تغير شديد ، فأظلمت الحال ، وكان عميد الدولة جلدا لبيبا ، حاذقا ، فما زال حتى أصلحت الحال ، واستل مافي نفس نظام الملك ، فكتب إلى الكوهرائين كتابين : أحدهما عن السلطان ، والثاني عنه ، يقول : انتهى إلينا مافعلت ، وعتب عليه ، فأحضر إلى باب الفردوس، وسلم إليه الكتابين، وعوتب فقال مافعلت إلا بعض ما أمرت به ، وأنني ماض إلى هناك، فإني قد استدعيت ، وسأواقف على ذلك بحضرة عميد الدولة ، ثم خلع السلطان على عميد الدولة الخلع الجميلة ، وخرج الحجاب والأمراء يمشون بين يديه ، وفي جملتهم الكوهرائين ، وبعث نظام الملك لفخر الدولة فرسين بعدتهما وعشرين قطعة ثيابا إظهار الرجوع إلى مودته ، وكتب معه تواقيع بما يريد للخليفة ، ووصل في جمادي الأول إلى الحلبة ، وبلغ الخليفة عنه ماأوحشه فبعث اليه ورقة بخطه : لكل أجل كتاب ، وقد أعدناك إلى والدك لما سلف من خدمتك ، والله سبحانه وتعالى يحدث في كل يوم أمرا ، لا معقب لحكمه ، ولا مراجعة لك بعد اليوم الى خدمتنا ، فاتكفي مصاحبا ، فمضى إلى دار أبيه بباب عمورية وكان قد خرج الناس لاستقباله فرحين ، فعادوا متفرقين ، ثم رتب الخليفة في الديوان أبا شجاع محمد بن الحسين نائبا .

وفي هذا الشهر عاد تتش أخو ملك شاه ، من حصار حلب وعبر الفرات ، ونزل بالبارعية (١) ، وكان من العقلاء الساسة ، وكان مقيما ببلاد جنزة (٢) وبردعة (٣) فلما جرى على أتسز بن أوق الخوارزمي بمصر ماجرى ، كتب ملك شاه إلى تتش بالمسير إلى الشام ، فسار على تؤدة فلما انتهى الى ديار بكر ، بلغه أن أتسز لم يهلك وأنه قد أخرب الشام ، وقتل أهله بعصيانهم عليه ، فكتب إلى السلطان يخبره ، وطلب منه عسكرا ، فانه كان في قلة من العساكر .

وعرف أتسز فبعث إلى السلطان هدايا ومالا ، وقال : مافعلت فعلا يقتضي إنفاذ الأمير تتش نحوي ، فإنني العبد الطائع ، وأنا نائب هذه البلاد عن السلطان ، ماآخذ منها غير ما أصرفه في مؤنتي والجند الذين معي ، وأنا أحمل في كل سنة الى الخزانة ثلاثين ألف دينار ، فكتب السلطان إلى تتش أن لا يتعرض إلى الشام الأعلى ، ويقصد ناحية حلب ، وبعث إليه الأمير الأفشين ، وصندق الحاجب ، بمن معهما من التركمان ، وكان الحاجب ايتكين ،قد انضم إلى تتش من ديار بكر ، ثم عبروا الفرات وبدأوا بمنبج فحصروها ، وأخذوها ، ثم قصدوا حلبا وحصروها ، وأقاموا عليها شهورا وكان صاحبها سابق بن محمود ، وجاءهم مسلم بن قريش نجدة ، واستدعى السلطان الحاجب أيتكين إليه ، بسؤال مسلم ، لأنه كان عدوه ، وتحالفت بنو كلاب على قتال الغز ، ودفعهم عن البلاد ، وكان مع مسلم غلال كثيرة له ولأصحابه ، وكان بحلب غلاء شديد ، فباعهم منها ، فعاتبه تتش ، وقال : أنت أتيت في مساعدتي عليهم ، أو في تقويتهم ، ارجع إلى أعمالك مالي إليك حاجة ، فعاد إلى سنجار ، ولقي عليها بهاء الدولة من أمراء التركمان ، نجدة لتتش ، فخوفه المسير من بني كلاب ، فلم يلتفت ، وقطع الفرات ، ونزل وادي بزاعة (٤) ، فقصدته بنو كلاب بجماعة من بني عقيل فأوقعوا به ، ونهبوه ، وقتلوا معظم أصحابه ، وبلغ تتش ، فخرج من حلب يريد بني كلاب وترك أثقاله على حلب ، فخرج أهلها فنهبوها ، وقتلوا جماعة من أصحابه ، وانصرف التركمان عنه ، وعبروا الفرات ، وجاء إلى بداية ، فعبر الفرات ، يريد أعمال مسلم ، لأنه

---

(١) : هو أحد حصون ديار بكر انظر : صبح الأعشى ٨ : ٢٢٥.
(٢) : سبق التعريف بها وان العامة تدعوها كنجة.
(٣) : بلد في أقصى أذربيجان وهي قصبة هذه البلاد معجم البلدان .
(٤) : بلد من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب معجم البلدان.

اتهمه فوجده قد جمع واستعد ، فسار إلى ديار بكر فاجتاح أعمال نصر بن مروان ، وأقام بها يخربها وينهب ويقتل ، وسلم يدافعه ، وينفق الأموال في العساكر ، وكتب تتش إلى ملك شاه ، يعرفه الأحوال ، ويطلب نجدته .

وفي شوال ورد خطلج أدراز من باب السلطان ، وكان قد مضى اليه ، وطلب مالا ينفقه في طريق الحج ، فلم يعطه شيئا ، فعاد وقد اجتمع ببغداد جماعة ليمضون صحبته ، فامتنع من لم يكن معه مايبلّغه ، وتمم من أعطى أجرة الجمال ، ومال الخفارة ، وأخذ من الخفراء الرهائن ، وأعطاهم من أموال الحاج ماقرره لهم ، وسار معهم كالمودع ، وتمم وعاد سالما إلى الكوفة مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ، وكانت العرب قد ذلت له ، وأطاعته لشهامته ، ونفى بني خفاجة عن البلاد ، ووجد الخطبة بمكة لصاحب مصر ، وكان القحط شديدا ، وليس لهم موئنة الا من مصر ، فاجتمع بابن أبي هاشم ، وكان مائلا إلى بني العباس ، وأهله إلى آل أبي طالب ، فاعتذر اليه وأنه لم يقدر على المنع مع انقطاع ماكان يحمل إليه من المال كل سنة ، وإدرار المال والغلال من مصر ، فقال خطلج : المال يأتيك عن قريب ووجد الخطبة بالمدينة لصاحب مصر ، وكان خطلج قد أساء عشرة الحاج وعاقبهم ، وأخذ من كل جمل عن الخفارة تسعين دينارا ، ومن كل راجل خمسة دنانير من كل واحد عن زيارة قبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم ستة دنانير .

وفي ذى القعدة ، وقع الرضى عن عميد الدولة بن جهير ، وعوده إلى الخدمة وسببه كتاب نظام الملك الى الخليفة ، يشير برده ، وأن أحدا لايقوم مقامه ((وأنني مارضيت عنه ، وزوجته بولدي ، ورميت كل عداوة كانت من جهتي ، وصافيته الا لقربه من الخدمة)) ، وكان نظام الملك دائما يثني على عميد الدولة ، ويقول : ما أحسد أحدا الا فخر الدولة على ولده ، ويصفه بالعقل والحلم ، وانقطع أبو شجاع عن الديوان ورتب على باب الحجرة ، يجلس كل يوم ، ينهي الأمور إلى الخليفة ، وتخرج إليه الأجوبة ثم أذن للوزير فخر الدولة في فتح بابه ، ودخل الناس عليه للتهنئة ، حتى النساء ، ثم استدعى الخليفة ولده ، فشافهه بما طيب نفسه ، وكتب له توقيعا منه : إن أمير المؤمنين يرى إرضاء من اختار رسوم مواهبه وآلائه ، وإجلاء مذاق النعمة عند المتمسكين بشروط مشايعته وولائه ، واختصاص من أحسن الطاعة في إثر يومه وأمسه ، وتخشن على أعداء الدولة بوقع مسه ولمسه ، ولما غدوت ياعميد الدولة منفردا في الكمال ، بما علم كونك مما لا يجارى فيه ويبارى ، في أحراز وافية ، وأنك قد حزت في هذه المرتبة قصب السبق وقمت فيها بالحق ، أعاد أمير المؤمنين من وزارتك ، ماكان قد تجاوز في الإعراض حده ، مما لا يستطيع الجاحد جحده ، وذكر كلاما آخر .

وفيها مات أبو الفضل ابن التركماني ، صاحب سعد الدولة الكوهرائين ، وكان شهيرا إلا أنه انحدر إلى واسط مع سعد الدولة ، وكان ابن علان اليهودي ضامن ضياع الخليفة ، قد فعل بالمسلمين كل قبيح ، وصادرهم ، ومد يده إلى حريمهم، وكان إذا كتب فيه إلى الخليفة ، لا يؤخذ لأحد فيه ، فقتله ابن التركماني بواسط ، وأخذ منه عشرة آلاف دينار ، وعز ذلك على الخليفة ، وكتب إلى نظام الملك بسببه و ولما مات ابن التركماني رآه انسان في المنام، فقال : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، قيل : بماذا ؟ قال : بما أزلت عن المسلمين بقتل ابن علان اليهودي من النصرة ، وعن الخلافة من المعرة ، وابن التركماني هو الذي قتل ابن دبة ، الذي أحرق المشهد ، وصلبه بالسماكين (١)

وقال أبو يعلى بن القلانسي : وفي سنة إحدى وسبعين خرج من مصر عسكر كثير مع ناصر الدولة الجيوشي ، ونزل على دمشق محاصرا لها ، واستولى على أعمالها ، وعلى فلسطين ، فاضطر أتسز إلى مراسلة تتش ، يعده بتسليم دمشق ، ويكون في الخدمة بين يديه ، فتوجه نحوه ، وبلغ ناصر الدولة قربه ، فرحل إلى الساحل ، وكان ثغر صور وطرابلس في يدي قاضيهما ، قد تغلبا عليهما ، ولا طاعة عليهما لأمير الجيوش بل يصانعان الملوك بالهدايا ، ووصل تتش إلى مرج عذراء (٢)، فخرج إليه أتسز بعد أن استحلفه ، وسلم اليه دمشق ، فدخلها ولاحت له من أتسز أمارات استوحش منها ، فقبض عليه ، واعتقله ، وقتل أخاه أولا ، ثم خنقه بوتر قوسه غدرا منه ، في ربيع الأول ، واستقام الشام لتتش ، ثم مضى إلى حلب ، فنازلها ، وأقام عليها أياما ، ثم رحل عنها ، وقطع الفرات مشرقا ، ثم عاد إلى حلب في ذي الحجة ، وملك حصن بزاعة والبيرة (٣) وأحرق ربض أعزاز ، ورحل عنها عائدا إلى دمشق وغير (٤) ابن القلانسي يقول كان ذلك في السنة الآتية ، وسنذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) : سيعرض هذا الخبر بشكل مغاير في الصفحة (٢٩٦) .
(٢) : عذراء مازالت تحمل هذا الاسم معروفة خارج دمشق .
(٣) : اسمها الآن بيرجك .
(٤) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٨٢ .

وفيها توفـــي :

إبراهيـم بن علــي بن الحسيــن

أبو اسحق ، شيخ الصوفية بالشام ، ولد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وسمــع الحديث الكثيــر ، وكان صاحب رياضات ومجاهدات ، وأقام بصور أربعين سنـــة ، وبهامات ، وكان صدوقا ثقــة •

الحسن بن أحمد بن عبد الله = أبو علي بن البناء الحنبلي

ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وتفقــه علــى ابن الفراء ، وصنف في كل فن ، وكان يقول : صنفت خمسين ومائة مصنف ، وسمع الحديث ، وتوفى ليلة السبت خامس شهر رجب ، وصلى عليــه أبو محمــد التميمى ، ودفن بمقبــرة باب حرب ، واتفقوا على فضله وصدقه ، وزهده ، وورعــه ، وتكلم فيه ابن السمعاني ، ولا يسمع منه •

الحسين بن علي بن محمـــــــد

أبو علــى بن ديــش الدمشقــى ، توفــى فــى جمادى الآخــرة ، ودفـــن بالباب الصغير ، وكان ثقــة ، ومن شعــره :

ولما حدا البين المشتت بشملنـــا ولم يبق إلا أن تنأى الأنايـــق (١)
ولم نستطع عنــد الوداع تصبـــرا وقد عالنا وجد عن الدمع ناطــق
وقفنا ووقفنا فكادت نفوســـــنا لأجسادنا قبل الفراق تفـــارق
فباك لما يلقـــاه من فقد الفـــه وشاك له قلب به الوجد ناطــق

---

(١) : جمع ناقــة ، القاموس •

سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين – أبو القاسم الزنجاني الحافظ الصوفي

ولد سنة ثمانين وثلاثمائة ، وطاف البلاد ، وانقطع في آخر عمره بمكة ، وصار شيخ الحرم ، ولما عزم على الأقامة بمكة ، والمجاورة بالحرم ، عزم على نفسه نيفا وعشرين عزيمة من المجاهدات والعبادات ، ففعل الجميع ، ومات بعد ذلك بأربعين سنة ولم يخل منها بعزيمة واحدة .

وقال أبو مظفر بن السمعاني ، جد أبي سعد صاحب الذيل : كنت على عزم المجاورة بمكة ، فرأيت والدتي في المنام ، وكانت بخراسان ، وقد كشفت رأسها ، وهي تقول : بالله عليك ياولدي لاتجاور ، وارجع الي فلاصبر لي على فراقك ، فانتبهت مغموما ، وترددت في المنام ، والرجوع إليها ، فقلت : لابد أن أشاور أبا القاسم الزنجاني ، فأتيته وعنده خلق عظيم ، وكان إذا خرج من بيته ترك الناس الطواف بالبيت ، وقبلوا يديه أكثر مما يقبلون الحجر الأسود ، فتقدمت إليه وقد قام ليدخل بيته ، فمشيت إلى جانبه ، ولم أكلمه ، فالتفت إلي ، وقال : يا أبا المظفر العجوز تنتظرك ولم يقل غير هذا ، فخرجت مع الحاج إلى مرو ، فاجتمعت بوالدتي .

ولما مات بمكة قال أميرها محمد بن أبي هاشم : ماكان في الحرم من يستحيا منه غير هذا الشيخ وكان إماما حافظا ورعا ، زاهدا ، عابدا ، مفتيا ، وكان ينشد لغيره :

ماتطعمت لذة العيش حتى ... صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس عندي شيء أعز من العلم ... فلم أبتغ سواه أنيسا
إنما الذي في مخالطة الناس ... فدعهم تعش عزيزا رئيسا

محمد بن علي أبو عبد الله بن المهتدي الهاشمي

ويعرف بابن الحند قوقا ، سمع الحديث ، وكان يسكن بباب البصرة ، ومات في ذي الحجة ، ودفن في داره ، وكان صحيح السماع ، ثقة .

السنة الثانية والسبعون والأربعمائة

فيها وقف العميد أبو نصر ، القرية المعروفة بالمالكية ، من طريق خراسان ، على مشهد موسى بن جعفر ، عليهما السلام ، وكان محبا للعلويين ، يقضي حوائجهم وزوج عددا منهم ، وختنهم ، وخرج في ثالث المحرم إلى أصفهان ، وبعد خروجه توفيت والدة فخر الدولة بن جهير ، بباب العامة ، وحملت إلى تربة الرصافة فدفنت بها ليلا وتبعها الخدم والحواشي .

قال محمد بن الصابي : في ربيع الآخر ، وصل الأمير تاج الدولة تتش إلى دمشق ، وملكها ذكر القصة :

كان بدر الجمالي قد سير من مصر ، إلى دمشق ، الجيوش من العرب ، والغز، والأكراد ، وصنهاجة ، والبربر ، والسودان ، وبني خفاجة ، والأمير عليهم غلام له متقدم عنده ، والأمر مردود إلى أبي الفرج المغربي ، فساروا الى دمشق ، وحصروا أتسز ، فأرسل الى تتش ، وهو يحاصر حلب يستنجده ، فرحل الأفشين ، وبلغ العسكر المصري ، فتأخر الى الرملة ، ووصل تتش إلى دمشق ، وخرج إليه أتسز ، فقبض عليه وقتله ، واستولى على البلد ، فاستوحش الأفشين منه فعاد هاربا ، فنهب المعرة ، وكفر طاب ، وذهب الى أنطاكية ، فأخرب ، وقتل ، ونهب ، وصانعه أهلها على ثلاثين ألف دينار ، وجرت فيها قصص ، ولم يحطوه شيئا ، وراسلوا تتش ، وضمنوا له مالا ، وكان في قلبه منه ، فسار يطلبه ، فهرب منه إلى ديار بكر ، وعاد تتش إلى دمشق . وأظهر العدل ، فعمرت وزرعت البلاد ، وأمنت السبل ، ودرت القوافل وبعث إلى القدس فحاصره ، وبه أصحاب أتسز ، وكان قريب له في برج داود ، ومعه قطعة من أمواله ، وكان بين قتل أتسز، ومافعل بالقدس مدة يسيرة .

وفي رجب وصل السلطان ملك شاه إلى الأهواز متصيدا ، وقبض على ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وقتله وأخذ منه أربعمائة ألف دينار ، وكان منتميا إلى نظام الملك ، وكان بين نظام الملك ، وسعد الدولة الكوهرائين ، وخمارتكين الشرابي عداوة ، فتوصلا في هلاك ابن علان ، وكان ابن علان قد استولى على البصرة ، وماتت زوجته ، فمشى في جنازتها كل من فيها إلا القاضي ، وكانت أسامي الأماكن التي فيها أمواله معه مكتوبة ، فلما أمر ملك شاه بتعزية غرقت معه ، ومع هذا فوجدوا له أموالا عظيمة ، وكان نظام الملك بأصفهان ، فغضب وأغلق بابه ثلاثة أيام ، فقيل له المصلحة الرجوع ، فرجع ولما عاد السلطان إلى أصفهان ، دعاه نظام الملك إلى دعوة ، فحضر فيها جملة ، ثم عاتبه عتابا ، وكان من جوابه ، ماطيب به نفسه وإن لم يرض (١) .

---

(١) : سبق ان روى هذا الخبر نفسه بشكل مغاير في ص (٢٩٢) .

وفى ذي القعدة ورد خطلج أدراز من أصفهان ، واجتمع إليه الحاج ، وخرج بهم على القاعدة فى أكريتهم وخفارتهم .

وفى ذى الحجة توفي نصر بن مروان الكردي ، صاحب آمد ، وميافارقين ، وجلس ولده منصور بن نصر موضعه ، والناظر فى أموره ابن الأنباري من أهل الرحبة .

وفيه فتح مسلم بن قريش حلب ذكر القصة :

لما اشتد بأهلها الحصار والغلاء ، هج معظمهم ، وجاءت طائفة منهم إلى الموصل ، واجتمعوا بمسلم ، وأشاروا عليه بقصدها ، وكاتبه الأحداث ، وبنو كلاب ليدفع عنهم الغز ، فأنفذ ولده من خاتون عمة السلطان ملك شاه إليه ، وشرط على نفسه فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، بأجابه وأمره بقصدها ، فسار إلى قلعة جعبر (١) ، فحصرها ، وكان بها جعبر وأصحابه يقطعون الطرق ، فصالحوه على أنهم لا يعودوا إلى شيء من ذلك ، وسار إلى حلب فوصلها ثاني عشر ذي الحجة، ومعه بنو كلاب، وكلب ، ونمير ، وجميع القبائل ، وقد أطاعوه خوفا من الغز وأنفق فيهم الأموال ، فكسر الأحداث الأبواب يوم الجمعة لعشر بقين من ذى الحجة ، ودخل أصحابه اليها ، ولم يتأذ أحد من أهلها ، ولا أغلق فيها دكان ، وراسل سابق بن محمود ، وهو في القلعة ، مراسلة انتهت إلى أن يزوج سابق بابنته ، ويعوضه مالا ، على أن يسلم القلعة ، فرضي ، وحط سابق رحله ، وماله إلى البلد ، ولم يبق إلا أن ينزل ، فوثب عليه أخواه شبيب ووثاب ، فقبضا عليه واستوليا على القلعة ، فجمع مسلم مقدمي بنى كلاب ، وقال : علمتم أني أنفقت أموالي ، وبعدت عن بلادى ، فى حراسة بلادكم، وكف عادية الغز عنكم ، وهذه مقابلة ما أعرفها ، فإن كنتم رجعتم ، فها أنذا راجع الى بلادى ، ومتبريء منكم ، فأنكروا ما جرى ، وشرطوا السعى فيه ، وإزالة ما تجدد منه .

وقال المصنف رحمه الله ، وقفت على تاريخ بدمشق ، فيه أن تتش لما رحل عن حلب ، فى السنة الماضية ، وقد ضعف عسكره ، جاء إلى حماة ، فاستولى عليها ، وعلى المعرة ، وما يليها ، وأطاعه صاحب حمص، فأقره عليها ، فلما دخلت هذه السنة بعث بدر الجمالى بالعساكر ، مع يمن الخادم ، لحصار دمشق ، فأرسل أتسز الى تتش يقول : أنجدني ، أكن نائبك بدمشق ، فجاء إلى دمشق ، وعاد العسكر المصرى إلى مصر ، وقبض تتش على أتسز وخنقه ، فكانت أيامه ثلاث سنين وستة أشهر وأياما ، ولما استقامت دمشق لتتش، حشد ليقصد حلبا ، وعلم سابق فراسل مسلم يستصرخه ، وقال : أنت أولى بي من الغير ، والعربية تجمعنا ، فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي

(١) : معروفة بقاياها قائمة فى وسط بحيرة الأسد الناشئة عن سد الفرات .

فسار إليه مسلم بخيله ورجله ، فلم يفتح له الباب ، ولم يف له بشيء كان ، وكان وعده أن يعطيه حماة ، والمعرة ، وكفر طاب ، ويقدم سابق بقصبة حلب ، وكان أصحاب مسلم قد أسروا الشريف أحمد بن علي الهاشمي ، رئيس حلب فاتفق مسلم معه سرا ، وأطلقه فدخل البلد ، ومسلم مخيم بظاهره ، ففتح له الشريف الباب ، فدخل وتحصن سابق ، وإخوته بالقلعة ، فحصرهم ، ثم تقرر الصلح ، على مال وقلاع ، وسلم إليه القلعة ، ونزل منها هو أهله ، وانتهت دولة بني الزوقلية ، وخطب بها مسلم للخليفة ولملك شاه ، وكتب إلى الخليفة ، فبعث بعهدها إليه ، وتقليده إياها ، وفي ذلك يقول ابن حيوس ، يمدح مسلم بن قريش :

ماأدركَ الطلباتِ مثلُ مُصَمِّمٍ ... إنْ اقدمَتْ أعداؤهُ لم يُحْجِمِ
تركَ الهوينا للضعيفِ مطيةً ... من بطشِهِ كقراه ليسَ بِمُعْتِمِ
ولقد تَحَقَّقَتْ العواصمُ أنها ... إن لم تحز أقطارها لم تعصمِ
حنَّت إليك على البعادِ فشوقُها ... شوقُ الرياضِ إلى السحابِ المُسْجِمِ
يارحمةً بعثتْ فأحيتْ أمةً ... قد طالما مُنِيَتْ بمَنْ لم يرحَمِ
إن الرعايا في جنابِكَ أمنتْ ... كيدَ الغشُومِ وفتكَةَ المتغشرمِ
ولقد ظَفِرْتَ بما يعزُّ مرامُهُ ... إلا عليكَ قَدُمْ عزيزا وأسلمِ
كانت تعدّ من المعاقلِ برهةً ... وسمتْ بملكِكَ فهي بعضُ الأنجُمِ
منّ كنتَ يافخرَ الملوكِ ظهيرَه ... فبناؤُه في المجدِ لمْ يتهدَّمِ
والمجدُ شنشنةٌ لآلِ مسيّبٍ ... ماكلُّ شنشنةٍ تناطُ بأخزَمِ (١)

وفي يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة ، جرت بمكة فتنة — سببها غلام تركي لخطلج أدراز ، جرت بينه وبين أحد السودان ، من جند مكة مشاجرة ، في حمام خرج إليه التركي منها ، وثار السودان على خطلج ، وهو قائم يصلي عند البيت الشريف ، فقتلوا ثمانية من أصحابه عند الكعبة ، وتلاحق أصحابه فاستنقذوه ، وقتلوا عشرين أسودا ، وجاء خطلج إلى الدار التي كان نازلا بها ، وزحف إليه السودان ، فقتلوا من أصحابه عشرة ، وقتل الغز من السودان جماعة ، وجاء ابن أبي هاشم الى دار خطلج ، فكف السودان ، واعتذر إليه ، وبعث إليه خيلا وثيابا ، وصلحت الحال ، وأقيمت الخطبة في هذه السنة للمقتدي ، وللسلطان ، وكتب ابن أبي هاشم كتابا إلى عميد الملك بن جهير بذلك ، وعرض فيه بطلب رسومه .

---

(١) : ديوانه ٢ : ٥٦٩ — ٥٧٧ .

وفيها توفـــى :

محمـد بن محمد ـ أبو منصـور العكبـــرى

ولد في رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وكان فاضلا ، فصيحا ، صدوقـا يحكى الحكايات المستحسنة ، وأنشد :

أطيـل فكـرى في أنـاس | مضوا عنا وفيمن خلفونـــا
هم الأحياء بعد المـــوت | ذكرا ونحن من الخمول الميتونا
لذلك قد تعاطينا التجافـي | وإن خلائقـي كالماء لينـــا
ولم أبخل بصحبتهم لأمـــر | ولكن هات ناساً يصحبونــا

وكانت وفاته في رمضان ببغداد ·

نصـــر بن بهـــرام

صاحب ميافارقين ، ويلقب بنظام الدين ، قد ذكرنا أن نظام الملك أخرجه إلـى السلطان ، وأحسن إليه ، وأنه سم أخاه سعيد بن مروان ، ولما مات ولي بعده ولـده ناصر الدولة ، منصور ، ودفن عند أبيه نصير الدولة ، وخلف ثلاثة أولاد منصور ، وبهـرام ، وأحمد ، وكان وزيره أبو طاهر بن الأنباري ، مدير الملك ، وكان قد تقدم عند الأمير طبيب ، يقال له أبو سالم ، وكان عطارا بسوق العطارين بميافارقين ، فتقدم طبـــه ، حتى أشار عليه بقبض الأنباري ، وولى منصور الطبيب ، فاستبد بالأمور ، وكتب أبـــو نصر محمد بن جهير ، إلى ملك شاه يخبره بما فى الخزائن والقلاع ، من الأموال ، والجواهر ويقول : أنا خدمت فيها مدة وأعرفها ، فجهز إليه العساكر ، ومضى فحصر ميافارقيـن وآمد ، وقصد منصور باب ملك شاه ، وبعث ملك شاه إلى أرتق بك ، فساعد ابن جهير وضايقوا ميافارقين ، وقطعوا أشجارها ، وشفع الأمراء في منصور ، فقال السلطـــان : تقنع بميافارقين ، وتكون آمد وباقي البلاد لنا ، وكان أبو سالم الطبيب فى ميافارقيـــن ، وجماعة الأمراء ، وبلغه فكتب إلـى منصور ، يقول : لا تنزل عن ملكك ، فلـــو أقاموا عشر سنيـن ما قدروا علينـا ، فرجـع عن ذلك الرأى فطالبـه السلطـــان بتسليم آمـد ، فامتنـع ، وسنذكره إن شاء الله تعالى ·

هياج بن عبيد بن الحسين — أبو محمد الحطيني

وحطين قرية ، غربي طبرية ، ويقال إن قبر شعيب عليه السلام بها ، وبنته صفورا زوجة موسى عليه السلام ، سمع هياج الحديث ، وتفقه ، وجاور مكة وصار فقيه الحرم ، ومفتي أهل مكة ، وكان زاهدا ، عابدا ، ورعا ، مجتهدا في العبادة ، يصوم يوما ، ويفطر يوما ، ويأكل في كل ثلاثة أيام مرة ، ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه وأقام بالحرم أربعين سنة ، لم يحدث فيه ، وكان يخرج إلى الحل فيقضي حاجته ، ومالبس نعلا في الحرم قط ، وكان يزور النبي صلى الله عليه وسلم في كل سنة ماشيا ويزور ابن عباس رضي الله عنه في الطائف في كل سنة مرة ، يأكل أكلة بالطائف وأخرى بمكة ، وماكان يدخر شيئا ، ولم يكن له غير ثوب واحد ، وفيه يقول الشاعر :

أقول لمكة ابتهجي وتهني ... على الدنيا بهياج الفقيه

امام طلق الدنيا ثلاثا ... فلا طمع لها من بعد فيه

وكان السبب في وفاته وقوع فتنة بين السنة والشيعة بمكة، فشكا بعض الشيعة إلى محمد بن أبي هاشم أمرها ، وقال : إن السنة يستطيلون علينا بهياج ، فأخذه وضربه ضربا عظيما على كبر سنه ، فبقي أياما ، ومات وقد نيف على ثمانين سنة ، ودفن إلى جانب الفضل بن عياض، رحمة الله عليه .

السنة الثالثة والسبعون والأربعمائة

فيها كان ملك شاه ، قد قصد كرمان في السنة الماضية لقتال سلطاه شاه ابن قاورت بك ، فلما وصل إليه رأى أنه يطيعه ، فخرج إلى خدمته مستأمنا من القلعة ، وقبل الأرض بين يديه ، فقام السلطان قائما ، وأجلسه إلى جانبه وتحالفا ، وزوجه ابنته ، وعاد السلطان إلى اصفهان .

وفي المحرم ورد الخبر بوفاة شمس الملك تكين بن طمغاج خان ، صاحب سمرقند ، وماوراء النهر ، وكانت وفاته بالقولنج ، وأوصى إلى أخيه حسن ابتكين بأولاده ، وأهله ، بعد أن أجلسه موضعه ، وورد حسن سمرقند ، فأفاض العدل ، واستعمل الجميل ، وبلغه إن راكش أخا السلطان ، قد قطع جيحون ، وأنه على

قصد بخارا ، فسار اليه حسن في ثمانية آلاف من التركمان ، فالتقيا بجراورد بين بخارا وترمذ ، فهزم رتكش وغنم حسن عسكره ، وقصده من الخانية عمر طغرلتكين، فالتقيا فهزمه حسن ، وغنم ما في عسكره ، ودخل سمرقند ، وقد اشتمل على النصر في الوقعتين .

وورد الخبر أن تاج الدولة تتش ، قبض على مسمار أمير بني كلب ، وسببه أن تتش ، خرج يوما يتصيد ، فرأى قوما ، فاختفوا منه ، فطلبهم وأخذهم ، وفتشهم ، فوجد معهم مكاتبات من مصر إليه ، ومنه إلى مصر .

وورد الخبر بأن حصن الدولة بن منزو ، وكان مقيما بهانياس ، فنقل أمواله إلى صور ، وانتقل إليها فقبض عليه ابن أبي عقيل المستولي عليها ، وأخذ جميع ما نقله إليها .

وفي ربيع الأول ، فتح أبو بكر (مؤيد الملك) بن نظام الملك ، قلعة تكريت تسلمها من حسام بن المهرباط ، وضرب الدنانير باسمه ، فأنكر عليه الخليفة، فبطل ذلك .

وفيه وصل الحاج ، وأميرهم خطلج أدراز ، وهم له شاكرون .

قال محمد بن الصابي : وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر ، فتح مسلم ابن قريش قلعة حلب ، ونقل الغلات من الموصل إليها ، وكتب إلى بغداد بالفتح .

وفي جمادى الأولى ، توفي العميد أبو منصور الأصفهاني بالبصرة، وأمر أن يتصدق بألفي مما خلفه علي آل أبي طالب ، وكان رئيسا نبيلا فاضلا ، جامع المحاسن، وكريم الأخلاق .

وفي ذي الحجة قبض ببغداد على ابن الرسولي الخباز ، وعبد القادر الهاشمي البزاز ، انتسبوا إلى الفتوة ، وكان ابن الرسولي قد صنف في الفتوة وفضلها كتابا ، وذكر قوانينها ورسومها ، وجعل عبد القادر المتقدم على من يدخل في الفتوة ، وأن يكونوا تلامذته ، وكتب للمقدمين مناشير ، وأقطعهم أصقاعا ، ولقب نفسه كاتب الفتيان ، وجعل ذلك طريقا إلى منفعته ، ودعوات واجتماعات تعود إلى مصلحته ، وكتب الى خادم لصاحب مصر بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعرف بخالصة الملك ، ريحان الأسكندري ، قد ندب نفسه لرئاسة الفتيان ، والكتب صادرة إليه بذلك من جميع البلدان ، وجعلوا اجتماعهم بجامع براثا ، وكان مسدود الباب مهجورا ، ففتح ابن الرسولي باب ، ورتب له قيما ينظفه ، وعرف أصحاب عبد الصمد

ذلك ، فأنكروه ، وعظموا مايكون منه ، وقالوا : إن هؤلاء يدعون لصاحب مصر ، ويجعلون دار الفتوة عنوانا لجمع الكلمة على هذا الباطن ، فتقدم الخليفة إلى عميد الدولة بالقبض على ابن الرسولي ، وعبد القادر ، فقبض عليهما .

ووجد لابن الرسولي في هذا المعنى كتبا كثيرة ، وإلى الخادم المقيم بالمدينة ، فسأله عميد الدولة عن الموافقين له فسماهم ، فقبض على جماعة منهم، وهرب الباقون ، وصودر جماعة بسببهم ، وكان من جملة الكتاب الذي وضعه ابن الرسولي :

الحمد لله القديم ، فلا يخلفه دهر ، العظيم فلا يلحقه قهر ، العليم فلا يخفى عليه سر (١) ولا جهر ، الأول فليس لوجوده ابتداء ، الآخر فليس لوجوده انتهاء الظاهر بلا معين ينصره ، الباطن بلا زمان يحصره ، احمده إذ وفقني لحمده ، وأشكره شكر من بالغ (٢) بلغ غاية جهده ، وأشهد أن لا اله الا الله إرغاما لمن كفر ونافق ، وإدحاضا لمن نافر وشاقق ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله على حين فترة من الرسل ، وختم بطلته (٣) سائر الملك ، وعصمه من كل زلل ، وكان ممن تقدمه أشرف وأجل ، فأيده بالرسالة ، وعظمه بالشرف والجلالة .

والحمد لله معز الفتيان بالفتوة ، وجاعلها إرث الإمامة والنبوة ، وجعلها لأهلها أنسابا، وسماهم بها أحبابا ، فهي حلاوة يجدها العارفون ، ويقف عندها الراغبون ، ويرغب فيها من عرف معانيها ، ويسمو إلى مراتبها ، نفس متعاطيها ، ومازالت منذ آدم، ظهرت من العالم ، وقام بحقها ، فلما انتهت مدته أوصى إلى شيث مستحقها، ثم انتقلت الى نوح فصرفها إلى سام ، ثم ظهرت في الخليل عليه الصلاة والسلام ، فحاز الفضل العميم ، بما نطق به الكتاب القديم ((وفديناه بذبح عظيم)) (٤) ثم ظهر لموسى منها مابطن ، ففوض إلى هارون منها أوفى السنن ، ثم ظهرت في المسيح الأمين ، المبشر بسيد المرسلين .

---

(١) : نهاية السقط في نسخة (ب) .
(٢) : في ب ((بذل)) .
(٣) : في الأصل ((طيه)) وهو تصحيف قوم من ب .
(٤) : سورة الصافات الآية : ١٠٧ .

وذكر كلاما طويلا ، وتقليده للموافقين له على ذلك الأمر ، وذكر أساميهم وأنسابهم وما يتعلق بهم في مقدار كراسين ، فأفتى الفقهاء باستئصالهم ، والزامهم الرجوع عن ذلك (١) ، وكفهم عن الفساد ، وإطفاء العباد ، فنهبت دورهم ، وحل بهم هلاكهم وثبورهم ، وكان وافقهم على مثل هذا نيف ومائة من الأشراف والأعيان ، وزعماء البلدان .

وفيها ملك جلال الملك ، أبو الحسن بن عمار ، قاضي طرابلس ، حصن جبلة ، وسببه أن الفردوس صاحب أنطاكية ، وجبلة ، قبض على قاضي جبلة ، فراسله ابن عمار فيه ، فأفرج عنه ، وأنفذه إليه ، فسأل فيه أن يرده إلى قضاء جبلة ، ففعل ، وتحدث معه ابن عمار في تسليم جبلة ، فقال : نعم ، ومضى ودبر الحيلة إلى أن تمت ، فأرسل إلى ابن عمار يقول : ابعث أصحابك في البحر في الليلة الفلانية فبعث اليه ابن عمار بغلام يلقب بعين الزمان ، في ثلاثمائة رجل من التركمان ، كانوا حصلوا في جند طرابلس ، وجماعة من البحرانية ، فجاءوا في الليلة التي سمّاها ، فاحتال القاضي على الحرس حتى ناموا ، وجماعة من البحرانية ، وفتح لهم الباب ، ودخلوا وأقاموا الخطبة للمقتدي ، ولملك شاه .

قال المصنف رحمه الله : ورأيت في بعض التواريخ ، أن الخليفة عزل وزيره عميد الدولة في هذه السنة ، واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين الروذزاوري ، وكان صالحا عفيفا ، فهجاه البدري الموصلي ، فقال :

ما استبدلوا ابن جهير في ديوانهم ... بأبي شجاع لرفعة وجلال
ولكن رأوه أشح أهل زمانه ... فاستوزروه لحفظ بيت المال

وما ولي لأبي العباس أعف من أبي شجاع ، ولا أكثر صدقات ، وسنذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها توفي : محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي

أبو علي الشاعر البغدادي ، وتوفي في المحرم ، ودفن بباب حرب ، وكان شاعرا مجودا ، ومن شعره :

---

(١) : في ((ب)) ضلالهم .

لا تظهرن لعاذل أو عاذر حا ... ليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة ... في القلب مثل شماتة الأعداء

وقال :

يفني البخيل بجمع المال مدته ... وللحوادث والأيام مايدع
كدودة القز ماتبنيه يهدمها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وقال :

بربك أيها الفلك المدار ... أقصدك ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ... ففي أفهامنا عنك انبهار
ودنيا كلما وضعت جنينا ... عداه نوائبها ظوار
هي العشواء ماهبطت هشيم ... هي العجماء ماجرحت جبار
فان يك آدم أشقى بنيه ... بذنب ماله منه اعتذار
فكم من بعد غفران وعفو ... تغير ما تلا من ليل النهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل أضل ولا خوار
فيا لك أكلة مازال فيها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وماولدنا ... ونذبح في حشى آلام الجوار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب أخرجه الوجار
وكانت أنعما لو أن كونا (١) ... يشاور قبله أو يستشار
وماأرضٌ عصتهُ ولا سماء ... ففيم يغول أنجمها انكدار

وهذا الشعر يدل على فساد عقيدته .

---

(١) : في ب ((كان)) .

محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس

الأمير الشاعر ، الفصيح ، هو أحد الشعراء الشاميين ، وفحولهم المجيدين ، مدح أعيان الأمراء ، والأكابر ، وله ديوان مشهور ، ولد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بدمشق ، ومات بها في شعبان ، وقد جاوز الثمانين ، وأنشد له ابن عساكر :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكم في ربع قلبي سكّان
ودوموا على حفظ الوداد فانني ... بليت بأحباب اذا حفظوا خانوا
سل الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان
وهل جردت أسياف برق جمالكم ... فكانت لها الاّ جفوني أجفان (١)

السنة الرابعة والسبعون والأربعمائة

في المحرم ورد كتاب رجل يقال له ابن وهبان من واسط يذكر فيه أن أمراة بنهر الفضل أصابها جذام ، فسقط أنفها وشفتاها ، وأصابع يديها ورجليها ، وجافت رائحتها ، فأخرجها زوجها وولدها إلى ظاهر المحلة ، وبنوا لها كوخا تكن فيه ، وبقيت مدة لايقدر أحد من الإجتياز بها من نتنها ، فجاء ولدها إليها برغيفين شعير ، فقالت له : يابني بالله قف حتى أبصرك ، وجئني بجرعة من ماء أشربها ، فقد قتلني العطش ، فلم يقدر الصبي أن يدنو منها ، وهرب ، وكان قريبا منها جونة تجمع فيها ماء الكتان ، فحملها العطش على قصدها والشرب منها ، فزحفت إليها ، فوقعت عندها ، لضعفها ، وغاصت فيها ، فذكرت أنها رأت رجلين وامرأتين جلوسا عندها ، وأخرجوا لها قرصين عليهما ورقة خضراء ، قد غطتها ، وجاءوها بكزان فيه ماء ، وقالوا لها : كلي من الخبز ، واشربي من هذا الماء ، قالت : فشرعت آكل ، وكلما أكلت عاد القرص كما كان ، الى أن شبعت ، وشربت من الكزان مالم أشرب مثله قط ولا ألذ ، فقلت : من أنتم يا سادتي ؟ فقال أحدهم : أنا الحسن ، وهذا الحسين ، وهذه خديجة ، وهذه فاطمة ، ثم أمرّ الحسن يده على صدري ووجهي ، والحسين على ظهري ، فعادت شفتاي وأنفي ، ونبتت أصابعي ، وعاد كل عضو قد زال مني ، وأقاموني ، فسقط مني نحو زنبيلين كهيئة صدف السمك وهرع الناس لمشاهدتها من البلاد ، والتبرك فيها .

---

(١) : ديوانه : ٦٤٥ مع فوارق شديدة .

وفي يوم الأحـد النصف منه ، وصل خطلج والحاج إلى الكوفة سالميـن .

وورد الخبر بأن مسلم بن قريش فتح بلد حران ، وسروج ، و وصل إليـه أرتق بك في جمع من التركمان ، نجدة لتتش، ومعه والدة تتش، وطلب العبور إلـى تتش فمنعه مسلم وقال : إن أردت تعبر جريدة ، وإلا فأخاف عليك من العـرب ، فاستقر الأمـر على عبور أم تتش، وخدمها .

في ربيع الآخـر ، ورد كتاب مسلم إلى بغداد ، يخبر أن صاحب الرها أطاعـه ونقش اسمه على السكة ، وكان قد اتخذ جامع الرها حانة يشرب فيه الخمر مـع امرأته ، فخرج منه ، وسلمه إلى المسلمين ، فأقاموا فيه الجماعة .

وبعث مسلم توقيعا إلى حربي ، بخمسمائة دينار يعمل بها منبرا ، وكانت إقطاعه ، فرد عليه الخليفة توقيعه ، وأمر بعمل منبر من الديوان .

وفي سلخه وصل ملك شاه إلى أصفهان عائدا من ترمذ ، وحرب أخيه شهـاب الدولة رتكش، وكان قد خلع الطاعة ، وتحصن بقلعة من قلاع ترمذ ، وسار ملك شاه وراءه ، بعد أن جرت بين العسكرين مناوشة عند بلخ ظهر فيها أصحاب السلطان ، ثم عـبروا وكان أصحاب تكش قد حصلوا أموالهم ومواشيهم في جبال لا سبيل إليها ، فسار عسكر السلطان إليها فظفروا بها ، وأخذوها فانزعج أصحاب رتكش، وقالوا له : قد أخذت أموالنا ، فاما صالحت لتعود إلينا ، وإلا خرجنا الى السلطان وخدمناه ، فراسل السلطان فقال : يخرج من ترمذ ويسلمها ، ويعود الى ماكان له أولا من بلخ وأعمالهـا ، ويطأ البساط ، فقال : أسلم ترمذ نعم ، ولكن أطأ بساطه لا ، فتسلم ترمذ ورجـع إلى أصفهان ، ولم يجتمعا ، وكتب إلى الخليفة بشرح الحال .

وفي ليلة الأربعـاء سـادس مـن جمـادي الأولـى ، توفـي ايتكيـن السليماني بعكبرا .

وفي ليلة الجمعة بعده ، وثب خادم لمسلم بن قريش ، وكان حظيا عنده فـي الحمام عليه ، فخنقه بوتر ، وصاح فسمعت خاتون الصيحة ، فجاءت فرأت باب الحمـام مغلقا فكسرته ، ودخلت والخادم خارج من عنده ، فبدأها وقال : الأمير في كل وقـت يسومني للقبيح ، وأنا أمتنع عليه ، وقد ضربني الساعة ، وأنا هارب منه ، وخرج فركب فرسا وهرب ، ودخلت خاتون ، فرأته ميتا قد خرج الدم من أنفه ، فأخرجته فتنفس، وهـو في أدنى رمق ، ثم دب الدم فيه قليلا ، ثم أفاق فأمر بطلب الخادم ، وبث الخيـل

فوجد في منارة مشهد على جبل سنجار ، فأخذ وهو يقول : ويلكم إلى من تحملوني ، والله ماخرجت من الحمام ، وقد تركت فيه روحا ، فحطوه إليه ، فاستخلاه ومناه ، وحلف له ، فأقر على جماعة من عشيرته أنهم حملوه على ذلك ، فقتله واستوحش من حواشيه ، واحتجب عن أكثر خواصه ومؤانسيه ، وقبض على جماعة من أهله ، وبعثهم إلى القلاع ، ثم عاش مسلم بعد هذا إلى أن قتل في حرب ابن قتلمش سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وقيل إنما وثب عليه خادمان ، وكان بمكان يقال له القابوسية (١)٠

وفي يوم الأحد مستهل رجب ، ركب قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني إلى باب الأزج ، ومعه ولده أبو الحسن والشهود والوكلاء ، فولاها ولده أبا الحسن وحكم بين يديه فيها ٠

وفي رجب ورد الخبر بأن ابن بهمنيار الشرابي ، اجتمع بملك شاه ، وتكلم في نظام الملك ، وذكر أنه يبذر من الأموال في كل سنة سبعمائة ألف دينار ، وأقام وجوهها في الأماكن ، وضمن أصفهان بزيادة سبعين ألف دينار ، فسلمت إليه ، فلم يف بما قال ، وفي أثناء ذلك جاء صوفيان إلى نظام الملك ، ومع أحدهما قرصان ، وقال : هذا من افطار فلان الزاهد ، فتبرك بأكل شيء منهما ، فأومى بيده إليهما ، فغمزه الصوفي الآخر فكف يده ، وظهر له أنهما من دسيس ابن بهمنيار ، فأخذ الصوفي ليقتل ، فمنعهم نظام الملك ، ووهب له شيئا ، وأخبر السلطان ، فقال ابن بهمنيار : هذه موضوعة علي لتكون طريقا إلى ابعادي عنك ، وتضيع المال الذي ضمنته ، فتصور إلى السلطان صحة قوله ، فلم يسمع فيه قولا ، وعلت منزلته عنده ٠

وفي شعبان ، كان في الديوان أملاك لأبي القاسم علي ابن نقيب النقباء الكامل ، على ابنة علي ابن الملك جلال الدولة ابن بويه ، وكانت وردت من مصر بعد قتل أبيها هناك ٠

وفيه أفرج عن ابن الرسولي ، وعبد القادر الهاشمي ، ومن كان في الاعتقال منهم ٠

وفي شوال توفي دبيس بن مزيد ٠

وفيه ورد الخبر بأن أبا الحسن ، علي بن مقلد بن نصر ، صاحب تل الحسن ، أخذ حصن سيزر من الروم ٠

---

(١) : لم أجدها في معجم البلدان ولا في الأعلاق الخطيرة أو كتب المكتبة الجغرافية العربية ٠

قال محمد بن الصابئ : وقفت على كتاب بخطه ، منه : كتابي من حصن شيزر وقد رزقني الله تعالى من الإستيلاء على هذا المعقل العظيم مالم يتأت لمخلوق ، ومن دون هذا الحصن بيض الأنوق ، ومن وقف على حقيقة الحال ، علم أني هاروت هذه الأمة وسليمان الجن المردة ، وأنني أفرق بين المرء وزوجه ، واستنزل القمر من محلـــه ، وأجمع بين الذئب والغنم .

إني نظرت إلى هذا الحصن ، ورأيت أمرا يذهل الألباب ، ويطيش العقــول ، يسع ثلاثة آلاف رجل ، ليس عليه حصار ، ولا فيه حيلة لمحتال ، فعمدت إلى تل قريب منه يعرف بتل الحسن ، فعمرته حصنا ، وجعلت فيه عشيرتي وأهلي ، وكان بين التــل وشيزر حصن يعرف بالخراص ، فوثبت عليه ، وأخذته بالسيف .

وحين ملكته أحسنت إلى أهله ، ولم أكلفهم مايعجزون عنه ، وخلطت خنازيرهم بغنمي ، ونواقيسهم بأصوات المؤذنين عندي ، وصرنا مثل الأهل مختلطين ، فحيــن رأى أهل شيزر فعلي مع الروم ، أنسوا بي ، وصاروا يجيئوني من واحد واثنين ، إلى أن حصل عندي نحو نصفهم ، فأجريت عليهم الجرايات ، ومزجتهم بأهلي وحريمهـــم بحريمي ، وأولادهم مع أولادي ، وأي من قصد حصنهم أعنتهم عليه ، وحصرهم شــرف الدولة مسلم بن قريش ، فأخذ منهم عشرين رجلا فقتلهم ، فدسست إليهم عشريــــن عوضهم ، ولما انصرف عنهم جاءوا ، وقالــوا : نسلم إليك الحصن ، فقلت : لا ، ماأريـــد لهذا الموضع خيرا منكم ، وجرت بينهم وبين واليهم نبوة ، فنفروا منه ، وجاءوا إلـــيّ ، وقالوا : لابد من تسليم الحصن إليك ، ذاك إليكم ، فسلموه إلــيّ ، ونزلوا عنـــه ، وحصلت فيه ، ومعي سبعمائة رجل من بني عمي ورجالي ، وحصلوا في الربـــض ، لم يؤخذ لواحد منهم درهم فرد ، وأعطيتهم مالا له قدر ، وخلعت على مقدميهـــم وأعطيتهم واجباتهم بستة أشهر وقمت بأعيادهم ونواقيسهم وصلبانهم وخنازيرهم .

وسمع بذلك أهل برزية (١) ، وعين تاب ، وحصون الروم ، فجاءتني رسلهم ، ورغب كلهم في التسليم إليّ ، فبينا أنا على تلك الحال إذ شنت علي الغارات وجيشت نحوي الجيوش من ناحية مسلم بن قريش غيظا منه ، لم تسلمت حصن شيزر ، بعد أن حلف لي قبل ذلك ، أنني إذا أخذت حصن شيزر ، أنه لايقود إليّ فرسا ، ولا يبعث جيشا ، وبالله أقسم لئن لم ينته عني لأعيدنه إلى الروم ، ولا أسلمه إليه ، ولا إلى غيره أبدا .

---

(١) : مازالت بقاياها موجودة في منطقة جسر الشاغور .

وقال أبو يعلى بن القلانسي : في يوم السبت السابع والعشرين من رجب ، هذه السنة ملك الأمير أبو الحسن علي بن مقلد بن منقذ حصن شيزر ، من الأسقف الذي كان فيه ، بمال بذله له ، وأرغبه فيه ، إلى أن حصل في يده ، وشرع في عمارته وتحصينه والممانعة عنه ، إلى أن تمكنت حاله فيه ، وقويت نفسه في حمايته (١) والمراماة دونه .

وفي شوال ابتدأ مسلم بن قريش بعمارة سور على الموصل ، من حجارة وحصا ، وكان قوم من أهلها قد سألوه ذاك ، ليحمونها ممن يتطرقهم عند بعده عنهم ، وقدر لعمارته مائة ألف دينار ، وأطلق لهم بعضها من ماله ، وقيل إن طوله ثلاثمائة وستين برجا ، بين كل برجين أربعون ذراعا .

وفيه خلع على الوزير فخر الدولة ، وأعطي الفرس بمركب مغموس ، وندب للخروج إلى أصفهان ، بسبب أتصال الخليفة بابنة ملك شاه ، وكان الوزير يؤثر ذلك ، فأجيب ، وسار يوم السبت لسبع بقين من شوال ، ووصل عقيب مسيرة بهاء الدولة منصور ابن دبيس ، قاصدا باب السلطان ، ليقرر في مكان أبيه .

وفي يوم الخميس خامس ذي القعدة سار خطلج بالحاج من الكوفة إلى مكة على عادته .

وفيه خرج الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين إلى أصفهان ، وأصحبه الخليفة مختص الخادم ، وتوقيعا بخطه إلى نظام الملك ، يتضمن الوصية به ، وعوده إلى منزله محروسا . ذكر السبب :

لما عزل فخر الدولة ، وكان ابنه عميد الدولة غائبا عن الديوان ، رشح لذلك مؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك ، وكان يومئذ ببغداد ، وأظهر التوبة من شرب الخمر وغيره ، وجرت في ذلك مخاطبات ، وحمل إلى الديوان مالا أعاده الخليفة إليه وأنكر أن يكون جرى في هذا شيء أو طولع به ، وأحضر الوزير أبا شجاع ، ورتبه في الديوان ، منفذا للأمور ، إلى أن يستقر الحال على من يقوم بهذا الأمر ، وجلس على طرف البساط ، ولم يجلس في مرتبة الوزارة ، فثقل ذلك على ابن نظام الملك ، وكاتب أباه ، وعاد عميد الدولة إلى الوزارة ، وكان الخليفة يميل إلى أبي شجاع ، لعقله وترك مخالطة الأعاجم ، فورد من نظام الملك إلى الخليفة كتاب بتبعيد أبي شجاع عن بغداد ، وإقصائه فاقتضى ذلك إنفاذه إليه ، لإزالة مافي نفسه .

---

(١) : انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٨٤ .

وفي ذي الحجة توفي داود بن السلطان بأصفهان ، وسنذكره إن شاء اللـه تعالـى .

وفي يوم السبت لثلاث بقين منه ، رفع صاحب خبر إلى السلطان ، بأن ابـن بهمنيار ، كاتب خمارتكين الشرابي ، جلس عند موت داود ، وتشاغل بالشرب والغنـاء ، ومعه جعفرك ، وكان السلطان قد سلم إليه ولده ، أحمد ، ليرتبه ، وإن جعفرك أخذ القدح وشربه ، وقال : سر ملك الموت حيث أخذ داود ولم يأخذ أحمد ، وكان السلطان قد حزن على داود حزنا لم يحزنه والد على ولد ، فشق ذلك عليه ، وبعث في الحال ، وكبس دار ابن بهمنيار ، فوجد فيها الدليل على ماحكي عنه ، فأحضر المغنيات والمغنين فشهدوا بذلك ، فشق لسان جعفرك ثلاث قطع ، وقتله ، وكحل ابن بهمنيار دفعات حتى عمي ، وكفي نظام الملك أمره ، بعد أن كان قد أشفى على التلف ، وكان ابـن بهمنيار قد تقدم عند السلطان تقدما زاد على نظام الملك ، فكان إذا أحضر إليـه مايأكل ويشرب ، يقول له السلطان أمام من بحضرته : كل منه واشرب ، فإن هـذا الرجل قد صار له أعداء كثيرون ، منذ قرب منا ، فيجب أن نحرس نفسه ونلاحـظ أمره .

وفيها توفـي :

داود بن السلطان ملك شـاه

في يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة بأصفهان ، ولحق والده عليه مازاد عن المعهود ، وفعل في مصابة مالم يسمع به ، ورام قتل نفسه دفعات ، ولازمـه أصحابه وخواصه لمنعه من ذلك ، ولم يمكن من أخذه ، وغسله ، لقلة صبره على فراقه ، حتى تغير وكادت رائحته تظهر فحينئذ مكن منه ، وامتنع عن الطعام والشـراب ، وسلم إلى الهلع زمامه ، وأعطى الجزع قياده ، ونزع عن الصبر أثوابه ، وأغلق دون السلو أبوابه ، واجتمع الأتراك والتركمان في دار المملكة ، فجزوا شعورهم ، واقتدى بهـم النساء الحواشي ، والحشم ، والأتباع ، والخدم ، وجزت نواصي الخيول ، وقلبت السروج وأقيمت الخيول مسودات ، وكذا النساء المذكورات ، وأقام أهل البلد المأتم في منازلهـم وأسواقهم ، وبقيت الحال على ذلك سبعة أيام ، و ورد كتاب من أصفهان مضمونه : ((كتابي هذا (١) من بلدة أقلب بها في ساعة واحدة ، ومارأيت قبل ماشاهدت الآن مثله ، فأصفه وأشرحه ، وقد وقف بذلك أمر الوصلة التي مضى فيها فخر الدولـة ، وخـرج

---

(١) : زيدت ((هذا)) من ب .

السلطان بعد شهر من يوم الحادثة إلى الصيد ، وكتب بخطه رقعة يقول فيها : ((أما أنا ياولدي داود فقد خرجت أتصيد ، وأنت غائب عني ، وعندي من الإنزعاج لفراقك لي ، والاستيحاش لبعدك عني ، والبكاء على أخذك مني ، ماأسهر ليلي ، ونغص علي عيشي ، وقطع كبدي ، وضاعف كمدي ، فأخبرني أنت بعدي ماحالك ، وماغير البلى منك، ومافعل الدود بجسمك ، والتراب بوجهك وعينيك ، وهل عندك علي مثل ماعندي لك ، وهل بلغ بك الحزن مثل مابلغ بي ، فوا شوقاه إليك ، وياحزناه عليك ، ووأسفاه على مافات منك)) وحملت الرقعة إلى نظام الملك ، فقرأها ، وبكى بكاء شديدا ، واجتمع المحتشمين ، ومضى إلى القبر ، وقرأها عنده ، وارتج المكان بالبكاء والعويل ، وتجدد الحزن في البلد ، وعادت المصيبة كما حدثت ، وجلس عميد الدولة للعزاء في صحن السلام، ثلاثة أيام ، أولها يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة.

نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد

أبو الأغر ، صاحب الحلة ، عاش ثمانين سنة ، كان فيها أميرا نيفا وستين سنة ، وكان في دولة الإسلام ، مثل جذيمة الأبرش ، يجير الوزراء والأمراء ، والأكابر من جميع العرب وغيرهم ، وكانت الطبول تضرب على بابه في أوقات الصلوات ، وكانت وفاته بشهر أباد من أعمال مطرأباد ، فحمل إلى النجف ، فدفن في مشهد أمير المؤمنين رضوان الله عليه ، وقام بعده ولده أبو كامل منصور بهاء الدولة ، وأظهر العدل والإحسان ، وأزال المكوس.

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث

أبو الوليد الباجي ، القاضي الإمام ، المتكلم ، الفقيه ، أديب ، شاعر ، رحل إلى المشرق والحجاز ، ورجع إلى الأندلس، وصنف الكتب ، ومولده في ذي الحجة سنة أربع أو ثلاث وأربعمائة ، سمع الحديث الكثير ، وكان عظيما في الغرب ، يسمى بذي الوزارتين ، وكان على مذهب مالك ، وله فيه التصانيف المشهورة ، ومن شعره :

إذا كنت أعلم علما يقينا ... بأن جميع حياتي كساعة

فلم لاأكون ضنينا بها ... وأجعلها في صلاح وطاعة

واتفقوا على فضله وصدقه ، وثقته وأمانته ، ودينه وورعه ، وأنه توفي بالأندلس بالمرية، وقبره بها ظاهر يزار.

السنة الخامسة والسبعون والأربعمائة

فيها شفع أرتق بك ، إلى تاج الدولة تتش في الأمير مسمار الكلبي ، فأفرج عنه ، وسار أرتق إلى القدس ، وبها ترمش من قبل أتسز ، فراسله وطيب قلبه ، فخرج إليه وسلم البلد ، فأخذ له أرتق من تاج الدولة إقطاع القدس وزيادة ، من ذلك قلعة صرخد ، وكان في القدس خال أتسز ، وزوجته ، وابنته ، فلم يأمنوا المقام بأرض الشام فساروا إلى بغداد .

وفي صفر ، ورد منصور بن دبيس من أصبهان ، ماضيا إلى بلده ، فانحدر عميد الدولة الوزير إلى مشرعة الفضيلة ، تحت بغداد ، وتلقاه ، فنزل منصور عن فرسه ، وقبل الأرض ، وقام الوزير له ، وهنأه بقدومه ، وتقرر أن يحضر بيت النوبة ، ليخلع عليه الخليفة بمحضر من القضاة ، والنقباء ، والأشراف يوم السبت ، منتصف صفر ، وتقدم إليهم بالحضور ، فبكر الناس لذلك ، فوجدوا منصورا قد سار في أول الليل إلى بلده ، فعادوا وقيل السبب أنه طولب بأملاك في بلده ، أظهرت كتبها ، فقال : لم يطالب بها والدي فلم أنا أطالب بها ، إن كان هذا لأجل الخلع فما أريدها ، ورحل ، ثم أنفذت إليه الخلع بعد مدة مع مختص الخادم ، إلى بلده ، وأمسك عن الأملاك التي له بقربه .

وقدم خطلج والحاج (١) سالمين في منسلخ صفر.

وفي ربيع الأول ، وردت البشائر من أصفهان ، بأن السلطان أجاب إلى تزويج ابنته من الخليفة.

وقد ذكرنا خروج الوزير فخر الدولة إلى أصفهان في السنة الماضية بهذا السبب ومعه الخلع والهدايا للسلطان ، والجماعة ، وماتقصر عن عشرين ألف دينار ، ووصل فخر الدولة إلى أصفهان يوم الخميس ثالث ذي الحجة ، وخرج إليه نظام الملك ، والأمراء والوجوه ، واتفق وفاة داود بن السلطان يوم الجمعة حادي عشره ، فلما انقضى الشهر عن الوفاة ، جارى فخر الدولة نظام الملك في معنى الوصلة ، وكان معه خادم بهذا السبب فقال للخادم : مالك عندي في هذا أصل مقرر ، فاكتبوا إلى أمير المؤمنين ليجهز من يتحدث مع والدة الصبية ، وإما أن تعودوا أو تحتجوا بهذه المصيبة الحادثة فإذا مضت الأيام وسلي هذا الحزن عدتم ، فقال فخر الدولة : ماعندي في هذا أمر أقوله ،

---

(١) : زيدت ((والناس)) من ب .

وإنما هذا الخادم حكى لي ، أن هذا الأمر جرى هاهنا عام أول ، فأنفذني الخليفة لإتمامه ، والمسير في صحبة هذه السيدة ، وأنفذ هذا الخادم ليتولى أمرها ، فقال من مع فخر الدولة لنظام الملك : نحن إذا كتبنا ، نعلم أن الخليفة يرد الأمر إليك ، فافعل ماتراه ، فقام نظام الملك ، ومضى إلى خاتون ، وقال لها : أمير المؤمنين راغب إليك في الوصلة إلى ابنتك ؟ فقالت : قد رغب إلي في ذلك ملك غزنة لابنه ، وملوك الخانية ، وبذل كل واحد منهم أربعمائة ألف دينار ، فإن أعطاني أمير المؤمنين هذا القدر ، كان أحب إلي من غيره ، فقال نظام الملك : أمير المؤمنين لايواجه بمثل هذا ، وجرت مخاطبات ، انتهت إلى تسليم خمسين ألف دينار ، عن حق الرضاع ، وزنا نقدا ، وهذه عادة للترك عند التزويج ، ومائة ألف دينار مهرا ، فقال فخر الدولة : نحن نحصل هاهنا عشرة آلاف دينار ، وننفذ من بغداد أربعين ألف دينار ، و وقع الرضى بهذا ، وشرعوا في تحصيل العشرة آلاف ، فلم يكن لها وجه ، وعرف السلطان ، فأمر بتأخير الكل إلى أن ينفذ من بغداد ، وقالت الخاتون : إذا أملكت ابنتي بأمير المؤمنين ، فأريد أن تخرج إلى عمته ، وأمه وجدته ، ومن يجري مجراهن من أهل بيته ، ومحتشمي دولته ، وأحضر أنا خواتين غزنة ، وسمرقند ، وخراسان ، ووجوه البلاد ، ويكون العقد بمحضر منهن ، وأنفذ معها من الجماعة من يصلح ، على مايليق بحال أمير المؤمنين وحالنا ، فقال فخر الدولة : تعطينا يدها على ذلك لتقع الثقة ، وشاور النظام السلطان ، فأذن في ذلك ، وأعطاهم يده ، واقترحت خاتون أشياء ، منها : أنه لا يبقى بدار الخليفة سرية (١) ولا قهرمانة ، وأن يكون مقام الخليفة عندها .

وعاد فخر الدولة إلى بغداد في ربيع الأول ، فخرج ولده ، والحجاب ، والوجوه للقائه ، وجاء إلى باب الحجرة ، وأخبر بما لقي من السلطان ، والنظام ، من الإحسان ، والخلع والإطلاق ، وأعطاه السلطان ألفي دينار ، وببغداد مثلها ، ولولده عميد الدولة مثلها ، وأعطاه الأعلام ، والكوسات ، والخيل بمراكب الذهب ، والثياب المذهبة ولما ودع السلطان أخذ يده على أنه لايمكن الخليفة من الإستبدال بهم في خدمته ، ولم يفسح للوزير أبي شجاع في العود إلى بغداد ، ورسم له بالمقام في العسكر ، وعاد مختص الخادم ، الذي كان معه ، وثقل ذلك على الخليفة ، ونسبه إلى فخر الدولة .

---

(١) : في ب ((الخلافة)) .

وفي هذا الشهر عاد مسلم بن قريش من الشام ، إلى منزله بالقابوسية ، من أعمال الموصل ذكر السبب :

لما صعد إلى الشام ، طالب الفردوس والي أنطاكية بمال الهدنة وهو ثلاثون ألف دينار ، في كل سنة ، فلم يحمل إليه شيئا ، وكاتبه أهل أنطاكية ، وقرروا معه فتحها وتسليمها إليه ، وكان من سوء رأي مسلم وتخلفه أنه كان له كاتب نصراني ، فكان يدع عنده مكاتباتهم ، ثقة به ، وتحقق الكاتب فتح أنطاكية ، فهرب إليها ، ومسلم بحلب ، ودفع تلك الكتب إلى الفردوس ، فلما وقف عليها أحضرهم ، وكانوا ثلاثمائة إنسان ، فقتلهم بين يديه صبرا ، وكاشف مسلم ، وكتب إلى السلطان بأنه يكاتب صاحب مصر ، وينفذ له الخلع والأموال ، واستقر أن الفردوس يحمل إلى السلطان في كل سنة مال الهدنة ، وبعث نظام الملك ، فعتب مسلم بن قريش ، فقال في الجواب : إن كانت الكتب مني إلى صاحب مصر ، توجه العتب علي ، وإن كانت منه إلي فاحفظوا صاحبا لكم ، يرغب فيه صاحب مصر ، لا تخرجوه عن أيديكم ، وارغبوا فيه ، كما رغب فيه غيركم.

ثم سار مسلم إلى شيزر وفيه ابن منقذ ، فحاصره ، واستقر أن يعطيه عشرة آلاف دينار ، ويرحل عنه ، وسار إلى حمص وهو في يد ابن ملاعب ، فتحصن بالقلعة ، فأخذ البلد ، وكتب ابن ملاعب إلى تتش يستنجده ، فكتب إلى مسلم : إن هذا صاحبي ، ومنتم إلي ، فارحل عنه فبعث إليه : إن هذا رجل مفسد في أعمال السلطان قاطع سبلها ، فإن كان صاحبا لك ، فخذه إليك ، فرحل تاج الدولة تتش من دمشق ، يريد ابن قريش ، فخاف من عتب السلطان ، وأنه حارب أخاه ، فسار إلى صور وأظهر أنه يريد حصارها ، فرجع تتش إلى دمشق ، وعاد مسلم إلى حمص ، فخرجت نساء ابن ملاعب وحريمه ، فتعلقن بذيل مسلم (١) فاستحي منهم ، وذم له وأبقاه على حاله ، ولم يطالبه بمال تقرر عليه ، واستحلفه ، وحلف له ، وعاد إلى حلب ، كان في أعمالها نحو من ثلاثمائة فارس من التركمان ، بقايا من كان يخدم بني الزوقلية فاستدعاهم مسلم من الأعمال و وأظهر أنه يعرضهم ، فلما حضروا على بابه أمر العرب فنكسوهم عن خيولهم ، وقيدوهم ، وفرقهم في القلاع ، وكان ذلك آخر العهد بهم ، وقبض على حسن بن منيع بن وثاب النميري الأعرج ، صاحب سروج ، وأخذها منه ، وقيل إنه وجد له ملطفات إلى تتش ، فكان آخر العهد به وقبض على شبيب ووثاب ولدي محمود بن الزوقلية ، وطالبهما بتسليم قلعتي أعزاز والأثارب ، فسلماها ، فأفرج عنهما ، وعوضهما الخانوقة وقرقيسياء ، ودويرا ، من أعمال الرحبة.

---

(١) : في ب ((بأذيال))

وفيه ثار رجل بالبصرة ، يعرف بعبد الباقي بن الساموجي ، فجمع العوام ، وتعرض لأماكن الشيعة ، منها مسجد البغل سد بابه ، وفتح له بابا إلى ناحية السنة ، وسماه مسجد عائشة ، وجعل فيه حجرا زعم أنها كانت تصعد عليه إذا ركبت الجمل ، ولفه في ثياب ديباج ، وفي محلة بني مازن مسجد يعرف بعلي رضى الله عنه فأخذ ماكان فيه من الآلات ، وأمر العوام بغسله وتطهير القبلة ، وكان إلى جانبه أشراف مدفونون ، فنبشهم وأحرقهم ، وكتب على باب المشجد ، أمير المؤمنين معاوية ، العدل الرضى ، ثم الإمام ، صالح المؤمنين يزيد ابنه ، وسلط العوام ، فكانوا يتعرضون لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام .

وبلغ الخليفة ، فقامت عليه القيامة ، وأحدر نقيب النقباء الكامل إلى البصرة ، فالتجأ ابن الساموجي إلى الجامع ، وأقام يتعبد ، ورجع عن تلك الأفعال ، وثار عليه الهاشميون ، وقصدوا قتله ، ونهبوا منزله ، فدافع عنه أصحابه ، وقتل بينهم جماعة وهرب ، ثم أصلح النقيب الحال .

وفي ربيع الآخر ، تكلم على العوام ، رجل قاص ، فقال : هذه المدرسة التي بناها الطوسي — يشير إلى نظام الملك — مدرسة للدين مفسدة على المسلمين ، ويجب أن تنقض وتدرس ، ثم هرب إلى دار علي بن عقيل ، فبعث عميد الدولة ، فكبس دار ابن عقيل ، وأخذ القاص ، فأدبه ، وحبسه ، وهرب ابن عقيل إلى الحريم .

وفيه أمر السلطان بأن يكتب لوحان مضمونهما : ((رفع المكس عن قافلة الحاج صادرة وواردة ، وكتب في أول اللوحين اسم المقتدي ، وبعده اسم السلطان ، وجعل أحدهما في باب الحلبة ، والآخر في باب جامع القصر ، ولعن من يغير ذلك أويبدله .

وفي رجب عاد الوزير أبو شجاع من أصفهان ، على أن يلازم داره بباب المراتب ، ولا يركب إلى دار الخليفة ، فأخرج له الخليفة الموكب بتمامه إلى الحلبة ، ليلتقيه ، ودخل إلى باب الحجرة ، وخدم وخرج له التوقيع بما سر به ، وانكفى إلى منزله ، ثم كتب الخليفة إلى نظام الملك في معناه ، وتقبيح مافعل معه من منعه هذه المدة .

وفيها سار تتش إلى حلب ، فأخذ من غلاتها ماباعه بثمن بخس ، عجلة وسرعة ، وقيل إن ملك شاه كتب له بمال على ابن قريش ، فمطله ، فسار بنفسه وباع ماقدر عليه ، وأنفذ مسلم أصحابه لحفظ حلب ، فغاظ تتش وأقام بجسر الحديد ، ومايقارب حلب ،

وأمر أرتق بشن الغارات على حلب ، فظفر أصحابه بطلائع من العرب ، فأسروا منهم نيفا وثمانين رجلا ، فقتلهم أرتق بك جميعهم ، وعاد أصحاب مسلم إلى القابوسية . ووردت كتب السلطان إلى أخيه بأن يرجع إلى دمشق ولا يقيم ببلد حلب ، وإلى أرتق بك بالعود إلى بابه ، ففارقه أرتق بك من جسر الحديد ، وسار تتش إلى دمشق ، وحل بها وضعفت نفسه لمفارقة آرتق بك ، وعبر مسلم في العرب والأكراد وراء تتش إلى دمشق فنزل على فرسخين منها .

وفي يوم الخميس ثالث شعبان ، جلس مؤيد الدولة ابن نظام الملك للعزاء بأخيه الأكبر جمال الملك ، وركب إليه الوزير فخر الدولة ، وولده عميد الدولة ، وكان جمال الملك قد خرج من نيسابور في رجب لاحقا بالسلطان ، وأبيه ، فعرض له قولنج كان يعتاده دائما ، فنزل عن فرسه في خركاة ، واستدعى والدته من نيسابور ، فلما وصلت إليه ، قضى نحبه ، فدخلت عليه وكمه على وجهه ، فظنت أنه نائم ، فلما طال عليها يقظته ، كشفت عن وجهه فإذا به ميت ، فخرجت حاسرة قد حثت التراب على رأسها ، فلما شاهدها أصحابه وغلمانه ، جزوا شعورهم ، وحذفوا خيولهم ، وطرحوا ذلك على باب الخركاة ، فكان كالليل الأسود ، وأعيد إلى نيسابور ، فدفن بها ، وكان قد خرج منها خروج الملوك ، فرجع كما قال الشاعر :

رحن في الوشي وأصبحن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر له يوم نطوح

وقيل إن السلطان أراد قتله ، لأنه كان قد استولى على خراسان فراعى قلب والده ، فدس إليه من سمه .

وفيها فتح ابن قتلمش حصن طرسوس (١) من الروم ، وبعث إلى ابن عمار ، وقاضي طرابلس يستدعي لها قاضيا وخطيبا .

وفي يوم الجمعة لخمس بقين من شوال عبر قاض أشعري ، يقال له البكري ، إلى جامع المنصور ، ومعه الشحنة ، والأتراك ، والعجم ، بالسلاح ، وكان يذكر أنه من ولد أبي بكر رضي الله عنه ، وكانت فيه حدة وجرأة ، وطيش ، وخفة ، وورد بكتاب نظام الملك يتضمن الإذن له بالجلوس في المدرسة النظامية ، والكلام بمذهب الأشعري فجرى بينه وبين أصحاب ابن الفراء الحنبلي سيئات ، ورجم وآل أمره ، إلى أن أخرج من بغداد

---

(١) : معروفة ماتزال تحمل هذا الإسم في تركيا في الجنوب .

سابع عشر شوال ، إلى عسكر السلطان ، وأعطي من الديوان مائتي دينار ، وخمس قطع من الثياب ، ولقب علم السنة ، وكان سفيها طرقيا ، ظاهر أحواله الإلحاد ، وأغرى بسبب الحنابلة ، وقال : هؤلاء يقولون لله ذكر بغرماء الله في ذكره بالخبائث ، فمات ودفن بمشرعة الروايا عند الأشعري ، يوم الإثنين ، تاسع جمادى الأول ، سنة سبع وسبعين .

وفيها رجع السلطان من بلخ ، وكان قد سار لقتال أخيه شهاب الدين تكش ، ولما وصل بلخ وجد الغلاء العظيم ، وتعذرت الأقوات والعلوفات ، و وصل إلى القلعة وتعرف بدذكر (؟) وهي سن رأس جبل ، ومساحة الموضع على ماقيل أربع فراسخ وبين يديها ساحة كبيرة ، يطيف بها جبل شامخ ، والعسكر في تلك الساحة ، وفي الجبل باب يدخل منه إلى الساحة ، ولم تكن له حيلة في الوصول إلى تلك الساحة ، فجاء تركماني ودله على مكان يصل منه إليها ، فركب السلطان ، وجاء إلى ذلك المكان ، وأشرف على الساحة ، ومعسكر تكش بها ، فصعد تكش ومن معه إلى القلعة ، وجاء أصحاب السلطان ، فنزلوا في الخيم ، ووقع القتال ، وأسر جماعة من أصحاب السلطان فأحسن إليهم ، فدخلوا بينهما ، وأصلحوا الحال على أن يرد عليه ترمذ ، ويعطيه تكش ولده رهينة ، وظهر تكش من القلعة على بعد ، وخدم السلطان ، ورضي عنه ، ورحل عن المكان ، وسبب رحيله ، وصلحه كثرة الثلج والغلاء ، وعدم الأقوات ، ولما قرب السلطان من سرخس (١) ، جاءه أخوه طغان شاه ، صاحب تلك البلاد ، وخدمه ولاطفه بالهدايا ، وشرب عنده ، فقال له على سكر : ياسلطان أنت ماتعطي إلا لمن يخرج عليك ويعصيك ، ومن يطيعك ويتقرب إليك تحرمه ، وتمنعه ، يعني أخاه تكش ونفسه فغضب السلطان من قوله وقبض عليه ، وبعث به إلى أصفهان ، وراسل القلعة التي فيها والدته ، وأولاده ، وأمواله ليأخذها ، فامتنعت أمه من تسليمها ، ثم سلمتها بعد ذلك .

وفي ذي الحجة أخرج الخليفة أبا اسحق ، وشافهه بما يقوله ، مما يجري ، وهو أبو اسحق الشيرازي ، مما يجرى على البلد وأهله من العهد ، فاستشعر الوزير ، وولده من ذلك ، وخافا أن تكون الرسالة في معناهما ، فقام ولد الوزير من الديوان ومضى إلى داره ، وأغلق بابه ، فأرسل الخليفة إليه ، وطيب قلبه ، فعاد إلى الديوان على كره ، وفي نفسه مافيها ، وأقام أبوه في داره على كره أيضا ، وقد كان كتب إلى أصفهان ، يسأل إنفاذ من يخرجه من موضعه ويحمله إلى مقصده .

---

(١) : مدينة كبيرة في خراسان بين نيسابور ومرو معجم البلدان .

وفيها سار مسلم بن قريش إلى دمشق ، فحصرها ، وعاد عنها ، ولم يظفر بطائل .
وفيها توفـي :

ابـــن ماكـــولا

علي بن هبة الله بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلـف ابن أبي دلف القاسم بن علي ، أبو نصر الأمير الحافظ العجلي ، أصله من جربـاذقان ، من نواحي أصفهان ، ولد ببغداد ، ونشأ بها ، ووزر أبوه هبة الله للقائـم ، وولد أبو نصر خامس شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بعكبرا ، وسمع الحديث الكثيـر وصنف المصنفات الحسان ، منها ((الإكمال (١))) ، و ((مستمر الأوهام على ذوي النهى والأحلام)) .

وقال أبو عبدالله الحميدي : ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأحالني على كتاب ، ولا راجعت ابن ماكولا في شيء ، إلا وأجابني من حفظه كأنما (٢) يقرأه مـن كتاب (٣) .

وتوفي في هذه السنة ، وقيل سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة سبع وثمانين ، وقيـل سنة نيف وسبعين وأربعمائة ، وخرج إلى خراسان ، ومعه غلمان له ترك أحداث ، ومـال كثير ، وثياب فوثبوا عليه بجرجان ، وقيل بخوزستان ، فقتلوه ، وأخذوا الجميع وهربـوا وراح دمه هدرا ، ومن شعره :

أقول لنفسي قد سلا كل عاشق ... وحبك لا يزداد إلا تجـددا

وقـال :

ولما توافينا تباكـت قلوبنـا ... فممسك دمع يوم ذاك كساكبـه
فياكبدي الحرى البسي ثوب حسرة ... فراق الذي تهوينه قد كساك بـه

وقـال :

أليس وقوفنا بديـار هنـد ... وقد سار القطين من الدواهـي
وهند قد غـدت داء لقلبـي ... إذا صـدت ولكن الدواهـي

وقد روى عنه الأئمة ، ولم يتكلم فيه غير عبد الوهاب الأنماطي ، فقال : العلـم يحتاج إلى دين ، وكان يتهمه بالغلمان .

---

(١) : طبع في سبعة مجلدات .
(٢) : في الأصل : ((لما)) وهو تصحيف قوم من ب .
(٣) : الحميدى هو المؤرخ والرحالة الأندلسي المشهور صاحب جذوة المقتبس له تاريخ أرخ به للدولة العباسية إثناء وجوده بالمشرق توجد نسخة خطية وحيدة منه في

السنة السادسة والسبعون والأربعمائة

فيها في يوم الجمعة ، لخمس بقين من صفر ، خرج توقيع الخليفة إلى الوزير (١) عميد الدولة ، بعزله عن الوزارة ، بنسخته : لكل أجل كتاب ، انصرف من الديوان إلى دارك ، وخل ما أنت منوط به من نظرك ، فوصله التوقيع وهو في داره بباب عمورية، لم يمض إلى الديوان بعد .

قال عميد الدولة : فلما قرأته ، قلت : السمع والطاعة ، قد كنت في الديوان متحملا للأعباء ، وأنا الآن متوفر عن الدعاء ، وكان قد جاءني ليلة الجمعة توقيع يتضمن : الشكر لي ، والإحماد ، والثقة ، والإعتداد ، ومايجري هذا المجرى، من الجميل الذي ما أعرف سببه ، فارتبت به ، وتعجبت منه ، ومازلت مفكرا فيه ليلتي، فلما جاءني هذا التوقيع الثاني ، علمت أن ذاك لهذا ، وحضرني بعض الخواص عقيب توقيع العزل ، فأشار علي بالمقام ، والتوقف والتثبت ، وترك الإنصراف ، فزاد ارتيابي ، ونهضت من وقتي ، واتفق وصول يارخ الحاجب المنفذ من جهة السلطان ، بكتب منه إلى الخليفة ، إما أن يستخدمنا ، ويوفينا حقوق الخدمة ، ورجوعنا إلى المألوف منه ، أو الإذن لنا بالإنصراف والقدوم عليه ، وكان والدي كتب إلى هناك ، بأننا متهمون بكل مايكون منه اعتراض للديوان ، والحاشية ، فإما أن تزول هذه التهم عنا ، وإما أن تنقل إلى أصفهان ، فنقيم هناك في ظل السلطان ، وكتب السلطان إلى والدي ، وإلي ، بالمبادرة إليه ، إذا لم يقع من الخليفة إيثار لخدمتنا ، ولم يبق مع العزل ، للكتب وإيصالها حكم ، فخرجت ، أنا ووالدي وأخواتي ، وأهلنا ، ورحلنا بعد أن اجتمع الحاجب الوارد ، وشحنة بغداد ، والعميد ، والعجم على باب عمورية ، بالسلاح ، حتى خرجنا بأموالنا وأهلنا من غير استيذان الخليفة في ذاك ، ولا إعلام به ، وتعجب الناس من هذه الحال ، ونزلنا في دار المملكة .

قال ابن الصابي : وأقاموا بها يتجهزون ، وقد اجتمع إليهم حشد كثير ، إلى عشية السبت ثالث ربيع الأول ، وساروا نحو أصفهان في تجمل كبير ، ومعهم ابنة الوزير نظام الملك ، زوجة عميد الدولة ، وكان مسيرهم ليلا ، واستدعي يارخ الحاجب وأخذت منه الكتب وردت الأجوبة بكراهية بني جهير ، والتماس إبعادهم، وأعطي

---

(١) : بداية سقط في ب .

هذا الحاجب ثلاثمائة دينار ، وفرسا بمركب ، وثيابا تطييبا لقلبه ، حيث لم يستقبل من الديوان عند وروده .

واستنيب في الديوان منفذا وناظرا أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم ابن المسلمة ، وكان قبل ذلك على عمارة الدار ، وأحوال الخدم والخواص .

وفيها سلم ابن الصقيل ، قلعة بعلبك إلى تاج الدولة تتش ، وكان مقيما فيها ، من قبل المصريين ، وذلك في صفر .

وفي ربيع الأول عاد مسلم من دمشق إلى حران عجلا ، وقال أبو يعلى ابن القلانسي : في سنة خمس وسبعين ، توجه تتش إلى الروم ، وفي خدمته وثاب بن محمود ، ومنصور بن كامل ، فأقام هناك مدة ، واتصل به خبر مسلم ، وما هو عليه من الإحتشاد للنزول على دمشق ، فعاد تتش ، فوصلها أوائل المحرم هذه السنة ، ووصل مسلم إلى بالس ، وسار مجدا إلى دمشق ووصل إليه جماعة من عرب قيس ، واليمن ، وقاتل أهل دمشق ، وخرج إليه عسكر تتش ، والتقوا وثبت مسلم ، وقاتلت العرب ، ثم انهزموا وتضعضع عسكره ، وأشرف هو على الأسر ، وتراجع أصحابه ، وكان قد اعتمد على نجدة المصريين ، فتقاعدوا عنه وجاءه من بلاده ماشغل خاطره ، فرحل إلى مرج الصفر (١) ثم عاد إلى الشرق ، وجد في السير ، فهلكت المواشي ، وانقطع من الناس خلق كثير ، من العطش ، وخرجت به الطريق إلى قريب سلمية ، فأنفذ وزيره صدقة خلف خلف بن ملاعب ، المقيم بحمص ، فخرج إليه ، فأكرمه وخلع عليه ، وقرر معه حفظ الشام الأسفل ، وسار إلى الشرق ، وخرج تتش إلى ناحية طرابلس ، وافتتح حصن أنطرطوس ، وبعض الحصون ، وعاد إلى دمشق ، وقيل إنه قصد حلب ، فلم يظفر بطائل .

وقال محمد بن الصابي : لما وصل مسلم إلى دمشق ، لم يكن مع تاج الدولة تتش من العسكر مايخرج بهم إليه ، فعدل وثاب بن محمود وجماعة من وجوه (٢) بني كلاب ، فراسلوه وواعدوه يوما عينوه ، واستعد مسلم وجمع إليه الأكراد ، والعبيد المحيطين به ، وانفرد بنو كلاب وبنو نمير عنه ، واقتتلوا ، وقتل من الفريقين عدد كثير ،

---

(١) : هي منطقة الكسوة جنوب دمشق ، انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٨٥-١٨٦ وكتاب مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ١٩٠- ١٩٢ حيث جرى تحليل أسباب انسحاب مسلم وتوجهه شمالا .

(٢) : نهاية السقط في نسخة (ب) .

ووصل الخبر إلى مسلم : بأن أهل حران ، عصوا عليه ، فرجع كارا إلى حمص ، وصالح في طريقه ابن ملاعب ، وحالفه ، وأعطاه مضافا إلى حمص : رفنية وسلمية ، وأقطع شبيب ابن محمود بن الزوقلية حماة ، واستخلفه في تلك الأعمال ، وعاجل حران ، فوصلها يوم الجمعة ثامن ربيع الأول ، فوجد قاضيها ابن جبلة الحنبلي ، قد استغوى أهلها ، وأدخل إليها جماعة من بني نمير ، مع ولد صغير لمنيع بن وثاب ، وانفذ ابن عطير أحد وجوه بني نمير إلى جبق ، أمير التركمان ، فكان قريبا ، فاستدناهم إليه ليسلم إليهم البلد ، وشرع القاضي يعلم مسلما ، ويميه خديعة منه ، ليصل التركمان ، وعلم مسلم فحاربهم ، ورمى قطعة من السور ، وبينما هو كذلك وصل التركمان ، فترك أقواما يقاتلون البلد ، وركب وهو بمن معه ، فأشرف على التركمان واتصل الطراد ، وقال للعرب : املكوا عليهم النهر والمعروف بالجلاب ، واجعلوه وراءكم ، وحولوا بين التركمان وبينه ، ففعلوا ، وعطشوا ، وخيلهم ، وهجرت الشمس عليهم فمالوا بجمعهم طالبين رأس الماء ، على أن يشربوا ، ويسقوا خيولهم ويعودوا على العرب ، فلما عطفوا خيولهم ، لم يشك العرب أنها هزيمة ، فألقوا نفوسهم عليهم ، فانهزموا ، فتبعوهم ، وغنموهم وقتلوا وأسروا ، وأقام مسلم على حصار حران ، وكان كلما رمى قطعة على السور ، نصب ابن جبلة بإزاء الثلمة مجانيق وعرادات (١) ، منعت من يروم القرب منهما ، وراسله إنك كلما رميت قطعة من السور ، جعلت مكانها مجانيق وعرادات ، ورجالا أشد منها ، فتوقف عن حربهم ، وتربص .

واتفق أنه استأمن إلى مسلم من أهلها ثلاثة إخوة ، فأخذ القاضي أباهم ، وكان شيخا كبيرا ، فأصعده إلى السور ، وقتله ، ورمى برأسه إلى مسلم ، فلما أحضر الرأس بين يديه ، وعلم الحال ، قال : غدا أفتح البلد إن شاء الله تعالى ، فهذا بغي (٢) أرجو من الله النصر في جوابه ، وأنفذ إلى العرب ، وأمرهم بالبكور للقتال ، فجاءوا ولبسوا السلاح ، وتقدم مسلم ، وعليه السلاح ، وكان قد بعث رجالا في الليل ينظفون الحجارة من الطريق ، لأجل الخيل ، فسئل أن يكاتب ابن جبلة ويعطيه الأمان لئلا يهلك الناس ، ونهبت البلد ، فلما كتب ، أعاد جوابه على رأس الورقة :

السيف أصدق أنباء من الكتب

---

(١) : آلة رمي أصغر من المنجنيق .
(٢) : في ب بغاء .

فتقدم إلى العرب بالدخول إلى الفتحة ، فما منهم من أقدم ، فجمع عبيده وخواصه وهجمها ، وأتته الحجارة ، فسلم منها ، ودخلها ، وأحرق المجانيق ، والعرادات ، وقتل خلقا كثيرا من أهل البلد عندها ، وتبعته العرب حينئذ ، فدخل البلد ، وصعد ولد إيتكين السليماني ، ونزل من السور ، وفتح الباب ، فأقطعه قوقيسيا ، ثم طلب القاضي فوجد في كندوج (١) فيه قطن ، فأخذ ووالده ، فقبض على أعيان أهل حران ، ونهب البلد إلى آخر النهار ، ثم رفع النهب ، وصلب القاضي وولديه ، وأعيان الحرانيين ، على السور ، وقتل خلقا من العوام ، وعاد إلى منازله بأرض الموصل .

وفي يوم الثلاثاء تاسع وعشرين ربيع الأول ، قدم أبو اسحق الشيرازي ، والخادم الذي كان معه من أصفهان إلى بغداد ، بكتب السلطان بإزالة الأعتراض عن إقطاع الحواشي ، وأوصل الشيرازي إلى الخليفة ، وخاطبه بما طيب قلبه ، وكان في الكتب ، كتاب من نظام الملك إلى الخليفة ، جواب في معنى آل جهير ، مضمونه : إذا لم يكن أمير المؤمنين يرضاهم من خدمته ، وقد انصرفوا عن حضرته ، وقصدونا ملتجئين إلينا ، ومستجيرين بنا ، فلابد من مقابلة ذلك بما يصلح أحوالهم ، ويحقق فينا ظنونهم ، وثقل على نظام الملك صرف الوزير عميد الدولة وزوجته من بغداد ثقلا شديدا .

ثم ورد الخبر أنهم لما وصلوا إلى أصفهان أخرج نظام الملك ليلا إلى ابنته زوجة عميد الدولة عمارتين ، جلست في إحداهما وبناتها من عميد الدولة ، وفي الأخرى بنات عميد الدولة من أختها التي ماتت ، ومعهم الخدم والغلمان والأتراك بالشموع ، وخرجت نساء الحجاب ، والأمراء ، والخواص للقائه ، ودخلوا على السلطان ، فأجلسهم بين يديه ، ووعدهم بالجميل ، وأفردت لهم الدور الجليلة ، وأقيمت لهم الأنوال الكثيرة ، وأطلق لهم السلطان أموالا وقدموا هم هدايا للسلطان والجماعة ، فلم يقبل لهم أحد شيئا ، وقالوا : ماهذا وقته ، فثقل ذلك على الخليفة ، وكبر موقعه منه .

وفي جمادي الأولى عقد السلطان لفخر الدولة الوزير على ديار بكر بمال ضمنه عنها ، وخلع عليه ، وأعطي الكوسات والأعلام ، وأذن له في ضرب الدبادب على بابه في أوقات الصلوات الثلاث : الفجر ، المغرب ، والعشاء الآخرة ، في المعسكر السلطاني ، والصلوات الخمس في ديار بكر ، وأن يخطب لنفسه بعد السلطان في

---

(١) : كلمة فارسية تعني القطن المحلوج المعد للغسل ، المعجم الذهبي .

الجمع ، وينقش اسمه على السكك ، وقد تقدم في ترجمة أحمد بن مروان في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ماجرى لفخر الدولة معه ، في هذا المعنى ، ثم إنه لم يقتنع بتغيير دولة بني مروان الكردي ، حتى اتفق مع نظام الملك على تغيير الدولة العباسية ، فلولا أن الله تعالى لطف بالخليفة ، فمات السلطان ، وقتل نظام الملك ، لأخرج الخليفة من بغداد .

وفيها عزل السلطان خطلج عن الكوفة ، وإمارة الحج ، لكثرة شكاوي الناس منه ، وفيها عزم تتش على مصاهرة بدر الجمالي ، على ابنته ، فأشار ابن عمار صاحب طرابلس على تتش ، أن لا يفعل ، فامتنع بعد ما وردت هدايا ، وملاطفات من مصر .

وفي شعبان استوزر الخليفة أبا شجاع بن الحسين ، وخلع عليه خلع الوزراة ، ولقبه بظهير الدين ، مؤيد الدولة ، سيد الوزراء ، صفي أمير المؤمنين ، وكتب له توقيعا بليغا بخط ابن الموصلايا ، وكان أبو شجاع من أعقل الناس ، وأعفهم ، وأكثرهم اجتهادا في خدمة سلطانه .

وفيها ولي السلطان سرهنك ساوتكين أمارة الحاج ، والكوفة فأحسن إلى الرعية ، وأسقط عنهم وعن الحاج ماكان يأخذه خطلج من الكراء والخفارة ، واستدعى العرب ، وضمنهم الطرق ، والتزم جميع ماكان يؤخذ منهم من ماله .

وفيها توفي السلطان شاه اسحق بن قاورت بك ، بكرمان ، فجاءت أمه إلى السلطان بهدايا ، وألطاف ، وأموال ، فأكرمها ، وأقر أخاه مكانه .

وفيها تغيرت نية السلطان ، على نظام الملك ، ثم صلحت ، ذكر السبب :

كان أبو المحاسن بن أبي الرضا ، كاتب ديوان الرسائل ، قد نفق على السلطان وأحبه ، ومال إليه ، وأنس به وعول عليه ، بحيث ينفرد بالأعمال ، وأطرح نظام الملك ، وأطلق فيه لسانه ، بألف ألف دينار ، وضمن أبا الرضا ولده بخمسمائة ألف دينار ، وكذا شرف الملك أبي سعيد المتوفي ، فصنع نظام الملك سماطا عظيما ، ودعا السلطان إليه ، فلما أكل ، خلا به ، وأقام مماليكه الأتراك على خيولهم ، وكانوا أكثر من الف غلام ، وعليهم أسلحتهم وجنائبهم ، وجمالهم ، وخيامهم عليها ، ثم قال : أيها السلطان إن ما آخذه من عشر أموالك ، أنفقه في هذا العسكر الذي تراه ، وإن جامكياتهم (١) تشتمل

(١) : أي أعطياتهم .

على مائتي ألف في كل سنة ، وهؤلاء يقاتلون أعداء دولتك ، ولو لم أدفع إليهم هـذا المال من عندي ، لاحتجت إلى أن تعطيهم من خزانتك ، وقد جمعتهم وخيلهم ، وسلاحهم وجمالهم ، وخيامهم ، فتتقدم بنقلهم إلى من تراه من الحجاب ، يصرف إليهم من هذا العشر الذي آخذه ، وأستريح أنا من التعب ، والخطر ، ومع هذا فقد خدمت جدك وأبـاك ، وشخت في دولتكم ، وأنا والله مشفق من مضيك على ماأنت ماض عليه ، وخائف من عقبـى ما أنت خائض فيه ، ثم قدم له من الجواهر ، والأموال ، والأمتعة مـا ملأ عينه به ، وضمن له أن يستخرج من المتكلمين فيه أموالا كثيرة ، فأطلعه السلطان على ماجرى ، وخلف له ، وقبض على أبي المحاسن ، وغيره واعتقلهم ، وانتهى أمر أبي المحاسن ، إلى أن حمل إلى قلعة ساوة ، وقورت عيناه بالسكين ، وحملتا إلى السلطان ، فأمر أن تطرحا لكلب صيـد ، كان بين يديه فأكلهما ، ونسب نظام الملك ماجرى من أبي المحاسن إلى الخدام الذي خرج من دار الخلافة ، لعقد الإملاك ، وإنه اجتمع بأبي المحاسن على ذلك ، وحمل لـه من الخليفة خلعة في جملتها دواة ، وإن الخليفة انحرف عن نظام الملك ، لما فعله مـن الجميل مع بني جهير .

وفيها قدم سعد الدولة الكوهرائين إلى بغداد ، نجدة لابن جهير على فتـح ديار بكر ، فاجتمع به أعداء ابن جهير ، وقبحوا له أن يتبعه ، ويخدمه ، وتحملـوا إليه عن الخليفة ما ألفته عن عزمه ، فأقام يتعلل ، ووصل ذلك إلى نظام الملك ، فاستدعاه إلى أصفهان ، وبعث كتابا إلى ابن مزيد ، وأبي فراس بن ورام بالمسير إلى نجدة ابـن جهير بالعسكر الذي كان مع سعد الدولة ، فسارا وحشد مسلم بن قريش لنصرة ابـن مروان ، وسار فنزل في الحديثة ، بينه وبين ميافارقين ، وكتب إلى السلطان ، يقول : هؤلاء القوم أعداؤنا ، ومتى وطئوا بلادنا وقعت الفتن ، وابن مروان ، فعبد طائـع سامع ، وهو يحمل من المال ، مايطلب منه .

وفي ذي الحجة ورد الخبر بأن فخر الدولة بن جهير ، أخذ بلاد أخـلاط والقلعة ، وقبض على أصحاب ابن مروان .

وحصل في هذه السنة من الأمن والرخص مالم يعهد ، تسير القوافل من جيحون إلى الشام ، والبحر ، بالأموال العظيمة ، والأمتعة بلا خفير ، ولا رفيق ، على الإجتماع ، والأنفراد ، ولا يؤخذ لأحد عقال ، وأما الرخص فبالغ الكر الحنطة ببغداد عشرة دنانير ، بعدما كان ثمانين دينارا ، والشعير بخمسة دنانير ، بعد خمسين ، واللحم ثمانون رطلا بدينار ، والسمك مائة رطل بثلاثة قراريط ، وعلى هذا الفواكه جميعها ، وحمل بعض السوادية في بلد الحلة ، كارة شعير ليبتاع بها كحلا لمولود ، فلم يعط بها شيئـا ، فرمى بها في النهر ، وقال : ماأعمل بما لايصلح ثمنا لكحل مولود .

وحج بالناس خمارتكين الحسباني .

وفيها توفي :

ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي

أبو اسحق الشيرازي ، الإمام الشافعي ، ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وتفقه بفارس على أبي الفرج بن البيضاوي ، وببغداد على أبي الطيب الطبري ، وبالبصرة أيضا ، وسمع الحديث ، وقدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان يعيد الدرس في ابتدائه مائة مرة ، وإذا كان في المسألة بيت يستشهد به ، حفظ القصيدة كلها لأجلها ، وصنف الكتب الحسان : المهذب والتنبيه ، والنكت في الخلاف ، واللمع في أصول الفقه وطبقات الفقهاء ، والتبصرة ، والمعونة وغير ذلك .

وكان له اليد البيضاء في النظر ، وبورك له في تصانيفه ، وانتفع بها الناس ، لحسن قصده ، وانتشر علمه ، وكثر أتباعه ، وكان طلق الوجه ، دائم البشر ، مليح المحاضرة ، يحكي الحكايات الحسان ، وينشد الأشعار المستحسنة مع الزهد في الدنيا والورع الشافي ، وكان لا يخرج شيئا إلا بنية ، ولا يتكلم في مسألة إلا قدم الإستعانة بالله ، ولا صنف بابا إلا وصلى ركعتين ، فلا جرم شاع اسمه في الدنيا .

وانتشرت تصانيفه شرقا وغربا ببركة هذا القصد والنية ، والإخلاص ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : ياشيخ ، فكان يفتخر بهذا ، ويقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياشيخ ، ولما قدم خراسان في الرسالة تلقاه الناس ، وخرجوا إليه من نيسابور ، فحمل إمام الحرمين ، أبو المعالي الجويني ، غاشيته ، ومشى بين يديه كالخدم ، وقال : أنا أفتخر بهذا ، وسئل عن التأويل ، فقال : هو حمل الكلام على إخفاء محاملة .

وما عيب عليه شيء إلا دخوله النظامية ، وذكره الدروس بها ، لأن حاله في الزهد والورع خلاف ذلك ، وكان يمشي يوما في الطريق ، ومعه صاحب له فعرض له كلب ، فزجره صاحبه فقال له أبو اسحق : لم زجرته ، أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه ، وله أشعار منها ، في غريق الماء :

غريق كأن الموت رق لأخذه فلان له في صورة الماء جانبه
أبى الله أن أنساه دهري فإنه توفاه في الماء الذي أنا شاربه

وقال :

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر فإن الحر في الدنيا قليل

وقال :

إذا طال الطريق عليك يوما فليس دواؤه إلا الصديق
تحادثه وتشكو ما تلاقي ويقرب بالحديث لك الطريق

وقال :

لما أتاني كتابا منك مبتسما عن كل لفظ ومعنى غير محدود
حكت معانيه في أثناء أسطره أفعالك البيض في أحوالي السود

وقال :

جاء الربيع وحسن ورده ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب ووجنتيه وحسن خده

ذكر وفاته :

توفي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ، بدار الخلافة، من الجانب الشرقي ، في دار المظفر ابن رئيس الرؤساء ، وغسله ابن عقيل ، وتقدم الخليفة بأن يحمل تابوته إلى باب الفردوس، فصلى عليه الخليفة أول الناس ثم صلى عليه المظفر ابن رئيس الرؤساء ، وهو يومئذ نائب بالديوان ، ثم حمل إلى جامع القصر ، فصلى عليه ، ثم حمل إلى باب أبرز ، فدفنا به ، وقبره ظاهر يزار.

وقال أبو يعلى : رأيت أبا اسحق في المنام، بعد موته ، فقلت له : أليس قد مت ؟ قال : لا والله ما مت ، ثم قال : أبرأ إلى الله تعالى من المدرسة ، ومافيها ، قلت : أليس قد دفنت في التربة التي تعرف ببيت فلان ؟ فقال : لا والله ما مت .

وقال ابن عقيل : روئي أبو اسحق في المنام ، وعليه ثياب بيض ، وعلى رأسه تاج ، فقيل له : ماهذا ؟ فقال : الثياب شرف الطاعة ، والتاج عز العلم •

وقد روى عن أبي اسحق جماعة من الأئمة ، وكانت له اليد العليا في المناظرة واللسان الذلق في الجدال ، والمشاجرة حتى ضربت به في ذلك الأمثال ، وفاق النظراء والأمثال •

قال أبو زكريا بن السلار العقيلي :

كفاني إذ عن الحوادث صارم   ينيلني المأثور (١) بالإثر والأثر

يقد ويفري في اللقاء كأنه   لسان أبي اسحق في مجلس النظر

ولما مات أبو اسحق ، أجلسوا مكانه بالنظامية أبا سعيد المتولي ، وسنذكره إن شاء الله تعالى •

طاهر بن الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو الوفاء القراء

ولد سنة تسعين وثلاثمائة ، وقرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه أولا على أبي الطيب الطبرى ، ثم رأى مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه ، فتفقه على القاضي أبي يعلى ، وأفتى ودرس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكانت وفاته في شعبان ، ودفن بدكة الإمام أحمد رضي الله عنه إلى جانب الشريف أبي جعفر وروى عنه الشيوخ ، وكان زاهدا عابدا ، ورعا ثقة ، أقام بمسجده المعروف به بباب البصرة ، خمسين سنة لا يخرج منه إلا إلى الجامع •

محمد بن أحمد بن محمد بن اسماعيل - أبو طاهر بن أبي الصقر الأنباري

ولد في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة بالأنبار ، وتوفي في شعبان ، ودفن ببلده ، وكان يقول : هذه كتبي أحب الي من وزنها ذهبا ، واتفقوا على صدقه ، وثقته ، وزهده ، وصيامه ، وقيامه ، وكان يشعر ، فمن شعره :

صدق وصل وصم وجاهد مشركا   واحجج وطف بين الحطيم وزمزم

وتجنب السبع الكبائر واجتهد   في الخير ويحك لا تلم بمحرم

إن لم تعف عن الفواحش كلها   وتخاف خالقنا فلست بمسلم

---

(١) : في ب ((المأمول)) •

وأنشد لابن الرومي :

يا دهر صافيت اللئام مواليا   أبدا وعاديت الأكارم عامدا
فغدوت كالميزان يرفع ناقصا   أبدا ويخفض لا محالة زائدا

محمد بن أحمد بن الحسن بن جردة ـ أبو عبد الله البيع البغدادي

أصله من عكبرا ، كان يتردد منها إلى بغداد ، يبيع الخام ، وكان رأس ماله عشرة نصافي ، فبارك الله له ، ووسع عليه ، وأثرى حتى صارت بضاعته ثلاثمائة ألف دينار، وزوجه الشيخ الأجل أبو منصور ابنته ، وكان جليلا نبيلا جوادا ، سمحا ، محبا للعلماء ، وماخرج عن ملبوس التجار ، ولا غير زيه ، وبنى مسجده في الريحانيين ، وهو الذي قال فيه ابن البياضي :

حبذا مسجدا بنهر معلى   ....

الأبيات ، وختم في هذا المسجد مائة ألف في مائة ألف ختمه على مدى الأنفاس ، وكانت صدقاته دارة على الفقراء والمساكين ، والأرامل ، وكان أكثر صدقاته سرا على أرباب البيوت ، وكانت داره بباب المراتب بمقدار الجامع ، فيها ثلاثون دارا ، ولها بابان على كل باب مؤذن ، إذ أذن أحدهما لا يسمعه الآخر .

ولما دخل البساسيري بغداد ، ونهب دار الخليفة ، خرجت خاتون ، زوجة القائم إلى دار ابن جردة ، فخدمها ، وأحسن إليها ، وحمل إلى قريش عشرة آلاف دينار حتى حمى داره من النهب ، فلما اجتمعت خاتون مع السلطان طغرلبك ، حكت له مافعل ابن جردة معها ، فلما دخل طغرلبك بغداد ، جاء بنفسه إلى دار ابن جردة شاكرا له ، وكانت وفاته في ذي القعدة ، ودفن في التربة الملاصقة لتربة أبي الحسن القزويني الزاهد ، في الحربية ، رحمة الله تعالى .

السنة السابعة والسبعون والأربعمائة

فيها في المحرم ، ورد الخبر بأن تتش ، ورد من دمشق إلى أنطرطوس (١) ، فحصرها وأخذها من ابن ملاعب ، وسلمها إلى جلال الملك ابن عمار ، صاحب طرابلس ، وأخذ منه مالا ، وكان قد سأله ذلك ، وعاد إلى دمشق .

وفي صفر وصل الحاج سالمين مع خمارتكين الحسباني ، وذكروا حسن سيرته .

وفي يوم الإثنين منتصف ربيع الأول ، كانت وقعة عظيمة ، على باب آمد بين فخر الدولة ابن جهير ، ومسلم بن قريش ، ذكر السبب :

كان ابن جهير قد سار إلى ديار بكر لفتحها ، فبلغه أن مسلما على قصده ومنعه ، فكتب إلى السلطان ، يلتمس منه عسكرا لدفعه ، فتقدم إلى أرتق بك بجمع التركمان والعرب لفخر الدولة ، ففعل وسار مسلم إلى ابن جهير ، فأرسل إلى أرتق بك ، فجاءه بجمع كثير من التركمان ، ووقعت المراسلة ، وكل أشار على مسلم بالرجوع إلى أعماله ، فقال : ترجعون مرحلة إلى ورائكم ، وأرجع أنا ، لئلا يقال أنني منهزما عدت ، فامتنع أرتق بك وقال : أنا لا أرد رايات السلطان على عقبها ، وعرف التركمان مايجرى ، فقالوا : نحن جئنا من البلاد البعيدة ، لطلب النهب ، وهؤلاء يسارعون في الصلح ، وركبوا نصف الليل من غير إعلام ارتق ، وأشرفوا يوم الجمعة على العرب ، وكانوا أضعاف الغز (٢) فأخذوهم باليد من غير طعن ولا ضرب ، واحتاطوا ، ولم يكن لمسلم سبيل إلى الهرب ، فطلب صوب آمد ، وتبعه ابن مروان ، وجماعة من أصحابهما فدخلوا آمد ، وبقوا يومهم وليلتهم لم يطعموا طعاما ، ولا شربوا ماء ، وكذا خيلهم وأشرف ابن جهير وارتق بك على القوم ضاحي النهار ، وقد استولى التركمان على الحلل والأموال والمواشي ، وكان مما لا يحد ولا يحصر ، وأخذوا النساء وفضحوهن ، وربطوا أمراء بني عقيل بالحبال ، وباعوهم بالقراريط ، وأشعل التركمان عشرة آلاف رمح تحت القدور ، وجرى على العرب مالم يجري عليهم قبل مثله ، وسبوا نساءهم ، وبلغ الفرس الجيد دينارا ، وكذا الجمل ، والرأي الغنم نصف قيراط ، والعبيد والإماء من دينار إلى

---

(١) : هي بلدة طرطوس الحالية في سورية .
(٢) : في ب ((العرب)) وهو تصحيف واضح !

ديناربن ، وماسوى ذلك فما اشتري ، ولا يبع ، وراسل مسلم أرتق بك ، وقال : لمثل هذا اليوم خبأتك ، ولمثله تستحب الصنيعة ، وأريد أن تمن علي بنفسي ، وبذل له مالا أرغبه فيه ، فأجابه وبعث ابن جهير إلى أرتق بك ، يقول : قد حصلت بنو عقيل في أيدي التركمان ، ويجب أن تجمعهم ، وتنفذ هم إلى السلطان ، وتقيم على هذا الإنسان — يعني مسلم بن قريش— وتستنزله ، وقد ملكت الأرض إلى مصر ، فقال أرتق بك : هذا أمر ما إليك منه قليل ولا كثير ، وأنا صاحب الحرب ، وليس عادتنا مع من نأسره أن نحبسه بل نبيعه ، ونطلقه ، وكانت نية أرتق بك مع السلطان غير مستقيمة فأنفذ ابن جهير إليه ، يقول : إن السلطان أنفذك شحنة معي ، وجندا بين يدي ، تفعلون ما أراه ، وكانوا على آمد ، فغضب أرتق بك ، ورحل من وقته ، وذلك في اليوم الثالث من الوقعة ، وتبعه أكثر التركمان ، وقصد سنجار ، وسار ابن جهير ومن معه إلى ميافارقين ، ولم يقدروا على المقام بعد أرتق بك ، فخرج مسلم من آمد يوم الأحد لتسع بقين من ربيع الأول ، ووصل الرقة وبعث إلى أرتق بك بما كان بذله له ، وزاده ، وأقام ابن جهير على ميافارقين ، فاشتد الغلاء ، وراسل أهلها وأهل آمد ، فهموا بفتح الأبواب ، وعلم ابن مروان ، فقبض عليهم ، وبطل ذلك التدبير ومضى ابن جهير إلى أخلاط ، وعاد من معه إلى العراق ، وكتب إلى السلطان يشكو أرتق بك ، وكان اتصل بالسلطان ماجرى ، وأن مسلما في آمد محصور ، ولم يشك في أخذه ، فندب عميد الدولة لحرب الجزيرة ، وأخذ مسلم ، ورد إليه أمر حلب ، والرحبة ، وبعث معه خمارتكين صواب الحاجب ، وجماعة من الأتراك ، وكوتب أرتق بك بموافقته ، وسار من أصفهان ، وبلغه في الطريق خلاص مسلم ، فكتب إلى السلطان يخبره ، فسار السلطان يريد الموصل ، وسار أرتق بك من سنجار إلى الموصل ، فالتقى عميد الدولة وكان قد مرض بدقوقا (١) ، ونزل بإزاء الموصل ، وراسل عميد الدولة أهلها أن يفتحوا للسلطان الباب ، ويطيعوه ، فقالوا : إذا حضر السلطان سلمنا إليه ، وجاء السلطان ، فخرج إليه نواب مسلم وأجابوه وأطاعوه ، وقالوا : أمرنا صاحبنا أن لا نغلق في وجهك بابا ، فأعجبه ذلك ، ودخل إليها ، وأقام أياما .

---

(١) : مدينة بين اربل وبغداد . معجم البلدان .

وفي جمادى الأولى توفي سرهنك ساوتكين الحاجب ، وخلف ألفي ألف دينار ، وخمسة عشر ألف ثوب ، منها تسعة آلاف ديباج رومي ، وخمسة آلاف رأس خيل ، وألف جمل ، وثلاثين ألف رأس غنم ، سوى الضياعات ، والأسلحة ، والأمتعة . وجاء للسلطان خبر من ناحية أخيه تكش ، فرأى إعادة مسلم إلى بلاده ، فأرسل إليه أبا بكر بن نظام الملك ، وكان نازلا بمقابل الرحبة ، فتوثق منه ، وعاد به إلى السلطان ، فخلع عليه ، وأعاده إلى أعماله ، ورجع إلى أصفهان في الرابع والعشرين من رجب .

وفي يوم الخميس سلخ رجب فتح سليمان بن قتلمش نيقيا ، وهي بلد بالساحل تضاهي أنطاكية ، وجميع مايليها من طرسوس ، وأذنة ، ومصيصة ، وعين زربة ، وكان الفردوس المتولي على أنطاكية ، من قبل ملك الروم قد أساء السيرة ، وصادر أرباب الأموال ، وقتل من الأحداث خلقا كثيرا ، وقبض على ولد نفسه وحبسه ، فكاتب سليمان ، وواعده ليلة بعينها ، فجاء في طائفة من التركمان ، ففتحوا له الباب ، فدخلها واستولى على أموالها ، وقلعتها ، واستولى على الكنيسة ومافيها من الأموال ، والجواهر ، وكان الفردوس قد خرج إلى بعض النواحي ، ولم يتعرض سليمان للودائع ، ثم نادى في عسكره : لاتتعرضوا لأحد من النصارى ، ولا ينزل أحد في دار أحد ، فلم يؤخذ (١) لأحد درهما ، وأحبته النصارى ، وشاع عدله فيهم ، فعمرت أنطاكية ، وعادت أحسن حالا من جميع البلاد ، فبعث مسلم إلى حلب ألفي فارس تحفظها ، وأرسل إلى سليمان يقول : للسلطان في كل سنة على أنطاكية مال ، فإن كنت طائعا فابعث به إلـيّ ، وإن كنت عاصيا فعرفني ، فقال : بل أنا السامع المطيع ، وقد كتبت إلى السلطان أخبره بهذا الفتح ، والمال ، إنما كان يؤخذ من صاحب أنطاكية على وجه الجزية ، ونحن مسلمون ، ومن جند السلطان ، وكان راسله مع ابن الحلزون نائب مسلم بحلب ، فقال : مانعرف إلا المال ، وأغلظ له ، فغضب سليمان ، وأرسل عسكره فنهبوا سواد حلب من منبج إلى المعرة ، وسبوا وساقوا من الجمال والدواب والماشية شيئا كثيرا ، وقصده أرباب النهب ، فاعتذر إليهم ، وقال : مالي بهذا عادة ، وإنما أميركم فعل هذا حيث أنزلني منزلة الكفار ، ثم تقدم برد النهب عليهم ، فرد بعضهم ، وصونع عن الباقي بشيء يسير ، وقيل أخذ عن كل دابة دينارا أو درهما ، وبلغ ابن قريش ، فسار من منزله بالقابوسية إلى حلب ، وهو يخف من العسكر

---

(١) : في ب ((يأخذ)) .

والمال ، لما جرى عليه على آمد ، واتفق أنه وقع بين الحُتيتي الهاشمي متقدم الأحداث بحلب ، وبين علي ، أخي مسلم ، المقيم بحلب لحمايتها ، فأنفذ الهاشمي إلى مسلم يشكو منه ، وقال في رسالته قد شاع مافي أنطاكية من العدل والإنصاف ، وأخاف أن أهل حلب يريدونه ، ويقصدونه ، ويتوصلون إلى تسليم البلد ، فقبض مسلم على أخيه ، واعتقله فأخذ منه عشرة آلاف دينار ، وتتبع الهاشمي أصحابه ، فقبض عليهم ، وشفى فؤاده منهم ، وخبثت نفسه ، فابتاع حصنا يعرف بحصن أبي قبيس (١) لا يرام ، ونقل أمواله وذخائره إليه .

وقتل مسلم في هذه السنة .

وأما السلطان ، فسار مجدا في نفرٍ يسير ، حتى ورد نيسابور ، ولحق به عسكره فوجد أخاه تكش قد أفسد في البلاد ، وأخذ وجوه أهل مرو ، وصادرهم ظنا منه أن السلطان توغل في الشام ، والتقت طلائع الفريقين ، فانهزم تكش إلى قلعته بعد أن أسر من أصحابه جماعة ، فبعث بهم السلطان إلى أصفهان معتقلين وسار وراءه (٢) ميمما وبعث إلى ترمذ من انتزعها من يد نواب تكش ، وراسل ابراهيم بن مسعود صاحب غزنة ، وقال : قد عرفت ماعطته مع أخي ، وأحسنت إليه ، وخرج علي ، وعصاني ، وقد حاصرته ، وماله ميرة الا من بلادك ، فإن منعته فهو المأمول منك ، وإن أعنته كنت ناكثا لما بيننا من الأيمان ، فأرسل إليه إبراهيم ، يعتذر ، ويومئ إلى توسط الحال ، وإصلاحها ، ومضى جماعة من الحجاب والأمراء نحو القلعة ، والسلطان نازل على المضيق فوقعوا بخيول وجمال ومواشي وغلمان ، فأخذوا الجميع ، وكان عددا لا يحصى ، وكان تكش على قرب منهم سكرانا ، فهرب وسلم .

وقال محمد بن هلال : وردت الأخبار إلى السلطان ، لما كان بالموصل ، أن تكش نزل بمرو الروذ فأخربها ، ونهب أموال أهلها ، وانتقل إلى مروالشاهجان فخدع أهلها ، ففتحوها له ، فأباحها ثلاثة أيام ، فنهبوا الأموال ، وهتكوا الحريم ، وشربوا الخمور في نهار رمضان بالجامع الأعظم ، وفعلوا مالا يستحسن الكفار فعله وصادر (٣) أرباب الأموال ، وأخرب البلاد ، ثم سار إلى سرخس ، وبها مسعود (بن) ياخر التركماني ، نائب السلطان ، وكان تكش متغيظا عليه ، لأنه هزمه مرة بعد مرة ،

---

(١) : البلاد معروفة بهذا الاسم وبأعلاها القلعة في جبال العلويين إلى الغرب من حماة .

(٢) : في ب ((متيمما)) .

(٣) : في ب ((ثم صادر)) .

فتحصن منه بقلعة سرخس ، وهي في حصانتها لا ترام ، فنازلها أياما ، وراسله وخدعه ، وسعود يقول : كأنك بالرايات السلطانية قد أطلت ، فنصب المجانيق ، وقاتل ، فوصلت الأخبار بوصول السلطان إلى الري ، وبلغه مافعل تكش ، فقدم بين يديه المقدمات ، وبلغه ما اقتضى مسيره بنفسه ، وتقدم العساكر في خواصه ، وحمل الكوسات على الجمازات ، فوصل من الري إلى نيسابور في ستة أيام ، وكتب إلى مسعود ، يقول : اذا سمعت صوت الكوس في الوقت الفلاني ، فاخرج في عسكرك من أمامهم ، ونحن نأتي من ورائهم ، فاتفق أن طلائع تكش أخذوا الجاسوس ، وحملوه إلى تكش ، فلما وقف على الكتاب دهش ، ورحل من وقته ، وحمل ماقدر عليه ، وضرب الباقي بالنار ، وكان شيئا كثيرا ، وجاء إلى مرو ، فغلق أهلها في وجهه الباب ، وقاتلوه ، وقتلوا من تخلف من أصحابه ، ووصلت مقدمات السلطان مع الأمير بزان إلى سرخس ، فانضم إليه مسعود ، ولحق بهما الأمير برسق ، وساروا يقصون (١) إثر تكش ، ويسارقونه ولا يقدمون على الهجوم عليه ، ووصل إلى بلخ ، وأقام يستخرج أمواله وذخائره ، ودنا السلطان منه ، فسار إلى قلعة ولج (٢) وأتبعه السلطان ، فنزل على مرج قريب من ولج ، فيه عشب كثير ، وأطلق الناس دوابهم فيه وكان أرتق بك معهم ، فرتبه على بعض المضايق ، وفرق الأمراء حول القلعة ، وركب السلطان وصعد على جبل مشرف عليها ، فرأى مكانا قوي في خاطره الوصول إليها منه ، ووصل رسول صاحب غزنة يشفع في تكش فقال السلطان للرسول : إذا فرغنا من هذا الوجه قصدناكم فإن صاحبك هو الذي يجسره على العصيان ، فقال الرسول : صاحبي يقول : أنا مقيم على العهد الذي بيننا ، وقد فرغت غزنة ونقلت أهلها وأموالها إلى بلاد الهند ، وأعوذ بالله أن أواجهك أو أحاربك بل ألقاك بالخضوع ، حتى يزول ما وقر في صدرك ، فقال السلطان : إننا نرفعه من الدخول في عهد هذا الغلام الجاهل ، ولا نؤثر مقاطعته لأجله ، وضاق بجند تكش الأمر ، وأشرفوا على الهلاك ، وتغيروا عليه ، فأرسل رسول إلى السلطان يخدعه باطنا ، ويجامله ظاهرا ، و وصل الرسول إلى النظام فقال له : السلطان ، قد خشيتم أن يرد إليه منكم رسول ، أو كتاب ، ولا يتجاسر أحد على خطابه في معناكم ، فقال الرسول للنظام : هو قد ألقى إليك مقاليده ، وفوض إليك أموره ، وحكمك فيما تراه ،

---

(١) : في الأصل ((يقصدون)) وهو تصحيف صوابه من ب .

(٢) : في الأصل ((وتلج)) وهو تصحيف صوابه من ب ، وونج قرية من قرى نسف . معجم البلدان .

وقال : إن رأيت أنني أجيء ، وأطرح نفسي عليه ، بعد أن يتوثق لي من السلطان، وأنا أسلم إليه القلاع ، التي في يدي ، فإنها سبب الوحشة ، وأقر عمالي في يدي ، فدخل النظام على السلطان وأخبره ، فقال : عندي من الأمر أوفى من ذلك وأتم ان أراد أن أقره في بلاده ، وأدع قلاعه في يده ، وأزيده في الإحسان ، فليحضر عندي بعد أن يركضني وبما شاء ، ويتوثق بما أراد من جهتي وجهتك ، وإن خاف الحضور، فأنا أفرد له من بلادي موضعا آخر ، وأفرج له عن الطريق ، حتى يمضي إليه ، ويسلم مابيده من هذه القلاع ، وان شاء أن أسلم اليه طخارستان سلمتها إليه ، وليس بعد هذا عندي كلام ولا جواب ، فأعلم الرسول هذا ، وقل له : إن عاد بغير أحد هذه الأقسام ضربت عنقه ، واتفق أن بعض الأمراء توغل في شعب تحت القلعة فيه قصر قريب من الباب وفيه تكش سكران ، فواقعه ، وحماه أصحابه واستنقذوه ، فصعد الى القلعة ، وعاد الرسول ، فقيل له : بماذا جئت ؟ فقال : بما يرضي السلطان ، فبادر النظام ، وأخذ بيده ، ودخل على السلطان ، فقال له : بماذا جئت ؟ فقال : الملك العادل ، يقول : ((أما القلاع فلا أسلّمها ، ولكني أخربها ، وأما اللقاء فإنني لا أحضر بابك ، ولكني أكون على رأس جبل ، وأنت على آخر ، وبيننا الوادي ، فنتحدث ونتعاهد ، وتسلم إلي بلد هراة (١) ، وتنفذ إلي خواجا بزرك لأقرر معه هذه القواعد ، فلست بأقل من مسلم بن قريش ، فاستشاط السلطان غضبا ، وأمر بضرب عنق الرسول ، فقام نظام الملك ، وقبل الأرض ، وسأله فيه ، وعز على النظام لأنه بادر به إلى السلطان ، وكان في مجلس شربة ، فلما عرف مجيء نظام الملك ، أمر برفع المجلس احتراما له ، وهذه كانت عادته ، فلما لم ينفصل أمر ، عز على النظام ذلك وأمر السلطان بأن يطاف بالرسول العسكر ، وأن يضرب ضربا مبرحا ، ففعل به ذلك ، وعاد إلى صاحبه .

ووصل الأمير منصور بن مروان صاحب ميافارقين ، فنزل على الأمير قماج ، وحمل من الغد خيلا لا قيمة لها ، وأشياء زرية ، فأقامت على سرادق السلطان يوما ، لم يلتفت إليها ، ورآها فلم تعجبه ، وحمل إلى خاتون هدية قليلة ، ولم تمض عليه غير خمسة أيام حتى بعث إلى إياز النظامي ، يقترض منه ألف دينار ، وأمر دلالة

---

(١) : بلدة ماتزال تحمل هذا الاسم نفسه في أفغانستان ، انظرها في معجم البلدان .

أعجمية أن تقترض له ثلاثة آلاف دينار بسبعة آلاف ، وأظهر جماعة ، تـواقيع للسلطان عليه ، منذ عشر سنين ، لم يعط أهلها شيئا ، وطالبوه ، وأهانوه هوانا كثيرا فـذل ومع هذا لم يؤثر فيه ، وقصد نظام الملك ، ورمى بنفسه عليه ، وعلى الحاشية ، فلما أكثروا على السلطان في أمره ، قال : لا سبيل إلى إعادة البلاد ، حتى ينفصل أمر تكش فقال النظام لمنصور : لا سبيل إلى إعادة ما أخذه ابن جهير منك ، فقال : لو أخذ مني ضيعة مارضيت ، وورد كتاب ابن جهير ، أنه قد استولى على أربعة حصون ، وأن أهل ميافارقين قد كاتبوا بالتسليم ، فحينئذ أجاب على أن يكون له ميافارقين ، وتوقف الحال ، وتحدث في مصاهرة السلطان ، وبذل ستين ألف دينار ، فقيل له : أنت تستقرض بالربا ، فمن أين لك ستون ألف دينار ؟ وافتضح وصار ضحكة ، بقلة عقله ، وقد كان خرج من ميافارقين بغير خيمة ، ولا زاد ولا درهم .

وفي ذى الحجة فتحت مدينة ملطية (١) ، فتحها خال لسليمان ابن قتلمش .

وفيها بنى بدر الجمالي جامع العطارين بالإسكندرية ، وسببه أن ولدا عصى عليه ، ودخل الإسكندرية ، فتحصن بها ، فسار أبوه إليها ، فنازلها شهرا ، وطلب أهلها الأمان ، وفتحوا له الباب ، فدخلها ، وأخذ ابنه أسيرا ، وبنى هذا الجامع .

وفيها وردت الأخبار ، من ناحية الغرب ، بأن الفرنج استولوا على جزيرة الأندلس ، وفتكوا بأهلها ، وأن صاحب اشبيلية استصرخ بالملثمين ، واستنجدهم على الفرنج ، فأنجدوه ووصلوا إليه في خلق عظيم ، والتقوا ، وكان الفرنج في مئين ألوف ، فكسروا كسرة عظيمة ، لم ينج منهم إلا من سبق جواده ، وأخر في أجله ، بحيث أحصي القتلى ، فكانوا عشرين ألفا ، جمعت رؤوسهم وبني بها أربع منائر للتأذين في غاية الإرتفاع ، وأذن المسلمون فيها ، وعاد عسكر الملثمين إلى بلادهم ، مسرورين ظافرين .

---

(١) : كانت من مدن الثغور الكبرى . معجم البلدان .

وفيها توفي :

أحمد بن محمد بن درست

أبو سعد الصوفي النيسابوري ، صاحب رياضات ، ومجاهدات ، سافر الكثير ، وحج مرات ، وكان يجمع الفقراء ، ويخرج بهم إلى البادية ويتنقل في القبائل ، وكان حسن الأخلاق ، دائم البشر ، وتقدم حتى صار شيخ الصوفية ببغداد ، وكان له الجاه العظيم ، وكان غاب بالبادية مدة ، ثم جاء فنزل على صاحبه أبي بكر الطرثيثي ، وكانت له زاوية صغيرة ، فقال له أبو سعد : يا أبا بكر لو بنيت للأصحاب موضعا أوسع من هذا ، وأرفع بابا ، فقال له : إذا بنيت أنت رباطا للصوفية ، فاجعل له بابا يدخل فيه الجمل براكبه .

فذهب أبو سعد إلى نيسابور ، فباع جميع أملاكه ، وجاء إلى بغداد ، فكتب الى القائم بأمر الله ، يلتمس منه خربة يبني فيها رباطا ، فأذن له ، فبنى الرباط ، وجمع الصوفية ، وأحضر أبا بكر الطرثيثي ، وعمل له دعوة ، وأدخل رجلا راكبا على جمل من باب الرباط ، وقال للطرثيثي : يا أبا بكر قد امتثلت ماشمت (١) ، ثم جاء الغرق سنة سبع وستين ، فهدم الرباط ، فأعاده مثلما كان .

وقال ولده أبو البركات : لما غرقت بغداد كان الماء يدخل إلى الدور من السطوح ، فأخرب الجانب الشرقي ، فاكترى أبي زورقا ، وحملنا الصوفية فيه ، والماء يرمي الحيطان ، ويحدر الأخشاب والأبواب والجذوع إلى البطائح والبحر ، فقال أحمد ابن زهير الصوفي لوالدي : يا أبا سعد لو اكتريت من يجمع هذه الأخشاب في مكان ، فإذا نقص الماء بنيت بها الرباط ثانيا ، فقال له أبو سعد : هذا زمان التفرقة لازمان جمع ، فإذا جاء وقت الجمع جمعنا .

واجتاز أبو سعد بالسوق ، قبل أن يبني الرباط ، فرأى الخبز النقي ، وكان من عادة الصوفية أكل الخشكار ، فقال : إن قدر لي بناء رباط ، لأشرطن في سجله ، أن لايطعم الصوفية إلا الخبز النقي ، فهم الآن على ذلك .

---

(١) : التشميت : الدعاء بالخير والبركة .

وكانت وفاته ليلة الجمعة في ربيع الآخر ، ودفن بمقبرة باب أبرز، قريبا من أبي اسحق الشيرازي ، وقد أناف على السبعين ، وأوصى أن يقام ولده مقامه ، وله إثنتا عشرة سنة ، ومولد ولده سنة خمس وستين وأربعمائة ، نشأ ببغداد ، وسمع الحديث ، وزار القدس، ونزل بخانكاه السُميساطي بدمشق ، وعاد إلى بغداد ، وصار شيخ الشيوخ بها ، وكتب إليه أبو القاسم عبد الله بن القاسم بن علي الحريري :

سلام كأزهار الربيع نظار وحسنا ... على شيخ الشيوخ الذي صفا
ولو لم يعقني الدهر عن قصد ربعه ... سعيت كما يسعى الطبي إلى الصفا
ولكن عذلني عنه دهر مكدر ... ومن ذا الذي واتاه في دهره الصفا

عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد - أبو نصر بن الصباغ الإمام الشافعي

ولد سنة أربعمائة ، وتفقه وبرع في الفقه ، وصار فقيه العراق ، وكان تقدم على أبي اسحق في معرفة المذهب ، وصنف الكتب الحسان ، منها : الشامل ، والكامل ، وتذكرة العالم ، والطريق السالم ، وولي التدريس بالنظامية قبل أبي اسحق عشرين يوما وكان قد سافر إلى السلطان ، وأحسن إليه ، فلما قدم بغداد هرع الناس يهنونه بذلك أياما ، وكانت وفاته في جمادى الأولى ، ودفن بداره بدرب السلولي من الكرخ ، ثم نقل إلى باب حرب ، وكان ثقة ثبتا ، صدوقا ديّنا ، فاضلا .

علي بن عبد العزيز الأندلسي

رحل ، وسمع الحديث الكثير ، ومن شعره :

صير فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

مسلم بن قريش بن بدران

أبو البركات شرف الدولة ، أمير بني عقيل ، صاحب الموصل والجزيرة ، وحلب ، وزوجه السلطان ألب أرسلان أخته ، وكان شجاعا جوادا ذا هيبة ، أحتاج إليه الخلفاء ، والملوك ، والأمراء ، والوزراء ، والأعيان ، وأولد أخت السلطان ، وخطب له على المنابر ، من باب بغداد ، إلى العواصم ، والشام ، وأقام حاكما على البلاد نيفا وعشرين سنة ، ولما مدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها :

ماأدرك الطلبات مثل مصمم ۝ وإن أقدمت أعداؤه لم يحجم (١)

– وقد تقدمت الأبيات – أعطاه الموصل ، فأقامت بيده – يعني في حكمه ستة أشهر، ومات ولم يدخلها ، ذكر مقتله :

قد ذكرنا استيلاء سليمان بن قتلمش على أنطاكية ، وأن مسلما خاف منه ، فقطع الفرات في خف من العسكر ، فنزل على حلب ، ثم توجه إلى أنطاكية ، فخرج إليه سليمان في التركمان ، واقتتلوا أياما وكان مع مسلم طائفة من التركمان ، فمالوا إلى سليمان ، وانهزمت العرب ، وبقي مسلم في أربعمائة فارس من بني عقيل فثبتوا معه ، وقاتلوا دونه ، فصعد على عقبة ، هي آخر أعمال حلب ، وأول أعمال أنطاكية ، وقت العصر يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر ، وكان قد جمع جمعا من الأرمن من سميساط وأخذ من حلب ستمائة رجل من أحداثها ، وأطلق لجبق مقدم التركمان الذين كانوا معه مالا ، وكان قد صادقه ، وصار معه ، فمال أصحاب جبق إلى سليمان مستأمنين ، وأجفلت بنو كلاب من الميمنة ، وبنو نمير من الميسرة ، وقتل من أحداث حلب نحو من أربعمائة ، وبقي وحده ، فانهزم ، فأدركوه فقتلوه ، وغنموا عسكره ، وسار بنو عقيل إلى القابوسية ، وأخرجوا أخاه إبراهيم بن قريش من القلعة ، وهو لا يقدر أن يمشي ، ولا يركب سمنا ، وكسروا القيد ، وأمروه عليهم ، وكانوا محبين له ، ومؤثرين لخدمته أكثر من مسلم ، ووقع لهم بالإطلاقات والإقطاعات ، وكتب ابن الحتيي الهاشمي الحلبي إلى السلطان يخبره بما جرى ، وطلب أن يتقدم إليه بتسليم البلد إلى من ينظر فيه ، وأغلق الأبواب وحاصره ابن قتلمش ، وقيل : إنهم أجلسوا مكان مسلم ولده بهاء الدولة .

---

(١) : انظر ماسبق ص (   ).

وقال أبو يعلى بن القلانسي : وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، كان مصاف بين الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش، وبين الملك سليمان بن قتلمش في رابع وعشرين صفر على نحو سبعين ، فكسر عسكر ابن قريش وقتل ، ورحل سليمان نحو حلب محاصرا لها في غرة ربيع الأول ، ولم يتهيأ له ما أراد ، فرحل عنها خامس ربيع الآخر الى أنطاكية ، والأصح أن مسلما قتل في هذه السنة والله أعلم (١) .

السنة الثامنة والسبعون والأربعمائة

فيها : في ثالث صفر ، فتح فخر الدولة ابن جهير آمد ، لكثرة الغلاء بها ، فانه بلغ المكوك الحنطة دينارا ، وقالت النصارى : مانبيعه إلا بأكثر ، فثار بهم المسلمون، فقتلوا جماعة منهم ، ونهبوا أموالهم ، وكان وزير آمد نصراني من قبل وزير ميافارقين وكان الآخر نصرانيا ، فهددهم فأعلنوا بشعار فخر الدولة ، وفتحوا له الباب، فدخلها وأحسن إلى أهلها ، وجلب إليهم الغلات ، وأقام ولده زعيم الرؤساء في قصر السلطان وسار إلى حصار ميافارقين .

وورد الخبر بمسير أرتق بك من حلوان والجبل ، وكانت إقطاعه ، طالبا للجزيرة والشام ، ورجع ابن جهير إلى آمد متحصنا بها ، لخوفه من آرتق بك ، لأن ابن جهير هو الذي كاتب السلطان فيه ، وأنه أطلق مسلما ، وأخذ منه المال ، فاستوحش أرتق وكان قد اتفق مع مسلم ، أنهما يمضيان إلى حلب ، ويكاتبان المصري ، وينحازا إليه ، وبعد خلا تاج الدولة تتش معهما في ذلك ، وكان مسلم أنفذ عمه مقبل بن بدران ، عند انفلاته من آمد ، إلى مصر بالإنتماء إلى دولتهم ، وأن يأخذ لهم العراق ، والجزيرة ، والشام ، ويلتمس إنفاذ عسكر إلى الشام، ويعبر هو الفرات ، ويسير إليهم ، ويتفق معهم ، وبعث بدر الجمالي ولده ، وابن المغربي وجماعة مع مقبل إلى الشام ، فوصلوا دمشق ، وأقاموا بها ، وبعثوا مقبلا يشعر مسلما وأرتق بوصولهم ، فوصل حلب ، فوجد مسلما قد قتل ، فتم إلى قرقيسيا ، واجتمع بأرتق ، فوعده بإفساد التركمان لتلك الدولة ، ونقلهم الى الشام ، وأقام أرتق بالجزيرة ، وقد فت قتل مسلم عضده ، وكان أرتق لما سار من خراسان نهب ضياعا للسلطان ، وأنفذ إليه السلطان خلعا وذهبا ، فلم يقبل منه شيئا ، وكان جماعة من عسكر السلطان بديار بكر ، منهم : الكوهرائين ، وقراتكين ، وأنوشتكين، فراسلوه ، وقربوا منه ، وقالوا : إن كنت عاصيا سرنا إليك ، وإن كنت طائعا فيجب أن

---

(١) : تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٩٢ .

تجتمع معنا على خدمة السلطان ، وراسلوا التركمان الذين معه ، وخرجوا ، ولم يبق منهم إلا أصحابه وخواصه ، وأعاد الجواب : أني سامع مطيع ، غير أن ابن جهير جعل في نفس السلطان أنني خلصت ابن قريش من آمد ، وقد تشوشت نيته وما آمن على نفسي منه ، وأنا أمضي إلى حلب ، فأقيم بظاهرها بإزاء سليمان بن قتلمش ، وأكفه عن فساد طرأ منه ، وقد كانت الكتب وردت الي بذلك ، وقطع ابن قتلمش على حلب مالا ، وأجلهم إلى أن يكتب إلى السلطان ، ويطلبها منه .

وفي جمادى الأولى ، فتح ابن جهير ميافارقين عنوة ، واستولى على مملكة بني مروان ، ذكر السبب :

كان الطنطاق الحاجب ، المقيم معه شحنة في تلك الأعمال ، مائلا إلى أخذ البراطيل ، ممن كان في ميافارقين ، فلذلك طال المقام عليها ، واتفقت وفاته ، فوجد ابن جهير في تركته مكاتبات إليه ، فكتب إلى سعد الدولة الكوهرائين ، فلحق به ، فأوقفه على الكتب ، وصدقوا القتال ثلاثة أيام ، ففتح البلد يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى .

وفي يوم الخميس ، تاسع جمادى الآخرة ، قبض على تكش ، وحمل الى قلعة فيروزكوه ، من أعمال الدامغان ، فوصلها في العشرين من رمضان ، واعتقل فيها .

وفيها توفي قاضي القضاة ابن الدامغاني ، وخلع على أبي بكر محمد بن مظفر الشاهد ، وولي قاضي القضاة .

وفي رمضان ، ورد زعيم الرؤساء أبو القاسم بن فخر الدولة بغداد ، ومعه من أموال بني مروان ماظفر بها أبوه ، ونزل في دار المملكة ، ثم خرج في شوال متوجها إلى أصفهان ، وبعث الخليفة تاج الرؤساء أخا الوزير أبي شجاع ، ومختص الخادم إلى السلطان بسبب الوصلة بابنة السلطان ، وبعث معهما بالتحف والهدايا .

وفي ذي القعدة ، توفي حاجب باب النوبي ، وسنذكره ان شاء الله تعالى .

وفي ذي الحجة ، توفي أبو علي بن الوليد المعتزلي ، وسنذكره ان شاء الله تعالى .

وفيها وقع طاعون عظيم بالعراق ، ثم عم الدنيا ، فكان الرجل قاعدا في شغلـه ، فتثور به الصفراء فتصرعه فيموت من وقته ، وهبت ببغداد ريح سوداء ، فأظلمت الدنيا ، ولاحت نيران في أطراف السماء ، وأصوات هائلة ، فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والبهائم ، واشتدت الأمراض ببغداد ، فكان الأطباء يصفون اللحم في الحميات ، لحفظ القوة ، وامتلأت المقابر من الموتى ، وفقد المغسلون والحفارون .

ومر بعض الأتراك بباب محول (١) فرأى طفلة على باب بيت ، وهي تقول : من يختتم أجري ، ويأخذني فان أبي وأمي وأخوتي وأخواتي ماتوا في هذا البيت ، فدخل التركي ، فرأى في البيت عدة أموات ، فخرج مسرعا وركب ، ثم خطر له أن يرجع ويأخذها ، فعاد فلم يجدها على الباب ، فنزل ودخل الدار ، وإذا بها ميتة ، في صدر أمهـا ، وكان أهل الدرب يموتون كلهم ، فيسد باب الدرب ، .

وفيها اتفق جماعة مع ولد بدر الجمالي بمصر على قتله ، وينفرد بالملك ، وعلم بدر ، فقتل الجماعة الذين واطئوه ، وعفى آثار ولده ، ويقال إنه دفنه حيا ، وقيـل غرقه ، وقيل جوعه حتى مات . وكان بدر فاتكا ، جبارا ، عاتيا ، قتل خلقا من العلمـاء وغيرهم ، وأقام الأذان بحي على خير العمل ، وكبر على الجنائز خمسا ، وكتب سب الصحابة على الحيطان .

وفيها أمر المقتدي بالله بأن يلبس أهل الذمة الغيارات والزنانير ، ويهاـوا وتنقض دورهم التي تعلو دور المسلمين ، وتسد أبوابهـم المقابلة للجامع ، وأن يغضـوا أصواتهم عند قراءة التوراة في دورهم ، وأمر بإراقة الخمور ، وكسر الملاهي ، ونقض دور المفسدين . ووردت الأخبار بأن الأبـروت، ملك الفرنج ، نزل على المهدية، وضايقها وفتحها عنوة ، وقتل رجالها ، وسبى نساءها .

وعاد سليمان بن قتلمش إلى حصار حلب ، وطمع فيها ، فوصلت أخبار السلطـان أنه قاصد إلى الشام، فرحل عنها وجاء تتش، وقد رحل من حلب ، والتقيا فهزمـه تتش ، وغنم عسكره ومضى ابن قتلمش إلى أنطاكية .

---

(١) : محلة كبيرة في بغداد منفردة بجانب الكرخ . معجم البلدان .

قال ابن القلانسي : وحاصر تتش حلبا وضايقها ، فسلمها إليه ابن البرعوني الحلبي ، ووصل السلطان ملك شاه إلى الشام ، ودخل حلبا في رمضان، وانهزم تتش إلى دمشق ، والأصح أن السلطان قدم إلى الشام في السنة الآتية ، لما نذكر إن شاء الله تعالى (١) .

وحج بالناس خمارتكين وكان محمود السيرة .

وفيها توفي :

أحمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم

أبو بكر ، سبط ابن فورك ، وختن أبي القاسم القشيري على ابنته ، وكان يعظ في النظامية ، فوقعت بسببه الفتنة في المذاهب ، وكان مؤثرا للدنيا ، طالبا للجاه لا يتحاشى من لبس الحرير ، وقيل لابن جهير الوزير ، ألا تحضره لتسمع منه ؟ فقال : الحديث أصون من الحال التي هو عليها ، وكان داعية إلى البدعة ، يأخذ مكس الفحم من الحدادين ، ويأكل منه ، وتوفي في شعبان ، وقد نيف على الستين ، ودفن عند قبر الأشعري .

الحسين بن علي — أبو عبد الله المردوشني

حاجب باب النوبى ، كان رئيس زمانه ، كامل المروءة ، لا يسعى إلا في مكرمة، كثير الصلاة والصوم، والصدقة ، والتعبد ، وكان الخلفاء والملوك يحترمونه ، وعمر طويلا وخدم بني بويه إلى هلم جرا ، وكانت وفاته في ذي القعدة عن خمس وتسعين سنة ، وهو صحيح البدن ، سليم الحواس، مستقيم الأحوال ، ودفن بمقبرة باب التبن وكان قد حفر قبره قبل موته بخمسين سنة.

عبد الرحمن بن مأمون بن علي — أبو سعيد المتولي

ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، ودرس بالنظامية ، موضع أبي اسحق ، ودرس الأصول مدة ، ثم قال : الفروع أسلم ، وكان فاضلا صحيحا ، توفي ليلة الجمعة ثامن عشر شوال وصلى عليه أبو بكر الشامي ، ودفن بمقبرة باب أبرز .

---

(١) : تاريخ ابن القلانسي : ١٩٣ — ١٩٥ .

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف إمام الحرمين أبو المعالي الجويني

وجوين قرية من قرى نيسابور ، ولد سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وتفقه في صباه على والده ، وقد توفي وله دون العشرين ، فأقعد مكانه للتدريس ، فأقام الدرس ، وسمع الحديث الكثير بالبلاد ، وحج وجاور أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور ، فجلس يدرس موضع أبيه ثلاثين سنة ، وإليه المنبر والمحراب والخطابة ، ويجلس للوعظ يوم الجمعة وكان يحضر درسه في كل يوم نحو من ثلاثمائة فقيه ، وتخرج به جماعة من الاكابر ودرسوا في حياته ، وصنف نهاية المطلب ، وكان أبو اسحق يقول : أنت إمام الأئمة ، وكان ابن الجويني قد بالغ في علم الكلام ، وصنف الكتب الكثيرة ، الإرشاد وغيره .

وقال : ركبت البحر الأعظم ، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه ، كل ذلك في طلب الحق ، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد ، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز ، فإن لم يتداركني الحق بلطيف بره ، وإلا فالويل لابن الجويني ، وكان يقول : يا أصحابنا لا تشتغلوا بعلم الكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به .

وقال محمد بن علي تلميذ أبي المعالي الجويني : دخلت عليه في مرضه الذى مات فيه وأسنانه تتناثر من فيه ، ويسقط منه الدود ، لا يستطاع شم فيه ، فقال : هذه عقوبة اشتغالي بالكلام فاحذروه .

وكانت وفاته ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر عن تسع وخمسين سنة ، بظاهر نيسابور ، ثم نقل إلى داره ، وبعد سنتين إلى مقبرة الحسين ، فدفن إلى جانب أبيه ، وكان أصحابه المقتبسون من علمه نحو أربعمائة ، يطوفون في البلد وينوحون عليه .

علي بن عبد السلام بن محمد أبو أحمد الأرمنازي

ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وسمع الحديث ، وكان فاضلا شاعرا ، فمن شعره :

ألا إن خير الناس بعد محمد — وأصحابه والتابعين بإحسان
ناس أراد الله إحياء دينه — بحفظ الذي يروي عن الأول الثاني
أقاموا حدود الشرع بعد نبيهم — بما أوضحوه من دليل وبرهان
وساروا مسير الشمس في جمع علمه — فأوطانهم أضحت لهم غير أوطان
فلست ترى مابيدهم غير ناطق — بتصحيح علم أو تلاوة قرآن (١)

من أبيات ، كانت وفاته بدمشق ، وكان ثقة .

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد

أبو علي المتكلم المعتزلي ، شيخ المعتزلة ، والفلاسفة ، والداعية إلى مذهبهم ، ورأيهم ، وهو من أهل الكرخ ، وكان يدرس علم الإعتزال والفلسفة والمنطق ، فاضطره أهل السنة إلى أن لزم بيته خمسين سنة ، لا يتجاسر أن يظهر ، ولم يكن عنده من الحديث ، سوى حديث واحد لم يرو غيره ، سمعه من شيخه أبي الحسين البصرى ، ولم يرو أيضا غيره ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا لم تستح فاصنع ماشئت)) فكأنهما خوطبا بهذا الحديث ، لأنهما لم يستحيا من بدعتهما التي خالفا بها السنة وعارضاها بها ، ومن فعل ذلك فما استحى ، ولهذا الحديث قصة ، وذلك لأن القعنبي لم يسمع من شعبة غيره ، لأنه قدم البصرة ، فصادف مجلس شعبة قد انقضى ، ومضى إلى منزله ، فوجد الباب مفتوحا ، وشعبة على البالوعة ، فهجم عليه من غير استئذان ، وقال : أنا غريب ، وقد قصدتك من بلد بعيد لتحدثني ، فاستعظم ذلك شعبة ، وقال : دخلت منزلي بغير إذني ، وتكلمني وأنا على مثل هذا الحال ، حدثنا منصور عن ربعي بن خراش عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إذا لم تستحي فاصنع ماشئت)) ثم قال : والله لا حدثتك غيره ، ولا حدثت قوما أنت منهم .

وقيل إن القعنبي كان يشرب النبيذ ، ويصحب الأحداث ، فجلس يوما على بابه فمر شعبة والناس خلفه يهرعون ، فقال : من هذا ؟ قيل : شعبة ، قال : وماشعبة ؟ قيل محدث ، فقام إليه ، وعليه إزار أحمر فقال له حدثني ، فقال : ما أنت من

---

(١) : زيد هذا البيت من ب .

أصحاب الحديث ، فشهر سكينه ، وقال : أتحدثني أو أجرحك ؟ فقال : حدثنا منصور ، وذكر الحديث ، فرمى سكينه ، ورجع إلى منزله ، فأهرق ماعنده ، ومضى الى المدينة ، ولزم مالك بن أنس ، ثم رجع إلى البصرة ، وقد مات شعبة ، فما سمع منه غير هذا الحديث ، وهو حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه ، ولفظ الصحيح : ان مما أدرك من كلام النبوة (١) الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت " . واسم القعنبي عبدالله بن مسلمة بن قعنب ، وكنيته أبو عبد الرحمن .

وقال ابن عقيل : جرت مسألة بين أبي على بن الوليد ، وبين أبى يوسف القزويني فى اباحة جماع الولدان فى الجنة ، فقال ابن الوليد : لا تمتنع أن نجعل ذلك من جمل لذاتهم فى الجنة ، لزوال المفسدة ، لأنه إنما منع منه فى الدينا ، لما فيه من قطع النسل ، وكونه محلا للأذى ، وليس فى الجنة ذلك ، ولهذا أبيح لهم شرب الخمر لما أمن فيه السكر وغائلته من العربدة ، وزوال العقل ، فلما أمن من ذلك من شربها لم يمنع من الإلتذاذ بها ، فقال له أبو يوسف : إن الميل إلى الذكور عاهة ، وهو قبيح فى نفسه ، لأن هذا المحل لم يخلق للوطء ، ولهذا لم يبح في شريعة ، بخلاف الخمر وهو أيضا مخرج الأذى (٢) والحدث ، واذا كان عاهة فالجنة منزهة عن العاهات ، فقال ابن الوليد : إن العاهة هي التلويث بالأذى ، وإذا لم يكن أذى ، لم يبق إلا مجرد الإلتذاذ .

وكانت وفاة ابن الوليد فى ذي الحجة ، ودفن بالشونيزية (٣) ، وسئل أبو الفضل ابن ناصر عن الرواية عنه ، فقال : لاتحل ، كان داعية إلى الاعتزال ، ومن شعره :

أيا رئيسا بالمعالي ارتدى	واستخدم العيوق (٤) والفرقدا (٥)
مالي لاأجري على مقتضى	مودة طال عليها المدى
إن غبت لم أطلب وهذا	سليمان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على ملكه	فقال مالي لاأرى الهدهدا

---

(١) : فى ب ((أدرك الناس من لفظ)) الحديث رواه البخاري وأحمد وأبى داود وابن ماجة انظر الجامع الصغير للسيوطي ط. بيروت ١٩٨١ : ١ / ٣٨٢ رقم (٢٤٩٦)

(٢) : زيدت الاذى من ب .

(٣) : الشونيزية مقبرة ببغداد بالجانب الغربي معجم البلدان .

(٤) : العيوق نجم أحمر مضيء فى طرف المجرة الأيمن تبلور الثريا لا يتقدمها القاموس .

(٥) : الفرقد : النجم الذى يهتدأ به القاموس .

محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه

أبو عبد الله الدامغاني ، القاضي الحنفي ، ولد بالدامغان في ربيع الآخر سنة تسعة عشرة ، فتفقه على الصيمري ، والقدوري ، وسمع منهما الحديث ، وبرع في الفقه وخص بالفضل الوافر ، والتواضع الزائد ، فارتفع وشيوخه أحياء ، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة ، وكان فصيح العبارة ، مليح الإشارة ، غزير العلم ، سهل الأخلاق وعانى من الفقر بدايته شدة ، فربما كان يستضيء بسراج حارس الدرب للمطالعة من حرصه ، وفي ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، شهد عند أبي عبد الله بن ماكولا قاضي القضاة ، فلما مات ابن ماكولا ، قال القائم بأمر الله للشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف : قد كان هذا الرجل قاضيا حسنا نزها ، ولكنه كان خاليا من العلم ، ونريد قاضيا ، عالما ديِّنا ، فعلم ابن يوسف أن عميد الملك هو المستولي على الدولة ، وهو شديد التعصب للحنفية ، فأراد أن يتقرب اليه ، فأشار بابن الدامغاني ، فولي قضاء القضاة يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة سنة سبع وأربعين ، وخلع الخليفة عليه ، وقرئ عهده ، وقصد خدمة طغرلبك ، فأعطاه دست ثياب مرخلة فاستمرت ولايته ثلاثين سنة ، ونظر في الديوان نيابة عن الوزارة مرتين : مرة للقائم ، ومرة للمقتدي .

وقال : كنت آخذ الجزء في كمي ، وأنزل أيام الحر إلى دجلة ، أتفيأ ظلال المشتهيات ، وأعيده فلا أقوم إلا وقد حفظته ، فانتهى بي السعي إلى مشتهيات الحريم الطاهري ، فجلست أقرأ ، وإذا قد طلع شيخ حسن الهيئة ، وجاءني خادم بعد ساعة فأقامني وأدخلني إلى دار كبيرة ، وعلى بابها حواشي ، وخدم ، وإذا بالشيخ جالس فسلمت عليه ، فرد واستدناني ، ورحب بي ، وكان علي قميص خام وسخ ، فسألني عن بلدي فقلت الدامغان ، فقال : ما تقرأ ؟ فقلت : مذهب أبي حنيفة ، قال : من أين مؤنتك ؟ قلت : لا مؤنة لي ، فسألني عن مسائل فأجبته ، فقال تجيء كل خميس إلى هاهنا ، ورمى لي قرطاسا ، كتب لي فيه شيئا بخطه ، وقال : تعرض هذا على من فيه اسمه ، وتأخذ مايعطيك ، فأخذته ، ودعوت له فخرجت وإذا على الباب رجل جالس ، فقلت له : من صاحب هذه الدار ؟ فقال : ابن المقتدر ، فأعطيته الكتاب ، فقال : نعم هذا خط مولانا ، وإذا فيه عشر كارات دقيق سميد ، وعشرة دنانير ، وكانت الكارة تساوي ثمانية دنانير ، فأعطاني الدقيق والدنانير فاتسعت به ، واشتريت الكتب ، والكسوة .

وكانت وفاته ليلة السبت الرابع والعشرين من رجب ، وقد ناهز الثمانين ، وكانت له جنازة عظيمة ، نزع العلماء طيالسهم ، ومشوا فيها ، وصلى عليه ابنه أبو الحسن ، ودفن بداره بدرب القلايين ، ثم نقل إلى مشهد أبي حنيفة رضي الله عنه ، واتفقوا على فضله ودينه ورئاسته ، ونزاهته وصدقه ، وثقته ، وبذل ابنه أبو الفضل مالا للخليفة ليوليه القضاء فلم يفعل .

محمد بن عمر بن محمد بن أبي عقيل — أبو بكر الكرخي الواعظ

ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسافر إلى البلاد ، واستوطن دمشق ، وتوفي بها في رجب ، ودفن بجانب الباب الصغير ، وكان فاضلا فصيحا ، ثقة ، ثبتا ، صدوقا ، صالحا ومن شعره :

بيض صحيفتك البيضاء في رجب　　بصالح العمل المنجي من اللهب

شهر حرام أتى من أشهر حرم　　إذا دعا الله داع فيه فيه لم يخب

طوبى لعبد زكا فيه له عمل　　فكفّ فيه عن الفحشاء والريب

منصور بن دبيس بن علي بن مزيد — أبو كامل بهاء الدولة

صاحب الحلة ، توفي بها ، وقيل بالسل ، وكانت إمارته ست سنين ، وقام بعده ولده سيف الدولة صدقة ، وكانت وفاة منصور في رجب ، وقيل في سنة تسع وسبعين .

هبة الله بن عبد الله بن أحمد — أبو الحسن السيبي البغدادي

ولد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وسمع الحديث ، وكان شاعرا فصيحا ، وتوفي في المحرم ، ودفن بباب حرب ، وكان أدب المقتدي وأولاده ، وكان ثقة ، وبلغ خمسا وثمانين سنة وهو القائل :

رجوت الثمانين من خالقي　　لما جاء فيها عن المصطفى

فبلغنيها وشكرا له وزا　　د ثلاثا بها أردفا

وها أنذا منتظر وعده　　لينجزه فهو أهل الوفا

يحيى بن محمد بن طباطبا ـ أبو المعمر العلوي ، بقية شيوخ الطالبيين

وكان هو وأخوه من نسابيهم ، وكان فاضلا شاعرا ، ظريفا ، أديبا ، فقيها في مذاهب الشيعة ، ينزل ببركة زلزل بربع الكرخ ، غربي بغداد ، ويأوي إليه الطالبيون وغيرهم ، وتوفي في رمضان ، وهو آخر من بقي بالعراق من أولاد طباطبا ، ولم يعقب .

السنة التاسعة والسبعون والأربعمائة

في صفر ، قتل سليمان بن قتلمش .

وفي ربيع الآخر ، ورد صدقة بن منصور بن دبيس ، إلى بغداد يريد قصد السلطان بأصفهان ، ليوليه أعمال أبيه .

وفيه عاد إبراهيم بن قريش من أصفهان إلى الموصل ، وقد قرره السلطان على الموصل ، والجزيرة ، وزوجه خاتون صفية عمته ، التي كانت زوجة مسلم ، وكانت مقيمة بالموصل .

وفيه توفي خطلج أدراز ، أمير الحاج وصاحب الكوفة ، بقرية من قرى أصفهان ، وكان يمنع الحاج من التجارة ، ويوفرها على نفسه ، ويأخذ منهم في الطريق ، أضعاف ماكان يقرره عليهم ، وأما الرجالة فيسير بهم عدة فراسخ في مرحلة ، فيموتون ظنا منه أن معهم مايأخذ ، فكثر الدعاء عليه ، والشكوى منه فعجل الله عليه .

وفيه عاد تاج الرؤساء ، أخو الوزير أبي شجاع ، ومختص الخادم من أصفهان ، ومعهما منشور على طريق خراسان بعشرين ألف دينار ، كل سنة ، وبثلاثين ألف دينار حوالة على صدقة بن منصور ، ومعونة للخليفة ، على مايحتاج إليه من مؤنة نقل بنت السلطان إليه .

وفيه ورد محمد بن مُسلم بن قريش من أصفهان ، وقد عقد له السلطان ، على الرحبة ، والرقّة وحرّان ، والأعمال النميرية ، وقرر عليه في كل سنة ماقرر على عمه إبراهيم بن قريش ، وزوجه السلطان بأخته من الرضاع ، وتلقاه الوزير أبوشجاع وخلع عليه في بيت النوبة الخلع التامة : الفرجية والعمامة ، والمركب الذهب والمنجوق ، وذلك في سابع جمادى الآخرة ، وتوجه إلى الرحبة .

فى سابع ذي القعدة ، سار الحاج على هيئة لم تكن أيام خطلج ، من زيادة ، وكثرة ، وتجمل مع خمارتكين الحسانى ، وبعث الخليفة معه صفائح من ذهب وفضة لتطبق على باب الكعبة ، فأطبقت ، وقلع كل ماكان فى الحرم مما عليه اسم صاحب مصر ، وجرى من العلويين امتناع ، فمنعهم أمير مكة ابن أبي هاشم ٠

وفى ثالث ذي الحجة ، دخل السلطان ملك شاه إلى بغداد ، عائدا من الشام ذكر القصة ٠

لما قتل سليمان بن قتلمش ، قتله تتش ، ونزل على حلب ، فتح له أهلها الباب كراهية لابن الحتيتي الهاشمي ، وكان قد بنى فيها قلعة ، يأوي إليها خوفا من أهلها ، وهى قلعة الشريف (١) ، فاستنزله تتش ، وحمله إلى دمشق ، وكان السلطان قد قدم بين يديه الأمير بزان الحاجب ، فلما وصل إلى الجزيرة ، ومعه أق سنقر الحاجب ، وعلم تتش عاد إلى دمشق ومضى أرتق بك إلى بيت المقدس ، وكان تاج الدولة تتش ، قد سلمه إليه ، وجعل أهله وماله فى محراب داود عليه السلام ٠ وسار السلطان في جمادى الاخرة ، من أصفهان ، ووصل إلى تكريت تاسع رجب ، وصنع له مؤيد الملك بن نظام الملك سماطا بها ، وحضره للسلطان ، وكانت تكريت بيد مؤيد الملك ، وسار من الغد إلى الموصل ، ولقيه في طريقه قوم من العرب ، وسألوه أن يعطيهم أمانا لمن فى الجزيرة ، فأعطاهم نشابا يفرقونه فى حللهم ، لئلا يتعرض لهم أحد ، وجاءه بدوي ، فقال : يا سلطان العالم أخذ بعض الغلمان رمحي ، فأمر الشاوشية بالبحث عنه ، فأحضروا الغلام ، والرمح بيده ، فأمر بقطع يده ، وقال للبدوي : ضعها على رأس الرمح وطف بها فى الحلل ليطمئنوا ، ففعل ، وسار من الموصل يوم الأحد الحادى والعشرين من رجب ، وجاء من أهل الرها من بذل تسليمها ، فأنفذ إليها أحد العمداء ، وكان الفردوس الذي بأنطاكية ، قد عامل أهلها ، بما عامل به أهل أنطاكية ، وسار السلطان إلى قلعة جعبر ، وكان بها لصوص ، يقطعون الطريق ، فصعدوا عليه فقاتلهم ، وخرجوا إليه من الباب ، واشتد القتال ، فما شعروا إلا ثلاثة من الغلمان قد صعدوا السور من مكان ما كان يظن أن مخلوقا يصعد منه ، فبهت الخارجون ، ونادى الغلمان بشعار السلطان ، وحمل العسكر ، فحالوا بين المقاتلة والباب ، فقتلوهم ، وقتل أهل جعبر ، ومن كان بها من المفسدين ، وصعدت زوجة متقدمهم إلى رأس القلعة وألقت

---

(١) : ماتزال إحدى محال حلب الكبيرة تحمل هذا الأسم حتى يومنا هذا ٠

نفسها إلى الأرض، فانكسرت ساقها ، وسلمت ، وبلغ السلطان، فأحضرها وقال لها : لم خاطرت بنفسك ؟ فقالت : خفت الفضيحة ، فاخترت القتل عليها ، فعجب ، وقال : من أين أنت ؟ فقالت : من دمشق ، فأمر بحملها إلى أهلها ، وسار السلطان إلى حلب ، فنزل إليه من القلعة سالم بن مالك العقيلي، وكان بها من قبل مسلم بن قريش قد عصى على تتش وغيره ، وحفظ القلعة وشكر له السلطان ذلك ، فأعطاه قلعة جعبر ، فهي تعرف ببني مالك ، وأعطاه عانة ، وهيت ، وجاءت رسل تتش إلى أخيه بإظهار الطاعة ، وسأل أن يكون مقيما بإقطاعه أو ينصرف إلى مكان يأمن فيه ، فأجابه السلطان بما يطيب به قلبه .

وسار السلطان إلى أنطاكية ، فخرج إليه العميد نائب سليمان بن قتلمش ، وأخذ الأمان لبني سليمان ، وأهل البلد ، ورحل السلطان إليها يوم الجمعة غرة رمضان وأبقى العميد على حاله ، وأضاف إليه أحد الحجاب شحنة له ، وأخذ معه ولد سليمان وأهله ، وأقطع لهم إقطاعا بخراسان .

وجاء ولد أبي الحسن بن منقذ ، صاحب شيزر طائعا فأبقاه عليها .

وجاء ابن ملاعب ، صاحب حمص، بخيل وهدية فأقره على عمله ، وتقدم إليه بمنع من يمضي من عسكره إلى تتش، وكان قد تسرب منهم إليه عدد كثير .

فلما قطع السلطان الفرات مضى أرتق إلى القدس، ثم مضى إلى الرملة ، فنزل الجفار مستوحشا من السلطان ، واتفق الغلاء في عسكر السلطان ، وعدم الميرة ، فبلغ الخبز كل إثني عشر رغيفا بدينار ، ومكوك شعير بدينار ، وغرارة تبن بثلاثة دنانير ، فنفقت الخيل ، والجمال ، والبغال ، وهلكت الأموال ، والأثقال ، ورحل عدد كثير من العسكر ، وعادوا على أقبح صورة ، وحدروا مابقي من الأثقال في الفرات إلى بغداد ، وانكفأ السلطان راجعا ، ورجع أهل الرها عما كانوا عليه من الطاعة ، لأن العميد الذي ولاه عليهم ، استقصى أموالهم ، فنفروا منه ، وقبضوا على الأرمن في البلد مع الشحنة ، الذين سلموا البلد إلى السلطان ، وأخرجوا العميد من البلد ، فأقطع السلطان للأمير بزان الرها ، فنزل عليها ، وحصرها ، فسلمها إليه رجل تاجر نصراني من أهلها ، يقال له ابن كدانا ، في ذي الحجة فدخلها .

وخرج الوزير فخر الدولة من ميافارقين ، فتلقى السلطان على دارآ(١)، وحمل إليه أموالا كثيرة من أموال بني مروان ، ورفع عليه العميد أبو علي ، الذي كان يعرف أحوال البلاد المروانية ، وقال : إن ابن جهير اقتطع الأموال والجواهر ، والأمتعة لنفسه ، وكثرت السعايات به ، والشناعات عليه ، فعزل عنها ، ووليها العميد المذكور ، وسار إليها السلطان حتى نزل بعقرقوف ، فخرج إليه أبو شجاع والخدم ووجوه الناس ، وعظمه الخليفة أكثر ماجرت به العادة ، وبعث له الإقامات الكثيرة فقيل أنه كان يعلق كل يوم على خيله أربعة أكرار ، وصنع له الخليفة سماطا عظيما ، دخله ألفا رأس ، وحملانا ودجاجا وحلوى ، فجلس عليه قليلا ، ثم قام ، وانتهبه الضعفاء والحواشي ، ودخل عليه الوزير أبو شجاع ، فسلم عليه عن الخليفة ، وأدى رسالة تتضمن السرور بقدومه فجثا على ركبتيه ، وقدم له الوزير سبحة فيها جوهر له قيمة ، فسر بها ، وأومأ الى تقبيل الأرض ، وركب أبو شجاع ، وخرج نظام الملك فى صحبته ، وعظمه وركب السلطان من عقرقوف فى اليوم الثالث من ذي الحجة ، ودخل بغداد ، ونزل بدار المملكة ، وقد امتلأت بغداد بالناس من الجانبين يدعون له ، ويضجون ، وهو يرد عليهم لايمنعهم من المشى بين يديه ، وكان السبب فى مجيئه إلى بغداد ، خاتون زوجته فانها ألزمته لينقل ابنتها إلى الخليفة ، وأنفذت من الموصل إلى أصفهان من يحضر الجهاز إلى بغداد ، وضرب نظام الملك سرادقه بالزاهر(٢) ، ومعسكره ، حتى يقتدي به العسكر ، ولا ينزلون فى دار أحد ، فلم يتجاسر أحد أن ينزل فى دار أحد ، وكان العوام يدخلون على السلطان متظلمين وشاكين ، فيكشف مظالمهم ، ويزيل شكواهم ، وكانت النساء يمشين بين الخيام ، ولا يقدم أحد من العسكر على التعرض لهن ولم يروا مثل هذا الأمن ، ولا مثل هيبة هذا السلطان ، وكان فى جملة عسكر السلطان فخر الدولة بن جهير ، وولده ، مثل بعض الناس ، وما انتفعا بإزالة ملك بني مروان ، ولم يدخل بغداد سوى الأمراء ، والحجاب ، والخواص ، ومن سواهم تفرقوا فى البلاد ، وكان أهل بغداد قد خافوا من زيادة الأسعار فادخروا الأقوات ، فلما انصرف العسكر ، رخصت الأسعار ، وركب السلطان إلى قبر أبي حنيفة فزاره ، وإلى قبر معروف ومقابر الشهداء والعوام بين يديه يضجون له بالدعاء ، ومضى الى قبر موسى بن جعفر إلى الكوفة ، يوم الثلاثاء نصف ذي الحجة ، وزار المشهد ، وإلى مشهد الحسين رضي الله

(١) : بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين معجم البلدان .
(٢) : أحد قصور بغداد .

عنه ، وفرق في المشهدين الأموال ، وأمر بعمارة ماد ثر من السور ، وبإجراء نهرين إلى المسجدين ، وفعل نظام الملك في هذه المشاهد ، والصدقة على العلويين أعظم مما فعل السلطان .

وفي ليلة الإثنين سابع ذي الحجة ، مضت والدة الخليفة وعمته ، إلى دار المملكة إلى خاتون ، فنزلت اليهما ، وخدمتهما ، وضربت لهما سرادقا إلى الدار ، وصعدتا إلى الدار ، ثم نزلتا وهي معهما ، انحدرت إلى دار الخليفة ، وحمل السلطان إلى دار الخليفة عشرين ألف دينار ، ومائة وخمسين ثوبا ديباجا ، وخيلا .

وفيه وصل نظام الملك إلى حضرة الخليفة في الليل ، والتقاه أبو شجاع الوزير ، والخدم ، والخواص ، وبين يديه الشموع ، والخليفة جالس في الشباك ، فقبل الأرض مرارا ، وسأله تقبيل يده ، فأخرجها الخليفة من الشباك ، فقبلها ووضعها على عينيه وخاطبه بما شرح به صدره ، وأدى رسالة السلطان ، وانصرف .

وفيه استغاثت امرأة إلى السلطان ، وقالت : صعد البارحة فرّاش أعجمي سطحي وهو نازل في جواري ، فانتهرته ، وقلت له : لئن لم تنزل لأستغيثن غدا إلى السلطان فسب السلطان ، وغصبني نفسي ، فأنفذ من أحضره ، وقال : اخصوه لما فعل بها ، واقطعوا يده ورجله لتسلقه عليها بهما ، ولسانه بذكره لنا ، ففعل به ذلك ، وحمل إلى المارستان فمات بعد ثلاث .

وفيه خلع الخليفة على زعيم الكفاة أبي منصور بن المفرج ، وقلده المظالم ، فأزال المكوس ، وأخرب المواخير ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر .

وخرج المقتدي يوما يتمشى في داره ، وفيها صناع ، وإذا بثلاثة قد جاءوا إليه ، فقبلوا الأرض ، فخاف منهم ، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : مظلومون ، ولنا على هذا الباب ثلاثة أشهر ، ماكان لنا (١) يوصلنا ، فتحيلنا ودخلنا في صورة روز جارية ، قال : ومن ظلمكم ؟ قالوا : ابن زريق ناظر واسط ، فتقدم من ساعته بإيضاح الحال ، وإن كان كما قالوا ، ابن زريق ناظر واسط ، فيعزل ابن زريق ، ويصعد موكلا به ، ثم تقدم إلى صاحب المظالم أن لا يكتم عنه حال أحد من الرعية .

---

(١) : زيدت ((لنا من)) من ب .

وفيها ولي نظام الملك الشريف العلوي الدبوسي النظامية ، بعد موت أبي سعيد المتولي ، وكان فاضلا في الجدل ، والفقه .

وصاد السلطان في سفرته أربعة آلاف غزال ، وقيل عشرة آلاف ، فبنى بها منارة بين مشهد النجف والكوفة ، وقد سماها أم القرون ، وبنى أخرى بأصفهان على مثلها ، وقيل إنما فعل ذلك في السنة الآتية .

وفيها توفي :

خطلج بن بكتكين

أبو منصور أمير الكوفة ، والحاج ، ذمّه محمد ابن هلال الصابئ ، وذمّ سيرته ، وكان شجاعا ، وله وقائع مع العرب بالبرية ، وكانوا يخافونه ، وكان محافظا على الصلوات في جماعة ، ويختم القرآن الكريم في كل يوم ، ويختص بالعلماء ، والقراء ، وله آثار جميلة في المشاهد ، والمساجد ، والجوامع ، والمصانع ، بطريق مكة ، والمدينة ، ولبث في إمارة الحاج إثنتي عشرة سنة ، وكانت وفاته في جمادى الأولى ، وتأسف عليه نظام الملك لما بلغه موته ، وقال : مات ألف رجل .

سليمان بن قتلمش

هو ابن عمّ السلطان ، وقيل هو من التركمان الناوكية ، الذين نزلوا الشام ، وقيل هو جد ملوك الروم ، وفتح عدة من بلدان الروم ، وآخر مافتح أنطاكية ، وكان قد حاصر حلبا ، ورجع عنها ، وقتل مسلم بن قريش في حربه ، وجاء تاج الدولة تتش ، فحصر حلبا وأخذ معه الشريف إلى دمشق ، وعاد ابن قتلمش فنزل على حلب ، وجاء تتش وأرتق بك من دمشق ، والتقوا فاقتتلوا في آخر أعمال حلب ، قريبا من المكان الذي قتل فيه مسلم ، فجاء سليمان سهم في وجهه ، فوقع من فرسه ميتا ، فدفن إلى جانب مسلم فكان بينهما ستة أيام ، ويقال : إن تاج الدولة عاد إلى حلب ، ففتحوا له الباب البلد فدخله ، وبقي سالم بن مالك في القلعة حتى سلمها إلى ملك شاه ، وعاد أصحاب سليمان إلى أنطاكية .

صافي الحرقي الخادم

عتيق القائم بأمر الله ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وكان ورعا ، صاحب معاملات وصدقات وإحسان إلى الناس ، ولما احتضر أعتق عبيده ، وإماءه ، وأوصى لهم بجزء من ماله ، وأجاز ذلك المقتدي ، ولما مات أمر المقتدي بحمل تابوته إلى مابين يديه ، فصلى عليه ، وحمل إلى الرصافة ، فدفن بتربة الطائع .

عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن المهتدي بالله

الخطيب أبو جعفر ، كان صاحب مروءة ، نبيلا جليلا ، فاضلا ، خطيبا ، فهيما ، يروى الأخبار والحكايات ، حسن المحاضرة ، وكانت وفاته في شعبان ، ودفن عند جامع المنصور .

علي بن فضال بن علي

أبو الحسن المغربي القيرواني ، كان فاضلا له النظم والنثر ، مات بغزنة في ربيع الأول ومن شعره :

إن تلقك الغربة في معشر … قد أجمعوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم … وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقال :

كان بهرام وقد عارضت فيه … الثريا نظر المبصر

ياقوته يعرضها بائع في كفه … والمشتري مشتري

علي بن المطلب بن نصر بن مقلد بن محمد بن مالك بن مقلد بن نصر بن هاشم

ابن سوار بن زياد بن رعيثة بن مكحول بن عمرو بن الحارث بن علي بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن بكر بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سدان بن يشجب ابن يعرب بن قحطان .

الأمير سديد الملك ، عز الدولة ، صاحب شيزر ، وذكره ابن عساكر ، فقال :

هو علي بن المقلد بن نصر بن منقذ بن محمد بن سعد بن نصر بن منقذ ابن محمد بن سعد بن نصر بن هاشم ، أبو الحسن الكناني ، قال الأمير أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي سلامة مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ ، كان جدي الملك أبو الحسن علي بن المقلد ممن ينسب إلى علم الشعر ، وكان من أبلغ أهل الشام في معرفة النحو واللغة ، وكان بينه وبين ابن عمار صاحب طرابلس مودة وكيدة ومكاتبات ، وسببه أنه كان له مملوك يسمى رسلان وكان زعيم عسكره ، فبلغه عنه مايكره فقال له : اذهب عني وأنت آمن على نفسك ، فقصد ابن عمار إلى طرابلس ، وسأله أن يسأل جدي في ماله وحرمه ، فسأله ، فأمر بإطلاقهم ، وكان قد اقتنى منه مالا كثيرا ، فلما خرج الرسول بالمال والحريم ، لحقه جدي ، فظن أنه قد بدا له ، فقال : غدرت بعهدك ، ورغبت في ماله ، فقال : لا والله ، ولكن لكل أمر حقيقة ، حطوا عن الجمال والبغال أحمالها ، فحطوا ، فقال : أبصروا ما عليها ، فنظروا فإذا في قدور النحاس خمسة وعشرون ألف دينار ، ومن المتاع مايساوي مثلها وزيادة ، فقال جدي للرسول : أبلغ ابن عمار سلامي ، وعرفه بما ترى ، لئلا يقول رسلان أنني أخذت ماله ، ثم أن جدي زار ابن عمار ، وأقام عنده مدة ، ولما رحل إلى حصنه أنشد يقول :

أحبابنا لو لقيتم في مقامكم ... من الصبابة مالاقيت في ظعني
لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا ... كالبر من أدمعي ينشق بالسفن

وكان بينه وبين نصر بن محمود صاحب حلب مودة ، وكانا أخوين من الرضاع ، ومن شعره :

تجني وتعرف ماتجني فأفكره ... وتدعى أنه الحسنى واعترف
وكم مقام بما يرضيك قمت على ... جمر الغضا وهو عندي روضه أنف

وقال :

وإذا ذكرت أياديك التي سلفت ... مع سوء فعلي وزلاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يمنعني ... علمي بأنك مجبول على الكرم

وقـــال :

إن الذي صور الأشيـاء صورني ... نارا من الناس في بحر من الجود

ألقى المنية في درعين قد نسجا ... من المنية لا من نسج داود

وقـــال :

لاتعجلوا بالهجر إن النـوى ... يحمل عنكم منة الهجـــر

وظاهرونا بوفـاء فقـد ... أغناكم البين عن الغـــدر

قال المصنف رحمه الله ، وقد وقع لي بيتان في هذا المعنى ، أرشق من هذين وهمـا :

أحبابنا كم تجنون لي ذنبا ... وكم أداب في الغـــدر

لاتعجلوا بالهجر إن النـوى ... يحمل عنكم كلفة الهجـر

وكانت وفاته بشيزر، وقيل إنه مات سنة خمس وسبعين ، وهو وهم ، ولما مات قام ولده نصر بن علي مقامه ، وتوفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وسنذكره إن شاء الله تعالى(١).

محمد بن أحمد أبو علي التُستري

كان مقدم البصرة ، وله مراكب تعمل في البحر ، ثم ترك ، وسمع الحديث ، وتوفي في رجب ، وتفرد برواية سنن أبي داود عن أبي عمرو ، وكان فصيحا ، صحيح السماع ، ثقـة .

محمد بن محمد بن أحمد بن المسلم - أبو علـي

ولد سنة إحدى وأربعمائة ، وتوفي في رمضان ، ودفن بباب حرب ، وكان زاهدا ، يقيم أياما لايتكلم ، إلافيما يعنيه .

---

(١) : ترجم له العماد في الخريدة قسم شعراء الشام ١: ٥٥٢- ٥٥٧ وأورد له بعض شعره منه بيتان جاءا هنا .

محمد بن محمد بن علي - أبو نصر العباسي

أخو النقيب الكامل ، ولد في صفر سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وسمع الحديث وتزهد في عنفوان شبابه ، وانقطع في رباط أبي سعيد الصوفي ، ثم انتقل إلى الحريم الطاهري ، وتوفي في جمادى الآخرة ، وصلى عليه أخوه الكامل ، ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب ، عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان سيداً فاضلا ، صدوقا ، ورعا ثقة .

محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف - أبو بكر البغدادي

سمع الكثير ، وكان صالحا ورعا ، لايخرج من بيته إلا في أوقات الصلوات ، وتوفي في ربيع الأول ودفن بمقبرة باب حرب ،وكان عالما متقنا ذا ورع ، وتقي ، كثير السماع متشددا في السنة حضر أخوه مجلس ابن القشيري فهجره .

هبة الله بن القاضي أبي الحسن محمد بن علي بن المهتدي

الخطيب بجامع المنصور ، ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وولي القضاء بعد أبيه ووقعت فتنة عظيمة بين السنة وأهل الكرخ على المذهب ، وعجز عنها الشحنة والغلمان وقتل من الفريقين عدد كثير ، فركب فرسه ، ووقف بين الصفين ليردهم ، فجاءه سهم غائر ، فوقع فيه فمات ، وذلك في يوم الجمعة تاسع عشر صفر ، فحمل إلى القبة الخضراء عند جامع المنصور ، فدفن عند أبيه ، وكان سيدا صالحا ثقة .

السنة الثمانون والأربعمائة

فيها بعث تتش ، أخو السلطان ، إليه رسولا ، يقول : قد استولى المصريون على الساحل ، وضايقوا دمشق ، وأسأل السلطان أن يأمر ، آقْ سنقر ، وبزان أن ينجداني فكتب إليهما بأن ينجداه ، وكان بزان بالرها ، وآق سنقر بحلب ، وكانت تقررت ولاية حلب له من قبل ملك شاه ، وأحسن السيرة فيها ، وبسط العدل ، وحمى السابلة ، وأقام الهيبة ، وأنصف الرعية ، وأباد المفسدين ، وأبعد أهل الشر ، فتواترت القوافل ، ودر الارتفاع أضعاف ماكان .

وفيها رفع السلطان المكوس ببغداد ، وكتبت ألواح ، وألصقت على الجوامع ، وفيها اسم الخليفة ، والسلطان .

وفي المحرم بعث الخليفة ، ظفر الخادم ، يستدعي السلطان إلى دار الخلافة وبعث معه بالطيار ، فقام السلطان من دار المملكة ، وقبل الأرض ، ونزل في الطيار، وجاء إلى باب الغربة ، وقد هيّئ فرس من خيل الخليفة ، وسرجه حديد صيني، ولبده أسود ، فركبه ونزل عند باب صحن السلام ، ومشى إلى الخليفة ، وقبل الأرض مرارا ، ونظام الملك قائم مشدود الوسط بين يدي الخليفة ، يقول : لأمير امير الفارسية هذا أمير المومنين ، ويقول للخليفة : هذا العبد الخادم فلان بن فلان وله من العساكر كذا وكذا ، والأمير(١) يقبل الأرض ، وكانوا أربعين أميرا، والسلطان جالس على كرسي بين يدي الخليفة ،وجاء أميريقال له ايتكين ، خال السلطان ، فاستقبل القبلة ، وصلى بإزاء الخليفة ركعتين ، واستلم بيديه الحيطان ، وأمر الخليفة بافاضة الخلع على السلطان ، فقام الى المكان الذي فيه الخلع ، فخلع عليه ، ورجع وقد أثقله التاج والطوق والسواران ، وقلد سيفين ، وكمشتكين الجندار يرفع ذيله عن يمينه ، والكوهراثين يرفعه عن شماله، وجاء إلى بين يدي السدة ، وبينه وبين الخليفة الشباك ، فقبل الأرض دفعات ، وسأل الخليفة أن يقبل يده ، فلم يفعل ، وأعطاه خاتمه فقبله ، ووضعه على عينيه ، وقال له أبو شجاع الوزير : يا جلال الدولة ، هذا سيدنا ومولانا أمير المومنين ، الذي اصطفاه الله بعز الامامة ، واسترعاه الأمة ، قد أوقع الوديعة عندك موقعها ، وقلدك سيفين لتكون قويا على أعدائك ، وأعداء الله تعالى ، وخرج وبين يديه ثلاثة ألوية ، ونثرت الدراهم ، والدنانير ، وقرئ صدر من عهده ، وقرئ الباقي في داره من الغد ، وجلس للهناء ، وبعث للخليفة ، بالأموال ، والهدايا .

وفيه دخل نظام الملك مدرسته ، ولم يكن رآها ، فجلس بها ، وأملى الحديث وسمع عليه ، وسأل عن علماء ببغداد ، فلم يبق من يشار إليه ، وفرق الخلع والمال في الفقهاء ، وأحسن اليهم.

وفي مستهل صفر ، زفّت ابنة السلطان إلى الخليفة ، وأمر بضرب القباب ،وتزيين البلد من الجانبين ، ونقل الجهاز على مائة وثلاثين جملا ، وبين يديه العساكر والخدم ، ونثر الناس عليه الدراهم ، والدنانير ، فلما كان من الغد نقل شيء آخر على أربعة وسبعين بغلا ، وكانت الخزانة إثنى عشر صندوقا من فضة ، وبين يديها ثلاثون فرسا جنائب ، ونقلت خاتون في الليل في محفة مرصعة بالجواهر ، وقد أحاط بها مائتا جارية من خواصها ، وبين يديها نظام الملك ، وأبو سعد المستوفي والأمراء

---

(١) : في ب ((الأمراء)) .

وبيد كل واحد منهم شمعة ، فدخلت دار الخليفة ، وفي رواية : ونقل جهازها في ثلاثة أيام وعلى الجمال ، والبغال أثواب الديباج ، وفي أعناقها أرسان الحرير وقلائد الذهب ، والصناديق مملوءة ذهبا وفضة ، وجواهر، وجاءت والدة الخليفة ، وعمته إلى دار المملكة في الليل ، وضربوا السرادق من دجلة إلى الدار ، فنزلت خاتون، وقبلت الأرض بين أيديهما ، وسلمت إليهما بنتها ، وأصبح الخليفة ، فعمل لأصحاب السلطان سماطا لم يعمل مثله ، استعمل فيه أربعون ألف منّا من السكر ، وخلع على خواص أصحاب السلطان ، وكان السلطان قد خرج ليلة الزفاف إلى الصيد، فأقام ثلاثا.

وفي صفر خرج السلطان ، ومعه نظام الملك نحو أصفهان ، وخرج الوزير أبو شجاع معه مودعا إلى النهروان ، وعاد.

وفيه ولد للسلطان ولد ، سماه محمودا ، وولي الأمر بعد أبيه ،وسنذكره ان شاء الله تعالى .

وفي شعبان وردت كتب السلطان إلى الخليفة ، يسأله أن يخطب لابنه الأمير أحمد ابن ملك شاه من بعد ذكر أبيه ، وكان السلطان قد جعله ولي عهده ، ومشي في ركابه، فتقدم الخليفة إلى خطباء المنابر بذلك ، ونثرت الدنانير على الخطباء.

وفيه زلزلت همذان وأعمالها زلزلة عظيمة دامت سبعة أيام فهلك تحت الردم خلق كثير ، وهرب الناس إلى البرية.

وفي ذي القعدة ، ولد للخليفة من بنت السلطان ولد سماه جعفرا ، وكناه أبا الفضل ، وجلس الوزير للهناء بباب الفردوس ، ونصبت القباب ، وزينت بغداد من الجانبين ، ونثرت الدنانير والدراهم.

وفيها بنى تاج الملك أبو الغنائم ، المدرسة التاجية بباب أبرز ، وضاهى بها النظامية ، ووقفها ، وقيل على الشافعية ، ودرس في أول السنة الآتية أبو بكر الشاشي – وفيها توفي :

شافع بن صالح بن حاتم أبو محمد الحنبلي الفقيه

تفقه على القاضي أبي يعلى ، وتوفي في صفر ، ودفن بباب حرب ، وكان صالحا زاهدا فاضلا ، ثقة.

فاطمة بنت علي المؤدب الكاتبة

برعت في الكتابة على طريقة ابن البواب ، وكتب الأعيان على خطها ، وأمرها الخليفة فكتبت كتاب الهدنة بين الديوان وملك الروم ، وقالت : كتبت لعميد الملك الكندري فأعطاني ألف دينار ، وسمعت الحديث وتوفيت في المحرم ، ودفنت بباب ابرز وكانت صالحة زاهدة .

محمد بن المقتدي

توفي بالجدري ، وقد قارب تسع سنين ، وحزن عليه أبوه حزنا عظيما ، وجلس الوزير للعزاء في باب الفردوس ثلاثة أيام ، ومنع الخليفة من ضرب الطبل في أوقات الصلوات ، وغلقت الأسواق ، وبطلت المعايش ، ثم برز توقيع الخليفة إلى الناس :

إن أمير المؤمنين أول من اقتدى بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ((الذين إذا أصابتهم مصيبة))(١) الآيات ، ولما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ،وذكر الحديث .

وقد عزى أمير المؤمنين نفسه بما عزى الله به الأمة بعد نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) (٢) الآية فإنا لله وإنا إليه راجعون تسليما لحكمه ، ورضا بقضائه ، فليعلم الحاضرون ذلك، وقد أذن لكم في الإنكفاء مشكورين.

محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى

ابن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم أجمعين ، الحسيني ، ذو الكنيتين أبو الحسن وأبو المعالي ، ولد سنة خمس وأربعمائة ببغداد ، وفيها نشأ ، وسمع الحديث الكثير، وسكن سمرقند ، وصنف ، فأجاد ، وكانت له دنيا واسعة فكان يملك نحو أربعين قرية بنواحي كش (٣) ، وكان يؤدي زكاة ماله ويتنفل بالصدقة ، فيبعث الى جماعة من

---

(١) : سورة البقرة الآية : ١٥٦.

(٢) : سورة الاحزاب الآية : ٢١

(٣) : قرية على ثلاث فراسخ من جرجان على جبل معجم البلدان .

الأئمة بألف دينار ، وخمسمائة ، إلى كل واحد ، وعشرة آلاف دينار ، ويقول أنا لاأعرف الفقراء ، ففرقوها أنتم عليهم ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل وافر ، ودين متين.

ولما اشتهرت عنه هذه الفضائل حسده قاضي سمرقند ، وما وراء النهر ، فقال للخضر بن إبراهيم ملك ماوراء النهر : إن له بستانا ليس للملوك مثله ، فبعث إليه : أريد أن أبصر بستانك ، فقال للرسول : قل له : أنت تشرب الخمر ، وهذا عمرته من المال الحلال ، لأجتمع فيه بأهل الزهد والدين ، فأعاد الرسول عليه الجواب وطلبه فاختفى ، فأظهر الخضر أنه قد ندم ، فظهر الشريف ، فقبض عليه ، واستصفى أمواله وحبسه ، وقال بعض وكلائه : فتوصلت إليه ، وقلت له : إنه يأخذ مالك بغير اختيارك ، فأعطه مايريد وتخلص ، فقال : قد طاب لي الحبس والجوع ، وقد كنت أفكر في نفسي منذ مدة ، وأقول : مَن يكون من آهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يبتلي فيماله ونفسه ، وأنا قد ربيت في النعم والدولة ، فلعل في خلل ، فلما وقعت هذه الواقعة فرحت بها ، وعلمت أن نسبي صحيح متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنا أصبر ، ولا أفعل شيئا لايرضي الله عز وجل ،فمنعوه الطعام ، فمات وأخرج من القلعة ، فأخذه ولده فدفنوه ، وقبره ظاهر يزار ، ورآه أبو العباس الطبرى ، وهو في الجنة ، وبين يديه مائدة موضوعة عليها طعام ، قال : فقلت له : ألا تأكل ، قال : لاحتى يجيء ابني المطهر ، فإنه غدا يجيء ، قال : فأنتبهت من نومي ، فقتل ابنه وقت الظهر من ذلك اليوم.

محمد بن هلال بن المُحسِّن بن ابراهيم الصابي أبو الحسن

الملقب بغرس النعمة ، صاحب التاريخ المسمى بعيون التواريخ ، ذيله على تاريخ أبيه ، وأبوه ذيل على تاريخ ثابت بن سنان ،وثابت ذيل على تاريخ ابن جرير الطبري ، فتاريخ الطبري انتهى إلى سنة إثنتين أو ثلاث وثلاثمائة ، وتاريخ ثابت إلى ستين وثلاثمائة ، وتاريخ هلال إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وتاريخ غرس النعمة من سنة ثمان وأربعين وأربعمائة إلى سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وكان غرس النعمة فاضلا أديبا ، مترسلا ، له صدقة معروفة[1] ، وإحسان كثير ، ومروءة ظاهرة ، وكانت وفاته في ذي القعدة ، ودفن في داره بشارع عوف في الجانب الغربي ، ثم نقل إلى الكوفة ، فدفن بمشهد أمير المؤمنين ، وخلف سبعين ألف دينار وكان محترما عند الخلفاء ، والوزراء والأكابر.

---

(١) : في ب ((ومعروف))

أميـر الملثميـن

بمراكش والمغرب ، وكنيته أبو بكر بن عمر ، من ولدتاشفين ، كان مجاهدا في سبيل الله تعالى ، يركب في خمسمائة ألف من رجال الديوان والمطاوعة ، ويخطب للدولة العباسية ، وكان مثل واحد من أصحابه ، يواسيهم بنفسه ، وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس ، ويقيم الحدود ، ويلبس الصوف ، وينصف المظلوم ، ويعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ، خرج في غزاة ، فلقي الفرنج ، فبينما هو واقف جاءه سهم غائر ، فذبحه ، وبلغ نيفا وستين سنة .

****

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١= ابن الأثير الجزري (عز الدين) اللباب في تهذيب الانساب
دار صادر — بيروت ١٩٨٠.

٢= ابن الأثير (المبارك بن محمد) النهاية في غريب الحديث
بيروت — المكتبة الأسلامية ؟

٣= أحمد (عزيز) تاريخ صقلية — تونس ١٩٨٠.

٤= الأصفهاني (العماد محمد بن محمد) خريدة القصر وجريدة العصر.
دمشق ١٩٥٥ — ١٩٦٨ — مجمع اللغة العربية.

٥= ألتونجي (محمد) المعجم الذهبي — دار العرب للملايين بيروت ١٩٦٩.

٦= الأنصاري (شيخ الربوة محمد) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزغ ١٩٢٣.

٧= الأنطاكي (داود بن عمر) تذكرة أولي الألباب والجامع العجيب العجاب —
دار الفكر — بيروت ١٩٥٢.

٨= بدران (عبد القادر) منادمة الأطلال — دمشق — المكتب الأسلامي (بدون تاريخ)

٩= البغدادي (أحمد بن ثابت) تاريخ بغداد — بيروت — دار الكتاب العربي.

١٠= البكري (أبو عبيد) معجم ما استعجم — بيروت عالم الكتب — (بدون تاريخ).

١١= ابن تغري بردي (يوسف) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
ط. مصورة وزارة الثقافة — القاهرة.

١٢= التيفاشي (أحمد بن يوسف) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار القاهرة ١٩٧٧.

١٣= الثعالبي (عبد الملك بن محمد) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر
القاهرة — تحقيق محي الدين عبد المجيد.

١٤= ابن جعفر (قدامة) نبذة من كتاب الخراج مطبوعة مع كتاب الممالك والمسالك
لابن خرداذبه. ليدن ١٨٨٩.

١٥= الجواليقي (أبو منصور (جوهر بن أحمد) المعرب من الكلام الأعجمي على
حروف المعجم — القاهرة — دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ.

١٦= ابن الجوزي (عبد الرحمن) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حيدر أباد ١٩٤٠.

١٧= ابن الجيعان (يحيى) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية = القاهرة ١٩٧٤.

١٨= ابن حزم (محمد بن علي)
١= الفصل في الملل والنحل — مكتبة المثنى بغداد.
٢= جمهرة أنساب العرب — القاهرة دار المعارف ١٩٦٢.

١٩= ابن حجر (أحمد بن علي) الاصابة في تمييز أسماء الصحابة — القاهرة — بدون تاريخ

٢٠= الحسني (عبد الرزاق) الصابئون — بيروت ١٩٨٣٠
٢١= ابن أبي حصينة (الحسن ابن عبد الله)— ديوان ابن أبي حصينة دمشق ١٩٥٧ — مجمع اللغة العربية ٠
٢٢= الحموي (ياقوت) :
١= معجم البلدان — دار صادر بيروت ٠
٢= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب — القاهرة ١٩٠٩٠
٢٢= ابن حيوس (محمد بن سلطان)ديوان ابن حيوس)دمشق ١٩٥١ — مجمع اللغة العربية
٢٣= ابن خلكان (أحمد) وفيات الأعيان باريس ١٨٢٨٠
٢٤= الخوارزمي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) مفاتيح العلوم — المطبعة المنيرية في القاهرة (بدون تاريخ)٠
٢٥= دراوور (الليدي أ) الصابئة المندائيون (ترجمة عربية)بغداد ١٩٦٩٠
٢٦= الزركلي (خير الدين)الأعلام — بيروت ١٩٦٩٠
٢٧= زكار (سهيل) :
١= مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية دمشق — ١٩٧٢٠
٢= تاريخ العرب والإسلام — بيروت = ١٩٧٤٠
٣= أخبار القرامطة — دمشق ١٩٨٣٠
٤= ماني والمانوية دمشق ١٩٨٥٠
٢٨= الزهيري (عبد لفتاح) الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين بيروت ١٩٨٣٠
٢٩= ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل)المخصص — بيروت دار الفكر (بدون تاريخ)
٣٠= ابن الصابئ (محمد بن هلال)الهفوات النادرة — دمشق ١٩٦٧٠
٣١= ابن الصابئ (هلال بن المحسن)تحفة الامراء في تاريخ الوزراء القاهرة ١٩٥٨٠
٣٢= الطبري (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك ٠ دار المعارف القاهرة ١٩٦٦٠
٣٣= عبد الباقي (فؤاد)المعجم المفهرس) القاهرة كتاب الشعب ٠
٣٤= ابن العديم (عمر بن أحمد)زبدة الحلب من تاريخ حلب دمشق ١٩٥١٠
٣٥= عكله (غضبان رومي)الصابئة — بغداد ١٩٨٣٠
٣٦= العمري (أكرم ضياء)موارد الخطيب البغدادي)دمشق ١٩٧٥٠
٣٧= الفارقي (ابن الأزرق)تاريخ الفارقي — القاهرة : ١٩٥٩٠
٣٨= عيسى (أحمد)تاريخ البيمارستانات بيروت ١٩٨١ — دار الرائد العربي ٠
٣٩= أبو الفداء (اسماعيل بن محمد) تقويم البلدان باريس ١٨٤٠٠
٤٠= الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب)القاموس — القاهرة ١٩١٣٠

٤١= ابن قز أوغلي (سبط ابن الجوزي)مرآة الزمان ــ مخطوطة أحمد الثالث رقم (٢٩٠٧ ب)٠

٤٢= علي بن يوسف ــ تاريخ الحكماء ــ لايبزغ ١٣٢٠ هـ ٠

٤٣= ابن القلانسي (حمزة بن أسد) تاريخ دمشق ــ دمشق ١٩٨٣٠

٤٤= القلقشندي (أحمد بن عبد الله)صبح الأعشى ــ القاهرة ــ دار الكتب المصرية٠

٤٥= ابن كثير (اسماعيل بن عمر)البداية والنهاية ــ القاهرة ١٩٣٢٠

٤٦= المدني (أحمد توفيق)المسلمون في جزيرة صقلية ــ الجزائر ــ بدون تاريخ ٠

٤٧= المسعودي (علي بن الحسين)مروج الذهب ــ ط٠بيروت دار المعرفة ــ بدون تاريخ

٤٨= ابن مماتي (الأسعد)قوانين الدواوين ــ القاهرة ١٢٩٩٠

٤٩= المناوي (محمد حمدي)الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ــ القاهرة ١٩٧٠٠

٥٠= المؤيد في الدين (هبة الله بن موسى)سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ــ القاهرة ١٩٤٩٠

٤٨٠٦٨٤

٥١= ناجي (عبد الجبار)الإمارة المزيدية ــ البصرة ١٩٧٠٠

٥٢= النديم (محمد بن اسحق) الفهرس ــ طهران ١٩٧١٠

٥٣= وزارة الثقافة والإرشاد القومي ــ تعريف القدماء بآثار أبي العلاء ــ القاهرة١٩٦٥

٥٤= ابن يحيى (أحمد)المنية والأمل في شرح الملل والنحل ــ بيروت١٩٧٩٠

****

INTRODUCTION

One of the most difficult hours which the student,who intends to prepare a thesis for getting a university degree, faces is the hour of choosing the subject. In the beginning he hesitates about choosising the subject: will he write or will he edit abook ? Writing has its advantages and problems and editing has its advantages and problems.

That is what I faced when I had to choose a subject and register it for getting the Master degree. After comparing several factors, I found that editing a book is of great use at this stage as it enables the research student to examine various sources and deals with them whether through information selection or criticism or close examination, analysis and correction. This no doubt prepares the student for future research work. In addition to this, editing combines research and composition. The editor of an old text studies it, the life of its author, his age and everything concerning its contents.

Having preferred editing, not all the difficulties facing me were overcome. I had to look for an old historical text suitable for editing, useful , from the Abbasid Age, easily accessible and could be photocopied easily and quickly. This was not easy at all.

I consulted some specialists and some friends. Dr Suheil Zakkar suggested several titles among which were: Al-Tarikh Al-Salhi (Al-Salhi's History) of Wasil Ibn Al-Hamwi and Al-Tabaqat Al-Sughra (the Minor Classes) of Al-Waqidi's secretary Ibn Sa'd. I tried to get photocopies of these two books. I wrote to the British Library in London . My husband trvelled to Istanbul in an attempt to preocure a

a photocopy of Ibn Sa'd's Tabaqat without success. I acquired a photocopy of Al-Salihi's History but it was defective and unreliable. I went back to Dr Zakkar who suggested Tarikh Ghars Al-Mi'meh (Ghars Al-Ni'meh's History) and he helped me in getting a photocopy of it.

I was very enthusiastic for this new suggestion because of the great importance of this text. After getting the required academic approvals I started to work on editing this book. I was very enthusiatic for this subject although there are only two copies of this manuscript in the whole world which reached usindirectly through Sibt Al-Jawzi's work entitled Mir'at Al-Zaman (Time's Mirror). This situation made me face new problems and many difficulties. I had to extract Ghars Al-Ni'meh's History from another work. This was practised by European researchers, especially in the field of reconstructing classical texts and it is now adopted by Arab researchers. Many poetical, religious or historical works were extracted and published , such as Ibn Al-Rawandi's History and other works.

When I found that it was very difficult to extract and isolate Ghars Al-Ni'meh's History and that my neglect of Sibt Ibn Al-Jawzi's additions would result in the loss of the great benefits of his additions, especially as most of them are biographical obituaries, and they complement the picture of Ghars Al-Ni'meh's time, then I declared that my work would be editing Ghars Al-Ni'meh's History as told by Sibt Ibn Al-Jawzi.

Ghars Al-Ni'meh (the Seedling of Grace) is Mouhammad the son of Hilal son of Al-Mohassen Al-Sabi', the last of a series of historians from the Sabi' family who supplemented Al-Tabari's History. Al-Sabi' family is a laudable one who came to Baghdad from Harran. It introduced to the Abbasid

Court a number of physicians, translators, administrators, historians and men of letters.

The early Sabians of Harran were pagans and Hilal Ibn Al-Mohassen was the first to embrace Islam. The series of historians in this family was started with Thabet Ibn Sinan followed by Hilal Ibn Al-Mohassen and finally came Mouhammad Ibn Hilal.

These historians witnessed the events of the Buwayhid Age and recorded them in detailed documentation. The last of them witnessed the end of the Buwayhid Age and the establishment of the Seljuq Sultanate, the migration of Turks and Ghuzz into Iraq, Jazirah, Bilad Al-Sham, Armenia and Asia Minor in the second half of the fifth century (H) - eleventh century.

The main part of the Sabians' historical writings is virtually lost. It seems that Sibt Al-Jawzi in Damascus had a copy of their work. He benefited from it, borrowed much of its material into his book "Mir'at Al-Zaman " (Time's Mirror). It is well known that Sibt Al-Jawzi revised his book more than once. In one of these revisions he incorporated the whole text of Ghars Al-Ni'meh's History. There are many copies of Mir'at Al-Zaman in the world, but there are only two copies which incorporate the text of Ghars Al-Mi'meh's History - one at Istanbul and another at Paris.

Hilal Ibn Al-Mohassen Al-Sabi' finished his History with the events of the year 447(H) which is the year of his death. Before his death he willed his son Mouhammad to supplement his History. The son executed the father's will and wrote asupplement called " Uyun Al- Tawarikh" (Sources of Histories) which covered the period 448 - 79(H) which is the year of his death.(He was born in 359 H).

I compared the two manuscripts and found that Istanbul

copy is better than Paris copy, although both of them bear no date of copying nor the scribe's name. They are written in a very clear Neskhi script. They have no omissions nor blots nor dampness nor damage, but they have enumerable errors in copying and pagination.

I have copied the book from Istanbul manuscript. After copying I compared it to the original photocopy and the Paris copy. Then I compared the content with the eleventh century (fifth century H) sources which originate in Iraq, Syria and Egypt. After this stage I corrected the spelling , linguistic and grammatical errors in the texts. Then I returned to the text to complete the editing process by correcting the proper nouns, explaining what needs to be explained and elucidating what needs to be elucidated as well as some comparisons and references to other sources.

At the same time I extracted the Koranic verses, the Prophetic sayings and verses of poetry. The editing process demanded great efforts and a long time. Having done all this , I started preparing the study.

The study informs the reader of the Sabians, the Sabi' family and the roles they played, especially at the level of historical writings. After that the study dealt with Ghars Al-Ni'meh's life and work and elaborated on his History which I edited. I tried to depict a picture of his age as he depicted it in his writing. I concluded my study by talking about Sibt Al-Jawzi, his Mir'at Al-Zaman, his role in recording Ghars Al-Ni'meh's History and described the kind of additions he made and appraised their value.

Ghars Al-Ni'meh's History is now in the hands of the readers. They will find there that he fully documented the rise of the Seljuq Sultanate, the Turks' capture of the Sultanate in the Aran East,which is a very far reaching

event.

Ghars Al-Ni'meh's History is one of the most important historical sources. It is an original source of the Abbasid History. It occupies the prime position among the fifth century(H) sources. The book is now in the hands of a just,impartial,specialised committee, and later it will be in the hands of researchers and readers and every one interested in the Arab-Islamic History, especially the Abbasid State. I do hope that it will be given its due value.

Finally I say this: I have exerted every effort possible and investigated the subject as much as possible. I do hope that I have been successful. God is the Patron of Success. Praise and thanks be to Him.

((المحتـــوى))